

إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة

تأليف

الدكتور أحمد بن محمد بن عبد الله أبابطين

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار عالم الكتب للنشر والتوزيع

بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذا الكتـــاب

هذا الكتاب في الأصل رسالة أعدها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب من كلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وقد أشرف عليها فضيلة الأستاذ الدكتور جعفر شيخ ادريس .


المرأة المسلمة المعاصرة
إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة

الطبعة الاولى

١٤١١هـ / ١٩٩١م

الطبعة الثانية

١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م



دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
العليا ـ غرب مؤسسة التحلية ـ ت : ٤٦٥١٦٨٩ / ٤٦٣١٧٢٢
ص . ب ٦٤٦٠ ـ الرياض ١١٤٤٢ ـ تليفاكس : ٤٦٣١٣٣٦
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان
عبد الله الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية
السعودية

الحمد لله القائل في كتابه الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث إلى الناس كافة ذكورهم وإناثهم ـ وكان يخص النساء بتوجيهاته ونصائحه . ويحملهن مسؤولية أنفسهن ومسؤولية القيام بحقوق أزواجهن عليهن ، ومسؤولية رعاية بيوتهن وأولادهن ـ وبعد : فلما كان على المرأة المسلمة واجبات ومسؤوليات في هذه الحياة كان لا بد من تذكيرها بذلك لتتهيأ للقيام بما أوجب الله عليها . فلذلك انبرى الكتاب والباحثون للكتابة في موضوع مسؤولية المرأة في الإسلام نحو نفسها ونحو أسرتها ونحو مجتمعها ـ وكان من أولئك الباحثين فضيلة الدكتور : أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين بما قدمه لنيل درجة الدكتوراه من بحث قيم بعنوان : « المرأة المسلمة المعاصرة ـ إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة » وقد قرأت هذا البحث قراءة متأنية وتجولت بين أبوابه وفصوله وشاركت في مناقشته فوجدته بحثاً قيماً وافياً في موضوعه قد سد فراغاً واسعاً في المكتبة الإسلامية وتستفيد منه المرأة المسلمة ـ إن شاء الله ـ ما يعينها على تحمل مسؤوليتها وقيامها بوظيفتها في المجتمع على نهج إسلامي سليم ـ مما نرجو أن يكون

له أطيب الأثر في أوساط النساء المسلمات ـ خصوصاً وأن النساء في هذا العصر تعلمن وأصبحن قارئات وباحثات فلابد أن يوضع بين أيديهن من الكتب والبحوث ما يوجههن الوجهة السليمة ويثقفهن الثقافة الإسلامية النزيهة ويبعد عنهن الأفكار المنحرفة التي تزخر بها كثير من الكتب المضللة ـ فجزا الله الشيخ الدكتور أحمد على ما قام به في هذا السبيل وما قدم من جهود نرجو الله أن ينفع بها نساء المسلمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى فتح الله به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما ، وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده ، أما بعد[4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الأيتان ٧٠ ، ٧١ .

(٤) خطبة الحاجة كما سماها العلماء وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني صحة بعض طرقها التي استقصاها في رسالة بعنوان : خطبة الحاجة ، انظر الرسالة المذكورة ، ص١٣ ، ١٤ ، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٠هـ ، الطبعة الرابعة .

فهذه رسالتي في موضوع (المرأة المسلمة المعاصرة ـ إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة) ، أقدمها بين يدي القارىء سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن ينفع بها الجميع وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمة



المقــدّمة

في هذه المقدمة سوف أذكر بعض الأمور المتعلقة بالموضوع مثل سبب اختياره ، والتعريف به ، وذكر الجوانب المتصلة بموضوعه باختصار وبيان منهج الرسالة وخطة البحث وأخيراً الشكر والتقدير .

أولاً : سبب اختيار الموضوع :

إن الله سبحانه وتعالى لما خاطب البشر وكلفهم بعبادته وطاعته ونشر الدعوة إلى دينه ، خاطبهم رجالاً ونساء ولم يخص جنساً دون جنس بهذا التكليف العام إلا ما ورد فيه الاستثناء صريحاً . ومن ذلك نفهم المساواة في أصل التكليف بين الرجال والنساء . وكذا المساواة في الجزاء والحساب[1] .

ولما عرفت هذا التعميم ونظرت إلى الواقع الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وجدت أن التطبيق في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يكاد ينحصر في جنس الرجال على قلة مَنْ يميلون لهذا العمل العظيم الشأن .

وأما المرأة المسلمة فعلى الرغم من وجود بعض المحاولات على نطاق المجتمع الإسلامي ، إلا أن الأمر لم يأخذ حجمه المطلوب لعدة أسباب نذكر منها :

١ ـ عدم اقتناع غالبية المجتمع بمسؤولية المرأة الدعوية مما أدى إلى تسرب هذا المفهوم إلى المرأة نفسها فانصرفت إلى أعمال الخدمة الجسدية في البيت .

---

(١) لقد رأيت عدم الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية هنا تجنباً للتكرار وهي مبثوثة داخل الرسالة وفق الحاجة .

٢ ـ جهل المرأة المسلمة بتعاليم دينها ـ عدا بعض الأمور المتعلقة بأحكام الطهارة في الصلاة والصيام والحج ـ.

٣ ـ لقد أدى هذا إلى تحرك أعداء الإسلام عن طريق الغزو الفكري للمجتمعات الإسلامية عامة ـ والتركيز على المرأة المسلمة خاصة ـ لبث سمومهم في عقيدتها ، وفكرها ، وسلوكها ، عن طريق خداعها وإيهامها بظلم الإسلام لها، وتغريرهم بأنهم ينادون بحريتها ، عن طريق دعوتهم إلى تبرجها وسفورها، واختلاطها بالرجال ، ومشاركة الرجل في عمله بدعوى المساواة الزائفة ، فأصبحت داعية ضلال وفجور ووسيلة هدم وتدمير ، لا وسيلة بناء وتعمير .

ولقد قصدت الكتابة في هذا الموضوع لعدة أهداف منها :

أ ـ توعية المرأة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، إلى أهمية مشاركة المرأة المسلمة في الدعوة .

ب ـ توجيه أنظار المرأة المسلمة إلى المعين الصافي في الكتاب والسنة لتنهل منهما العلم بالله والفقه في الدين .

ج ـ قيام المرأة المسلمة بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومواجهة أعداء الله الذين غزوها في عقر دارها .

ثانياً : التعريف بموضوع الرسالة :

وقد راعيت في كتابة هذه الرسالة أموراً أذكر منها ما يلي :

١ ـ حرصت بتوفيق الله على أن تكون دراستي لهذا الموضوع تأصيلية أرجع فيها مسؤولية المرأة المسلمة في الدعوة إلى الأصلين العظيمين والمصدرين الرئيسين في الإسلام وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٢ ـ اقتصرت في الغالب على ذكر الشاهد من الآية أو الحديث دون ذكر النص كاملاً للاختصار .

٣ ـ اقتصرت على ذكر النص من الآية أو الحديث إلا عندما أجد حاجة لذكر تفسير الآية أو شرح الحديث إذا تطلب الأمر ذلك .

٤ ـ حاولت ما وسعني الجهد أن أعتمد في نقل الأحاديث الشريفة على صحيحي البخاري ومسلم رحمهما الله .

٥ ـ إذا لم أجد بغيتي في الصحيحين فإني أنقل النص من كتب الحديث الأخرى مع ذكر حكم العلماء عليه إما من المتقدمين أو من المتأخرين .

٦ ـ أوردت أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم في مواضع متعددة تدعو وفق الحاجة .

٧ ـ استشهدت في كثير من الموضوعات بالشعر ونسبته إلى قائله .

٨ ـ قمت بعمل استبانات لمعرفة الواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة فيما يتعلق بالمعوقات التي تمنع أو تحد من نشاط المرأة المسلمة في الدعوة .

٩ ـ لا أدعي وليس لي أن أدعي بأن ما توصلت إليه يغني عن الدراسات المستقبلية في الموضوع ، فالموضوع لا يزال بكراً وبحاجة إلى دراسات أخرى وإضافات جديدة ، وحسبي أني قد أسهمت في وضع أول اللبنات في هذا الموضوع المهم حيث لم أطلع على دراسة سابقة فيه والله أعلم .

ثالثاً : خطة الرسالة :

وقد كانت خطة الرسالة كما يلي :

- مقدمة
- الباب الأول : مكانة المرأة ومسؤوليتها في الدعوة

الفصل الأول : مكانة المرأة في الجاهلية والإسلام

الفصل الثاني : مسؤولية المرأة في الدعوة

الفصل الثالث : أهمية قيام المرأة بالدعوة

- الباب الثاني : طرق إعداد المرأة للدعوة
  الفصل الأول : الإعداد النظري
  الفصل الثاني : الإعداد التطبيقي
- الباب الثالث : الظروف المحيطة والمؤثرة في الإعداد
  الفصل الأول : الإيجابيات (المساندات)
  الفصل الثاني : السلبيات (المعوقات)
- الباب الرابع : كيفية ممارسة المرأة للدعوة
  الفصل الأول : أحكام عامة عن الحجاب
  الفصل الثاني : الميادين
  الفصل الثالث : الوسائل
  الفصل الرابع : الأساليب
- الخاتمة : تشتمل على ما وصلت إليه ممن نتائج وتوصيات

رابعاً : الشكر والتقدير :

إن الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً على ما أنعم به عليّ من النعم الكثيرة ، ومنها ما وفقني إليه من إنجاز هذه الرسالة راجياً منه سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل ، ثم الشكر والتقدير للمسؤولين في الجامعة وفي مقدمتهم معالي مدير الجامعة على ما يقومون به من خدمات جليلة للعلم وطلابه ، وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد العسال المشرف السابق على الرسالة ، وفضيلة الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس الذي تفضل مشكوراً بقبوله الإشراف على رسالتي خلفاً للدكتور أحمد العسال وعلى ما بذله معي من جهد ووقت ونصيحة وتوصية وصبر وإرشاد على الرغم من ضيق وقته وانشغاله بأعمال كثيرة .

كما أشكر فضيلة الدكتور سعود بن محمد البشر عميد كلية الدعوة والإعلام على ما بذله من عون ومساندة .

وأشكر كلاً من أصحاب الفضيلة الدكتور فضل إلٰهي ، والدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، والدكتور محمد كمال الدين إمام على ما بذلوه من توجيه وإرشاد .

وأشكر كذلك كل من أفادوني بأفكارهم وعلومهم في مقابلات شخصية أو عن طريق الاقتباس من مؤلفاتهم .

وحيث إني لا أحصي من ساعدني أثناء جمع المادة العلمية فإني أتقدم بالاعتذار لهم عن عدم ذكر أسمائهم ، وأشكرهم على ما بذلوه في سبيل إخراج هذه الرسالة على المستوى المطلوب ، وأجدني أمام هذا كله لا أحمل أحداً مسؤولية الخطأ أو التقصير وأقول للجميع جزاكم الله عني خيراً .

هذا وقد بذلت جهدي بتوفيق الله سبحانه لمعالجة الموضوع على ضوء الكتاب والسنة على قدر استطاعتي لكني لا أدعي العصمة ، بل أقول ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان)[1] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص٤٤٧ .



الباب الأوّل

مكانة المرأة ومسؤوليتها في الدعوة



مُحتَوَيات

الباب الأول

الفصل الأول
مكانة المرأة

المبحث الأول : مكانة المرأة في الجاهلية

المبحث الثاني : مكانة المرأة في الإسلام

الفصل الثاني
مسؤولية المرأة في الدعوة

المبحث الأول : المساواة بين الرجل والمرأة في أصل التكليف بالدعوة

المبحث الثاني : تخصيص النساء بخطاب التكليف

الفصل الثالث
أهمية قيام المرأة بالدعوة إلى الله وضرورته

المبحث الأول : إمكانية قيام المرأة المسلمة بالدعوة

المبحث الثاني : الآثار المترتبة على قيام المرأة بالدعوة



الفصل الأول
مكانة المرأة

- **المبحث الأول** : مكانة المرأة في الجاهلية .
- **مدخل**
- **المطلب الأول** : بعض الجوانب الإيجابية في حياة المرأة في الجاهلية

أولاً : الامتيازات :

١ ـ المرأة والزواج .

٢ ـ المرأة والميراث .

٣ ـ المرأة والتجارة .

٤ ـ المرأة والثقافة .

٥ ـ النساء المجيرات .

ثانياً : العلاقات الأسرية :

١ ـ الأم .

٢ ـ الأخت .

٣ ـ الزوجة .

٤ ـ البنت .

- **المطلب الثاني** : بعض الجوانب السلبية في حياة المرأة في الجاهلية

١ ـ كراهية العرب للبنات .

٢ ـ الوأد .

٣ ـ الحرمان من الميراث والعضل .

٤ ـ تعدد أنواع النكاح .

٥ ـ التعسف في الطلاق وأهم أنواعه .

- **المبحث الثاني** : مكانة المرأة في الإسلام (بعض الحقوق والواجبات) .

أولاً : الحقوق :

المطلب الأول : المساواة بين الجنسين في أصل القيمة الإنسانية .

المطلب الثاني : حق المرأة في العلم والتعليم .

المطلب الثالث : حق المرأة في العمل .

المطلب الرابع : حق المرأة في الميراث .

المطلب الخامس : مكانة المرأة في الأسرة .

١ ـ حق الأم .

٢ ـ حق الأخت .

٣ ـ حق الزوجة .

٤ ـ حق البنت .

ثانياً : الواجبات :

المطلب الأول : الإيمان ومقتضياته .

المطلب الثاني : تعلم أمور الدين .

المطلب الثالث : طاعة الزوج .

المطلب الرابع : تربية الأبناء .

الفصل الأول

مكانة المرأة

المبحث الأول : مكانة المرأة في الجاهلية

مدخل :

إن الباحث في المصادر العربية ليعجب كل العجب من اختلاف البيئات والقبائل في نظرتها للمرأة حيث تتراوح صعوداً فتتولى زمام الملك ، وهبوطاً فيكون مصيرها الوأد خشية الفاقة والعار .

وأهم مصدر من مصادر الإسلام هو القرآن الكريم ، نراه يتحدث عن الملكة العربية في اليمن ، ملكة سبأ حيث يقول الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] .

كما يحدثنا القرآن الكريم كذلك عن الوجه المضاد لما ذكر ، وهو قتل الفتاة عن طريق الوأد فيقول الله سبحانه ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[2] .

ولذلك سنقسم حديثنا عن مكانة المرأة في جاهلية العرب إلى مطلبين هما :

١ ـ **المطلب الأول** : بعض الجوانب الإيجابية في حياة المرأة .

٢ ـ **المطلب الثاني** : بعض الجوانب السلبية في حياة المرأة .

---

(١) سورة النمل ، آية (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) سورة التكوير ، آية (٨ ، ٩) .

المطلب الأول

بعض الجوانب الإيجابية في حياة المرأة في الجاهلية[1]

إن المقصود من الجوانب الإيجابية في حياة المرأة العربية في الجاهلية ، هو إبراز ما كانت تتمتع به المرأة العربية في ذلك الحين من مكانة سامية تتمثل في حرص بعض العرب واهتمامهم بأسرهم ذلك الاهتمام الذي يبدأ من اختيار المرأة ذات الصفات الحميدة ومنها حقها في الميراث ومزاولة التجارة وطلب العلم ، والثقافة ، واحترام إجارتها ، إلى غير ذلك مما نالته بعض النساء في المجتمع الجاهلي من تكريم وإجلال ، وسيقسم هذا المطلب إلى قسمين ، هما :

أولاً : الامتيازات التي حظيت بها المرأة العربية في جاهليتها .

ثانياً : العلاقات الأسرية .

أولاً : الامتيازات :

١ ـ المرأة والزواج :

لقد كان بعض العرب كثيري الاهتمام ببناء الأسرة الاجتماعي ، لذا فلا غرابة أن نجد من بينهم من يبحث عن الزوجة ذات الصفات الحميدة ، فينصب اختياره على الزوجة ذات الحسب ، والنسب ، والنجابة ، وسائر مكارم الأخلاق ، لما لهذه العناصر من تأثير على الذرية في الصفات الفطرية والمكتسبة .

---

(١) لقد استفدت في هذا المطلب من مقال للدكتور محمد بيومي مهران بعنوان : مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة (في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ، العدد الأول ، ص١٢٧ ، سنة ١٣٩٧هـ .

وليس هذا الاهتمام على نطاق فردي فحسب ، وإنما كان رؤساء القوم يوصون أقوامهم بذلك .

لذا ، نجد أكثم بن صيفي يوصي قومه باختيار المواطن الكريمة في النسب ويقول (المناكح الكريمة مدارج الشرف)[١] .

ولقد بلغ حرص بعض العرب على صراحة النسب ، مبلغاً عظيماً في نفوسهم فضنوا بنسائهم عن مصاهرة غير العرب وإن كانوا ملوكاً ، كما فعل النعمان بن المنذر ملك الحيرة (٥٨٠ ـ ٦٠٢م) مع ملك فارس كسرى أبرويز (٥٩٠ - ٦٢٨م) عندما رفض النعمان طلب كسرى مصاهرته[٢] .

ولقد كان للمرأة العربية في جاهليتها عند بعض القبائل الحرية التامة في اختيار الزوج ، ولم يكن للولي أن يجبر موليته في غالب الأحيان على زوج لا ترضاه ، ومثال ذلك ماوية بنت عفزر[٣] ، وتماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الشاعرة ، المشهورة بالخنساء[٤] .

---

(١) أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني ، مجمع الأمثال ، ج٢ ، ص٢١٨ ، المطبعة البهية المصرية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٢هـ ، ١٩٢٣م .

(٢) انظر : أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٠٤ ، نشر دار المعارف بمصر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية ، تحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم) .
وانظر تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٦٧ ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

(٣) خيرت ماوية بنت عفزر بين ثلاثة من الرجال ، وهم : النابغة الذبياني ، وحاتم الطائي ، ورجل من النبيت ، فاختارت حاتماً من بينهم ، انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، م٨ ، ج١٦ ، ص١٠٥ ، نشر صلاح يوسف الخليل ، ودار الفكر للجميع ، بيروت ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

(٤) تقدم دريد بن الصمة ، فارس هوازن وسيد بني جشم خاطباً الخنساء فرفضته ، وكان من كلام أبيها لهذا الرجل : (ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها) .
انظر الأغاني ، م٥ ، ج٩ ، ص١١ .

ومن أبرز الأمثلة التاريخية في ذلك ، زواج خديجة بنت خويلد وهي ذات المال الوفير بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب قبل بعثته ﷺ .

٢ - المرأة والميراث :

لقد كانت المرأة العربية في جاهليتها تحظى بنصيب من الميراث وإن لم يكن هذا هو الغالب في شأنها .

وتحدثنا المصادر العربية عن نماذج من هذا النوع من الميراث الذي ترثه المرأة من أبيها أو زوجها ، كما حدث من (ذو المجاسد) عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر حيث ورث أولاده ماله في الجاهلية للذكر مثل حظ الأنثيين فوافق حكم الإسلام[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن امرأة سعد بن الربيع قالت : يا رسول الله ، إن سعداً هلك وترك ابنتين ، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه ، فما ترى يا رسول الله ؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال ، فقال رسول الله ﷺ : « يقضي الله في ذلك » ، قال ونزلت سورة النساء ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ . . ﴾ الحديث[2] .

---

(١) أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، كتاب المحبر ، ص٢٣٦ - ٢٣٧ ، طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م ، تصحيح د . إيلزه ليختن شتيتر .

(٢) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن للخطابي ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في بيان ميراث الصلب ، ج٣ ، ص٣١٤ ، رقم الحديث ٢٨٩١ ، نشر دار الحديث ، حمص سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، الطبعة الأولى ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، سنن الترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ميراث البنات ، ج٦ ، ص٢٧٥ ، رقم الحديث ٢٠٩٣ ، مطابع الفجر الحديثة ، حمص ، سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، الطبعة الأولى . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال عنه الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، انظر : محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، كتاب الفرائض ، ج٤ ، ص٣٣٤ ، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في حيدرآباد الدكن ، سنة =

ويمكن أن نستخلص من كلام المرأة في قولها : (فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال) وجود فئة من العرب تورث البنات في الجاهلية ، كما يستشف ذلك من فحوى شكوى المرأة لرسول الله ﷺ لأن استنكارها كان متعلقاً بأخذ العم المال كله دون أن يترك لبنتي أخيه شيئاً من الميراث .

ويضاف إلى ذلك قصة لجابر بن عبد الله ، حيث كان له ابنة عم عمياء قبيحة قد ورثت من أبيها مالاً فعضلها جابر فلم يتزوجها لدمامتها ، ولم يزوجها لغيره للمال الذي عندها ، فسأل رسول الله ﷺ قائلاً : أترث الجارية إذا كانت قبيحة عمياء ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « نعم »[1] .

وهذا النص يعطي دلالة على توريث بعض البنات في الجاهلية . لأنه لا يعقل حدوثه في شريعة الإسلام كما يستفاد من سؤال جابر أن المرأة في الجاهلية ترث المال من والدها ـ وإن لم يكن ذلك في غالب الأحيان ـ إذا خلت من العيوب الجسدية الظاهرة للعيان ، وبالتالي يفهم أن المانع من توريث المرأة هو وجود العيب الجسدي الظاهر وليس من أجل أنوثتها كما كان معروفاً في بعض المجتمعات العربية الجاهلية .

٣ ـ المرأة والتجارة :

إن الذي يستقريء تاريخ المرأة العربية في جاهليتها يجد أمامه أمثلة كثيرة شاهدة على ما تتمتع به تلك المرأة من حرية التصرف المالي من بيع وشراء ومتاجرة في مالها واستئجار الرجال لذلك ، مما يستشف منه معرفة ما تحتله المرأة العربية من مكانة في بعض المجتمعات قد تربو على بعض الرجال .

= ١٣٤١هـ . وقال عنه الألباني : حسن ، انظر : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، كتاب الفرائض ، ج٦ ، ص١٢١ رقم الحديث ١٦٧٧ المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الطبعة الثانية .

(١) تفسير ابن جرير الطبري ، ج٩ ، ص٢٥٧ ، نشر دار المعارف بمصر ، القاهرة ، سنة ١٣٧٤هـ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

وإن أول شاهد نسوقه هنا مما سجله لنا التاريخ التجاري للمرأة هو مثال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حيث كانت من أثرياء المجتمع القرشي ، وهي من أصحاب القوافل التجارية في رحلتي الشتاء والصيف التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة قريش ، يقول الله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[1] .

فكانت خديجة رضي الله عنها تبيع وتشتري وتستأجر الرجال في مالها وتضاربهم بشيء تدفعه لهم ، وقد اختارت ذات يوم رسول الله ﷺ قبل زواجها منه ليكون في إحدى الرحلات التجارية أميناً على تجارتها في الشام برفقة خادمها ميسرة على أن تمنحه ضعف ما تمنح غيره من الرجال ، فعاد رسول الله ﷺ بالربح الوفير[2] .

كما كانت أسماء بنت مخربة بنت جندل زوجة هشام بن المغيرة ، ثم عبد الله بن أبي ربيعة تتاجر في العطورات ، تأتيها من اليمن وتبيعها في المدينة إلى أجل[3] .

وقد اشتهرت (منشم) وهي امرأة جاهلية بالتجارة في العطورات حيث كانت تبيع العطر في مكة ، وكان من أمرها أن القبائل في مكة إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في تلك الحرب .

وقد بلغت هذه المرأة من الأهمية درجة جعلت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي المعروف يسجلها في معلقته ، فهو يقول مخاطباً هرم بن سنان وعوف بن الحارث اللذين قاما بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء :

---

(١) سورة قريش ، آية ١ ، ٢ .

(٢) انظر عبد الملك بن هشام ، سيرة النبي ﷺ ، ج١ ، ص١٩٩ نشر وطبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي .

(٣) انظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ ، ص٤٩١ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، تحقيق علي محمد البجاوي .

تـداركتـما عبسـا وذبيـان بعـدمـا تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[1]

٤ ـ المرأة والثقافة : لقد حظيت المرأة العربية في جاهليتها بالإسهام في مجال الثقافة العامة السائدة في عصرها : فكان من النساء من تجيد القراءة والكتابة ، وكان منهن المعلمات أمثال الشفاء العدوية التي كتبت عنها المصادر العربية وشهد لها رسول الله ﷺ بذلك ، حيث عرض عليها رغبته تعليم حفصة رقية النملة ، كما علمتها الكتابة ، فعن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي : « ألا تعلمين هذه رقية النملة[2] كما علمتيها الكتابة »[3] .

وكان فيهن الشاعرات أمثال الخنساء[4] الشاعرة المخضرمة المشهورة ، وهند

(١) انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عبس المعروف بالأعلم الشنتمري ، ص٦ ، المطبعة الحميدية ، القاهرة ، سنة ١٣٢٣هـ ، ومنشم اسم امرأة كانت تتاجر في العطر .

(٢) النملة قرح يخرج في الجنب يؤلم كثيراً وصاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه : قال الفيروزآبادي : والنملة قرح في الجنب كالنمل ، وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا .

انظر القاموس المحيط : مادة نمل ، فصل النون ، باب اللام .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن للخطابي ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى ، ج٤ ، ص٢١٥ ، رقم الحديث ٣٨٨٧ ، دار الحديث ، حمص ١٣٩٣هـ ، الطبعة الأولى ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد . وقال عنه الشيخ الألباني : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج١ ، ص٣٧٧ ، رقم الحديث ٢٦٤٧ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٤) اسمها : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية صاحبة المراثي في أخويها معاوية وصخر ، قالت في أخيها صخر ترثيه :

قـذى بعينـك أم بـالعـين عـوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

كـأن عـيـني لـذكـراه إذا خـطـرت فيض يسيـل عـلى الخـدين مـدرار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونـه من جـديـد الـترب أستـار

انظر ديوان الخنساء ، ص٤٧ ، تقديم كرم البستاني ، نشر دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .

بنت عتبة[١]، والخنساء[٢] بنت أبي سلمى ، وبنات[٣] عبد المطلب صفية وعاتكة[٤] وأم حكيم وأميمة وغيرهن من النساء كثير .

ولقد شاركت المرأة العربية في القول النثري بفصاحة وبيان وقوة في الأسلوب ،

---

(١) هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأم معاوية رضي الله عنهم ، ومن شعرها في جاهليتها في رثاء أبيها وعمها وأخيها :

أبكي عميد الأبطحين كليهما ومانعها من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العز منها حيث ينمي عديدها

انظر ديوان الخنساء ، ص٤٣ . وقد عزوت أبيات هند إلى ديوان الخنساء لأني لم أعثر على سواه .

(٢) هي أخت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي المشهور ، قالت في رثاء أبيها :

ولا يغني توقي المرء شيئاً ولا عقد التميم ولا الغضار
إذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار

انظر : الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، معجم الشعراء ، ص١١٠ ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ، تصحيح وتعليق الدكتور كرنكو .

(٣) انظر : ابن هشام سيرة النبي ﷺ ، ج١ ، ص١٧٩ وما بعدها ، تحقيق مصطفى االسقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ومن شعرهن في الرثاء نختار جزءاً من رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها :

أرقت لصوت نائحة بليل على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل له الفضل المبين على العبيد

(٤) قالت عاتكة بنت عبد المطلب تفخر بيوم عكاظ :

سائل بنا في قومنا وكفاك من شر سماعه
قيسا وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه
فيه السنور والقنا والكبس ملتمع قناعه

انظر : يحيى بن علي التبريزي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، ج٢ ، ص١٣٠ ، عالم الكتب ، بيروت ، عن نسخة مصورة من طبعة بولاق ، سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٧٨م .

وقد طرقت كثيراً من أبواب الأدب النثري[1] .

ولم تقتصر المرأة العربية على المشاركة في الشعر والنثر فحسب بل إنها شاركت كذلك في النقد والتحليل بمعرفة مواطن الحسن والقبح والقوة والضعف في الأساليب اللغوية من شعر ونثر[2] . يشهد لذلك مشاركاتها الفعلية في أسواق العرب في الجاهلية في عكاظ والمجنة وذي المجاز .

٥ ـ النساء المجيرات :

إن علو شأن المرأة في بعض المجتمعات العربية في جاهليتها مكنها من أجارة الهاربين وبذل الحماية والمنعة لهم خشية الأعداء ، وكانت هذه الحماية والأجارة تحترم من رجال القبيلة فلا يستطيعون المساس بمن دخل في مثل هذا الجوار .

ومن أمثلة ذلك :

١ ـ دخول السليك بن السلكة السعدي ، في جوار فكيهة بنت قتادة بن مشنوء ، من بني عوار من بني مالك بن ضبيعة من أعدائه من قبيلة بكر بن وائل[3] .

٢ ـ دخول مروان بن زنباع العبسي في جوار جمّاعة بنت عوف بن محلم الشيباني[4] .

٣ ـ دخول ضرار بن الخطاب الفهري في جوار أم جميل الدوسية[5] .

---

(١) انظر عبد الله عفيفي ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص١٧٢ ـ ١٨٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، الطبعة الثانية .

(٢) المصدر السابق ص١٧٤ .

(٣) انظر : أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٤٣٣ .
ورضا عمر كحالة أعلام النساء ، ج٤ ، ص١٧٩ ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م ، الطبعة الثانية .

(٤) المحبر ، ص٤٣٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .

وكان هذا النظام عرفاً سائداً في بعض المجتمعات العربية ، له احترامه من كل أفراد القبيلة ، فلا يخفرون ذمة المرأة المجيرة ، ولو أن أحداً فعل ما يسيء إلى هذا الجوار فإن أقاربها يتحركون لرد هذه الإساءة بمثلها أو أكبر حتى لو أدى ذلك إلى سفك الدماء ، وشاهد ذلك ما حدث من الحروب بين بني شيبان وبني ربيعة التي استغرقت مدة أربعين عاماً بين القبيلتين واشتهرت هذه الحرب باسم حرب البسوس ، وكانت البسوس خالة جساس بن مرة الشيباني ، هي السبب في إشعالها[1] .

ثانياً : العلاقات الأسرية :

١ ـ الأم :

تبوأت الأم في جاهلية العرب مركزاً مرموقاً ومكانة عظيمة في قلوب الأبناء بلغت حد الافتخار بالانتساب إلى الأمهات سواء كان المنتسبون أفراداً من قبيلة أو جماعات ، وبطون قد تؤدي في النهاية إلى انتساب بعض القبائل بكاملها إلى الأم الأولى للقبيلة ، كما كانت هذه النسبة موجودة في الزعماء .

فأما ما يتعلق بانتساب الأفراد إلى أمهاتهم فمن أمثلته : شبيب بن البرصاء ، وخفاف بن ندبة ، والأشهب بن ثور ، نسب إلى أمه رميلة ، وربيعة بن عبد ياليل الثقفي ، نسب إلى أمه قلابة ، وكانت تلقب بالذيبة ، فكان يقال في نسبه ربيعة بن الذيبة[2] .

وأما الجماعات فمن أمثلة ذلك : بطون القبائل ومنها :

---

(١) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٥٢٥ ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ، وملخص القصة هو أن (البسوس) نزل عندها (سعد بن شميس بن طوق الجرمي) ضيفاً فانطلقت ناقته ترعى من حمى كليب بن ربيعة فقتلها كليب فاستجارت البسوس بابن أختها جساس فقتل كليباً حماية لجوار خالته .

(٢) أحمد بن محمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٩٠ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ، الطبعة الثانية .

١ ـ بنو جديلة وهما عدوان وفهم ، أبناء عمرو بن قيس بن عيلان وأبناؤهما[١] .

٢ ـ بنو باهلة : وهم قتيبة ووائل وأود وجاوة وأبناؤهم نسبوا إلى أمهم باهلة وبها يعرفون[٢] .

٣ ـ بنو الطغاوة : وهم ثعلبة وعامر ومعاوية ، أمهم الطغاوة وبها يعرفون[٣] .

وكل هذه البطون تعود إلى قبيلة قيس .

أما فيما يتعلق بانتساب بعض الزعماء من ملوك ، ورؤساء قبائل ، إلى أمهاتهم فمثال ذلك ما يلي :

١ ـ المنذر الثالث (٥٢١ ـ ٥٥٤م) ملك الحيرة حيث كان ينتسب إلى أمه (ماء السماء) فيقال (المنذر بن ماء السماء) وماء السماء لقب أمه مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة من بني النمر بن قاسط[٤] .

٢ ـ عمرو بن (هند بنت الحارث) بن عمرو بن حجر آكل المرار[٥] التي اعتنقت النصرانية وأثرت على ابنها عمرو بدعوتها له باعتناق هذا الدين .

ومن طبيعة العربي أن لا يرضى المهانة والذل لأمه مهما كانت الأسباب ، ومهما بلغت بذلك الحيل والمحاولات .

ومن ذلك ، لما أراد عمرو بن هند إذلال ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، عندما

---

(١) انظر : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص٢٦٩ دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٥٩هـ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، وانظر علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٨٩ ، مطبعة معارف بغداد ، سنة ١٩٦١م .

(٢) العقد الفريد ، ج٣ ، ص٢٧٠ .

(٣) العقد الفريد ، ج٣ ، ص٢٧٠ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٠٤ .

(٥) المصدر السابق .

نزلت ضيفة عنده مع ولدها عمرو بن كلثوم ، صاحت بأعلى صوتها قائلة : واذلاه . ، يا لتغلب . ، فانتفض ابنها عمرو انتفاضة المحموم ، وقال لا ذل لتغلب بعد اليوم ، ثم أخذ سيفاً معلقاً في الخيمة وصرع به رأس عمرو بن هند وقال معلقته المشهورة ومنها :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

إلى أن قال :

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا[1]

وكأن ما فعل عمرو بن كلثوم لم يغن عن تغلب كثيراً فقام مرة بن كلثوم وقتل ولدي النعمان وأخاه ليطفىء جذوة من الغضب هاجها تعمد المهانة لأمه .

ولعل من أهم الأسباب التي بوأت بعض النساء في الجاهلية هذه المكانة ، ما كان من الفضائل التربوية التي كانت النساء يقدمنها لأولادهن في مرحلة الطفولة ، والصبا ، والشباب ، حتى أصبحن مصدر فخر واعتزاز لأبنائهن .

وكانت الأمهات يغرسن في نفوس أبنائهن حب الرجولة ، والفضائل الموروثة ، منذ نعومة الأظفار ، حتى سن الشباب ، والرجولة ، فقد روي عن منفوسة بنت زيد الخيل أنها كانت تلاعب طفلها وتقول :

أشبه أخي أو أشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا[2]
تقصر عن مناله يداكا

---

(١) عبد الله العفيفي ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص٢٨ .
والقيل : الملك من ملوك حمير . والقطينة : قعيدة الدار ، والمقتوي : الخادم .
(٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص٨٢ .

فهي بذلك تثير في نفس وليدها حب الاستطلاع ، في أحوال من ذكرت كي يقتدي بهم في صفات الشجاعة والفروسية .

٢ ـ الأخت :

مما لا جدال فيه بعد أن عرفنا مكانة الأم وأهميتها في المجتمع العربي ، في الجاهلية ـ أن الأخت قد تتمتع بمكانة عظيمة في نفس أخيها لأنهما يجتمعان في أصل واحد ، ويتفرعان منه ، فالأخ يغار على أخته ويحميها ويقدم لها كل ما يستطيع من مساعدة ونجدة لأنه يشعر بأن كرامتها كرامة له ومهانتها مهانة له ، فنراه يقدم لها المال بل ويشاطرها فيه كما في قصة الخنساء السلمية مع أخيها صخر ، بل ولا يكتفي بمشاطرتها ماله مرة واحدة بل مرات ومرات ، وتعاتبه زوجته في تصرفه لكنه يمضي في نجدة أخته ويواسيها بماله ، بل ويعطيها خير ماله .

ويقال في حديث بين الخنساء والسيدة عائشة رضي الله عنها أن الخنساء قالت زوجني أبي رجلاً مبذراً فأذهب ماله ، فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين فأعطاني خيرهما ، ثم ضيع زوجي ماله مرة أخرى ، فقسم أخي ماله شطرين فأعطاني خيرهما ، فلما كانت الثالثة قالت امرأته : أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار ؟ فقال :

والله لا أمنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعر صدارها[1]

وكان العربي يستشير أخته أحياناً إذا كانت أهلاً للمشورة بل ويأخذ بمشورتها مما يدل على منحها الثقة الكاملة في مثل هذه القضايا ، وشاهد ذلك ما حدث من سفانة ابنة حاتم الطائي بعد أن فك أسرها رسول الله ﷺ ، فذهبت إلى أخيها

(١) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ ، ص٦١٦ .
والصدار : ثوب من صوف أو شعر تلبسه المرأة الثكلى إذا أحدت على فقيدها . انظر لسان العرب المحيط ، مادة صدر .

عدي بن حاتم في الشام بعد فراره من جيش المسلمين فاستشارها فأشارت عليه برأيها قائلة : (إن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكاً فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت) فقال لها : (والله إن هذا للرأي) وقدم على رسول الله ﷺ ، فأسلم[1] .

ومن المسلم به أن إعزاز الرجل لأخته يستتبع إعزازه لبنيها ، وقد مدح أبو طالب عم النبي ﷺ ابن أخته زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب بقوله :

ونعم ابن أخت القوم غير مكذب   زهير حساما مفردا من حمائل[2]

٣ ـ الزوجة :

ليس عجيباً أن تحظى المرأة العربية عند بعض عرب الجاهلية بمكانة عالية ، في قلب زوجها ، لأنها سكنه ومهوى فؤاده ، وأم أولاده ، عندها يجد الراحة النفسية ، والخدمة التي لا تتقاضى عليها أجراً محدوداً ، فأولاها من حبه وتقديره ورعايته مالا يدخل في حساب الأموال لمكانتها في نفسه واستيلائها على مشاعر فؤاده .

ولذلك فلا غرو أن نجد زهير بن أبي سلمى يوشي معلقته المشهورة بافتتاحية غزلية يخاطب فيها زوجته أم أوفى ، حيث يقول :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحومانة الدراج فالمتثلم[3]
ودار لها بالرقمتين كأنها   مراجيع وشم في نواشر معصم

وهكذا فعل الشعراء أمثاله من الإشادة بزوجاتهم في مستهل قصائدهم ومنظوماتهم .

---

(١) انظر : سيرة النبي ﷺ لابن هشام ، ج٤ ، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، تحقيق السقا والأبياري وشلبي .
(٢) انظر أحمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٣١٩ .
والحمائل جمع محمل وهو الذي يحمل به السيف والقوس إذا حمله الرجل على كتفه .
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٧٤ ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ، تقديم وتعليق كرم البستاني .
=

وإذا نادى العربي زوجته فإنه يختار لها من صيغ النداء ما يشعرها بتكريمه لها ، كأن يناديها باسمها مضافاً إلى اسم والدها أو صفة من صفاته الحميدة ، كما فعل قيس بن عاصم عند مخاطبته لزوجته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي ، وقد أتته بطعام حيث قال :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد[1]
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فإني لست آكله وحدي

وقد يناديها باسم ابنها ، كقول أوس بن حجر :

ألم تعلمي أم الجلاس بأننا كرام لدى وقع السيوف الصوارم[2]

وربما ناداها الزوج باسمها مجرداً أو باسمها مصغراً إشعاراً لها بالألفة وإيناساً ، كما قال أزهر بن هلال التميمي :

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد متقدما[3]

وكان يشهدها على مفاخره كما فعل عروة بن الورد في قوله :

وقد علمت سليمى أن رأيي ورأي البخل مختلف شتيت
وإني لا يريني البخل رأي سواء إن عطشت وإن رويت[4]

وكما فعل عنترة بن شداد العبسي والذي قال مخاطباً زوجته :

= والدمنة : آثار الدار . والحومانة ما غلظ من الأرض ، والدارج والمتثلم والرقمتان أسماء مواضع . انظر شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمري ، ص٢ ، المطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣٢٣هـ ، الطبعة الأولى .

(١) كتاب الأغاني ، م٦ ، ج١٢ ، ص١٥١ .

(٢) أبو عبادة البحتري ، الحماسة ، ص٢٤٢ ، نقله عن صورة فوتوغرافية وضبطه وعلق على حواشيه ، كمال مصطفى ، سنة ١٩٢٩م ، الطبعة الأولى .

(٣) المصدر السابق ، ص٥١ .

(٤) ديوان عروة ، شرح ابن السكيت ، ص ٣٥ ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، تحقيق عبد المعين الملوحي .

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم[1]

ويقول :

يا عبل كم من غمرة باشرتها بمثقف صلب القوائم أسمر
فأتيتها والشمس في كبد السما والقوم بين مقدم ومؤخر[2]

أما استماع المشورة ، فإن العشرة التي يتبادلها الزوجان وينهلان صفوها تمهد للزوجة سبيل المشورة لزوجها فيما يعود على حياتهما بالخير ، وكان العربي لا يجد غضاضة من استشارة زوجته فيما يحتاج إلى رأي غيره فيه ، وقد تكون المشورة إصلاحاً بين الناس وحقناً للدماء النازفة أثناء الحروب والمناوشات الحربية ، كما فعل الحارث بن عوف بقبول مشورة زوجته بهيسة بنت أوس بن حارثة الطائي في أول لقاء بينهما بعد عقد النكاح حيث قالت له : لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك ، قال : فكيف يكون ؟ قالت : أتفرغ لنكاح النساء والعرب تتقاتل ؟ أخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم[3] .

ونفذ الحارث مشورة زوجته واشترك مع هرم بن سنان في الإصلاح بين المتقاتلين من عبس وذبيان ، فوقف القتال وحقنت الدماء وشاد بهذا العمل زهير بن أبي سلمى على هذين المصلحين في معلقته المشهورة التي قال فيها :

---

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص١٤٩ ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، شرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي .

شرح بعض كلمات البيتين :

الرحالة : السرج يعمل من جلد الشاة بأصوافها يتخذ للجري الشديد . السابح من الخيل : الذي يدحو بيديه دحوا . والنهد : الغليظ . تعاوره : أي تتعاوره ، والمعنى يطعنه ذا مرة وذا مرة . الكمي : الشجاع . المكلم هنا : بمعنى المجروح .

(٢) المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٣) أحمد محمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٠٨ .

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[1]

٤ ـ البنت :

إن الفكرة الشائعة القائلة بأن بغض العرب للبنات يعتبر قاعدة عامة تسري على المجتمع العربي في الجاهلية ، فيها كثير من الجفاء والتجني ، فلم تعدم الأوساط العربية الجاهلية من لفتة كريمة ونظرة رحيمة إلى البنت والشعر العربي بين أيدينا هو وثيقة مهمة وشاهد في هذه القضية . ومن يطلع على الشعر العربي في هذه الفترة التاريخية يجد شواهد كثيرة تثبت يقينا وجود كثير من الآباء يحبون بناتهم ويكرمونهن، بل ويعترض بعض الآباء على كره الرجال للبنات ، فهذا معن بن أوس الشاعر المخضرم ، له ثلاث بنات ، وكان يؤثرهن ويعتز بهن لأن في البنات وفاء لآبائهن ، يمرضنهم إذا مرضوا ويعدنهم إذا سقموا ، وقد عبر الشاعر عن هذه المعاني بهذه الأبيات ، فهو يقول :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنه ونوائح[2]

ولقد رافق بعض بنات العرب التكريم ، والعطف ، منذ الصغر ، يهيء لها أبوها ما تلعب به من العرائس ، والدمى ، ويلبسها ما يليق بها من الحلي . قال امرؤ القيس مصوراً ما كانت عليه الفتاة الجاهلية في صباها :

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب[3]

واستمر هذا التكريم والعطف الأبوي طول حياة البنت في صباها وشبابها ويوم زفافها ، فهذا المرار بن منقذ يصور الفتاة وهي تنعم بالعيش الرغيد ، وبالجاه ، والتربية العالية ، بين أبيها وأمها فيقول :

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ، وقد سبق تخريجه .

(٢) أحمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٧٩ .

(٣) ديوان امرىء القيس ، ص٢٩٤ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ويقال : إنها لعمرو بن ميناس المرادي وهو مخضرم .

ناعمتها أم صدق برة وأب بَرٌّ بها غير حكر
فهي خذواء بعيش ناعم برد العيش عليها وقصر
لا تمس الأرض إلا دونها عن بلاط الأرض ثوب منعفر[1]

وكانت البنت تستدر عاطفة أبيها ، وحنانه ، وشفقته عليها ، ورحمته بها ، فيذكر أن رغبته في الحياة ، إنما هي فقط من أجل ابنته خوفاً عليها من ذل اليتم والفقر ، فيصور الشاعر إسحاق بن خلف عاطفته نحو ابنته فيقول :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أقاس الدجى في حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم[2]

ويلاحق عطف الأبوة والحنان البنت يوم زفافها ، ويتجلى ذلك العطف في قول عامر بن الظرب لصعصعة بن معاوية لما خطب ابنته عميرة : يا صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي وأرحم ولدي عندي ، والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب[3] .

وفي قول عتبة لابن أخيه عثمان بن عنبسة وقد خطب إليه ابنته : (مرحباً بابن لم أَلده ، أقرب قريب خطب إليَّ أحب حبيب ، قد زوجتكها وهي ألوط بقلبي فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ولا تهنها فيصغر عندي قدرك .)[4] إن الأب في

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص١٣٦ . ومعنى منعفر أي معفر بالتراب ، والشاعر يعني بقوله هذا : بأنه يربأ بابنته أن تمس الأرض فيجعل دونها قطعة قماش أو جزءاً من الثوب يحميها عن غبار الأرض . انظر لسان العرب المحيط مادة عفر .

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ديوان الحماسة ، ج١ ، ص١٠٧ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م ، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص١٨ .

(٣) مجمع الأمثال ، ج١ ، ص٢٨٦ .

(٤) المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ص٢٨٠ .

موقفه من وصيته لزوج ابنته إنما يعبر عن ثقل الأمانة التي شارك الزوج في تحملها بل إن الزوج قد يتحمل النصيب الأكبر من أمانة البنت التي أصبحت له زوجة وأماً لأولاده .

إن مضمون هذه الوصية يشعر بأن الأب لا يزال يشعر بمسؤوليته تجاه ابنته حتى تموت خوفاً من أن تصاب بذلة أو هوان ، وقد صور الشاعر إسحاق بن خلف هذا المعنى ، بقوله :

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ وكنت أبقي عليها من أذى الكلم
إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لرحمة بنتي عبرتي بدم[1]

وهكذا كان مقام البنت في بعض المجتمعات الجاهلية ، وهكذا كانت مكانتها ينظر إليها والدها نظرة عطف واحترام وتقدير .

---

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص١٨ .

المطلب الثاني

بعض الجوانب السلبية في حياة المرأة في الجاهلية

لم تكن القبائل العربية في نظامها الاجتماعي على نمط موحد ، وإنما كان لكل قبيلة نظامها وقد لا يكون هناك نظام موحد للقبيلة الواحدة ذاتها ، وقد يوجد تشابه في العادات والتقاليد والأعراف بين قبيلة وأخرى بسبب الجوار والمصاهرة .

ولذا نجد الاختلاف الكبير بين سلوك ونظام هذه القبائل حتى يكاد المرء يجزم بوجود كافة الأخلاق حسنها وسيئها متمثلاً في تلك القبائل بمجموعها ، وتنفرد كل قبيلة بنوع معين من هذا السلوك أو ذاك .

وبعد أن رأينا بعض الجوانب الإيجابية في حياة المرأة العربية ننتقل الآن لبيان الجوانب السلبية .

وسنتطرق في حديثنا عن الجوانب السلبية في حياة المرأة إلى المواضع التالية :

١ ـ كراهية بعض العرب للبنات .

٢ ـ الوأد .

٣ ـ الحرمان من الميراث والعضل .

٤ ـ تعدد أنواع النكاح .

٥ ـ التعسف في الطلاق .

١ ـ كراهية بعض العرب للبنات :

كانت بعض القبائل العربية مثل : ربيعة وكندة وتميم[١] وغيرهم يفضلون الذكور على الإناث ، بل تصل هذه المفاضلة إلى درجة كراهية البنات وقد صوّر القرآن الكريم هذه الكراهية أبلغ تصوير حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢] .

يقول الإمام النسفي في تفسيره لهاتين الآيتين ما يلي :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي صار نهاره مغتماً مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس مملوءاً حنقاً على المرأة يستخفي من الناس من أجل سوء المبشر به ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ وذل أم يئده أي يدفنه في التراب ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٣] .

وقد تؤدي كراهية بعض العرب للأنثى إلى ترك منزله عندما تلد له زوجته بنتاً لما يشعر به من هبوط نفسي بسبب هذا الحدث المكروه بالنسبة له ونجد شاهداً لهذا التصرف من أبي حمزة الضبي ، فعندما ولدت زوجته بنتاً ترك خيمته التي يسكن فيها مع أهله وانتقل إلى خيمة جيرانه وبات فيها عدة أيام غضباً على زوجته التي ولدت هذه البنت فما كان من زوجته وقد تأثرت نفسياً مما وقع من زوجها إلا أن أنشدت هذه الأبيات قائلة :

مـا لأبي حمـزة لا يـأتينـا   يـظل في البيت الذي يلينا

---

(١) انظر محمود شكري الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، ص٤٢ ، نشر محمد جمال صاحب المكتبة الأهلية بمصر سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م ، الطبعة الثانية ، شرح محمد بهجت الأثري .

(٢) سورة النحل ، الآية ٥٨ ـ ٥٩ .

(٣) تفسير النسفي ، ج٢ ، ص٢٩٠ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

غضبـان أن لا نلد البنينـا تـالله مـا ذاك في أيـدينـا
وإنمـا نـأخـذ مـا يعـطينـا ونحن كـالأرض لـزارعـينـا
نـنبت مـا قـد زرعوه فينـا

فما أن سمع الرجل ذلك حتى ثاب إلى رشده وولج الخباء فقبّل رأس زوجته وقبّل ابنته وقال : ظلمتكما ورب الكعبة[1] .

٢ ـ الوأد[2] :

ويقع نتيجة لبلوغ كراهية الأنثى في النفس حداً لا يمكن معه الصبر على رؤية هذه الأنثى حية تسعى ، إما لخوف الفقر أو لخوف العار ، والوقوع في السبي أو لمرض مستعص أو بسبب وجود عاهة جسدية ممقوتة يتشاءم منها وغير ذلك[3] من الأسباب .

فأما ما يقع من وأد بسبب الفقر فالدليل عليه نهي الله سبحانه وتعالى عن هذا العمل الشنيع وزرع الطمأنينة في قلوب الآباء حول ما يتعلق برزقهم ورزق الأبناء . يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[4] ، كما يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾[5] .

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى مكة يقول : يا معشر قريش ، والله ما

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٨٦ ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون .

(٢) الوأد : دفن البنت وهي حية .

(٣) انظر أحمد محمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٩٧ .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٣١ .

(٥) سورة الأنعام ، جزء من آية ١٥١ .

منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيي المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته ، لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها فإذا ترعرعت ، قال لأبيها ، إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها[1] .

وأما ما يقع من وأد بسبب الخوف من العار والوقوع في السبي ، فنظراً لانشغال الحياة الجاهلية بالحروب والغارات ، فقد يقع كثير من النساء سبايا للجانب المنتصر ، فإذا وقعت المرأة أسيرة سببت لقبيلتها العار والفضيحة والإذلال والإهانة ، وبالتالي فإن العربي الذي ينتظر كل يوم غارة على قبيلته لا يريد أن يعرض نفسه للعذاب النفسي الدائم من جراء خوفه على ابنته ولذا يفضل التعرض للعذاب النفسي ـ بقتلها ـ مرة واحدة على أن يكون معرضاً نفسه للعذاب النفسي طيلة حياة ابنته .

وعلى الرغم من ذلك فليس الوأد منتشراً في القبائل العربية كلها وإنما كانت تشتهر به بعض القبائل مثل قبائل ربيعة وكندة وتميم كما سبق ذكره .

٣ ـ الحرمان من الميراث والعضل :

شاع عند بعض القبائل العربية قضية اجتماعية تتعلق بحظ المرأة من الميراث حيث كانت تحرم من الميراث سواء كان الموروث أباً أو أماً أو أختاً أو زوجاً أو أي قريب آخر بسبب ما شاع من عرف بينهم أن النساء عموماً والصغار من الذكور خصوصاً لا يرثون لأن الإرث في اصطلاح تلك القبائل محصور على من طاعن بالرمح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة .

ويؤيد ما كانت عليه بعض العرب في الجاهلية من حرمان المرأة من الميراث

---

(١) صحيح البخاري (المطبوع مع فتح الباري) لأحمد بن حجر العسقلاني كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، ج٧ ، ص١٤٣ ، رقم الحديث ٣٨٢٨ ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، بدون سنة الطبع .

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم)[١] .

وقال قتادة رضي الله عنه : (كانوا لا يورثون النساء)[٢] يعني بذلك غالب أهل الجاهلية .

واستدل الإمام ابن جرير الطبري على حرمان النساء من الميراث في الجاهلية بقوله سبحانه وتعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[٣] .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث[٤] .

أما ما يتعلق بحصر الإرث على من طاعن بالرمح ، وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فيؤيده الحديث المروي عن عكرمة رضي الله عنه قال في سبب نزول قوله تعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[٥]، حيث قال : نزلت في أم كحلة وابنة كحلة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث . فقال عم ولدها : (يا رسول الله ، لا تركب فرساً ولا تحمل كلا ولا تنكي عدواً ، يكسب عليها ولا تكتسب)[٦] ، فنزلت هذه الآية ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ . . . ﴾ .

---

(١) سعيد الأفغاني ، الإسلام والمرأة ، ص٢٤ ، نشر المؤلف ، دمشق ، سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .

(٢) تفسير الطبري ، ج٧ ، ص٥٩٧ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٣) سورة النساء ، آية ٧ .

(٤) تفسير الطبري ، ج٧ ، ص٥٩٧ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٥) سبق تخريج الآية ، إن اختلاف الآراء في سبب النزول في هذه الآية اختلاف يسير لا يؤثر .

(٦) تفسير الطبري ، ج٧ ، ص٥٩٨ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة سنة ١٣٧٤هـ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

ولم يكتف بعض العرب في الجاهلية بحرمان المرأة من الميراث فحسب ، بل جعلوها أشبه بالمتاع يتوارثونها كما يتوارثون المتاع ، فإذا مات الزوج فإن زوجته تصبح تحت سلطة ابنه من زوجة أخرى وهو أحق بها من نفسها أو أحد أقاربها إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت أو تفتدى منه[1] .

وقد جاء في كتاب الله ما يدل على وقوع هذا الفعل القبيح في الجاهلية ويحرم إيقاعه في الإسلام سواء كان العمل نكاح حلائل الآباء أو عضلهن عن نكاح الغير .

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا[2] وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ[3] لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[4] .

---

(١) انظر المرجع السابق ، ج٨ ، ص١٠٣ .

(٢) (الكره) بالضم هو ما حمل الرجل نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه و (الكره) بفتح الكاف هو ما حمله عليه غيره فأدخله عليه كرهاً ، انظر : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ، لسان العرب المحيط ، مادة (كره) .
كما نقل عن معاذ بن مسلم أنه قال : (الكره) بالضم (المشقة ، وبالفتح الإجبار) ، انظر تفسير الإمام الطبري ، ج٤ ، ص٢٩٨ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٣) (العضل) في اللغة الحبس ، يقال : عضل المرأة عن الزوج : حبسها ، وعضل الرجل أيمه يعضلها ويعضلها عضلاً وعضلها منعها الزواج ظلماً ، أما العضل في هذه الآية فإنه من الزوج لامرأته وهو أن يضارها ولا يحسن عشرتها ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها ، سماه الله عضلا لأنه يمنعها حقها من النفقة وحسن العشرة ، انظر ابن منظور مادة (عضل) ، وانظر كذلك تفسير الإمام الطبري ، ج٥ ، ص٢٤ ، ٢٥ ، ج٨ ، ص١١٠ ، وما بعدها ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٤) سورة النساء ، جزء من الآية ١٩ .

٤ ـ تعدد أنواع النكاح :

من السلبيات التي مرت بها بعض نساء الجاهلية الفوضى الجنسية المتمثلة في تعدد أنواع النكاح عدا النكاح الصحيح ، مما يصور بوضوح امتهان المرأة في عرضها واعتبارها ملهاة جسدية وأداة لإشباع الغرائز الجنسية مما يسبب هدم العلاقات الأسرية ومنع تكوين الأسر مما يجعل الحياة البشرية أشبه بحياة الحيوان بل أضل سبيلاً .

والنكاح في الجاهلية باختلاف أنواعه قد اشتهر منه سبعة أنواع منها أربعة أنواع كما أخبرت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عروة بن الزبير رضي الله عنه حيث قالت : إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها ، نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر ، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ، والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالْتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ بالحق حرم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح

الناس اليوم)[1] .

كما اشتهر نكاح الضيزن والشغار ، وسنتعرض لكل منهما بشيء من الإيجاز على الوجه التالي :

أ ـ نكاح الضيزن :

وهو ما يسمى (نكاح المقت) وحقيقة ذلك الزواج هو أن أكبر أولاد المتوفى أحق بزوجة أبيه من غيره كما أنه أولى منها بنفسها فيلقي ثوبه عليها ويرث نكاحها وهو حر فيها إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فيرث مالها ، إلا أن تفتدي نفسها منه بفدية ترضيه أو يتزوجها بعض إخوته بمهر جديد[2] .

ولقد استمر هذا الزواج حتى جاء النهي عن ذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[3] .

ب ـ نكاح الشغار :

كان من نكاح الجاهلية وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، كتاب النكاح ، باب من قال : لا نكاح إلا بولي ، ج٩ ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ ، رقم الحديث ٥١٢٧ .

(٢) قال الإمام الطبري في تفسيره في رواية موقوفة على ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين) ومن الأمثلة على الزواج من امرأة الأب ما حدث من أبي قبيس ابن الأسلت حيث خلف أباه الأسلت على امرأته ، وكما حدث لأسود بن خلف وصفوان بن أمية حيث خلفا أبويهما في التزوج من زوجتيهما وكل من هؤلاء قد نزل عن زوجة أبيه بعد نزول آية النهي . انظر في ذلك تفسير الطبري ج٨ ، ص١٣٢ ، وكذلك كتاب المحبر ، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٣) سورة النساء ، آية ٢٢ .

ليس بينهما صداق ، وقد حرّمه الإسلام لما فيه من ظلم للمرأة وهضم لإنسانيتها وحقها في حرية الاختيار والصداق .

وقد جاء في تحريمه أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : (نهى رسول الله ﷺ عن الشغار) زاد ابن نمير والشغار أن يقول الرجل للرجل زوجني ابنتك ، وأزوجك ابنتي أو زوجني أختك وأزوجك أختي[1] .

ومما سبق من استعراض أنواع النكاح في الجاهلية يتضح ما كانت تعانيه المرأة عند بعض القبائل من استغلال ومهانة لكرامتها وحريتها ، فكانت تعامل معاملة ظلم وجور .

٥ ـ التعسف في الطلاق :

لقد تعددت في الجاهلية أنواع الطلاق ومنه ما يكون إضراراً بالمرأة وظلماً لها وإهانة ، كما يقع ذلك في طلاق الظهار وطلاق الإيلاء والطلاق بلا حدود .

وسيتناول الحديث ثلاثة أنواع من الطلاق ، يظهر فيها ظلم المرأة واضحاً جلياً ، هي طلاق الإيلاء وطلاق الظهار والطلاق بلا حدود لأنها من أقسى أنواع الطلاق ، وقد قال سعيد بن جبير رضي الله عنه في الإيلاء والظهار :

(كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية ، فوقّت الله الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة)[2] .

أ ـ الطلاق في الإيلاء :

وكيفية وقوع هذا النوع من الطلاق هو أن يقسم الزوج يميناً على أن يترك المرأة مدة معينة تتراوح بين الشهور والسنة والسنتين أو أقل أو أكثر لا يقترب من المرأة

---

(١) صحيح مسلم ، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه ، ج٢ ، ص١٠٣٥ ، رقم الحديث ١٤١٦ .

(٢) تفسير الإمام ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٤ ، نشر دار الشعب ، القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور وعبد العزيز غنيم .

خلالها بقصد إيذائها وإلحاق الضرر بها فيما إذا أساءت التصرف معه .

ومن سلبيات هذا الطلاق أنه لا ضابط له في المجتمع وتختلف مدة إيقاعه حسب الأوضاع النفسية للشخص الواحد ناهيك عن اختلاف الأشخاص والأقاليم .

وبهذا يتضح مدى ما يلحق المرأة من الضرر والإجحاف وما يترتب عليه من حرمان السعادة والشعور بالأمن النفسي والمودة والرحمة والألفة والشعور بالقلق والاضطراب والتعاسة طيلة مدة الإيلاء قصرت أم طالت .

ولما أشرق الإسلام بنوره الرباني وأباد ظلمات الجاهلية وتبين الحلال من الحرام كان الإيلاء من ضمن ما جاء الإسلام بتحديده مدة معينة حددت بأربعة أشهر إن عاد الزوج خلالها إلى زوجته فله ذلك وإن تصرمت هذه المدة قبل العودة فإن المرأة تصبح طالقاً وهي حرة في نفسها يتقدم لها الخطاب من جديد وزوجها الأول من ضمنهم فإن رضيته عادت إليه بعقد جديد وبذلك رفع الله عز وجل الظلم بنفسه الكريمة عن المرأة وتولى حمايتها وتكريمها ، وجعل للمرأة مخرجاً يحميها من عضل الرجل وإضراره إياها[1] ، حيث يقول الله عز وجل : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

أخرج الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة قوله في هذه الآية (وهذا في الرجل يولي من امرأته ويقول : والله لا يجتمع رأسي ورأسك ولا أقربك ولا أغشاك) فكان أهل الجاهلية يعدونه طلاقاً ، فحدد الله لها أربعة أشهر فإن فاء فيها كفر عن يمينه وهي امرأته ، وإن مضت أربعة أشهر ولم يفيء فهي تطليقة بائنة وهي أحق بنفسها وهو أحد الخطاب)[3] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٤٦٤ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٢٦ .

(٣) تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٤٨٥ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

ب ـ طلاق الظهار :

وهو أشد قسوة على المرأة من الإيلاء لأن الظهار قد بلغ في حرمان المرأة غايته حيث يقضي بأبدية الطلاق بحيث لا يعود الرجل إلى زوجته مدى الحياة ، ويدل على ذلك ما أورده الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي قلابة قال : (كان الظهار طلاقاً في الجاهلية ، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً)[1] .

ومن ذلك نعرف مدى ما تعانيه المرأة من ظلم وإجحاف حيث بلغ هذا الظلم ذروته فلم يعد مجال لإعادة المياه إلى مجاريها وانقطعت الآمال من عودة الهدوء والراحة والاطمئنان والسكون النفسي إلى قلب المرأة بل ستعيش بقية حياتها بعد الظهار في القلق النفسي والتشتت الفكري .

ومن رحمة الله عز وجل بالمرأة فقد تدخلت عنايته الإلهية في كبح جماح الرجل الظالم والحد من ظلمه وجبروته بعد أن أكرم الله البشرية ببعثة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام فأوحى إليه الحكم في مسألة الظهار ، إذا أراد المظاهر العودة ، كفارة لهذا العمل المنكر تأديباً للفاعل وتأنيباً ، قال الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) تفسير الطبري ، م١٠ ، ج٢٨ ، ص٦ ، طبع دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(٢) سورة المجادلة ، آية ١ ـ ٤ .

والمرأة المجادلة هي خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت (على الأرجح) ظاهر منها زوجها =

ج ـ الطلاق بلا حدود :

لقد كان الطلاق في الجاهلية من غير عدد معين معروف فكانت المرأة تتلظى بناره ، كما تعاني منه عنتاً وشدة وعذاباً نفسياً ، وكان بإمكان الرجل التنكيل بزوجته فيجعلها معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة ، وذلك بأن يطلقها فإذا شارفت عدتها على الانتهاء راجعها ثم طلقها وهكذا ، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن كثير رحمه الله أثناء حديثه عن هذا الموضوع ، حيث قال : إن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مئة مرة ما دامت في العدة[1] .

وقد حدث مثل ذلك مع رجل[2] من الصحابة حيث قال لامرأته : لا أطلقك أبداً ولا آويك أبداً . قالت : وكيف ذلك ؟ قال أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك . فأتت رسول الله ﷺ ، فذكرت ذلك له[3] ، فكانت هذه الحادثة سبباً لنزول تحريم هذا العمل القاسي حيث يقول الله عز وجل :

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ

= فجاءت تشتكي إلى رسول الله ﷺ ، تطلب حكم الله فيها وفي زوجها فقالت : يا رسول الله طالت صحبتي مع زوجي ونفضت له بطني وظاهر مني ، فقال لها رسول الله ﷺ : « حرمت عليه » ، فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ، فأوحى الله إلى رسوله بهذه الآيات المذكورة في أول سورة المجادلة . انظر تفسير الطبري ، م١٠ ، ج٢٨ ، ص٦ ، طبعة دار الفكر ، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(١) تفسير ابن كثير، ج١ ، ص٣٩٩ ، نشر دار الشعب ، القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

(٢) لم أعثر على اسمه رغم البحث .

(٣) تفسير ابن كثير، ج١ ، ص٣٩٩ .

يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

والله عز وجل قد حدد الطلاق بثلاث يمكن للزوج الرجوع في الأوليين منهما ما دامت في العدة أما التطليقة الثالثة فهي الأخيرة وبعدها تحرم عليه إلا من بعد زوج جديد بنكاح صحيح يعقبه طلاق صحيح من غير تواطؤ أو خداع ويشترط رغبة الزوجة ورضاها في العودة إلى زوجها الأول .

ومن المعروف أن هذا التقييد لحرية الرجل في عدد الطلاق هو العلاج الناجح السليم لغلو الرجل وغروره واستبداده بزوجته وظلمه إياها[2] .

ثم ينهي الله سبحانه وتعالى المطّلع على أسرار عباده عن إمساك النساء إضراراً واعتداء ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] .

(١) سورة البقرة ، الأيتان ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٠٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٣١ .

المبحث الثاني[1] ـ مكانة المرأة في الإسلام
حقوق ـ و ـ واجبات

إذا كنا قد مررنا ببعض الجوانب الإيجابية أو السلبية في حياة المرأة في الجاهلية ورأينا بعض ما حظيت به المرأة من تكريم أو إهانة فإنه لا وجه أبداً للمفاضلة بين ما منحه الإسلام لها من تكريم وعلو منزلة والقياس مستحيل لأن ما حظيت به المرأة في جاهليتها من تكريم أو إهانة إنما هو عمل بشري كان عرفاً وعادة ليس له ضابط ولا نظام يحكمه كما أنه اجتهاد قابل للتغيير والتبديل مع مرور الزمن واختلاف الأجناس البشرية . وأما ما منحها الإسلام من الحقوق فإنما هو تشريع إلهي مضمون غير قابل للتغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقصان ، كما أن من لم يؤمن به أو كذبه ولم يقبله فقد حكم الله عليه بالكفر والفسوق .

ويمكن القول بأن ما مرت به البشرية في حياتها الجاهلية مما يوافق الإسلام إنما هو حكمة إلهية لتظهر حاجة الناس إلى الدين الجديد الذي لا يقبل من أحد سواه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2] ، وكما قال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] .

وسيتناول البحث بيان مكانة المرأة في الإسلام (حقوق وواجبات) على الوجه التالي :

---

(١) في هذا البحث سلكت مسلك الاختصار ، ولذا فلن أذكر كل الحقوق ولا كل الواجبات ، وحسبي أن أذكر ما أرى أنه لازم لإظهار مكانة المرأة المسلمة وأهليتها للتكليف .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

أولاً : الحقوق :

المطلب الأول : المساواة مع الرجل في أصل الخلقة والقيمة الإنسانية :

لقد ساوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة والقيمة الإنسانية بحيث لا يوجد بينهما تمايز أو تنافر بل إنهما يرجعان إلى أصل واحد ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[1] .

يقول الإمام النسفي رحمه الله في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إن الله خلق الخلق (من أصل واحد وهو نفس آدم) ، ويقول في تفسير قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها ، والمعنى شعبكم من نفس واحدة أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾ ونشر من آدم وحواء ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[2] .

ومما تقدم يتبين أن المرأة مخلوقة من عنصر الرجل نفسه ولم تكن مستقلة عنه في الخلق وقد انبث منهما مجتمعين جميع الرجال والنساء ، فالجنسان كلاهما يرجعان إلى أصل واحد وعلى هذا الأساس ينظر الإسلام إلى جنس الرجال وجنس النساء بمنظار واحد وهما في نظره من جوهر واحد وعنصر واحد ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر .

ويؤكد هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية ١ .

(٢) تفسير النسفي ، ج١ ، ص٢٠٤ .

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

وفي هذه الآية الأخيرة يبين الله سبحانه وتعالى سبب جعل الخليقة شعوباً وقبائل بأنه لأجل التعارف فيما بينهم فقط أما الكرامة عند الله سبحانه وتعالى فهي بسبب التقوى ، فمن فضلت تقواه على غيره فهو الأكرم عند الله عز وجل وليست الكرامة بسبب تفضل جنس على آخر ذكراً كان أو أنثى ، أو شعب على شعب .

ويقول الرسول ﷺ في هذا المعنى وهو يخاطب الناس رجالاً ونساء في حجة الوداع في الحديث المروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : « يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية[4] الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان ، رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب »[5] .

ولقد سمع النبي ﷺ أبا ذر الغفاري وهو يحتد على بلال أثناء محاورة كانت بينهما قائلاً له : (يا ابن السوداء) فظهرت آثار الغضب الشديد على وجه رسول الله ﷺ واتجه بالخطاب إلى أبي ذر وانتهره على فعله .

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال في تأنيبه لأبي ذر « إنك امرؤ فيك

---

(١) سورة الأعراف ، جزء من الآية ١٨٩ .

(٢) سورة النحل ، جزء من الآية ٧٢ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٤) عبية الجاهلية بضم العين وتشديد الباء المكسورة ، أي كبر الجاهلية وافتخارها .

(٥) سنن الترمذي أبواب التفسير ، تفسير سورة الحجرات ، ج٩ ، ص٢١ ، رقم الحديث ٣٢٦٦ ، قال عنه الألباني : حديث حسن صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته) رقم الحديث ٧٧٤٤ .

جاهلية ، كلكم بنو آدم طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح »[1] فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه حتى يغفر الله له زلته هذه ويكفر عنه ما بدر منه من خلق الجاهلية الأولى .

والله سبحانه وتعالى قد أكرم الإنسان وجعل الإيمان معياراً للتكريم وليس الجنس حيث أعطى الله سبحانه وتعالى للمرأة مكانتها في ذلك مساوية للرجل فقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

فالآية الكريمة توضح ما بين المؤمنين من ولاء أخوة ومسؤولية وتكافل .

وامتداداً لهذه المكانة الإنسانية للرجل والمرأة في نظر الإسلام ، فإنه يحذر من الوقوع في الإثم بسبب إيذاء المؤمنين والمؤمنات على حد سواء من غير تفريق بين

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ج٤ ، ص١٤٥ ـ ١٥٨ ، نشر المكتب الإسلامي ودار صادر ، مصورة عن نسخة مطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣هـ .

وله شاهد من حديث البراء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » .

الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي : كشف الأستار عن زوائد البزار ، كتاب الأدب ، باب التفاخر ، ج٢ ، ص٤٣٤ ، رقم الحديث ٢٠٤٣ ، نشر مؤسسة الرسالة ، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، الطبعة الأولى تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٤ ، ص١٨٣ ، رقم الحديث ٤٤٤٤) .

وقد أورد البزار أيضاً حديثاً آخر بعد هذا الحديث يروي فيه أن الرسول ﷺ قال في خطبة خطبها : « إن أباكم واحد وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم ، وآدم من تراب » ، قال عنه الهيثمي : رجال البزار رجال الصحيح .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

الرجل والمرأة ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1] .

وعلى أساس وحدة القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة ساوى بينهم في أصول التكاليف الشرعية ورتب على ذلك جزاءً واحداً يتساوى فيه الرجل والمرأة سواء كان الجزاء ثواباً أو عقاباً .

ففي جانب الثواب فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[2] .

وقد تكفل الله سبحانه بحفظ العمل للجميع دون استثناء ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[3] .

وساوى سبحانه وتعالى بينهم فيما أعد لهم من المغفرة والأجر العظيم ، فقال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4] .

أما المساواة في جانب العقاب فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

المطلب الثاني : حق المرأة في العلم والتعليم :

اهتم الإسلام بالعلم للإنسان رجلاً كان أو امرأة وحث على طلبه .

ومن ضمن ما تفضل الله به على عباده من وسائل العلم نعمتي القراءة والكتابة وهما أهم أدوات العلم دراسة وتوثيقاً .

وقد وردت آيات في القرآن الكريم تشير إلى أهمية القراءة وتأمر بها المسلمين والمسلمات مثل قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[4] ، وقوله : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾[6] وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾[7] .

ولا شك أن من أهم أهداف القراءة ، العلم بالله سبحانه ، والقرآن الكريم

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة النور ، الآية ٢ .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٤٥ .

(٥) سورة الإسراء ، جزء من الآية ١٠٦ .

(٦) سورة الإسراء ، جزء من الآية ٩٣ .

(٧) سورة المزمل ، جزء من الآية ٢٠ .

أهم كتاب علمي في الوجود لما يحمل بين طياته من أخبار عن الله سبحانه والملائكة عليهم السلام والكتب المنزلة من عند الله والرسل وعن الجنة والنار ؛ كما يشمل الإخبار عن الإنسان على اختلاف جنسه وأطواره وانتماءاته المختلفة كما بينت المطلوب منه في هذه الحياة[1] .

أما ما يتعلق بنعمة الكتابة ، فالله سبحانه يقرر بأنه تفضل على الإنسان بتعليمه بهذه الوسيلة[2] ما لم يكن يعلمه من قبل ، فقال : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[3] .

يقول الإمام النسفي في تفسير ذلك : (فدل ذلك على كمال كرم الله بعباده بأن علمهم ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كُتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا . ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به)[4] .

وقد ساوى الله عز وجل بين الجنسين في خشيته المترتبة على العلم بل إن القرآن الكريم قد خص العلماء فقط بخشيته وحصرها فيهم ، سواء كانوا رجالاً أو نساء .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[5] ، يقول الإمام النسفي في تفسيرها (أي العلماء الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علماً به

---

(١) انظر د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ، رسالة دكتوراه في الإعلام الإسلامي ، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام سنة ١٤٠٤ / ١٤٠٥هـ .

(٢) باستثناء علوم الوحي .

(٣) سورة العلق ، الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٤) تفسير الإمام النسفي ، ج٤ ، ص٣٦٨ .

(٥) سورة فاطر ، جزء من الآية ٢٨ .

ازداد خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن)[١] .

وقد ساورت السنة الشريفة بين الرجال والنساء في الحصول على فضيلة العلم فقال ﷺ في الحديث المروي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة »[٢] .

وإن مما يؤكد هذه المساواة العلمية بين الرجل والمرأة في الإسلام ، حث الرجل على تعليمها حتى لو كانت أمة ومطالبتها بتخصيص وقت تتعلم فيه ومشاركتها الفعلية في التعلم ، بل ومنافستها فيه .

فعن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »[٣] .

ولقد تقدمت النساء بطلب إلى الرسول ﷺ لتخصيص وقت يتعلمن فيه على يد سيد الرسل المعلم المعصوم رسول الله ﷺ ، فوافق على ذلك فأتاهن فعلمهن ووعظهن .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ : (يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : « ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان ذلك حجاباً من النار » ، فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : « واثنين »[٤] .

ولقد احتلت المرأة المسلمة مكانة علمية عالية في العقيدة والفقه والفرائض

(١) تفسير الإمام النسفي ، ج٣ ، ص٣٤٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص٢٥٢ ، قال عنه الألباني : صحيح ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، رقم الحديث ٦١٧٤ .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب النكاح باب اتخاذ السراري ومن أعتق جارية ثم تزوجها ، ج٩ ، ص١٢٦ ، رقم الحديث ٥٠٨٣ .

(٤) المصدر السابق ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ، ج١ ، ص١٩٥ ، رقم الحديث ١٠١ .

والحديث وقراءة القرآن والفتوى ، وقامت برسالتها العلمية خير قيام .

وقد برزت عدة نساء في هذه العلوم وغيرها ، ومن أشهر أولئك :

١ ـ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها تلميذة زوجها ﷺ ، وروت عن أبيها ، وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وأسيد بن حضير وجذامة بنت وهب وحمزة بنت عمرو[١] .

أما الرواة عنها فمنهم من الصحابة عمر ، وابنه عبد الله وأبو هريرة ، وابن عباس ، والسائب بن يزيد[٢] .

ومن الصحابيات صفية بنت شيبة ، ومن آل بيتها أختها أم كلثوم ، وأسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وبنت أختها عائشة بنت طلحة من أم كلثوم بنت أبي بكر[٣] .

وروى عنها من كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وعمرو بن ميمون ، وعلقمة بن قيس ، ومسروق ، وعبد الله بن حكيم ، والأسود بن يزيد[٤] .

٢ ـ أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، روت عن زوجها ﷺ ، وروت عن أبيها[٥] .

وروى عنها من الرجال أخوها عبد الله وابنه حمزة وحارثة بن وهب والمطلب بن أبي وداعة[٦] .

ومن النساء صفية بنت أبي عبيد زوجة حمزة بن أخيها عبد الله وأم مبشر

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٨ ص٢٠ .

(٢) انظر الإصابة ، ج٨ ، ص٢٠ .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) انظر المصدر السابق ، ج٧ ، ص٥٨٢ .

(٦) انظر المصدر السابق .

الأنصارية[1] .

ولقد نالت حفصة رضي الله عنها شرف حفظ النسخة الأولى للقرآن الكريم وعندما أراد الخليفة الثالث عثمان بن عفان جمع القرآن الكريم ونسخه في المرة الثالثة[2] في عدة مصاحف استعان على ذلك بتلك النسخة ثم أعادها[3] .

٣ ـ زينب بنت معاوية وقيل بنت أبي معاوية وبهذا الأخير جزم أبو عمر ثم نسبها فقال : بنت معاوية بن عتاب بن الأسعد الثقفية .

روت هذه المرأة عن النبي ﷺ وعن زوجها ابن مسعود وعن عمر ، وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وابن أخيها وعمر بن الحارث بن أبي ضرار[4] .

المطلب الثالث : حق المرأة في العمل :

١ ـ داخل البيت :

إن منح المسؤولية في **العمل** لأي إنسان ذكراً كان أو أنثى ما هو إلا تكريم لهذا الإنسان .

ولقد أكرم الإسلام المرأة وحملها من مسؤولية العمل في البيت ما لا يمكن للرجل أن يقوم به ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعلها مستودع الجنس البشري تعاني من حمله وآلام وضعه وإرضاعه وحضانته ونظافته وتربيته ورعايته والسهر على راحته وقيامها بشؤون المنزل الداخلية بما في ذلك النظافة العامة وإعداد الطعام ولوازمه ، كما تقوم على تدبير شؤون المنزل الاقتصادية .

---

(١) انظر الإصابة ، ج٧ ، ص٥٨٢ .

(٢) انظر الحاكم في المستدرك ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

(٣) انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ، ص٥٩ ، طبع المطبعة الأزهرية ، ط٢ سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م .

(٤) الإصابة ، ج٧ ، ص٦٨٠ .

وقد ورد في حديث المسؤولية ما يدل على اشتراك المرأة في تحمل جزء منها ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته »[1] .

كما أن للمرأة الإنفاق مما تحت يدها من مال زوجها لقول رسول الله ﷺ في الحديث المروي عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً »[2] .

والشواهد التاريخية في حياة المرأة المسلمة تثبت ما كانت تقوم به من أعمال داخل منزلها سوى الأعمال الطبيعية للمرأة .

وسنعرض بعض شواهد من ذلك فيما يلي :

أ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ :

كانت فاطمة رضي الله عنها تقوم في بيت زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالأعمال الكثيرة الشاقة ، ولم يكن عندها خادمة تساعدها على بعض أمور المنزل حتى أثر الرحى في كفيها فأتت والدها النبي ﷺ تسأله خادماً فما كان منه إلا أن أرشدها بلطفه النبوي الأبوي ، ففي الحديث المروي عن أبي هريرة : أن فاطمة أتت النبي ﷺ تسأله خادماً وشكت العمل فقال : « ما ألْفيتيه عندنا » قال : « ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم ، تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين ،

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الوصايا ، باب تأويل قوله تعالى : ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ ج٥ ، ص٣٧٧ ، رقم الحديث ٢٧٥١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة ، ج٢ ، ص٧١٠ ، رقم الحديث ١٠٢٤ .

وتحمدين ثلاثاً وثلاثين ، وتكبرين أربعاً وثلاثين حين تأخذين مضجعك »[1] .

ب ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، وبعض جارات لها من الأنصار رضي الله عنهن .

كانت أسماء زوجة للزبير بن العوام رضي الله عنهما ، قامت بكثير من الأعمال داخل المنزل وخارجه ولندعها تتحدث عما كانت تقوم به من أعمال في حدود بيتها ، فهي تقول :

(تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح[2] وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق)[3] .

ومما سبق يتبين ما تضطلع به المرأة المسلمة داخل بيتها من أعمال ، وما تتحمله من مسؤوليات جسام

٢ ـ عمل المرأة خارج بيتها :

إن من رحمة الإسلام للمرأة أنه لم يفرض عليها العمل خارج بيتها بل كلف الرجل بمزاولة مثل هذه الأعمال .

ومن سماحة الإسلام أنه أباح للمرأة العمل خارج بيتها في حالة الضرورة القصوى مراعاة لحاجة المرأة أو حاجة مجتمعها ، فإذا كانت ثمة حاجة شخصية أو اجتماعية تستدعي خروجها للعمل مثل (تمريض النساء وتطبيبهن وتوليدهن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، ج٤ ، ص٢٠٩٢ ، رقم الحديث ٢٧٢٨ .

(٢) الناضح : هو الجمل الذي يسقى عليه الماء ، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ج٩ ، ص٣٢٣ .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب النكاح باب الغيرة ، ج٩ ، ص٣١٩ ، رقم الحديث ٥٢٢٤ .

وتعليمهن)[1] ، ودعوتهن إلى الله وغير ذلك مما تحتاجه النساء في مجتمعهن ، فإن الإسلام يبيح لها ذلك بشروط محددة[2] مراعاة لكرامة المرأة وصيانة لعرضها .

وسنعرض بعض الأمثلة التاريخية في حياة المرأة المسلمة العاملة خارج البيت فيما يلي :

أ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها :

هذه الصحابية الجليلة زوجة الزبير بن العوام ، وقد سبق ذكرها ، تقول عن نفسها ، فيما رواه هشام قال : أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : (وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ ، على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ[3] ، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت

(١) د . فاطمة عمر نصيف ، حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة ، ص١٨١ ، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، سنة ١٤٠٢/١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢/١٩٨٣م .

(٢) أهم هذه الشروط ما يلي :
أ ـ لا تخرج إلا لحاجة .
ب ـ لا تخرج إلا بإذن زوجها .
ج ـ لا تخرج إلا متحجبة .
د ـ لا تخرج متعطرة .
هـ ـ لا تظهر زينتها بالصوت .
و ـ لا تختلط مع الرجال .
ز ـ لا تسافر إلا ومعها ذو محرم .
نقلاً عن د . فضل إلهي ، التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ، ص٢٧٥ ، مكتبة المعارف بالرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

(٣) الفرسخ : قياس طولي يعادل حسب مقياس هذا العصر ٥٥٤٤ متراً ، وثلثا الفرسخ = ٣٦٩٦ مترا ، انظر د . صبحي الصالح ، النظم الإسلامية ، نشأتها وتطورها ، ص٤١٧ ، دار الملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م وانظر : أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري ، كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ص٧٧ ، نشر جامعة الملك =

رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ثم قال : « إخ إخ »[1] ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت ، فمضى ، فجئت الزبير ، فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني)[2] .

ب ـ خالة جابر بن عبد الله :

هذه المرأة احتاجت للعمل خارج بيتها وهي تعيش فترة (عدة الطلاق) فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن جابر بن عبد الله قال : (طلقت خالتي فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبي ﷺ ، فقال : « بلى ، فجذي[3] نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً »)[4] .

ويتضح أن الرسول ﷺ حث المرأة على العمل للحصول على الفائدة والخير .

ومما تقدم يتبين لنا مقدار سماحة الإسلام في الإذن للمرأة بالخروج للعمل عندما تقضي بذلك الأحوال .

= عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، تحقيق د . محمد أحمد إسماعيل الخاروف .

(١) إخ ، إخ ، كلمة تقال للبعير ليبرك ولا يقال أخخت الجمل ولكن أنخته ، انظر ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، مادة (أخخ) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، ج٩ ، ص٣١٩ ، رقم الحديث ٥٢٢٤ .

(٣) فجذي نخلك : الجذاذ بالفتح والكسر : صرام النخلة وقطع ثمرتها ، انظر ابن منظور لسان العرب المحيط ، مادة (جذذ) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها ، ج٢ ، ص١١٢١ ، رقم الحديث ١٤٨٣ ، ولم أعثر على اسمها .

المطلب الرابع : حق المرأة في الميراث :

لقد أعطى الإسلام للمرأة حق الإرث بنتاً وأختاً وأماً وزوجة وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثُمن والربع وللزوج

(١) سورة النساء ، آية ٧ .

(٢) سورة النساء ، آية ١١ ـ ١٢ .

الشطر والربع)[1] .

ولم يقتصر الإسلام في نظام الإرث على توريث النساء فحسب بل إننا نجده قد رفع عن الزوجات قيدا كان أشبه ما يكون بالرق وهو اعتبار زوجة الأب جزءاً لا يتجزأ من أملاك الزوج المتوفى ولذا نجد أكبر الأبناء يستولي على زوجة أبيه أو أقرب قريب له فإن شاء تزوجها أو زوجها أو عضلها عن الزواج طمعاً في مالها ، فلما جاء الإسلام رفع هذا القيد عن الزوجة وجعلها أحق بنفسها من غيرها حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[2] .

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : (كانوا ـ يعني في الجاهلية ـ إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها وإن شاؤوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك)[3] .

المطلب الخامس : مكانة المرأة في الأسرة :

لقد أعطى الإسلام المرأة بصفة عامة حقوقها كاملة ، وعلى وجه الخصوص المرأة في الأسرة سواء كانت أماً أم أختاً أم زوجة أم بنتاً على نطاق واسع لا يمكن أن يقاس أبداً بما تقدمه القوانين الوضعية والنظم الأرضية في سائر الأديان والملل ، وعلى مر الأحقاب والدهور .

وكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ يحملان الشواهد والقواعد والأسس التي نظمت هذه الحقوق وضمنت للمرأة بعامة والمرأة في الأسرة بخاصة

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ ولكم ما ترك أزواجكم ﴾ ، ج٨ ص٢٤٤ ، رقم الحديث ٤٥٧٨ .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية ١٩ .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ الآية ، ج٨ ، ص٢٤٥ ، رقم الحديث ٤٥٧٩ .

علو المنزلة والاحترام .

ويتناول الحديث في هذا الموضوع أقطاب الأسرة النسائية الأربعة بشيء من الإيجاز الشديد .

١ ـ الأم :

إن الله عز وجل قد أكرم الأبوين ورفع منزلتهما بصفة عامة والأم على وجه الخصوص ، ومن تكريم الله سبحانه وتعالى لهما أن قرن حقهما بحقه مباشرة إظهاراً لفضلهما على الولد ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1] .

فإذا كان الله عز وجل قد رفع حق الأبوين إلى هذه المنزلة السامية فإن ذلك يشير إلى عظم حقهما على الأولاد .

ووصية الله ـ عز وجل ـ بالإحسان إلى الوالدين وصية عامة تشمل كل أنواع الإحسان وأنواعه التي لا تقع تحت حصر والتي تتضمن كل ما يمكن إدخاله ضمن هذا المصطلح العام .

ثم نهى عن الإساءة عامة وذكر مثالين يمثلان أصغر أنواع الإساءة وأسرعها وروداً على اللسان لكي يتجنبها الابن ومن ثم ما هو أعلى منهما من باب أولى .

وهذه الوصية تدل على أن الله عز وجل تولى بنفسه سبحانه تكريم الوالدين وهذا كاف لبيان هذه المنزلة .

ولقد بين الرسول ﷺ أهمية بر الوالدين عندما أجاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن سؤاله حيث قال : (سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٢٣ ـ ٢٤ .

إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قال ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » ، قال : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »)[1] .

ففي هذا الحديث قرن رسول الله ﷺ بر الوالدين بالصلاة وقدمه على الجهاد في سبيل الله .

ولقد أكرم الله الأم وخصها بالذكر دون الأب ، رفعاً لشأنها مكافأة لها وجزاء ، نظراً لما تعانيه من مشاق الحمل وآلام الوضع وتكاليف الرضاعة وأعباء الحضانة ومستلزماتها .

قال الله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

ولعلو منزلة الأم فقد بين الرسول ﷺ بأن حقها يفوق حق الوالد حيث أن حق الأم يصل إلى ثلاثة أضعاف حق الوالد .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »[3] .

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة ، ج١٠ ، ص٤٠٠ ، الحديث رقم ٥٩٧٠ ، والحديث من رواية أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن مسعود .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ، ج١٠ ، ص٤٠١ ، رقم الحديث ٥٩٧١ .

وبر الوالدين حق ثابت لهما حتى ولو كانا مشركين ، قال تعالى : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[1] .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ آصلها ؟ قال : « نعم »[2] .

٢ ـ الأخت :

لقد تمتعت الأخت بمكانة سامية في الإسلام فحظيت بتقدير أخيها واحترامه وبره وصلته ، كما ساتفادت من محرميتها له فتقيم معه وتسافر .

ولقد أوجب الإسلام لها حقوقاً مالية على أخيها في حالات معينة كالميراث والنفقة والحضانة وقد حملها الإسلام مسؤولية مماثلة كما هو مبسوط في كتب الفقه الإسلامي .

فأما ما يتعلق بالميراث فقد سبق بيانه ، وأما ما يتعلق بالنفقة ففي المسألة خلاف ، لكن الرأي الموافق لروح التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية هو الذي يقول بوجوب إنفاق الأخ على أخته إذا كانت بحاجة إلى نفقته حتى تتزوج أو تموت ، إذا لم تجد من يعولها .

وقد بين الرسول ﷺ وجوب البر بالأخت في قوله في الحديث الذي رواه كليب بن منفعة عن جده[3] : أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال : « أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك ، حقاً واجباً ورحماً

---

(١) سورة لقمان ، جزء من الآية ١٥ .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب صلة الوالد المشرك ، ج١٠ ، ص٤١٣ ، رقم الحديث ٥٩٧٨ .

(٣) قال الإمام ابن حجر في الإصابة عن منفعة بأنه : رجل مذكور في الصحابة ، ولم يذكر اسم أبيه . انظر الإصابة ج٦ ، ص٣٨٤ .

موصولة »[1] .

قال الشيخ خليل السهار نفوري : وإنما قدم الأم والأخت على الأب والأخ لاحتياجهما .

ويقول الإمام ابن قدامة : (ويلزمه نفقة كل من يرثه بفرض أو تعصيب)[2] .

أما الحضانة فقد كفل الإسلام لها هذا الحق من أختها عند عدم من يقوم بها ممن هو أقرب إليها منها حتى ينتقل هذا الحق إلى الأخ إذا لم يوجد من هو أولى منه في ذلك[3] .

وقد حث الإسلام على الإنفاق على النساء ، وفيهن الأخوات فقال ﷺ : « من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى »[4] وعن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه فإن كان فضل فعلى عياله فإن كان فضل فعلى ذي قرابته فإن كان فضل فههنا وههنا »[5] .

---

(١) خليل السهارنفوري ، بذل المجهود في حل أبي داود ، ج٢٠ ، ص٧٦ ، نشر دار اللواء ، الرياض ، بدون سنة الطبع .
ذكره الإمام الحاكم في الشواهد . انظر مستدرك الحاكم ، ج٤ ، ص١٥١ .

(٢) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ، المقنع في فقه إمام السنة ابن حنبل باب نفقة الأقارب ، ج٣ ، ص٣١٩ ، نشر محب الدين الخطيب على نفقة خليفة بن حمد آل ثاني ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٣هـ .

(٣) عبد الرحمن بن قاسم ، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ج٧ ، ص١٥٠ ، ١٥٣ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ .

(٤) مستدرك الإمام الحاكم كتاب البر والصلة ، ج٤ ، ص١٧٧ ، قال عنه الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ج٣ ، ص٣٠٥ ، وسنن أبي داود ، كتاب العتق ، باب في بيع المدبر ، ج٤ ، ص٢٦٦ ، رقم الحديث ٣٩٥٧ ، قال عنه الألباني : صحيح ، (صحيح الجامع الصغير وزياداته =

ولم يقف الأخ من العناية بأخته عند هذا الحد بل نجده يهتم بتهذيب أخلاقها وتربيتها وتأديبها وتعليمها ، ويبذل في ذلك قصارى ما يستطيع من البر بها حتى ولو كان ذلك على حساب سعادته وراحته وشبابه ونجد لذلك مثالاً حياً يتمثل في سلوك الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه الذي آثر مصلحة أخواته على مصلحته ، فتزوج ثيباً من أجل العناية بأخواته ، فعنه رضي الله عنه قال : (غزوت مع النبي ﷺ على ناضح لنا فأزحف[1] الجمل فتخلف عليّ فوكزه النبي ﷺ من خلفه ، قال : « بعنيه ولك ظهره إلى المدينة » ، فلما دنونا استأذنت قلت : يا رسول الله إني حديث عهد بعرس ، قال ﷺ : « فما تزوجت ، بكراً أم ثيباً » ، قلت : ثيباً[2] ، أصيب عبد الله وترك جواري صغاراً فتزوجت ثيباً تعلمهن وتؤدبهن ، ثم قال : « ائت أهلك » فقدمت ، وأخبرت خالي ببيع الجمل فلامني ، فأخبرته بإعياء الجمل ، وبالذي كان من النبي ﷺ ووكزه إياه ، فلما قدم النبي ﷺ غدوت إليه بالجمل فأعطاني ثمن الجمل والجمل وسهمي مع القوم[3] .

٣ ـ الزوجة :

إن من آيات الله ورحمته بعباده ولطفه وكرمه أن جعل الحياة الزوجية ترتكز على دعائم قوية من المودة والرحمة تكون قوام الحياة الأسرية وبدونها لا يمكن أن تستمر

= ج١ ، ص٢٦٦ ، رقم الحديث ٧٦٠ .

(١) قوله : أزحف : كلَّ وأعيا وتعب . انظر لسان العرب المحيط مادة زحف .

(٢) لقد آثر جابر بن عبد الله رضي الله عنه مصلحة أخواته على مصلحته بتزوج الثيب ولم يتزوج البكر الشابة التي يلاعبها وتلاعبه كما ورد في حديث آخر عندما قال له رسول الله ﷺ : « فهلّا جارية تلاعبها وتلاعبك » .

انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب تزويج الثيبات ، ج٩ ، ص١٢١ ، رقم الحديث ٥٠٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاستقراض ، باب الشفاعة في وضع الدين ، ج٥ ، ص٦٧ ، رقم الحديث ٢٤٠٦ .

الحياة الزوجية المتوخاة من الزواج بين ركني الأسرة الرجل والمرأة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وإذا نظرنا إلى مسؤولية الزوجة في الأسرة على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ، نجد أن الإسلام قد أولاها رعاية وعناية خاصة وتكريماً ، ورفع مكانتها ، كما رفع عنها القيود والأغلال التي كانت تعيقها في معظم الحياة الجاهلية عن الارتقاء إلى مستوى الإنسانية فضلاً عن القضايا الأخرى .

وحسبنا أن نشير إلى بعض عناصر هذا التكريم الرباني للزوجة الذي يتمثل في إعطائها حقوقها الكاملة على زوجها ومن أهمها ما يلي :

أ ـ حق الزوجة في الاختيار .
ب ـ حقها في الصداق .
ج ـ حقها في النفقة والسكن .
د ـ حقها في حسن العشرة .
هـ ـ حقها في التصرف المالي .

وسنتحدث عن كل هذه الحقوق بشيء من الإيجاز على الوجه التالي :

أ ـ حق اختيار الزوج :

لقد أعلى الإسلام مكانة الزوجة ومنحها حقوقاً لازمة لها بحكم الشرع ، ويتصدر هذه الحقوق حريتها في اختيار الزوج قبولاً أو رفضاً لما يترتب على ذلك من توفير عوامل الاستقرار والسعادة النفسية بين الزوجين ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢١ .

في نفسها وأذنها صماتها »[1] . وقد رد رسول الله ﷺ نكاح امرأة مكرهة ، فعن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوّجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ ، فرد نكاحها[2] .

ب ـ حقها في الصداق :

كما فرض لها الإسلام صداقاً يدفع لها تتصرف فيه كما تشاء دون تدخل أولياء أمرها ، كما حرم عليهم أخذ شيء منه دون رضاها .

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾[3] .

جـ ـ حقها في النفقة والسكن :

وقد قرر الإسلام نفقة الزوجة وسكنها على زوجها في حدود إمكاناته المادية كما قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾[4] .

ولقد أعطى الإسلام المرأة حق الفسخ إذا غرر بها الزوج بأنه ذو مال فظهر لها أنه لا مال له .

يقول الإمام محمد بن مفلح المقدسي في ذلك : (والذي تقتضيه أصول

---

(١) صحيح الإمام مسلم ، كتاب النكاح ، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ، ج٢ ، ص١٠٣٧ ، رقم الحديث ١٤٢١ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود ، ج٩ ، ص١٩٤ ، رقم الحديث ٥١٣٨ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٤ .

(٤) سورة الطلاق ، الآية ٧ .

الشريعة وقواعدها أن الرجل إذا غر المرأة بأنه ذو مال فتزوجت على ذلك فظهر أنه لا شيء له أو كان ذا مال وترك النفقة عليها ولم تقدر على أخذ كفايتها من ماله بنفسها أو الحاكم أن لها الفسخ)[1] .

د ـ حقها في حسن العشرة :

وإذا انتهت مراسيم الزواج وبدأت الحياة الزوجية تحت سقف واحد ومأوى واحد فإن الإسلام يأمر الزوج بحسن العشرة مع زوجته وليس هذا فحسب بل إنه يروض الزوج ويحثه على تحمل ما يكرهه من الزوجة في أي شأن ، ومن توجيهات القرآن الكريم في ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2] .

أما من السنة فما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك[3] مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر »[4] .

هـ ـ حقها في التصرف المالي :

ولقد أعطى الإسلام للزوجة حق التملك وحرية التصرف في مالها بالطرق المشروعة ، فعندما تبلغ المرأة مبلغ النكاح وهي رشيدة ، فلها الحق في إبرام العقود المدنية من بيع وشراء وإجارة وشركة ورهن وهبة ووديعة ووصية وتوكيل

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، كتاب الفروع ، ج٥ ، ص٥٨٨ ، دار مصر للطباعة ، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، الطبعة الثانية ، راجعه عبد الستار أحمد فراج .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية ١٩ .

(٣) يفرك : بمعنى يبغض ، يقال فرك الرجل امرأته إذا أبغضها . انظر لسان العرب ، مادة فرك .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ج٢ ، ص١٠٩١ ، رقم الحديث ١٤٦٩ .

ووكالة وغير ذلك دون تدخل من زوجها أو اعتراض ومن توجيهات القرآن فيما يتعلق بحرية التملك قوله سبحانه : ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[1] ، وهذه الآية تشمل اليتامى من الذكور والإناث .

وأما ما يتعلق بحقها في البيع والشراء والعتق ، فمنه ما رواه عبد الواحد بن أيمن المكي عن أبيه أنه دخل على عائشة رضي الله عنها يستفتيها عن الولاء لمن يكون فقالت : (دخلت بريرة وهي مكاتبة ، فقالت : اشتريني فأعتقيني ، قالت : نعم . قالت : لا يبيعوني حتى يشترطوا ولائي . فقالت : لا حاجة لي بذلك . فسمع بذلك النبي ﷺ فقال : « اشتريها وأعتقيها ودعيهم يشترطوا ما شاؤوا ، فاشترتها عائشة فأعتقتها)[2] .

ففي هذا الحديث بيان لحرية المرأة في البيع والشراء والإعتاق .

كما أن للزوجة الحرية في أن تهب ما تشاء مما تملكه بنفسها وشاهد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، أنه أمر نساء المسلمين أن لا يحتقرن ما يتهادى بينهن عادة ولو كان المهدى ضئيلاً ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يا نساء المسلمين لا تحتقرن جارة لجارتها ولو فرسن[3] شاه[4] .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية ٦ .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب المكاتب ، باب إذا قال المكاتب اشتري واعتقني فاشتراه ، ج٥ ، ص١٩٦ ، رقم الحديث ٢٥٦٥ ، مختصراً .

(٣) الفرسن بالنون في آخره كالحافر للفرس ، وقال ابن سيده في معنى الفرسن بأنه طرف خف البعير ، ويستخدم مع الشاة من باب الاستعارة ، انظر : تاج العروس للزبيدي ، فصل الفاء ، باب السين ، ج٤ ، ص٣٠٧ .

(٤) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، ج٥ ، ص١٩٧ ، رقم الحديث ٢٥٦٦ .

٤ ـ البنت :

إذا نالت البنت نوعاً من التكريم لا يستهان به في الجاهلية فإن ذلك لم يكن قاعدة عامة وليس له ضابط في الحياة العامة لعرب الجاهلية لأنها كانت تعيش عند بعض القبائل مهانة وذليلة مهضومة الحقوق ، وفي كثير من حالتها لا تكاد تخرج من رحم الأم حتى تدخل رحم الأرض عن طريق الوأد ، غير أنه كان في الجاهلية بصيص من نور يعود إلى دين إبراهيم عليه السلام يدعو إلى إحياء البنات وعدم وأْدهن ، كان عليه أفراد قليلون منهم زيد بن عمرو بن نفيل .

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : (يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيّ الموؤدة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته ، لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها)[1] .

ولما شع نور الإسلام في مكة ونزلت آيات القرآن الكريم تترى كان من أوائل ما نزل سورة التكوير[2] التي تضمنت التحذير الشديد من الوأد في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[3] .

وهذا التحذير والإنذار المبكر الذي جاء مع فجر الرسالة يدل دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالمحافظة على الحياة البشرية المتمثلة في الحث على إحياء البنات وعدم وأدهن وهذا من أعظم التكريم الذي قوبلت به الفتاة حيث أبقى الإسلام

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، ج٧ ، ص١٤٣ ، رقم الحديث ٣٨٢٨ .

(٢) قمت بتتبع سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول فوجدت أن سورة التكوير جاءت في الترتيب السابع مما يدل على اهتمام الإسلام بالمحافظة على بقاء الجنس البشري .

(٣) سورة التكوير ، الآية ٨ ، ٩ .

على حياتها .

وقد شدد الإسلام في إنكار قتل الأولاد حيث قرر القرآن الكريم خسران الذين يقومون بقتل أولادهم سفهاً بغير علم ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[1] .

ثم عقب ذلك جاء النهي الصريح عن قتل الأولاد فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] .

وقد جاء في السنة المطهرة تحريم الوأد بالنص الصريح في الحديث الذي رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »[3] .

ولم يكتف الرسول ﷺ بتحريم وأد البنات فحسب بل نهى عن إهانتهن كما حث على مساواتهن بالذكور في المعاملة وبشر من فعل ذلك بالجنة .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ولدت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكر ـ عليها أدخله الله بها الجنة »[4] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٤٠ .

(٢) سورة الأنعام ، جزء من الآية ١٥١ .

(٣) صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري ، ج٥ ، ص٦٨ ، كتاب الاستقراض ، باب ما ينهى عن إضاعة المال ، رقم الحديث ٢٤٠٨ .

(٤) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب البر والصلة ، ج٤ ، ص١٧٧ ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال عنه الإمام الذهبي : صحيح .

كما حث الإسلام قولاً وعملاً على رعاية البنات والصبر عليهن ورحمتهن وإيثارهن على النفس .

ففي الجانب القولي نرى المصطفى ﷺ يوصي أمته بذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كن له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن ، قال : فقال الرجل : وابنتان يا رسول الله ، قال : وإن ابنتان ، قال رجل : يا رسول الله : وواحدة ، قال : وواحدة »[1] .

وحرصاً من الرسول ﷺ على رعاية البنات والعناية بهن يغري المؤمنين بمصاحبته في دخول الجنة إذا قاموا على البنات وأنفقوا عليهن .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تدركا دخل الجنة ، أنا وهو كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ، وبابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق »[2] أما في الجانب العملي فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (دخلت امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة ، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال : « من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار »[3] .

ففي هذا الحديث حث عملي على إيثار الأولاد والبنات خاصة على النفس ، وحث على رحمتهن والشفقة عليهن .

---

(١) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب البر والصلة ، ج٤ ، ص١٧٦ ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الإمام الذهبي .

(٢) مستدرك الحاكم ، كتاب البر والصلة ، ج٤ ، ص١٧٧ ، قال عنه الإمام الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الإمام الذهبي .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة ، ج٣ ، ص٢٨٣ ، رقم الحديث ١٤١٨ .

ولم يقتصر الإسلام على إكرام البنت في بقائها وحظ حياتها الجسدية فحسب ، بل إن الإسلام اعتنى بحياتها السلوكية والفكرية وحث على تأديبها وتعليمها أمور دينها ودنياها قولاً وعملاً .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران »[1] .

فإذا كان الإسلام قد حث على تعليم الجارية ، فالبنت وجميع الأهل أولى من غيرهم بالرعاية والعناية والتعليم .

ولفقه الصحابة رضي الله عنهم بأهمية التربية والتأديب والتعليم للبنات فإنهم يولون ذلك العناية التامة ، وقد سبق ذكر مثال قوي في قصة زواج جابر بن عبد الله بالثيب حينما وضع نفسه مكان أبيه في رعايته لأخواته[2] .

ثانياً : الواجبات :

سبق الحديث عن بعض حقوق المرأة المسلمة ، وحيث إن الحق والواجب أمران متلازمان فلا مناص من الحديث عن بعض الواجبات المطلوبة من المرأة المسلمة .

لقد جعل الله عز وجل المرأة أهلاً للتكليف وتحمل المسؤوليات ، وإن هذه الأهلية مناط تكريم وإعزاز للمرأة يرفع مقامها الإنساني وكرامتها وليشعرها بقيمتها الإنسانية فليست سقط متاع وليست فاقدة للعقل والروح بل إنها خلقت في أكمل صورة وقد أعدت للتكليف ، وإن من الواجبات التي تحملتها ما يلي :

---

(١) المصدر السابق ، كتاب العتق ، باب فضل من أدب جاريته وعلمها ، ج٥ ، ص١٧٣ ، رقم الحديث ٢٥٤٤ .

(٢) انظر نص الحديث ص ٦٦ ، ٦٧ من هذه الرسالة .

المطلب الأول : الإيمان ومقتضياته :

ويشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، كما بين ذلك الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1] .

وفي قوله سبحانه : ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[2] .

وكما بين ذلك الحديث الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، فقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق ، فلبثت ملياً ثم قال لي : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1] .

وتتضمن الآيات والحديث ذكر الأركان التي يقوم عليها الإسلام والإيمان والإحسان وهي تمثل في مجموعها أصول الدين وأساسياته ، فهي إذاً تمثل الدين كله .

وقد نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله : (وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه)[2] .

وإن من مقتضيات الإيمان طاعة الله ورسوله وعبادة الله عز وجل وحده والدعوة إلى دينه وفق شرعه سبحانه وشرع رسوله ﷺ .

المطلب الثاني : تعلم أمور الدين :

إذا كان تعلم أمور الدين حقاً من حقوق المرأة المسلمة فإن من الحقوق ما يجوز أن يتنازل عنه صاحبه ، لكن هذا التعلم فوق أنه حق لها فهو واجب عليها لا يجوز أن تتنازل عنه بأي حال حتى تتمكن من أداء ما يجب عليها من عبادة ربها ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . والمرأة محتاجة إلى أن تعرف التوحيد والفقه وأن تعرف الحلال والحرام وأن تقرأ القرآن في صلاتها على أقل تقدير وليس أدل على وجوب طلب العلم من قول الله عز وجل : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب آيات الإيمان والإسلام ، ج١ ، ص٣٧ ، رقم الحديث ١ .

(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تعريف الإسلام والإيمان ، ج١ ، ص١٥٨ ، نشر دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، الطبعة الثانية .

لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾[1]. وقول رسول الله ﷺ المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « طلب العلم فريضه على كل مسلم »[2] فقد جعله رسول الله ﷺ واجباً دينياً وفرضاً لازماً عينياً على المسلمين ، الرجال منهم والنساء .

وإن من المجمع عليه أن المرأة مسؤولة عن صلاتها وصيانتها وزكاة مالها وصيامها وحجها وسلامة عقيدتها والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس لها ذلك إلا بالتعلم ، كما أن عليها أن تتعلم من أمور دينها ما يساعدها على القيام بالأعباء الزوجية والمنزلية في مراحل حياتها المختلفة[3] .

المطلب الثالث : طاعة الزوج :

إن الحياة الزوجية في الإسلام هي حياة الاستقرار والطمأنينة والهدوء ، حياة الرباط الأسري المتماسك القوي ، فالأسرة هي العمود الفقري للمجتمع وإنما شرع الزواج لاستمرار الحياة الإنسانية .

وإن من أهداف الزواج تحقيق الإحصان للطرفين وإنجاب الأولاد وتكثير النسل وإيجاد السكن والمودة والرحمة بين الزوجين ، فكل هذه العناصر من أسباب استقرار واستمرار الحياة الزوجية ، التي تعد الطاعة بالمعروف من أهم ركائزها المطلوبة من الزوجة لزوجها ، يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك :

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[4] .

يصف الله سبحانه الزوجات في هذه الآية بأنهن مطيعات لأزواجهن وحافظات

---

(١) سورة محمد جزء من الآية ١٩ .

(٢) معجم الطبراني الصغير ، ج١ ، ص١٦ ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، سنة ١٣٨٨هـ ، قال عنه الألباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع ج٤ ، ص١٠ ، رقم الحديث ٣٨٠٨ .

(٣) سوف نتناول أهمية تعليم المرأة بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني بإذن الله .

(٤) سورة النساء ، جزء من الآية ٣٤ .

لأزواجهن في أنفسهن ، يقول ابن كثير رحمه الله عن السدي وغيره في معنى الآية بأن أولئك النسوة حافظات لأزواجهن في غيبتهم في أنفسهن وأموالهم[1] ، ومن المعلوم أن هذا الحفظ للأزواج أحد ثمار الطاعة .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (والقنوت : الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة ، لا عن قسر وإرغام وتفلت ، ومن ثم قال : قانتات ولم يقل طائعات ، لأن مدلول اللفظ الأول نفسي ، وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة ، ومن طبيعة المؤمنة الصالحة أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس ، بينها وبين زوجها في غيبته ـ وبالأولى في حضوره ـ فلا تبيح من نفسها ما لا يباح إلا له هو بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة ، وما لا يباح لا تقرره هي ولا يقرره هو ، وإنما يقرره الله سبحانه بما حفظ الله)[2] .

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سئل النبي ﷺ : أي النساء خير؟ فقال : « خير النساء من تسر إذا نظر وتطيع إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها »[3] .

وهذا الحديث يتضمن الأسس العامة لبناء الحياة الزوجية ، وأولى الواجبات هي طاعة الزوج بالمعروف فيما يأمر ، أما إذا أمرها بمعصية الله فلا طاعة له ، ودليل ذلك ما ورد عنه ﷺ أنه قال : « لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف »[4] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص٣٥٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، الطبعة الخامسة .

(٣) مستدرك الحاكم ، كتاب النكاح ، حديث أي النساء خير ، ج٢ ، ص١٦١ . قال عنه الإمام الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، ج٣ ، ص١٤٦٩ ، رقم الحديث ١٨٤٠ .

يقول الإمام ابن حجر تحت باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية (أن ندب المرأة إلى طاعة زوجها في كل ما يرومه خصص ذلك بما لا يكون فيه معصية الله ، فلو دعا الزوج إلى معصية فعليها أن تمتنع)[1] .

وهذا الامتناع مما يؤكد استقلال شخصيتها وحريتها الدينية ويحفظ قيمتها ومكانتها في نفسها وفي مجتمعها وذلك مما وفره الإسلام وضمنه لها .

المطلب الرابع : تربية الأبناء :

لقد فرض الرب جل وعلا على الوالدين رعاية أبنائهم وتربيتهم وفق منهج الإسلام حتى يشبوا أسوياء ، ويظهر ذلك الفرض في النداء الرباني الذي يأمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار في قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[2] ومن المعلوم أن أهم أسباب الوقاية من النار هو تربية النفس والأهل والذرية على مكارم الأخلاق وآداب الدين والتربية الفاضلة التي يقوم بها الوالدان تجاه أبنائهما .

ولقد أوضح النبي الكريم ﷺ أثر الوالدين في التربية فقال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[3] .

وفي هذا الحديث تنبيه لعلماء التربية والنفس والاجتماع إلى الأهمية العظيمة التي يجب أن تحظى بها التربية النفسية والاجتماعية للأطفال منذ الصغر .

وأن رسالة الأم التربوية تأتي في المقام الأول وخاصة في سني الطفل الأولى التي يكون الطفل فيها مرتبطاً بأمه لا ينفك عنها وبالتالي يكون تأثيرها عليه أكبر وتعلقه

---

(١) فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية ، ج٩ ، ص ٣٠٤ .

(٢) سورة التحريم ، جزء من الآية ٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص٢٠٤٧ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ .

هو بها كذلك أكبر ، وإذا وفق الله عز وجل الأم في إعدادها لأبنائها الإعداد السوي فإن النتائج الخيرة تكون على المستوى الرفيع وخاصة إذا هيأ الله لها الإعداد المسبق من قبل والديها يقول الشاعر حافظ إبراهيم في ذلك :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق[1]

ويعبر شاعر آخر مبيناً أثر تربية الوالدين بتحديد اتجاه مسار الطفل في عقيدته التي تعد أهم عنصر في الحياة وأخطره إيجاباً أو سلباً فيقول :

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه[2]

إن الإسلام عندما يوجه الوالدين للتربية الفاضلة فإنما يهدف إلى إيجاد مجتمع تسوده شريعة الإسلام ويقيم حكم الله في الأرض ، ولذلك فالمسؤولية عظيمة وكل راع مسؤول عن رعيته .

إن عملية التعليم والإعداد والتربية والإرشاد والرعاية والتوجيه عملية شاقة ودقيقة ، فالطفل يمر بمراحل مختلفة ، وكل مرحلة تحتاج إلى نوع خاص من التعامل التربوي والتوجيه ، والطفل في التوجيه الموافق للفطرة أسلس قياداً وأسرع انقيادا .

والتربية المطلوبة من البيت المسلم للولد ذات محورين هما :

التربية الإيمانية والتربية الجسمية ، حتى يصبح إنساناً سوياً .

ويقع العبء الأكبر في الجانب التربوي على الأم لأنها المحضن الرئيس للأجيال

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، ص٢٨٢ ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت ١٩٦٩م .

(٢) كلمة : أبوه هنا تعني الوالدين جميعاً ، وهو المفهوم من حديث الفطرة في قوله ﷺ : فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه .

والبيتان من قول أبي العلاء المعري . انظر اللزوميات ، ج٢ ، ص٤١٣ ، نشر مكتبة الهلال ، بيروت ، ومكتبة الخانجي ، القاهرة ، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي .

لانفرادها بالحمل والوضع والرضاعة ، وقيامها بالحضانة في الغالب ولذلك فقد خصت الرسالة السماوية المرأة بمسؤولية مستقلة عن الرجل ، فهي راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[1] .

ولقد اهتم الإسلام بتربية الطفل منذ اللحظة الأولى لولادته ، ويرى فيها نور الدنيا فكان من هدي النبي ﷺ أن يؤذن في أذن المولود ساعة الولادة فقد روى أبو رافع رضي الله عنه ذلك عن رسول الله ﷺ حيث قال : (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)[2] .

فما سر ذلك يا ترى

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وسر التأذين ـ والله أعلم ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى ، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر ، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام ، وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ، ج٩ ، ص٢٩٩ ، رقم الحديث ٥٢٠٠ .

(٢) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة ، ج٣ ، ص١٧٩ ، وقال عنه الذهبي : صحيح . ورواه الإمام الترمذي ، كتاب الأضاحي ، باب الأذان في أذن المولود ، ج٥ ، ص٢٢٩ ، وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

تغيير الشيطان لها ، ونقله عنها وغير ذلك من الحكم)[1] .

وهكذا ينظر الإسلام إلى التربية الصالحة ويعطيها من الأهمية ما يجعلها تفوق كل النظريات التربوية القديمة والحديثة شرقية كانت أو غربية كما يجعلها حقاً للأبناء واجباً على الآباء يثابون على فعلها ويعاقبون على تركها . والرجل والمرأة في ذلك سواء بل إن المرأة ساعة الولادة أقرب إلى الوليد من أبيه أو غيره من الرجال .

---

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ص ٢٥ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيـروت ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، الطبعة الأولى .



الفصل الثاني

مسؤولية المرأة في الدعوة



الفصل الثاني
مسؤولية المرأة في الدعوة

مدخل : دخول النساء في جمع الرجال .

المبحث الأول : المساواة بين الرجل والمرأة في أصل التكليف بالدعوة .

المطلب الأول : المساواة في أصل وجوب مزاولة الدعوة .

المطلب الثاني : المساواة في الترغيب في مزاولة الدعوة .

المبحث الثاني : تخصيص النساء بخطاب التكليف .

المطلب الأول : النساء مدعوات .

المطلب الثاني : النساء داعيات .

المطلب الثالث : نماذج من الداعيات .

١ ـ صدِّيقة النساء .

٢ ـ فراق الأهل والوطن من أجل العقيدة .

٣ ـ داعية مهرها الإسلام .

٤ ـ قوة الإيمان سبب لإسلام عمر .

٥ ـ عائشة رضي الله عنها محتسبة .

٦ ـ أم سلمة رضي الله عنها محتسبة .

الفصل الثاني
مسؤولية المرأة الدعوية

مدخـــل :

إن من الضروري قبل الدخول في صلب الموضوع أن أشير إلى مسألة لغوية مهمة سترد كثيراً من خلال عرض الأمثلة والشواهد في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وهذه المسألة اللغوية تتمثل في استخدام ضمائر المذكر مفرداً أو مثنى أو جمعاً في معظم الأمثلة والشواهد التي يراد بها الجنسان على السواء . كما يندرج تحت هذا الموضوع استخدام الأسماء الموصولة وأدوات الشرط والمفرد الذي ليس له جمع من جنسه والجمع الذي ليس له مفرد من جنسه .

وحيث إن هذه المسألة تحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح ، لذا رأيت أن أمهد لهذا الفصل بما يزيل اللبس ويعين على الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه .



دخول النساء في جمع الذكور

اتفق أهل اللغة على أن الذكور والإناث إذا اجتمعواْ غلب الذكور على الإناث كقوله سبحانه : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[1] علماً أن المخاطب آدم وحواء عليهما السلام والشيطان[2] عياذاً بالله منه .

كما أنه قد استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين إذا أطلقت ولم تقترن بالمؤنث فإنها تتناول الرجال والنساء لأنه يغلب المذكر عند الاجتماع كقوله سبحانه : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾[3] . وقوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾[4] .

ومتى اجتمع المذكر والمؤنث غلب التذكير ، ولذلك لو قال لمن بحضرته من الرجال والنساء قوموا واقعدوا تناول جميعهم ، ولو قال قوموا وقمن واقعدوا واقعدن عد تطويلاً ولكنة[5] .

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ٣٦ .

(٢) القاضي أبو يعلى البغدادي الحنبلي ، العدة في أصول الفقه ، ج٢ ، ص٣٥٣ ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . تحقيق أحمد المباركي .

(٣) سورة النساء ، جزء من الآية ١١ .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٢ .

(٥) انظر نص ابن القيم في أعلام الموقعين ، ج١ ، ص٩٢ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، وانظر موفق الدين ابن قدامة ، روضة الناظر في أصول الفقه ، ج٢ ، ص١٤٩ المطبعة السلفية بمصر ، سنة ١٣٤٢هـ ، وقوله (لكنة) هي العجمة في اللسان وعيّ فيه . انظر لسان العرب المحيط ، مادة : لكن .

وإذا أردت أن تخبر عن فعل رجل وامرأة في جملة واحدة لكان من الضرورة اللغوية استخدام الفعل الواقع في الجملة الخبرية مع ضمير المثنى المذكر كقولك : هذا رجل وامرأة يأكلان أو يتحدثان ، ولا يجوز أن تقول تأكلان أو تتحدثان وذلك لتغليب ضمير المذكر على ضمير المؤنث .

ويدخل[1] (النساء) في الجمع المضاف إلى الناس وما لا يتبين فيه لفظ التذكير والتأنيث كأدوات الشرط[2] ويضاف إلى ذلك ما يضاف إلى (الأمة) (والبشر) (والمفرد) الذي ليس له جمع من جنسه مثل (الإنسان) .

ومثال استخدام كلمة (الناس) كقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[3] . وكقوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾[4] .

وعن أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك واحد ، قال : « انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي منه »[5] .

وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ ،

---

(١) كلمة (يدخل) الصواب فيها تدخل ولعل الخطأ من الناسخ .

(٢) روضة الناظر في أصول الفقه ، ج٢ ، ص١٤٨ .

(٣) سورة الحج الآيتان ١ ، ٢ .

(٤) سورة الناس ، الآية ١ .

(٥) صحيح الإمام مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ، ج٢ ، ص٨٧٧ ، رقم الحديث ١٢٦ .

فلما كان يوما من ذلك والجارية تمشطني ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيها الناس » فقلت للجارية : استأخري عني ، قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لكم فرط على الحوض . . . »[1] .

أما استخدام كلمة (أمة) فمثاله قوله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2] .

وقوله ﷺ في الحديث المروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[3] .

وأما استخدام كلمة (البشر) فمثل قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾[4] .

وقوله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى في الحديث القدسي « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[5] قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[6] .

---

(١) المصدر السابق كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، ج٤ ، ص١٧٩٥ ، رقم الحديث ٢٢٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٠٤ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج١٣ ، ص٢٤٩ ، رقم الحديث ٧٢٨٠ .

(٤) سورة المدثر الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح كتاب التفسير ، باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، ج٨ ، ص٥١٥ ، رقم الحديث ٤٧٧٩ .

(٦) سورة السجدة ، جزء من الآية ١٧ .

وأما (المفرد) الذي ليس له من جنسه فمثل قوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] .

وقوله ﷺ في الحديث المروي عن سعيد المقبري عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصعق »[2] .

وأما استخدام أدوات الشرط فمثل قوله سبحانه : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] .

وقوله ﷺ في الحديث المروي عن طارق بن شهاب ، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[4] .

---

(١) سورة التين الآية ٤ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ، ج٣ ، ص١٨١ ، رقم الحديث ١٣١٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ج١ ، ص٦٩ ، رقم الحديث ٤٩ .

المبحث الأول

المساواة بين الرجل والمرأة في أصل التكليف[1]

تمهيد :

إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته من غير حاجة إليهم في رزق ولا طعام فقال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[2] .

ولما كانت هذه العبادة تحتاج إلى بشر يبلغون عن الله جل وعلا فقد اصطفى

---

(١) التكليف لغة : الأمر بما يشق عليك ، وكلفه تكليفاً : أمره بما يشق عليه وتكلفت الشيء تجشمته على مشقة ، وقيل معناه : إلْزام ما فيه كلفة أي مشقة .

والتكليف في الشرع : هو الخطاب بأمر أو نهي ، انظر ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، مادة كلف ، والفيروزابادي ، القاموس المحيط ، وروضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين ابن قدامة ، ج١ ، ص١٣٦ .

وقد نقل الإمام أبو المعالي عبد الملك الجويني قول القاضي أبي بكر الباقلاني رحمه الله في تعريف التكليف : أنه الأمر بما فيه كلفة والنهي عما في الامتناع عنه كلفة فإن جمعتها قلت الدعاء إلى ما فيه كلفة ، وعن الأمر على الندب ، والنهي على الكراهية من التكليف . ثم قال في تعريف التكليف : والأوجه عندنا في معناه أنه إلزام ما فيه كلفة .

انظر البرهان في أصول الفقه ، مخطوط ينشر لأول مرة لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفى عام ٤٧٨هـ ، تحقيق دكتور عبد العظيم الديب ، كلية الشريعة ، جامعة قطر ، ج١ ، ص١٠١ .

(٢) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ـ ٥٨ .

الله جل شأنه عدداً من الرسل ، يوحي إليهم بأمر العبادة كي يبلغوا عنه سبحانه أممهم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1] .

وكانت رسالة نبينا محمد ﷺ وسلم آخر الرسالات وأعمها للبشرية ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[2] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة النحل الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٤) سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

المطلب الأول

المساواة في أصل وجوب القيام بالدعوة

لما كان هذا الدين خاتم الأديان فلابد إذاً من المتابعة في نشره والدعوة إليه تنفيذاً لأمر المولى سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام ويكلفها بأن تعمل على تكوين جماعة منها ، تقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى دعوة إلى الخير في العموم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الخصوص[2] ، ومن المعلوم أن كل أمة ، تتكون من الرجال والنساء ، فالخطاب للجميع .

وتقوم هذه الأمة بدعوة الناس إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ، وتأمرهم باتباع محمد ﷺ ودينه وتنهاهم عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به من الأوامر والنواهي بجهادهم بالأيدي والجوارح حتى ينقادوا بالطاعة ، وهؤلاء هم المفلحون الفائزون بالجنات في دار القرار[3] .

والله سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين بعبادته وطاعته وفعل الخير والجهاد في سبيله ليحظوا بشهادة الرسول ﷺ كما أمرهم بأن يكونوا شهداء على الناس ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٢) انظر تفسير الطبري ، ج١ ص٢٢١ ، في تعريف كلمة أمة ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٣) انظر المصدر السابق ، ج٧ ، ص٩٠ - ٩١ .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[1] .

وهذا ما يؤكد مسؤولية الأمة بعد رسولها محمد ﷺ بحمل الرسالة من بعده لتبليغ الإسلام للناس جيلاً بعد جيل ، يشهد بعضهم على بعض في ذلك تنفيذاً لأمر الله عز وجل ، وهذا يدعوا الأمة المسلمة إلى الاستمساك بالمنهج الإلهي اعتقاداً وعملاً لتضمن لنفسها القوامة على البشرية جمعاء ، فإذا انحرفت عنه سلب الله سبحانه منها هذه القوامة وصارت تابعة ذليلة ولا يعود لها العز والتمكين إلا بالعودة إلى عقيدتها كما كانت عليه الأمة في صدر الإسلام . يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[2] .

وإن أمة الإسلام اليوم بحاجة إلى تجديد عقيدتها على ما كان عليه سلفها الصالح ، وعليها أن تراجع رصيد حساباتها الضخم الذي ضيعت معظمه لتعود لها مكانتها المفقودة .

وهنا يرد سؤال حول الدعوة ذو شقين ، أحدهما : هل هذه الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مسلم أم أنها فرض كفاية ؟ وإذا كان هذا الفرض فرض كفاية فهل يكفي فيه قيام فئة من الرجال فقط ، أم لابد أن تقوم فئة من النساء بالدعوة في محيطها الأسري وذوي أرحامها وبين بنات جنسها .

وللإجابة على الشق الأول من السؤال نقول بأن بعض المفسرين أمثال أبي بكر

---

(١) سورة الحج ، الأيتان ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) جزء من أثر رواه الإمام الحاكم في مستدركه من كلام عمر رضي الله عنه ، كتاب الإيمان ، ج١ ، ص٦٢ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبي .
وانظر دكتور محمد علي الهاشمي ، شخصية الرسول ﷺ ودعوته في القرآن الكريم ، ص ١٦٧ ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

الجصاص والفخر الرازي ، وغيرهما رحمهم الله عرضوا الرأي القائل بأن الدعوة إلى الله عز وجل فرض عين على كل أحد من المسلمين .

فأبو بكر الجصاص رحمه الله يقول : (ومن الناس من يقول هو فرض عين على كل أحد في نفسه ويجعل مخرج الكلام مخرج الخصوص في قوله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ ، مجازاً كقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ومعناه (ذنوبكم)[1] .

وأما الفخر الرازي رحمه الله فقد قال : وفي قوله منكم قولان ، أحدهما : إن (من) ههنا ليست للتبعيض لدليلين ، هما :

الأول : إن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ .

الثاني : هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه[2] .

وكما عرض هؤلاء المفسرون رحمهم الله رأي القائلين بعموم التكليف بالدعوة فقد نقلوا أيضاً رأي القائلين بفرض الكفاية وأيدوه كذلك واعتمدوه ، فهذا الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله يقول بفرض الكفاية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستدل على ذلك بسقوط ذلك عن الباقين إذا توفر من يقوم بذلك من الأمة ، كما يتمثل ذلك في أعمال الجهاد وغسل الموتى وتكفينهم وغير

---

(١) الإمام أبو بكر أحمد الجصاص ، أحكام القرآن ، ج٢ ، ص٢٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، مطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٥هـ .

(٢) الإمام الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج٨ ، ص١٦٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، بدون سنة الطبع .

ذلك[1] .

وأما الإمام الفخر الرازي رحمه الله فيؤيد كذلك القائل بفرض الكفاية في القيام بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو بعدما نقل رأي القائلين بعموم التكليف قال : (والقول الثاني أن (من) ههنا للتبعيض والقائلون بهذا القول اختلفوا أيضاً على قولين (أحدهما) أن فائدة كلمة (من) هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين ، (والثاني) أن هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان هما :

الأول : أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء ، الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير ، وبالمعروف وبالمنكر ، فإن الجاهل ربما دعا إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر .

ثم قال رحمه الله بعد ذلك (فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء ولا شك أنهم بعض الأمة) .

الثاني : أنا أجمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية ، بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين ، وإذا كان كذلك كان المعنى : ليقم بذلك بعضكم فكان في الحقيقة هذا إيجاباً على البعض لا على الكل والله أعلم[2] .

أما الإمام ابن كثير رحمهُ الله فقد قال بفرضية وجود فرقة من هذه الأمة تتصدى للقيام بمهام المجتمع المسلم إلى جانب ضرورة قيام كل فرد من أفراد الأمة بهذا الأمر كل بحسبه حيث قال : (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة متصديةلهذا)

---

(١) انظر (أبو بكر الجصاص) ، أحكام القرآن ، ج٢ ، ص٢٩ .

(٢) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج٨ ، ص١٦٧ .

الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد في الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح الإمام مسلم رحمه الله . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] .

وفي رواية : « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[2] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[4] .

ونستفيد من كلام الإمام ابن كثير رحمه الله واستدلاله بالأحاديث السابقة أن على المجتمع المسلم أن يجند كل طاقاته البشرية والمادية للدعوة إلى الله أفراداً وجماعات على حسب القدرة كل في محيطه وسلطانه سواء كان ذلك على مستوى المجتمع الخاص كالبيوت ، والمدارس ومحيط الجيران والأصدقاء والزملاء على نطاق الرجال والنساء كل من محيطه الخاص أو كان على مستوى المجتمع العام في تنصيب فرقه من المجتمع المسلم تتصدى للقيام بهمة الدعوة في المحيط العام .

وبهذا يمكن القول بأن الدعوة إلى الله واجب عيني على كل مسلم في سلطانه

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ج٦ ، ص٤٩٦ ، رقم الحديث ٣٤٦١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ج١ ، ص٦٩ ، رقم الحديث ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص٧٠ ، جزء من الحديث رقم ٥٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص٣٨٨ . قال عنه الألباني : حديث حسن ، صحيح الجامع ، ج٦ ، ص٩٧ ، رقم الحديث ٦٩٤٧ .

ومن تحت يده في البيوت والمدارس وغيرها إلى جانب قيام ولي الأمر بتنصيب فرقة متخصصة للقيام بهذا الشأن بقدر الاستطاعة وذلك لأمر الله عز وجل الذي يأمر بالتقوى على قدر الاستطاعة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[1] ، ولأن الوسع هو مناط التكليف وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[2] .

وقد سبق ذكر الحديث الذي يتضمن مراتب تغيير المنكر والحديث الموجب لتبليغ الدعوة ولو بآية مما يغني عن الإعادة ، ومن ذلك نقول بأن من كان في وسعه وطاقته وسلطانه أن يدعو إلى الله وأن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر وجب عليه ذلك لأن القرآن والسنة مجمعان على تكليفه في هذه الحالة . وذلك لأن الدعوة إلى الله يحتاج إليها كل إنسان ذكراً كان أو أنثى وذلك ليس في مقدور جماعة منتصبة للدعوة أن تقوم به لا لتعذر ذلك فحسب بل لاستحالته .

ومما يزيد الأمر وضوحاً في أن المكلف بالدعوة إلى الله كل مسلم على حسب الاستطاعة قول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3] .

فأتباع الرسول ﷺ المؤمنون به يدعون إلى الله على علم ويقين اقتداء بالرسول الكريم ﷺ ، ومن ذلك نفهم أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله كلما وجد إلى ذلك سبيلا فإذا تخلف عن الدعوة مع تمكنه منها دل تخلفه هذا على وجود نقص في إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب[4] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله سبحانه :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ

(١) سورة التغابن ، جزء من الآية ١٦ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٤) انظر عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص٢٩٩ ، مكتبة دار المنار الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، الطبعة الثالثة .

إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ ، يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ ، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي[1] .

أما عن جواب الشق الثاني فنقول :

إن خطاب التكليف في أصله شامل للرجال والنساء ومجيئه بضمير المذكر للتغليب وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية ، وفي الاستعمال القرآني والسني كما سبق ذكره في مقدمة هذا الفصل[2] .

وإذا كانت كلمة أمة في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ تعني في هذا الخطاب جماعة الرجال والنساء ، كما أنه بالنظر إلى كلمة (من) في قول الله سبحانه آمراً رسوله ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[3] ، وقوله عليه السلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[4] ، الذي لم يعين فيه جنس المخاطب ، دل ذلك على وجوب قيام فئة من النساء بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود مسؤوليتها مثل محيط الأبناء والبنات وعموم النساء .

ومن العجيب أن الإمام الفخر الرازي لم يرد على التعليل الذي استند عليه القائلون بفرض الكفاية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان من ضمن ما ذكروه كسبب لعدم عموم التكليف وجود من لا يقدر على الدعوة

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٤٥ .
(٢) انظر ص ٩٩ من هذه الرسالة .
(٣) سورة يوسف ، جزء من الآية ١٠٨ .
(٤) سبق تخريجه . انظر ص١٠٩ من هذه الرسالة .

أمثال النساء والمرضى[1] ، مع أن الزعم بعجز النساء خاصة عن القيام بمثل هذه الأعمال زعم لا دليل له من كتاب ولا سنة ، بل إن القرآن الكريم يبين قدرة النساء ـ إذاكن مؤمنات ـ على الدعوة إلى الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

كما أن القرآن يبين قدرة النساء ـ إذا كن منافقات ـ على الدعوة إلى الكفر والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كما قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] .

فالآيتان السابقتان تؤكدان قدرة المرأة على الدعوة سواء للحق أم للباطل .

ولم يقتصر القرآن الكريم على البيان النظري على قدرة المرأة على الدعوة بل إنه ضرب مثلاً عملياً لجهود المرأة الدعوية سواء كان ذلك في حزب الشيطان أم كان في حزب الرحمن ، قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ

---

(١) انظر تفسير الرازي ، ج٨ ، ص١٦٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦٧ .

﴿ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾[1] .

أما السنة فقد أثبتت أثر المرأة في الدعوة إلى أي عقيدة في أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يُلِدَ على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه »[2] .

وكما في حديث المسؤولية ، في الحديث المروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم »[3] .

وإذا ما انتقلنا إلى السنة العملية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد أن تاريخ الإسلام حافل بجهود المرأة الدعوية ومشاركتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء كان ذلك بين الأبناء والبنات أو بين النساء الأخريات في المجتمع الإسلامي . وتاريخ أمهات المؤمنين وعدد كبير من الصحابيات ، رضي الله عنهن خير شاهد على ما قدمته المرأة المسلمة من جهود دعوية سواء كان ذلك في معارك الجهاد[4] أو روينه من أحاديث المصطفى الكريم

---

(١) سورة التحريم ، الآيات ١٠ ـ ١٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص٢٠٤٨ ، رقم الحديث ٢٣ ، وكلمة يلد الواردة في الحديث صحيحة على إبدال الواو ياء لانضمامها .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ، ج١٣ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٧١٣٨ .

(٤) كما ورد عن أنس رضي الله عنه قال : (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، قال ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن تنقزان القرب وقال غيره ـ تنقلان القرب ـ على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتحملانها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم .
صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، ج٦ ، ص٧٨ ، رقم الحديث ٢٨٨٠ .

ﷺ أو الدعوة بالقدوة والكلمة وبالموعظة الحسنة وبذل النصيحة[1] .

أما إذا قيل : إن من الشروط المطلوبة في الدعوة توفر العلم بما يدعو إليه الداعي فكيف يتصدى للدعوة من ليس من العلماء .

فإننا نجيب بأن باب العلم مفتوح لكل من الرجال والنساء كل ينهل منه قدر استطاعته وفق ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، كما أن العلم ليس قدراً معيناً ولا محدوداً علواً أو نزولاً والكل تعظم مسؤوليته على قدر علمه .

كما أن العلم ليس وحدة غير قابل للتجزئة بل على العكس من ذلك فإن ما يعلمه زيد قد لا يعلمه عمرو ، أو أن أحدهما أكثر علماً من الآخر ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية وحينئذ يعتبر من جملة العلماء بالمسألة الأولى ، ويتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل[2] .

ولا يخفى أن من أمور الإسلام ما يلزم علمه لكل مسلم كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ووجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى وعندئذ يلزم كل من يعلم هذه الأمور أن يدعو إليها حسب إمكاناته وقدراته متى وجد إلى ذلك سبيلا .

ويؤكد الرسول ﷺ على هذه القضية بقوله : « بلغوا عني ولو آية »[3] ، مما يدل على أن الدعوة إلى الله تقوم بآية أو حديث صحيح أو بجزئية معلومة من أمور الإسلام ، ولا يخفى أن الآية الواحدة أو الحديث الواحد لايمثلان كل العلم .

وعلى ضوء ما سبق ذكره يتبين لنا المساواة في أصل التكليف وأن من قضايا الإسلام ما لا يقتصر تبليغه على الرجل فحسب بل إن المرأة المسلمة تتحمل قسطاً كبيراً من هذا التكليف .

---

(١) سنذكر نماذج من الداعيات في المطلب الثالث من المبحث الثاني من هذا الفصل بإذن الله .

(٢) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص٣٠٢ .

(٣) سبق تخريجه ، انظر ص ١٠٩ من هذه الرسالة .

المطلب الثاني

الترغيب في مزاولة الدعوة

وإذا كانت النفس البشرية بطبيعة فطرتها تميل إلى ما يشدها إلى العمل ويرغبها فيه فإن مجال الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة مليء بنصوص تبين فضيلة القيام بهذه المهمة الجليلة .

ولقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يرغب في القيام بوظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، فمن النصوص الواردة في القرآن الكريم قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

يقول الإمام ابن كثير : (يقول الله عز وجل : ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله . أي دعا عباد الله إليه ، وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ، ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد)[2] .

ومعنى كلام الإمام ابن كثير في قوله ـ وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ، أنها تشمل الرجال والنساء على السواء .

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٣ .

(٢) تفسير الإمام ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٧ .

وهذه الآية جاءت للحث على الدعوة عن طريق إبراز فضل الدعوة والقيام بها من حيث إنه لا يوجد أفضل قولاً ولا أحسن عملاً ممن يقول بالدعوة ويقوم بها .

وأما ما ورد من النصوص في السنة فمنها قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « فوالله لأن يُهْدَى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حمر النعم »[١] .

ويبين النبي ﷺ فضيلة الدعوة إلى الله في الحديث المروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص من أوزارهم شيئاً »[٢] .

ويؤيد هذا الحديث ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال : إن رسول الله ﷺ قال :« من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها غيره كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »[٣] .

وقد وضع الإمام النووي هذين الحديثين تحت عنوان واحد سماه : باب من سن سنة[٤] حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، وقال عنهما : ((هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة ، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام ، ج٦ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٢٩٤٢ ، والحديث من رواية سعد بن سهل رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ج٤ ، ص٢٠٦٠ ، رقم الحديث ٢٦٧٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٠٥٩ ، رقم الحديث ١٠١٧ .

(٤) شرح الإمام النووي على مسلم ، ج١٦ ، ص٢٢٦ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م ، الطبعة الثانية .

من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه ، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام متابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه ، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك ، قوله ﷺ : « فعمل بها بعده » معناه : إن سنها ؛ سواء كان العمل في حياته أو بعد موته ، والله أعلم))[1] .

وهذا مما يدل على عظم أجر من دعا إلى الله سبحانه وتعالى حيث يعطي أجر آلاف الآلاف من الناس ممن كان السبب في هدايتهم ومن اهتدى على أيديهم إلى يوم القيامة ، ولهذا فأعظم البشرية أجرا رسول الله ﷺ لأن أمته أكثر الأمم ، فله أجر من آمن به واهتدى بهداه إلى يوم القيامة ، ثم يأتي بعد ذلك صحابته والتابعون من بعدهم رجالاً ونساء .

وعن أبي مسعود الأنصاري قال : قال ﷺ : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[2] .

وهذا الحديث صريح في أن من دل على خير أو دعا إليه فله أجر من فعل ذلك الخير إلى يوم القيامة سواء كان الدال على الخير والداعي إليه رجلاً أو امرأة .

والرسول ﷺ يستخدم كافة الأساليب في الترغيب في الأعمال الصالحة ومن ذلك الترغيب في الدعوة إلى الله حيث كان ﷺ يستخدم أسلوب الدعاء بالخير لمن سمع منه شيئاً فبلغه ، فعن زيد بن ثابت ، قال ﷺ : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبينه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »[3] .

---

(١) شرح الإمام النووي على مسلم ، ج١٦ ، ص٢٢٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي ، ج٣ ، ص١٥٠٦ ، رقم الحديث ١٨٩٣ .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن للخطابي ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، ج٤ ، ص٦٨ ، رقم الحديث ٣٦٦٠ ، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم ، رقم الحديث ٢٦٥٨ ، وقال =

وكان ﷺ في حثه على الدعوة يبين استمرارية العمل الدعوي إلى يوم القيامة ، ففي الحديث المروي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم »[1] .

= عنه حديث حسن ، وقال عنه الألباني : صحيح ، صحيح الجامع ، ج٦ ، ص٢٩ ، رقم الحديث ٦٦٣٩ .

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن للخطابي ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، ج٤ ، ص٦٨ ، رقم الحديث ٣٦٥٩ ، نشر دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م الطبعة الأولى .
ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، ج١ ، ص٣٢١ ، وقال عنه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا بأن سنده جيد ، انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ج١ ، ص١٦٦ ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية .
ورواه الإمام الحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص٩٥ ، وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ، ووافقه الذهبي .

المبحث الثاني

تخصيص النساء بخطاب التكليف بالدعوة

المطلب الأول : النساء مدعوات

المطلب الثاني : النساء داعيات

المطلب الثالث : نماذج من النساء الداعيات



المطلب الأول

النساء مدعوات

إن المتأمل في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله محمد ﷺ ، يجد أمثلة كثيرة من خطابات الدعوة لتطبيق الشريعة الموجهة مباشرة للمرأة المسلمة ، واعتبار شخصيتها المستقلة عن الرجل .

والأمثلة في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ كثيرة ، فمن النصوص القرآنية قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]، ومع أن هذا الخطاب موجه أصلاً لأزواج رسول الله ﷺ إلا أن نساء المسلمين لهن تبع في هذه الدعوة .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾[2]. بل إن الله سبحانه قد أمر المؤمنين بضم المهاجرات المؤمنات إلى المجتمع الإسلامي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[3] .

كما أمر رسول الله ﷺ بأخذ البيعة المستقلة من النساء المؤمنات ، قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

---

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٣٣ .

(٢) سورة النور جزء من الآية ٣١ .

(٣) سورة الممتحنة جزء من الآية ١٠ .

يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] .

أما الدعوة المباشرة من السنة فأمثلتها كثيرة ، منها ما رواه عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار[2] فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن جزلة[3] وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ، قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير » .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم إذا رأت الماء » ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله : أو تحتلم المرأة ؟ فقال : « تربت يداك ، فبم يشبهها ولدها »[4] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر ، فقال : « اتقي الله واصبري » ، قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »[5] .

فعلى ضوء ما سبق ذكره من شواهد قرآنية وأحاديث نبوية يتضح تخصيص المرأة بالخطاب المباشر المستقل عن خطاب الرجل في أمور الدعوة إلى شرائع

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٢ .

(٢) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ج١ ، ص٨٦ ، رقم الحديث ٧٩ .

(٣) جزلة : ذات عقل ورأي .

(٤) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الحيض ، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ، ج١ ، ص٢٥١ ، رقم الحديث ٣١٣ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ، ج٣ ، ص١٤٨ ، رقم الحديث ١٢٨٣ .

الإسلام ، ومما لا شك فيه أن هذه الاستقلالية في خطاب الدعوة إلى الالتزام بالشريعة توحي باستقلالية التكليف بالقيام بمهام الدعوة إلى هذه الشريعة داخل الوسط النسائي ذاته ، ومع أفراد الأسرة من الذكور أو غيرهم مع الالتزام بضوابط الشريعة ، لأنها مأمورة بالقرار في البيت ومنهية عن الاختلاط بالرجال الأجانب .

المطلب الثاني

النساء داعيات

إن المتأمل في عموم رسالة الإسلام لجميع أجناس البشرية يدرك أن الإسلام لم يكن ليقتصر على تكليف الرجال بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى دون أن يحمل النساء جزءاً من هذه المسؤولية ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

١ ـ وجود نصوص في الكتاب والسنة تفيد اشتراك المرأة بالدعوة مع الرجل في خطاب التكليف .

كما ذكرنا سابقاً بالتفصيل مثل قول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . انظر ص١٠٢ من هذا الكتاب .

٢ ـ وجود نصوص صريحة خاصة بتكليف النساء بالدعوة .

كما في قوله سبحانه عن نساء النبي ﷺ : ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ وقوله سبحانه في حقهن : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ وسيأتي بيان ذلك تفصيلاً إن شاء الله . انظر ص١٢٦ .

٣ ـ أن الإسلام قد وضع ضمانات خُلُقِيَّة للمرأة تتمثل في وجوب حشمتها وعفافها وحجابها عن الرجال الأجانب كما حرم الاختلاط بين الجنسين ، مما يدعو إلى ضرورة وجود داعيات في الوسط النسائي . لأن الرجل لا يستطيع الدخول في مجتمع النساء ليرى بأم عينيه الأخطاء التي ترتكب فعلى هذا فإن المرأة المسلمة

مسؤولة أمام الله عز وجل من ذلك .

٤ ـ صعوبة قيام الدعاة من الرجال بالوفاء بكل ما تحتاجه الدعوة بين النساء .

٥ ـ وجود بعض الأحكام الشرعية التي اختصت المرأة بروايتها عن رسول الله ﷺ مما يختص حكمه بالنساء مثل أحكام الحيض .

٦ ـ وجود أعذار شرعية خاصة بالنساء لا يطلع عليها غيرهن فهن أقدر على الإيضاح فيما بينهن .

٧ ـ وجود بعض المسائل الفقهية التي يستحى من سؤال الرجال فيها ، كما أن الرجال يستحون من الإفصاح عنها كما حدث في قصة المرأة التي جاءت للنبي ﷺ تسأله عن كيفية الاغتسال من الحيض ، فعن عائشة رضي الله عنها : أن امرأة سألت الرسول ﷺ عن الحيض كيف تغتسل منه ، قال : « خذي فرصة من مسك فتطهري بها»، قالت كيف أتطهر ؟ قال : « تطهري بها » ، قالت : كيف ؟ قال : « سبحان الله ، تطهري » ، فاجتذبتها إليّ فقلت : تتبعي بها أثر الدم[1] . وفي رواية أخرى : (أن النبي ﷺ استحيى فأعرض بوجهه)[2] .

وكما في قصة عائشة رضي الله عنها في وصيتها للنساء بأن يأمرن أزواجهن بأن يغسلوا عنهم من أثر الغائط والبول ، وقد عللت تلك الوصية بأنها تستحي من الرجال حيث قالت في الأثر المروي عن قتادة : ((مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم ، فإن النبي ﷺ كان يفعله))[3] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحيض ، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض ، ج١ ، ص٤١٤ ، رقم الحديث ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص٤١٦ ، رقم الحديث ٣١٥ .

(٣) سنن الترمذي ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء في الاستنجاء بالماء ، ج١ ، ص٣١ ، نشر مكتبة دار الدعوة بحمص ، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، الطبعة الأولى ، تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس ، قال عنه الترمذي ، هذا حديث حسن صحيح ، صحح الألباني معناه لوجود شواهد =

٧ ـ إقرار الرسول ﷺ للنساء بالدعوة على مرأى منه ومسمع كما فعلت عائشة رضي الله عنها في تفهيم المرأة التي جاءت رسول الله ﷺ تسأله عن كيفية الاغتسال عن الحيض ؛ كما في المثال السابق .

ولذا يلزم الفهم بأن المرأة المسلمة مكلفة بالدعوة إلى الله سبحانه تكليفاً خاصاً حسب قدرتها وإمكاناتها بين أفراد أسرتها وبنات جنسها ، وأن في كتاب الله عز وجل ما يشير إلى هذا التكليف الخاص بالدعوة وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾[1] .

يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس[2] رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ : ((أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) .

ومن المعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صميم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وإذا كانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن مأمورات بذلك فإن نساء الأمة لهن تبع في ذلك .

ويقول سبحانه : ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

= له ، انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ج١ ، ص٨٢ ، نشر المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٢ .

(٢) الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٤ ، ص١٧٨ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧هـ ، ويقول الإمام أبو بكر بن العربي في معنى القول بالمعروف الوارد في هذه الآية ﴿ وقلن قولاً معرفا ﴾ : قيل المراد بالمعروف ما يعود إلى الشرع بما أمرت فيه بالتبليغ أو بالحاجة التي لا بد للبشر منها . أحكام القرآن ، ج٣ ، ص١٥٢٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ، الطبعة الأولى ، تحقيق علي محمد البجاوي .

﴿وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[1] .

يقول الإمام ابن العربي (أمر الله أزواج رسوله ﷺ بأن يخبرن بما أنزل إليه من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيهن ، حتى يبلغ ذلك إلى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به)[2] .

ثم استدل بذلك رحمه الله على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين[3] .

ثم بين رحمه الله بأن تبليغ الرسول ﷺ ما أنزل إليه لواحد من أمته ذكراً كان أم أنثى يسقط عنه الفرض ولا يلزمه إخبار جميع الصحابة وعلى من سمعه أن يبلغه إلى غيره ، ولم يكن الرسول ﷺ إذا علم أزواجه يخرج إلى الناس فيقول لهم نزل كذا وكذا ، بل كان يعتد بما تعلمه أزواجه ، ولولا ذلك ما أمرن بالإعلام بذلك ، ولا فرض عليهن تبليغه[4] ؛ وهذا يدل دلالة لا تقبل الشك على تكليف زوجات النبي ﷺ بالدعوة إلى الله عز وجل ولا ريب أن نساء الأمة تبع في ذلك لأزواج الرسول ﷺ ورضي عن أزواجه الطاهرات .

أما ما ورد في سنة رسول الله ﷺ من تخصيص المرأة في خطاب التكليف بالقيام بالدعوة إلى الله فمنه ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

(٢) الإمام أبو بكر بن العربي ، أحكام القرآن ، ج٣ ، ص١٥٢٦ .

(٣) أحكام القرآن ، ج٣ ، ص١٥٢٦ ، وانظر تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص١٨٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص١٥٢٧ .

رعيته »[1] .

قال الإمام أبو العباس أحمد القسطلاني في شرحه لمسؤولية المرأة : (والمرأة راعية على أهل بيت زوجها ، تحسن التدبير في أمر بيته والتعهد لخدمته وأضيافه ، وقال عن مسؤولية المرأة تجاه ولد الزوج : ((أن تقوم بحسن تربيته وتعهده))[2] وهي مسؤولة عن ذلك كله . ولا يخفى أن التربية الإيمانية أولى من التربية الجسمية .

وقال الإمام الحافظ بن العربي المالكي : (والمرأة راعية في بيت زوجها تحفظ متاعه وصيانة ما يحوي بيته وتدبير نفقته وترتيب معاشه ورم خلله وتربية بنيه وفي صحيح البخاري « والمرأة راعية في بيت زوجها وولده » ، وفي الصحيح - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده »[3] .

ومما لا ريب فيه أن قيام المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله ، أهم وجوه التربية والتأديب والتعليم والتوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالإضافة إلى القيام على سياسة البيت وأموره فيما هو من اختصاصها .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : قول رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، كما تنتجون البهيمة هل

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ج١٣ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٧١٣٨ .

(٢) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، إرشاد الساري شرح صحيح الإمام البخاري ، كتاب الأحكام ، ج١٠ ، ص٢١٦ ، نشر دار الكتاب العربي عن الطبعة السابعة بالمطبعة الأميرية ببولاق ، مصر المحمدية ، سنة ١٣٢٣هـ .

(٣) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام الحافظ بن العربي المالكي ، ج٧ ، ص١٩٩ ، نشر دار العلم للجميع ، بيروت ، والحديث في صحيح البخاري مع الفتح كتاب النكاح ، باب إلى من ينكح وأي النساء خير ، ج٩ ، ص١٢٤ ، رقم الحديث ٥٠٨٢ .

تجدون فيها من جدعاء حتى تكونون أنتم تجدعونها »[1] .

كما ورد في صحيح مسلم حديث آخر يدل على هذا المعنى ويؤكده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعد يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، وإن كانا مسلمين فمسلم ، كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها »[2] .

وهذا مما يدل على تأثير الوالدين في سلوك الأولاد بالتربية والتوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو داخل في صلب الدعوة إلى الله من قبل الوالدين لولدهما وهو ما يدل على تحمل المرأة جزءاً من المسؤولة في الدعوة إلى الله ، ولو أن كل أم قامت بهذا العمل العظيم فإن النتيجة قيام نساء المجتمع بأسره بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى حيث إن كل امرأة ستصبح أما في الغالب .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ، ج١١ ، ص٤٩٣ ، رقم الحديث ٦٥٩٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص٢٠٤٨ ، رقم الحديث ٥٢ .

المطلب الثالث

نماذج من الداعيات في عهد النبوة

أولى الداعيات : صدّيقة النساء :

إن مما يسعد الإنسان سيما الداعية ويريح نفسه أن يجد لما يقول القبول في نفوس الآخرين .

وإن الداعية إلى الله تعالى ينشرح صدره ، ونفسه ترتاح لمثل هذا القبول فيحمد الله عليه فيواصل سيره في طريق دعوته بخطى ثابتة ونفس متفائلة وقلب شجاع مطمئن .

ولقد كان للمرأة المسلمة منذ اللحظة الأولى لانبثاق نور الإسلام الأثر الطيب والقدر الكبير في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ؛ وتتجلى في هذا المجال جهود أم المؤمنين الأولى خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ[1] التي شرفها الله بأول اتصال دعوي مع أفضل الدعاة وإمامهم ، فحازت بذلك قصب السبق في الدخول في الإسلام وقبوله ديناً .

وقد هيأها الله عز وجل لتستقبل أول نبأ لمبعث النبي ﷺ بكل شجاعة قلبية واطمئنان ليس له نظير ؛ وليس هذا فحسب وإنما كان لها من شجاعة القلب

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية ، انظر ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٧ ، ص٧٨ ، نشر دار الشعب ، القاهرة ، سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
وانظر في تلقيبها صديقة النساء ، أحمد بن محمد القسطلاني ، المواهب اللدنية ، ج١ ، ص٥٨ ، مطبعة محمد شاهين بمحروسة ، مصر سنة ١٢٨١هـ .

ورسوخ الإيمان ما مكنها من الإسهام في تثبيت قلب رسول الله ﷺ وزرع الطمأنينة في نفسه وإعادة الثقة إليها في أول لقاء معه بعد نزول الوحي عليه ولنستمتع بما روته عائشة رضي الله عنها ، عن هذا اللقاء فهي تقول : (أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقاريء ، قال : فأخذني فغطني[1] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت : ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[2] . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني[3] ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرؤاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن

---

(١) الغط هو العصر الشديد والكبس .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب بدء الوحي ، باب أول ما بديء به رسول الله ﷺ عن الوحي ، الرؤيا الصالحة ، ج١ ، ص٢٢ ، رقم الحديث ٣ ، والآيات المذكورة ، في أول سورة العلق .

(٣) زملوني تعني : التزميل وهو الإخفاء واللف في الثوب ، وتزمل تلفف . انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الزاي ، باب الام .

أخيك ، فقال له ورقة ، يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أومخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب[1] ورقة أن توفي وفتر الوحي[2] ، فآمنت خديجة وصدقت وآزرت فخفف الله بذلك عن نفسه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه أو سخر به أو تكذيب إلا فرج الله عنه بها ، تطمئنه وتخفف عليه ، فسنت بذلك سنة حسنة لكل من آمن بعدها بالله ورسوله ودعا إلى دين الله فلها مثل أجر من آمن بعدها إلى يوم القيامة[3] .

ولقد أشاد الرسول ﷺ بسلوكها نحوه وشهد لها بذلك ، فقد ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها ، فأحسن الثناء ، قالت : فغرت يوماً فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل خيراً منها ، قال ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس

---

(١) لم ينشب تعني : لم يلبث .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب ، أول ما بديء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة .

(٣) روى مسلم رحمه الله عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه ، قال : ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء » . صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ج٤ ، ص٢٠٥٩ ، رقم الحديث ١٥ .

وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء[1] .

ولم تقتصر أم المؤمنين الأولى على موقف الإيمان بالله ورسوله والتصديق والمواساة ، وإنما بذلت أقصى ما تستطيع في تثبيت رسول الله ﷺ في دعوته وحثه على الصبر والصمود وعدم التردد أو التراجع عما وكل إليه وحاشاه أن يتراجع أو يتردد ، وشاهد ذلك ما ورد في ثباتها على الحق وصبرها ومشاركتها المسلمين في حصارهم في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنين دليل على ذلك[2] ويقول ابن الأثير : خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين[3] .

ويقول الحافظ بن حجر في فضل خديجة رضي الله تعالى عنها : (إنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه ـ بعد رسول الله ﷺ ـ وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام ، فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله)[2] .

ولموقفها ذلك من إمام الدعاة ورسول الهدى ﷺ فقد كوفئت بالسلام من ربها ومن جبريل وبيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[5] ، وإنها عدت من فضليات النساء وخيرهن[6] .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج٦ ، ص١١٨ . وحسنه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب المناقب ، باب فضل خديجة رضي الله عنها ، م٥ ، ج٩ ، ص٢٢٤ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، الطبعة الثالثة .

(٢) انظر المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٧٩ .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٧ ، ص٧٨ .

(٤) فتح الباري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة ، ج٧ ، ص١٠٩ .

(٥) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة وفضلها ، ج٧ ، ص١٣٣ ، رقم الحديث ٣٨٢٠ .

(٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نسائها مريم وخير نسائها =

هكذا كانت أم المؤمنين الأولى قدوة صالحة في إيمانها وثباتها وتثبيتها وصبرها وتصبيرها لرسول الله ﷺ ، وبذلها قصارى ما تستطيع تجاه هذا الدين والدعوة إليه ، ولا شك أن موقفها من رسول الله ﷺ يرقي بها إلى مصاف الدعاة إلى دين الله وشرعه فرضي الله عنها وأرضاها .

فراق الأهل والوطن من أجل العقيدة :

لقد شاركت المرأة المسلمة أخاها الرجل في التضحيات وفداء دين الإسلام بالراحة النفسية والحياة المستقرة كما ضحت بجوار الأهل والأحباب والوطن في سبيل عقيدتها وإيمانها بالله عز وجل كي يسلم لها هذا الدين وتبقى مؤمنة به حتى تلقى ربها ، وبذلك أثبتت المرأة المسلمة قوة صبرها وشجاعتها النفسية على ترك مشتهيات النفس ولذيذ الراحة ، وهاجرت مع أول المهاجرين من الرجال إلى بلاد الحبشة في أول هجرة ، واستولت على الخور والخمول والضعف والذلة ، ويسجل التاريخ هجرة أربع نسوة تتصدرهن رقية بنت رسول الله ﷺ[1] زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه التي حملها الضن بدينها من الفتنة أن تفارق أباها رسول الله ﷺ برفقة زوجها الذي كان أول المهاجرين .

لقد مثلت رقية بنت رسول الله ﷺ وصواحباتها[2] المرأة المسلمة الداعية إلى الله بهذا الشموخ وهذه التضحيات على مفارقة الأهل والوطن من أجل العقيدة وسلامتها ، وقدمن من الصبر على الشدائد والصعاب ما لا يحتمله إلا من اتصف بالإيمان الصادق والإخلاص لله عز وجل .

= خديجة » ، المصدر السابق ، ص١٣٣ ، رقم الحديث ٣٨١٥ .

(١) انظر سيرة الرسول ﷺ لابن هشام ، ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ، ج١ ، ص٣٤٤ ، تحقيق السقا وزملائه .

(٢) وهن سهلة بنت سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وليلى بنت أبي خثمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن هشام ، ص٣٢٤ - ٣٤٥ .

داعية مهرها الإسلام :

إن قنوات الدعوة إلى الله لا تحصر فهي متعددة الأساليب والوسائل ، وقد تكون الرغبة في الزواج أحد هذه القنوات ، وليس هذا فحسب بل إن الدخول في الإسلام قد يكون هو المهر لهذا الزواج ، وهو ما قد حدث بالفعل في مناسبة زواج أبي طلحة الأنصاري بأم سليم بنت ملحان ، فعن أنس رضي الله عنه قال : تزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام ، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة فخطبها فقالت : إني قد أسلمت ، فإن أسلمت نكحتك ، فأسلم ، فكان صداق ما بينهما[1] .

فهذا الأثر يثبت أن أم سليم قد عرضت الإسلام على أبي طلحة باشتراطها إسلامه ، ولهذا الحديث شاهد أصرح منه ما روي عن أنس أيضاً قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تسلم فذلك مهري ، وما أسألك غيره ، فأسلم فكان ذلك مهرها ، قال ثابت فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم ، الإسلام فدخل بها فولد له[2] .

ولم تكتف أم سليم بهذا العرض فقط ولكنها انتقلت إلى استخدام أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ألا وهو أسلوب الحكمة في الدعوة ، وذلك بما تردّ عليه من الحجج والبراهين وما تسوقه من الأدلة على تفاهة المعبودات من دون الله ، وهذا

---

(١) سنن الإمام النسائي الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، كتاب النكاح ، باب التزويج على الإسلام ، ج٦ ، ص٩٣ ، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ، الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ، وانظر كذلك مسند أبي داود الطيالسي ، ص٢٧٣ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١هـ ، الطبعة الأولى . وانظر المعجم الكبير للطبراني ، ج٢٥ ، ص١٠٥ ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي .

النوع من الحكمة ضروري لتبليغ رسالة السماء إلى أهل الأرض بما يقرر الحق ويدفع الباطل كما أن هذا النوع من الحكمة يشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب .

وهذا الأسلوب يتمثل فيما رواه أنس رضي الله عنه ، أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم فقالت : يا أبا طلحة : ألست تعلم أن إلٰهك الذي تعبد خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان ، إن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره ، قال حتى أنظر في أمري ، قال فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قالت يا أنس زوج أبا طلحة[1] .

كما أنها رضي الله عنها أرادت إعداد ابنها أنس بن مالك رضي الله عنه للإسلام والدعوة إليه فجعلته خادماً لرسول الله ﷺ كي يتتلمذ على يديه إلى ما احتسبته عند الله من خدمة النبي ﷺ ، فعن أنس رضي الله عنه قال : جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه ، فقالت يا رسول الله ، هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك . . .)[2] .

عائشة رضي الله عنها محتسبة :

وكما قامت المرأة المسلمة في صدر الإسلام بالدعوة إلى الله فقد قامت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تقوم بالاحتساب على امرأة سألتها : لم تقضي المرأة الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فأنكرت عليها بأسلوب الاستفهام الإنكاري .

---

(١) مستدرك الحاكم ، كتاب النكاح ، باب تزويج أبي طلحة أم سليم رضي الله عنها ، ج٢ ، ص١٧٩ ، قال عنه الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم تزوجت أبا طلحة على إسلامه ، ووافق الذهبي في تلخيصه الحاكم في مستدركه فيما ذهب إليه في كلا الأثرين ، ج٢ ، ص١٧٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أنس بن مالك ، ج٤ ، ص١٩٢٩ ، رقم الحديث ١٤٣ .

(فعن معاذه ، قالت : سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية[1] أنت ؟ قلت : لست بحرورية ، ولكني أسأل ، قالت : كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[2] .

ومن احتسابها العملي كذلك أن حفصة بنت أخيها دخلت عليها ، وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها فشقته عائشة وقالت : (أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور ؟ ثم دعت بخمار فكستها)[3] .

أم سلمة رضي الله عنها محتسبة :

كما قامت أم سلمة رضي الله عنها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث احتسبت على أحد صغار التابعين كما جاء في الحديث الذي رواه عمر بن سعيد بن حسين قال : (أخبرتني أمي عن أبي قال : دخلت على أم سلمة وأنا غلام وعليّ خاتم من ذهب فقالت : يا جارية ، ناولينيه ، فناولتها إياه فقالت : اذهبي به إلى أهله واصنعي خاتماً من ورق ، فقلت : لا حاجة لأهلي فيه ، قالت : فتصدقي

---

(١) قول عائشة رضي الله عنها : (أحرورية أنت) نسبة إلى حروراء وهي قرية بقرب الكوفة على نحو ميلين من الكوفة أي ما يعادل ٣٦٩٦ متراً تقريباً ، انظر كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ص٧٨ حاشية رقم (١) . كان أول اجتماع الخوارج به ، فمعنى قول عائشة رضي الله عنها : أن طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة الفائتة في زمن الحيض وهو خلاف إجماع المسلمين ، وهذا الاستفهام الذي استفهمته عائشة هو استفهام إنكاري ، أي هذه طريقة الحرورية وبئست الطريقة .

انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على الحديث في صحيح مسلم ، ج١ ، ص٢٦٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب وجوب الصوم على الحائض ، ج١ ، ص٢٦٥ ، رقم الحديث ٦٩ ، وقد ذكره البخاري في كتاب الحيض ، باب لا تقضي الحائض الصلاة . صحيح البخاري المطبوع مع الفتح ، ج١ ، ص٤٢١ ، رقم الحديث ٣٢١ .

(٣) محمد بن سعد ـ الطبقات ج٨ ، ص٧٢ ، دار بيروت للطباعة والنشر .

به ، واصنعي له خاتماً من ورق)[1] .

وهكذا نرى كيف قامت أم سلمة زوج رسول الله ﷺ بهذا العمل الاحتسابي مما يدل على ما تتحمله المرأة المسلمة في عصور الإسلام المختلفة من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن هذا العمل لا يتوقف على الجانب النظري فقط بل يتعداه إلى الجانب التنفيذي في تغيير المنكر .

---

(١) الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، كتاب العقيقة ، من كره خاتم الذهب ، ج٨ ، ص٢٧٩ ، رقم الحديث ٥١٩٦ ، نشر الدار السلفية ، بومباي ـ الهند ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، الطبعة الأولى .

الفصل الثالث

أهمية قيام المرأة بالدعوة إلى الله

المبحث الأول : إمكانية قيام المرأة المسلمة بالدعوة

المبحث الثاني : الآثار المترتبة على قيام المرأة بالدعوة



الفصل الثالث

أهمية قيام المرأة بالدعوة إلى الله

المبحث الأول : إمكانية قيام المرأة المسلمة بالدعوة

إن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المبحث بعد أن اتضح لنا عظم مسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله هو :

ما مدى قدرة المرأة المسلمة على القيام بالدعوة ؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من بيان القدرات التي منحها الإسلام للمرأة كي نعرف مدى قدرتها على القيام بهذه المهمة ، ثم نعرض لذكر الأسباب التي تظهر بجلاء أهمية قيام المرأة بالدعوة .

وفي هذا المبحث لن نعرض لكل القدرات والمعطيات التي منحها الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمرأة بل سنذكر على وجه الإجمال بعضها مما يتعلق بتهيئتها للدعوة مع العلم بأنا قد عرضنا لأهم هذه القدرات عند الحديث عن المكانة التي منحها الإسلام للمرأة[1] .

ولذلك فلا حاجة لذكرها مفصلة ، بل يكتفى بذكرها مجملة بهدف بيان مدى إمكانية قيام المرأة المسلمة بهذه الوظيفة العظيمة الشأن .

إن من أهم هذه القدرات والمعطيات : المساواة في أصل الخلقة الإنسانية ،

---

(١) انظر ص٥٥ من هذه الرسالة .

وفي أصل التكاليف الشرعية ، وحقها في طلب العلم الذي يؤهلها للقيام بعبادتها لله سبحانه . وما يوافق الفطرة التي فطر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس عليها ، وما يتلاءم مع وظيفتها الفطرية من حمل وولادة ورضاع وحضانة ، وما يضمن حمايتها وصيانتها في الآداب ، والفضائل والأخلاق التي تنظم علاقتها مع الناس .

وإذ كان من المعلوم بالتجربة إمكانية قيام الرجل بالدعوة إلى الله فإن المرأة كذلك ، وكل منهما يعمل في ميادين خاصة لكل جنس مع اشتراكهما في ميدان أسرة البيت والأرحام ، ويستخدمان وسائل وأساليب واحدة في الغالب .

إن الإمكانات التي تظفر بها المرأة المسلمة في مجال الدعوة كثيرة ؛ وسنجد مصداق ذلك عند الحديث عن ميادين الدعوة وأساليبها ووسائلها إن شاء الله تعالى[1] .

إن بإمكان المرأة أن تقوم على تربية أبنائها وبناتها وإخوانها وأخواتها على تعاليم الإسلام والدعوة إليه ، كما أن بإمكان المرأة أن تقوم بدعوة والديها وأعمامها وعماتها وأخوالها وخالاتها وجميع محارمها[2] علاوة على ميدان تخصصها النسوي مع كل امرأة ، وفي كل ميدان نسوي سواء كان تربوياً أو اجتماعياً .

وإذا كانت المرأة المسلمة قد كلفت شرعاً بالقيام بالدعوة إلى الله ، فإن ذلك التكليف مبني على عدة مسوغات وأسباب يتضح من خلالها مدى ما تحققه تلك المسوغات والأسباب من بيان شامل لإمكانات مشاركة المرأة بالدعوة .

ولا يمكن أن نأتي على ذكر المسوغات والأسباب كلها ، وحسبنا أن نلم بأهمها كما يلي :

---

(١) انظر الباب الرابع من هذه الرسالة .

(٢) ويؤكد هذا القول ما كلفت به المرأة من مسؤولية كما في قول الرسول ﷺ : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عن رعيتها » وقد سبق تخريج هذا الحديث ، انظر ص١٢٧ من هذه الرسالة .

أولاً : أن المرأة في الغالب تكون أقدر من الرجل على البيان والتبليغ في بعض ما يخص الوسط النسائي نظراً لتجانس الظروف سواء ما كان متعلقاً منها بالتركيب العضوي في الأجسام ، أو ما يترتب على ذلك من أوضاع خاصة بالمرأة من الأمور النفسية والاجتماعية وغير ذلك .

ثانياً : أن مجال تأثر المرأة بأختها سواء في القول والعمل والقدوة والسلوك أكثر مما تتأثر المرأة بالرجل أو تقتدي به لأن فعل المرأة الداعية هو نفسه نوع من دعوة النساء بفعلها على عكس الرجل حيث يكلف بأمور لا تكلف بها المرأة وتكلف المرأة بما لا يكلف به الرجل ، مثل ترك الصلاة والصوم في أوقات معلومة ؛ كما أن صلاة الجماعة غير واجبة على المرأة ولذلك فلا يمكن أن يكون الرجل أسوة في هذه الأمور ، أما المرأة فإنها إذا دعت أختها لفعل شيء أو تركه فإن ذلك يكون متمشياً مع ظروف المرأة وأحوالها حسب تكاليف الشرع وأوامره ونواهيه[1] .

ثالثاً : أن المرأة بحكم معايشتها للمجتمع النسائي تستطيع أن تطرق كافة المجالات التي تحتاجها المرأة في المجال الدعوي وبذلك تتميز في عملها عن الرجل بالشمول في الوسط النسائي .

رابعاً : تستطيع المرأة الداعية التمييز بين الأولويات في قضايا الدعوة في المجتمع النسوي فتقدم الأهم على المهم ، وهكذا ، وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا بالمعايشة في الوسط النسائي ، مما لا يستطيع الرجل تحقيقه إلا في مجتمع الرجال .

خامساً : تستطيع المرأة الداعية ملاحظة الأخطاء سواء ما تعلق بالعقائد أو العبادات المفروضة ، أو في السلوك مما يدفعها إلى التنبيه وتصحيح الأخطاء تنفيذاً لما رواه أبو سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم منكراً

---

(١) وغير ذلك من الأحكام الفقهية الأخرى .

فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه » الحديث[1] .

سادساً : تستطيع المرأة القيام بالدعوة الفردية مع كافة النساء مما لا يمكن للرجل القيام به استناداً إلى تحريم خلوة الرجل بالمرأة لقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنه : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم »[2] .

سابعاً : تمشياً مع ظروف العصر فإن اتصال النساء قد أصبح من الأمور المتكررة الميسورة في مواطن الدراسة والعمل أو عن طريق الهاتف مما يعطي الأهمية لاشتغال المرأة بالدعوة في هذه الميادين .

ثامناً : وجود الغزو الفكري المتمثل في دعوة النساء وتحريضهن على التبرج والاختلاط والتمرد على القيم وتعاليم الدين مما يوجب انطلاق الدعوة من الوسط النسائي بدون الاعتماد على وكيل يدافع عنهن حيث يكون ردهن أقوى لأنهن المقصودات بهذا الغزو ، والاعتماد على النفس يظهر فيه قوة الحق والإيمان به وصلابة الصمود وحرية الرأي .

تاسعاً : حيث إن وظيفة المرأة التربوية أوسع من وظيفة الرجل لأن الحمل والولادة والرضاعة والحضانة من اختصاصات المرأة فقد أعطى للمرأة أهمية القيام بالدعوة سواء قامت الأم بهذه الوظائف الأربع أو اقتصرت على الحمل والولادة ، وقامت امرأة أخرى بالرضاعة والحضانة حيث إن هذه الوظائف كلها وظائف نسائية بحتة ، هذا بالإضافة إلى أن فترة ملازمة الأبناء والبنات للأم أطول من فترة

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ج١ ، ص ٦٩ ، رقم الحديث ٧٨ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة ، ج٩ ، ص٣٣١ ، رقم الحديث ٥٢٣٣ .

ملازمة الأب بنسبة كبيرة تستغرق معظم سن ما قبل البلوغ بالنسبة للذكور ، ومعظم سن الفتاة ما قبل الزواج ذلك لأن البيت مكان قرار المرأة الطبيعي .

عاشراً : عدم وجود العدد الكافي من محارم النساء ممن يقوم بالدعوة والتربية والتعليم و الذين يسقط بعملهم الدعوى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر الفرض الكفائي عن النساء في هذا الجانب .

فإذا كان قيام المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتربية على أسس الإسلام وأصوله على هذه الدرجة من الأهمية ، فهل المرأة المسلمة المعاصرة على المستوى المطلوب من الوعي والإدراك لمسؤوليتها العامة ؟ وهل هي على مستوى من العلم يؤهلها للقيام بهذه المهمة الصعبة ؟

إن معظم العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه يئن من وطأة الجهل ، والجهل بتعاليم دينه بخاصة وهذا الجهل تعظم نسبته في أوساط النساء .

ولذلك فإن أول شيء تطالب به المرأة المسلمة ، دفعها الجهل عن نفسها بطلبها للعلم الواجب عليها شرعاً ، والإهتمام بتعاليم الإسلام ، بأوامره ونواهيه فلا يكفي حمل بطاقة الانتساب للإسلام .

فإذا نالت المرأة المسلمة القسط الواجب تعلمه شرعاً فإنها ستدرك حتماً مسؤوليتها الدعوية والتربوية تجاه أبنائها وبناتها داخل الأسرة الصغيرة (أسرة البيت) ، ومن ثم أبناء وبنات الأسرة الكبيرة (أسرة المجتمع) استناداً على إدراك كل أسرة صغيرة مسؤوليتها الفردية ، وبذلك يزول شعورها بأن مسؤولية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تقع على عاتق الرجل وحده ، فتشاركه في تحمل هذه المسؤولية الدعوية والتربوية الإيمانية للجيل الصغير إضافة إلى قيامها بالتربية الجسمية في النمو والصحة واللباس ، فتصبح ذات أثر طيب محمود وتأثير ملموس

في توجيه الأبناء في العقيدة والسلوك وفق أوامر الله ونواهيه فتبرز بذلك شخصيتها وكيانها المستقل ، كما تقوم كذلك بالدعوة في مجتمع نسائها .

المبحث الثاني : الآثار المترتبة على قيام المرأة بالدعوة

لابد لكل جهد من أثر ونتيجة ـ في الغالب ـ وعلى مقدار حجم الجهود تأتي النتائج غالباً .

وإذا كنا نلمس بعض الآثار المترتبة على جهود الدعاة من الرجال فإن المرأة ـ وهي شقيقة الرجل ـ لا بد وأن يكون لجهودها الدعوية آثار ملموسة ، بل إن في تضافر الجهود الخارجية ـ في مجتمع الرجال ـ والجهود الداخلية ـ في مجتمع النساء ـ قوة في بروز الآثار والنتائج المتوخاة من العمل الدعوي المتكامل من جميع الأطراف .

وإذا أخذنا مجتمع الأسرة الصغيرة كمثال فإننا نجد في تعاون الرجل والمرأة في مجال الدعوة واتحاد الأهداف والغايات ؛ الآثار العظيمة في التنشئة الاجتماعية للأبناء والبنات وبالتالي ينتقل هذا الأثر على الوسط الاجتماعي في المجتمع الكبير ، فينال جزاءه في الدنيا والآخرة كما وعد الله سبحانه عباده المؤمنين رجالاً ونساء حيث يقول سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

إن الآثار المترتبة على قيام المرأة بالدعوة لا تقع تحت حصر ، بل تشمل مرافق الحياة المختلفة سواء ما كان منها عائداً إلى العوامل النفسية للمرأة الداعية ، أو ما كان منها اجتماعياً .

وإذا كان من غير الممكن حصر هذه الآثار فإن هناك آثاراً بارزة يمكن تناولها من خلال المطالب التالية :

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٧ .

المطلب الأول : الأثر العلمي .

المطلب الثاني : الأثر التربوي .

المطلب الثالث : الأثر النفسي .

المطلب الرابع : الأثر الاجتماعي .

المطلب الخامس : الأثر الاقتصادي .

المطلب الأول : الأثر العلمي :

١ ـ إن قيام المرأة بالدعوة يؤدي إلى انتشار العلم بصورة أوسع وأشمل ، كما يوسع الأفق الفكري في الأوساط النسائية وعلى الخصوص ما يتعلق بخصائص الإسلام ومميزاته وهيمنته على جميع الأديان ، إضافة إلى ما يجب على المرأة معرفته في أمور العقيدة والشريعة كي تعبد الله وتدعو إليه على علم وبصيرة من أمرها وأمر دينها على ما جاء مبيناً في كتاب الله سبحانه وتعالى أو على لسان رسوله محمد ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] أما ما يتعلق باشتراط البصيرة في التبليغ فمنه قوله سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

٢ ـ كما أن العمل في الدعوة يؤدي إلى توفر كفاءات علمية في الوسط النسائي يمكن رجوع النساء إليها في كثير من المسائل العلمية كما كانت عليه الحال في صدر الإسلام عندما كانت النساء يرجعن إلى أمهات المؤمنين وبقية النساء الصحابيات رضي الله عنهن أجمعين .

إن وجود العالمة من النساء يغني كثيراً عن الحاجة إلى سؤال الرجال إلا في

(١) سورة النحل ، جزء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

حالات نادرة أو قليلة ، وهذا لا يمنع مطلقاً أن يستفيد الرجال من النساء في ما أشكل عليهم من قضايا الإسلام كما كان صحابة رسول الله ﷺ يرجعون إلى عائشة رضي الله تعالى عنها .

المطلب الثاني : الأثر التربوي :

١ ـ إن عدم قيام المرأة بالدعوة يؤدي إلى الوهم واعتقاد عدم تكليف المرأة المسلمة بالدعوة ، فإذا وجد في النساء أمثال المرأة الداعية انتفى هذا الوهم واندفعت هذه الشبهة ، واقتدت المرأة المسلمة بسلفها الصالح في مجال الدعوة إلى الله . والتاريخ خير شاهد على ما قامت به المرأة المسلمة في هذه الوظيفة السامية منذ اللحظة الأولى لبزوغ فجر الإسلام .

٢ ـ كما أن قيام المرأة بالدعوة يجعل منها رقيبة على نفسها في قولها وفعلها وحركاتها وسكناتها حتى لا يختلف القول عن العمل فتظهر مالا تبطن سواء ما كان بينها وبين الله أو ما بينها وبين الناس .

٣ ـ إن عمل المرأة الدعوي يؤدي إلى اختفاء كثير من الممارسات الخاطئة التي أخذت طابع الظاهرة الاجتماعية في المجتمع النسائي بالذات .

المطلب الثالث : الأثر النفسي :

١ ـ إن مشاركة المرأة المسلمة في الدعوة يؤدي إلى إبراز المكانة الشخصية للمرأة في تعاليم الإسلام ، وزرع الثقة في النفس من حيث الشعور بالمساواة الإنسانية في الحقوق والواجبات ، وأنها آخذة معطية وليست من سقط المتاع مما يدفعها إلى أن تلم بحقوقها وواجباتها عن إدراك حيث أنها مسؤولة عن ذلك باعتبارها كياناً مستقلاً عن الرجل مكلفة مثله وذلك تكريماً لها وسموا بها لتشارك في البناء الإنساني مما يمنحها الراحة النفسية والسرور .

٢ ـ وإذا كان الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة حق المشاركة في هذا العمل فإن

ذلك يوقظ شعور المرأة بنظرة الإسلام لها حيث جعلها عنصراً فعالاً في بناء مجد الأمة ورقيها بدفعها للتفاني في أعمالها وبذل جهودها الدعوية والتربوية ابتغاء مرضاة الله وخشية من عقابه كما في قوله سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

المطلب الرابع : الأثر الاجتماعي :

١ ـ إن مشاركة المرأة المسلمة للرجل في الدعوة إلى الله مما يوجد التوازن في التوجيه واتحاد الأهداف وتضافر الجهود لإخراج جيل مسلم مستنير بعلوم القرآن الكريم والسنة المطهرة مترب على الأخلاق الحسنة ويسوده التعاون والألفة والمحبة ، قدوته في ذلك سيرة المصطفى ﷺ وصحابته الكرام وأمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3] .

فإذا وجد هذا المجتمع المسلم كان جديراً بالخلافة في الأرض والتمكين فيها بالدين الذي قد ارتضاه الله سبحانه وتعالى لهم كما وعدهم بذلك في كتابه العزيز

(١) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

كما في قوله عز من قائل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .

كما أن هذه المشاركة العملية من المرأة تكسب المجتمع قوة في كيانه الاجتماعي والديني وأبعاداً للسلبية الموجودة في المجتمع النسوي المتمثلة في الأخذ دون العطاء ، لأن بقاءها مدعوة دائماً يفقد المجتمع الاستفادة منها في العلم والدعوة إليه ، وبذلك لا يستوي من يأخذ فقط هو ومن يأخذ ويعطي ، قال الله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

كما أن الذي لا يعي ما يقال له ولا يستفيد منه رغم التوجيه لا يستوي مع ضده ممن يفقه ما يقال له ويؤدي ما عليه كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

٢ ـ ومن الآثار المهمة في هذا الجانب سد ثغرة[4] من ثغور الإسلام لحماية عرينه وتماسكه الاجتماعي ، والصمود أمام الباطل الموجه ضده بعامة وشؤون المرأة المسلمة بخاصة ، ومعالجة القضايا التي تثار بين الحين والآخر حول ما يسمى

---

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٧٥ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٧٦ .

(٤) الأصل في الثغر كل فرجة في جبل أو بطن أو واد أو طريق مسلوك ، والثغر بمعنى الحد الفاصل بين بلاد المسلمين والكفار ، وقد استخدمتها هنا على طريق القياس لأن كل قضايا الإسلام تحتاج إلى من يقوم عليها بالحفظ والحراسة ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة ثغر .

بحركة تحرير المرأة ، لأن مباشرة المرأة المسلمة لهذه القضايا أقوى من قيام الرجال بالوكالة عنها إذا كانت معدة إعداداً يؤهلها للقيام بهذه المهمة .

٣ ـ كما أن حراسة الرأي العام بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إظهار لعمل اجتماعي يعد من أهم شعائر الدين وقيام المرأة بهذا العمل يؤدي إلى قوة الانتماء الديني في المجتمع المسلم والحرص على صيانته وتطهيره مما يعكره .

المطلب الخامس : الأثر الاقتصادي :

١ ـ إذا علم بالضرورة مسؤولية المرأة المسلمة عن أهل بيت زوجها وولده فإن هذه المسؤولية العظيمة تتناول فيما تتناوله الحفاظ على مال الزوج وحسن التدبير فيه ، فلا تقتير ولا تبذير في مأكل أو مشرب أو ملبس أو أثاث منزلي أو لعب أطفال ، ولا إسراف في تكاليف الزواج ، ولا مغالاة في المهور وما سوى ذلك من الأمور .

٢ ـ كما أن المرأة المسلمة الداعية توازن بين مصالح بيتها ومصالح الدعوة إلى الله فما رأت من فرصة مواتية للتوفير من خزينة المنزل أو رجحت مصلحة الدعوة على مصالح بيتها فإنها لا تدخر وسعاً في ذلك ، وهذا الأمر يحتاج إلى شيء من التروي ودقة الموازنة بين المصالح .

الباب الثاني

طرق إعداد المرأة للدعوة

الفصل الأول : الإعداد النظري

المبحث الأول : الإعداد العلمي

المطلب الأول : أهمية العلم

المطلب الثاني : الإعداد العلمي للدعوة ضرورة

المطلب الثالث : حق المرأة في العلم

أولاً : تأمين حقها في العلم

ثانياً : تعليم المرأة الكتابة

١ ـ أحاديث ضعيفة تنهي المرأة عن الكتابة

٢ ـ جواز تعلم المرأة الكتابة

المطلب الرابع : العلوم المطلوبة للإعداد

أولاً : علوم رئيسة

ثانياً : علوم مساعدة



الفصل الأول

الإعداد النظري

المبحث الأول : الإعداد العلمي

المطلب الأول

أهمية العلم

إن العلم مهم وضروري للإنسان في هذه الحياة كي يسير على نور من الله سبحانه وتعالى ، ينتفع به في خلافته على هذه الأرض ، ويقوده إلى رضوان الله وجنته في الدار الآخرة .

والمراد بالعلم ـ كما قال ابن حجر رحمه الله ـ : (العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره ، وتنزيهه عن النقائص)[1] .

ولقد اهتم القرآن الكريم والسنة المطهرة بالعلم وليس أدل على ذلك من افتتاحية هذه الرسالة بالقراءة والكتابة[2] . ومعلوم أن القراءة تشمل القراءة من مكتوب ، أو متلو عن ظهر قلب .

قال الله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

---

(١) فتح الباري ج١ ، ص١٤١ .

(٢) انظر محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي . أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن ، ج٩ ، ص٣٤٥ وهو الكتاب الثاني من التتمة التي كتبها الشيخ عطية محمد سالم ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

﴿ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾[1] .

والقلم هو آلة الكتابة التي كانت ولا تزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله مشيراً إلى أهمية القلم في الكتابة ، في حياة البشرية : (ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ، ونعرفه في حياة البشرية . ولكن الله سبحانه ـ يعلم قيمة القلم فيشير إليه هذه الإشارة ، في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية ، في أول سورة من سور القرآن الكريم . هذا مع أن الرسول الذي جاء بها ، لم يكن كاتباً بالقلم . وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن ، لولا أنه الوحي ولولا أنها الرسالة)[2] .

ولبيان فضل الله على الإنسان بخصوص العلم ، والمعرفة قال الله عز وجل في أول آيات الوحي : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[3] ، فهذه الآية تبرز لنا مصدر العلم . إنه الله سبحانه العالم بكل شيء (منه يستمد الإنسان كل ما علم ، وكل ما يعلم ، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه ، فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه)[4] .

وإن العلم يواكب الإنسان منذ اللحظات الأولى لخروجه إلى ميدان الدنيا الواسعة التي كان قبلها لا يعلم شيئاً على الإطلاق ، قال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[5] وكان أول مستقبل لهذا العلم الرباني من البشر هو أبونا آدم عليه السلام الذي علمه ربه الأسماء كلها كما قال تعالى :

---

(١) سورة العلق ، الآية ١ ـ ٤ .

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن ج٨ ، ص٦١٨ .

(٣) سورة العلق ، الآية ٥ .

(٤) في ظلال القرآن ، ج٨ ، ص٦١٨ .

(٥) سورة النحل ، جزء من الآية ٧٨ .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1] ، وإن أشرف العلوم القرآن الكريم الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[2] .

وقد حث القرآن الكريم على العلم وخاصة العلم بالله ، قال تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[3] . وأمر الله رسوله بالاستزادة من العلم كما قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[4] ولم يأمره بطلب الاستزادة من شيء سواه[5] .

ولقد نظر الإسلام للعلم وأهله نظرة متميزة عن غيرهم ، فرفع درجاتهم وفضلهم على الجاهلين قال الله عز وجل : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[6] وقال سبحانه : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[7] .

وقد بين الله عز وجل فضل العلماء على الفريق الآخر وميز كلاً منهما ببيان حالهما بأسلوب الاستفهام التقريري ، فقال سبحانه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾[8] ، وقال سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[9] .

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ٣١ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيات ١ - ٤ .

(٣) سورة محمد جزء من الآية ١٩ .

(٤) سورة طه ، جزء من الآية ١١٤ .

(٥) انظر فتح الباري ، ج١ ، ص١٤١ .

(٦) سورة يوسف ، جزء من الآية ٧٦ ، ويقول القرطبي في تفسير الآية ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ أي بالعلم والإيمان ، تفسير القرطبي ، ج٩ ، ص٢٣٨ .

(٧) سورة المجادلة ، جزء من الآية ١١ .

(٨) سورة الرعد ، جزء من الآية ١٩ .

(٩) سورة الزمر ، الآية ٩ .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد في تكريم العلم والعلماء ، بل إن الله عز وجل جعلهم مرجعاً لغيرهم ، قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] . بل خصهم الله بالفهم الدقيق ، فقال عز من قائل :﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2] ، بل حصر الله سبحانه خشيته في العلماء به فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[3] مما يدل على مكانة العلم والعلماء العظيمة .

أما ما ورد في السنة فمنه ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[4] .

هذه بعض الشواهد على أهمية العلم من الكتاب والسنة ومن نافلة القول بيان أن ذلك يشمل الرجال والنساء .

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد بينا فضيلة العلم ومكانته العظيمة للحث على طلبه والبحث عنه ، فإنهما قد بينا بنفس المستوى في العرض رذيلة الجهل ومكانته الساقطة للحث على البعد عنه والنفور منه .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية ٤٣ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .

(٣) سورة فاطر ، جزء من الآية ٢٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص١٩٦ ، قال عنه الألباني صحيح : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٥ ، ص٣٠٢ ، رقم الحديث ٦١٧٣ .

وقد ذم الله سبحانه الجهل والجاهلين ، وذلك من طريقين :

أحدهما : ما استدل عليه من واقع بيان فضيلة العلم ، كما تقدم ، وهو ما يطلق عليه مفهوم المخالفة .

وثانيهما : ما جاء مصرحاً به في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمما جاء في القرآن الكريم في ذم الجهل بيان ما يترتب عليه من الإفساد في الأرض وإضلال الناس ، قوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] .

كما يقول سبحانه وتعالى مبيناًرذيلة الجهل والجاهلين : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2] ، ولا شك أن إطلاق الظلم على هؤلاء ، ما كان إلا بسبب اتباع الهوى ، بغير علم وذلك يعني الجهل المطبق .

وقد ثبت في السنة ما يبين رذيلة الجهل ، وما يؤدي إليه من الضلال والعمى ، ونستشهد في هذا المقام ، بما ورد في صحيح مسلم - رحمه الله - من أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[3] .

ومما سبق يتضح بجلاء علو قدر العلم وأهله ، ودنو قدر الجهل وأهله ، وأنهما على طرفي نقيض .

---

(١) سورة لقمان ، جزء من الآية ٦ .

(٢) سورة الروم ، جزء من الآية ٢٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل في آخر الزمان ، ج٤ ، ص٢٠٥٨ ، رقم الحديث ٢٦٧٣ .

المطلب الثاني

الإعداد العلمي للدعوة ضرورة

لما كان معلوماً تكليف المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله عقيدة وشريعة وفق ما منحها الله من قدرات وحدود ، وأن هذه الدعوة لا تقوم على ساق إلا إذا كانت مرتبطة بالعلم الشرعي تتسلح به في معركة الدعوة ، فإن هذا الأمر يتطلب الإعداد العلمي المسبق كي تكون الدعوة على علم وبصيرة ونور لا على جهل وضلال ، فكم من داع إلى الله يفسد أكثر مما يصلح بسبب جهله بأصول الدعوة وأساسياتها وعدم الإحاطة بموضوعها . لذا فإن العلم ضروري للمسلم وبالذات لمن يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل ، لأن العلم بما يدعو إليه الداعي شرط في صحة الدعوة .

والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن الله سبحانه أمر العباد بالعلم قبل القول والعمل لأن العلم شرط في صحتهما بلا نزاع .

وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً في كتاب العلم سماه (باب العلم قبل القول والعمل)[1] استفتحه بقوله سبحانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث ما نصه : (قوله[3]: (باب العلم قبل القول والعمل) قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم (باب العلم قبل القول والعمل) ج١ ، ص١٥٩ .

(٢) سورة محمد ، جزء من الآية ١٩ .

(٣) أي قول البخاري رحمه الله .

في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) ، تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه ، قوله[1] (فبدأ بالعلم) أي حيث قال : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ثم قال :﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾. والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو متناول لأمته)[2] .

ويجب التنبيه إلى أن العلم والعمل متعاضدان يقوي أحدهما الآخر ، وكل منهما يخدم الآخر ، فالعلم يصحح العمل ، والعمل الصحيح يرسخ العلم ويقويه .

ولا يخفى أن الدعوة تحتاج إلى العلم في جانبين ، **أحدهما** : المادة العلمية المراد عرضها والدعوة إليها أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم موضوع الدعوة . **والثاني** العلم بالكيفية التي تعرض بها هذه المادة العلمية أو موضوع الدعوة ، والمقصود بالكيفية أساليب العرض ، ويمكننا الاستشهاد على هذين الجانبين كليهما بقوله سبحانه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3] .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : (قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان . والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته ، سبيلي وطريقتي ، ودعوتي ، أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، على بصيرة بذلك ، ويقين علم مني به أنا ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي)[4] .

---

(١) أي قول البخاري رحمه الله .

(٢) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ج١ ، ص١٦٠ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٤) تفسير الطبري المجلد السادس ، ج١٣ ، ص٥٢ ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير معنى البصيرة ، أي : (هدي ويقين)[1] . ويقول الشيخ الألوسي - رحمه الله - في معنى البصيرة : (أي بيان وحجة واضحة غير عمياء)[2] .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفقه الله عن معنى البصيرة : (والبصيرة هي العلم بما يدعو إليه وينهى عنه)[3] . والعلم لا يأتي إلا بطلب له وبحث عنه في مصادره ، وأهم ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولعل البصيرة هنا تتناول الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

---

(١) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٨ ، ص٢٢٥ ، طبع دار المعارف .

(٢) الألوسي ، كتاب روح المعاني في تفسير القرآن ، ج١٣ ، ص٦٧ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، ص٢٠ ، الدار السلفية ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى .

المطلب الثالث

حق المرأة في العلم

أولاً : تأمين حق المرأة في العلم :

أوجب الله سبحانه على المرأة طلب العلم الضروري لإقامة ما كلفت به شرعاً ، على الوجه الصحيح .

وجعل طلب العلم من علامات الخير ، حيث قرر المصطفى ﷺ ذلك فيما رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[(١)] .

كما كلف المجتمع المسلم ، بتأمين فرص التعليم للمرأة كالرجل يقوم به ولي الأمر أو من ينوب عنه وفق الشروط المعلومة في الشرع[(٢)] .

ولقد حث القرآن الكريم ، المجتمع المسلم ، على طلب العلم ، ولم يخصص جنساً دون جنس ، وإن كان بعض النصوص قد جاء بصيغة خطاب المذكر ، إلا أن هذا الأسلوب جاء للتغليب كما سبق ذكره ، وحيث أننا قد ذكرنا عدداً من الشواهد القرآنية ، الحاثة على طلب العلم عموماً ، فسنقصر الحديث على ذكر الشواهد الحديثية الخاصة بحق النساء في التعليم وحثهن عليه . فمن هذه الشواهد ما يلي :

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ج١ ، ص١٦٤ ، الحديث رقم ٧١ .

(٢) سيأتي ذكر الشروط في الفصل الأول من الباب الرابع بإذن الله .

عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لهم أجران ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »[1] .

وقد وضع الإمام البخاري رحمه الله عنواناً لهذا الحديث أسماه (باب تعليم الرجل أمته وأهله)[2] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه لقول الإمام البخاري (باب تعليم الرجل أمته وأهله) : مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص ، وفي الأهل بالقياس ، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء)[3] .

ومن حرص الإسلام على تعليم النساء فقد كان الإمام يتولى هذه المهمة بنفسه ، فعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (أشهد على النبي ﷺ ، أو قال عطاء : أشهد على ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة ، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم ، وبلال يأخذ في طرف ثوبه)[4] .

يقول الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث : (قوله : باب عظة الإمام النساء ، نبه بهذه الترجمة على أن ما سبق من الندب إلى تعليم الأهل ليس مختصاً

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب العلم ، باب تعليم الرجل أمته وأهله ، ج١ ، ص١٩٠ ، رقم الحديث ٩٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٩٠ .

(٣) فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٠ .

(٤) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ، ج١ ص١٩٢ ، رقم الحديث ٩٨ .

بأهلهن بل ذلك مندوب للإمام الأعظم ومن ينوب عنه ، واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله في الحديث : (فوعظهن) ، وكانت الموعظة بقوله ، في حديث آخر : « إني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن بم يا رسول الله : قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير »[1] . واستفيد التعليم من قوله : (وأمرهن بالصدقة كأنه أعلمهن أن في الصدقة تكفيراً لخطاياهن)[2] .

ولقد تنبهت المرأة المسلمة إلى حقها في التعليم في عهد المصطفى ﷺ ، وشاهد ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال : اجتمعن يوم كذا وكذا » . فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة ، إلا كانوا لها حجاباً من النار » . فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين ، فقال رسول الله ﷺ : « واثنين واثنين واثنين »[3] .

ثانياً : حكم تعليم المرأة الكتابة :

وسنقسم هذا الموضوع إلى قسمين ، هما كما يلي :

القسم الأول : أحاديث ضعيفة في النهي عن الكتابة .

القسم الثاني : جواز الكتابة .

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، ج١ ، ص٤٠٥ ، رقم الحديث ٣٠٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ، كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ، ج١ ، ص١٩٢ ، ١٩٣ ، رقم الحديث ٩٨ .

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب فضل من يموت له ولد ، ج٤ ، ص٢٠٢٨ ، رقم الحديث ٢٦٣٣ .

القسم الأول : أحاديث ضعيفة في النهي عن الكتابة :

إن من العجيب ـ وقد عرفنا حق المرأة في العلم ـ أن تسري بعض الأكاذيب والأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ في المجتمع الإسلامي رغم تحذير الرسول عليه الصلاة والسلام أمته من الكذب ، حيث يقول في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن الزبير بن العوام : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

ومن هذه الأكاذيب ما نسب إلى رسول الله ﷺ أنه نهى عن تعليم النساء الكتابة ، وقصرهن على تعلم صناعة المغزل وتعليم سورة النور .

فقد روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم من طريق جعفر بن نصر أن رسول الله ﷺ قد نهى عن تعليم النساء الكتابة .

وكذا روي في مستدرك الإمام الحاكم عن عائشة رضي الله عنها من طريق عبد الوهاب الضحاك .

فأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيقول : قال رسول الله ﷺ : « لا تعلموا نساءكم الكتابة ، ولا تسكنوهن الغرف العلالي »[2] .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : (هذا حديث لا يصح)[3] ، والحكم بهذا جاء بسبب وجود جعفر في السند ، واستدل ابن الجوزي على ذلك بما قاله ابن

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، ج١ ، ص٢٠٠ ، رقم الحديث ١٠٧ .

(٢) الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، كتاب الموضوعات ، ج٢ ، ص٢٦٨ . المكتبة السلفية ، المدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، الطبعة الأولى ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

(٣) المصدر السابق . ومحمد بن حبان ، كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، ج١ ، ص٢١٤ ، نشر دار الوعي ، حلب ١٤٠٢هـ ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمود زايد .

حبان عنه حيث قال : قال ابن حبان : (جعفر بن نصر كان يحدث عن الثقات بما لم يحدثوا به)[1] .

ونقل اين الجوزي عن ابن عدي قوله عن جعفر بن نصر : (أنه كان يحدث عن الثقاة بالبواطيل وله أحاديث موضوعات عليهم)[2] .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن المغزل وسورة النور »[3] .

هذا الحديث قال عنه كذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله : (لا يصح)[4] . والسبب في هذا وجود محمد بن إبراهيم لشامي في سند الحديث ، وهو كذاب ، واستدل الإمام ابن الجوزي على ذلك ، من حكم ابن حبان على هذا الرجل حيث قال : (كان محمد بن إبراهيم الشامي يضع الحديث على الشاميين لا يحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار[5] . روى أحاديث لا أصول لها من كلام رسول الله ﷺ لا يحل الاحتجاج به)[6] .

وأيد الإمام الذهبي حكم الإمام الدارقطني على هذا الرجل بأنه كذاب فقال : (صدق الدارقطني رحمه الله)[7] .

---

(١) ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٦٩ .

(٤) ابن الجوزي ، الموضوعات ، ص٢٦٩ .

(٥) الاعتبار : هو تتبع طرق حديث انفرد بروايته راو ليعرف هل شاركه في روايته غيره أو لا . نقلاً عن محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص١٤٠ ، نشر المؤلف الرياض سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، الطبعة الأولى .

(٦) ابن الجوزي ، الموضوعات ، ص٢٦٩ .

(٧) الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج٣ ، ص٤٤٥ ، رقم ٧١٠٢ ، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ، سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م ، الطبعة الأولى تحقيق علي محمد البجاوي .

وقال ابن عدي : (عامة أحاديثه غير محفوظة)[1] .

وقال عنه الحافظ بن حجر : (محمد بن إبراهيم بن علاء الدمشقي أبو عبد الله الزاهد منكر الحديث)[2] .

وقال العلامة صفي الدين الخزرجي : (محمد بن إبراهيم الدمشقي ، كذبه أبو نعيم والدارقطني ، ووثقه أبو حاتم والنسائي)[3] .

يقول شمس الحق العظيم آبادي في رسالة صغيرة له[4] ما نصه :

(أما قول الخزرجي بأنه وثقه أبو حاتم والنسائي ففيه كلام ، لأن مؤلفي كتب الرجال لم ينقلوا توثيق أبي حاتم ، أو النسائي ، بل نقل ابن حجر في تهذيب التهذيب ، والحافظ الذهبي في الكاشف ، وميزان الاعتدال أقوال الجرح فقط ولم يذكروا توثيق النسائي وأبي حاتم ، فلذلك ـ والله أعلم ـ هذا من أوهام العلامة الخزرجي حيث وقع منه السهو في كتابه في عدة أمكنة أخرى) .

وإن ثبت توثيق النسائي وأبي حاتم فلا يعارض توثيقهما جرح الحفاظ الآخرين أمثال : الدارقطني ، وابن حبان ، وابن عدي ، وأبي نعيم ؛ لأن هذا الجرح مفسر ومبين ، والجرح المفسر مقدم على التعديل كما قاله الحافظ بن الصلاح في مقدمته حيث جاء فيها ما نصه : (إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل ، فالجرح

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٤٦ .

(٢) الحافظ بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص١٤ ، دار صادر ـ بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ، حيدر أباد ، الدكن سنة ١٣٢٥هـ .

(٣) صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ص٣٢٤ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب وبيروت سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، الطبعة الثانية .

(٤) شمس الحق العظيم آبادي ، عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان ص٥ ، المكتب الإسلامي دمشق سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، الطبعة الأولى .

مقدم لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله ، والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدل ، فإن كان عدد المعدلين أكثر فقد قيل : التعديل أولى والصحيح والذي عليه الجمهور أن الجرح أولى)[1] .

ويقول ابن الصلاح في مقدمته : (إذا قالوا متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه)[2] .

وقد أورد الإمام الحاكم في مستدركه ، هذا الحديث بسند فيه عبد الوهاب بن الضحاك مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، يعني النساء وعلموهن المغزل وسورة النور »[3] .

وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[4] .

لكن الإمام الذهبي رحمه الله لم يوافق الحاكم على صحة هذا الحديث ، بسبب ضعف عبد الوهاب بن الضحاك ، ولم يكتف بذلك فحسب ، بل نقل تكذيب أبي حاتم ، كما نقل قول النسائي ، وغيره بأن عبد الوهاب متروك ، كما نقل كذلك حكم الدارقطني عليه بأنه : (منكر الحديث) وقول البخاري بأن : (عنده عجائب)[5] .

وقد نقل الإمام السيوطي رحمه الله حكم الحافظ بن حجر في الأطراف تعليقاً

---

(١) الإمام أبو عمرو عثمان الشافعي المعروف بابن الصلاح ، المقدمة ص٤٢ ، النوع الثالث والعشرون ، المسألة الخامسة ، نشر مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦هـ ، الطبعة الأولى .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ، ص٤٨ .

(٣) مستدرك الإمام الحاكم ، ج٢ ، ص٣٩٦ ، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر أباد الدكن في الهند سنة ١٣٤١هـ ، وقال الذهبي في حاشية المستدرك : (قلت) بل موضوع وآفته عبد الوهاب . قال أبو حاتم : كذاب .

(٤) يعني البخاري ومسلم .

(٥) الإمام الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٦٧٩ .

على حكم الإمام الحاكم بصحة الإسناد حيث قال : (بل عبد الوهاب متروك)[1] .

كما نقل الحافظ صفي الدين بن أحمد الخزرجي حكم الدارقطني بأن عبد الوهاب متروك[2] .

القسم الثاني : جواز تعلم المرأة الكتابة :

لا شك أنه يلزم المرأة المسلمة تعلم ما يجب عليها معرفته من أصول الدين وفروعه ، سواء كان ذلك عن طريق القراءة أو الكتابة ، أو غير ذلك من الوسائل وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

فإذا كانت المرأة المسلمة لا تتوصل إلى معرفة العلم الشرعي الواجب تعلمه إلا بتعلم وسيلة القراءة أو الكتابة وجب عليها تعلم هذه الوسيلة الموصلة إلى معرفة هذا الواجب .

فإذا انتقلنا من مرحلة الوجوب إلى مرحلة الإباحة والجواز ، فإننا نقدم نصوصاً من السنة تجيز للمرأة أن تتعلم الكتابة .

ومن ذلك ما رواه الإمام أبو داود في سننه عن الشفاء بنت عبد الله العدوية أنها قالت : (دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي : « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة »)[3] .

---

(١) الإمام جلال الدين السيوطي ، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، كتاب النكاح ، ج٢ ، ص٩٢ ، المطبعة الأدبية ، القاهرة سنة ١٣١٧هـ ، الطبعة الأولى .

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ص٢٤٨ .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن للخطابي ، كتاب الطب ، ج٤ ، ص٢١٥ ، رقم الحديث ٣٨٨٧ ، قال عنه الألباني : صحيح : صحيح الجامع الصغير ، ج١ ، ص٣٧٧ ، رقم الحديث ٢٦٤٧ .

وقد أورد الإمام أحمد هذا الحديث في مسنده بنفس هذا اللفظ المذكور[1] .

كما أورد هذا الحديث بصيغة الأمر بتعليم حفصة رقية النملة ، والإقرار بتعليم حفصة الكتابة حيث قال ﷺ : « ارقيه وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة »[2] .

وقد استنبط علماء الإسلام من قوله ﷺ : « كما علمتيها الكتابة » مسألة جواز الكتابة للنساء .

ومن العلماء الأعلام الإمام الخطابي رحمه الله حيث قال : (وفي الحديث دليل على أن تعليم الكتابة للنساء غير مكروه)[3] .

وقال الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحراني رحمه الله : (وهو دليل على جواز تعليم النساء الكتابة)[4] ، كما قال بمثل ذلك الإمام ابن القيم[5] ، والإمام الشوكاني[6] ، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري[7] .

ويؤيد هذا الرأي الأثر المروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فعن

---

(١) المسند ، ج٦ ، ص٣٧٢ ، مرويات الشفاء بنت عبد الله .

(٢) مستدرك الحاكم ، ج٤ ، ص٥٦ ـ ٥٧ ، قال عنه الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) كتاب معالم السنن للخطابي المطبوع مع سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى ، ج٤ ، ص٢١٥ ، دار الحديث ، حمص سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، الطبعة الأولى ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد .

(٤) مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحراني ، المنتقى في أخبار المصطفى ، ج٢ ، ٩٠٨ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، الطبعة الأولى ، تصحيح محمد حامد الفقي .

(٥) ابن القيم ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، ج٣ ، ص١٤٥ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

(٦) الإمام الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٩ ، ص١٠٣ ، نشر دار الجيل ، بيروت سنة ١٩٧٣م .

(٧) بذل المجهود في حل أبي داود ، ج١٦ ، ص٢١٧ ، نشر دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض .

عائشة بنت طلحة رضي الله عنها قالت : (قلت لعائشة ـ وأنا في حجرها ـ وكان الناس يأتونها من كل مصر ، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها ، وكان الشباب يتآخوني فيهدون إليّ ، ويكتبون إليّ من الأمصار فأقول لعائشة : يا خالة : هذا كتاب فلان وهديته ، فتقول لي عائشة : أي بنية ، فأجيبيه وأثيبيه فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك ، فقالت : فتعطيني) [1] .

وإذا كان العلم من المطالب الأساسية في حياة الإنسان وليس محل خلاف تبين لنا أن للمرأة نصيبها منه .

وقال الشيخ الألباني : (والحق أن الكتابة والقراءة نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على البشر ، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضاً فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث) [2] .

(١) البخاري ، الأدب المفرد ، باب الكتابة إلى النساء وجوابهن ، ص٤٩٠ ، طبع دولة الإمارات ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، مراجعة وتصحيح محمد هشام البرهاني ، قال عنه الألباني سنده صحيح ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج١ ، ص٢٩٥ المكتب الإسلامي ، بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م الطبعة الرابعة .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج١ ، ص٢٩٦ ، المكتب الإسلامي (بتصرف) .

المطلب الرابع

العلوم المطلوبة للإعداد الدعوي

أولاً : علوم رئيسة

ثانياً : علوم مساعدة

سيكون الحديث في هذا المطلب عن العلوم المطلوبة للإعداد الدعوي ، ويمكن تقسيمها إلى قمسين هما :

أولاً : العلوم الرئيسة : وهي المصادر الأولى لإعداد الداعية حيث إنها تمثل المرتكزات العلمية لدعوته ؛ وأهم هذه العلوم ما يلي :

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ التفسير

٣ ـ الحديث النبوي

٤ ـ التوحيد (العقيدة)

٥ ـ الفقه

٦ ـ سيرة الرسول ﷺ وشمائله الكريمة

٧ ـ دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام

٨ ـ سير الدعاة

٩ ـ الحسبة

١٠ ـ التربية الإسلامية

ثانياً : العلوم المساعدة :

وهذا النوع من العلوم جاء خادماً للعلوم الأصيلة من وجوه عدة منها اللغوي والدعوي والأصولي والتاريخي وأهم هذه العلوم ما يلي :

١ - اللغة العربية

علم اللغة العربية من حيث تقويم اللسان والقلم - ويشمل علم النحو والصرف والأدب وغير ذلك من علوم اللغة العربية - مهم للدعوة لأنه السبيل إلى فهم مراد الله سبحانه من التنزيل .

٢ - خصائص الإسلام .

٣ - أصول الفقه .

٤ - دراسة حالة العالم في الماضي والحاضر ويتناول ما يلي :

أ - التاريخ : للاعتبار بأحداث التاريخ البشري ، والأخذ بالصالح ، والتخطيط لسلوكه ، وترك الفاسد والتحذير منه والتخطيط لمحاربته .

ب - حاضر العالم الإسلامي : لدراسة واقعه الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي وغير ذلك .

جـ - دراسة حاضر العالم أجمع : للتعرف على واقعه الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي وغير ذلك .

أولاً : العلوم الرئيسة

١ - القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الإسلام ، وكل المصادر الأخرى تعول عليه وتعود إليه .

ولا نحتاج هنا إلى بيان أهمية القرآن للمسلم بقدر ما نحتاج إلى بيان أهميته

للداعية ، فالقرآن محور الدعوة ، يستمد منه الداعية المنهج والأسلوب الذي يعرض به دعوته للناس ، كما أنه يتخلق بأخلاقه .

يتعلم الداعية من كتاب الله كيفية الدعوة عن طريق سرد القصة القرآنية والمثل القرآني لإيقاظ الشعور الإيماني في النفوس ؛ كما يجذب انتباه السامعين عن طريق عرض أسلوب الحوار والمجادلة في كتاب الله ، كما يتعلم عرض الدعوة بأسلوب الاستفهام التقريري أو الإنكاري ، وأسلوب الترغيب والترهيب وغير ذلك من الأساليب[1] .

كما أن الداعية يأخذ من القرآن الصفات اللازمة له من لين في القول ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما يتخلق بأخلاق القرآن الكريم من المودة والمحبة وحب الخير للناس ، مما يدفعه لبذل قصارى جهده في نصيحة الناس ودعوتهم إلى الإسلام عقيدة وشريعة .

٢ ـ التفسير :

بما أن إمام الدعاة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد جاء إلى الناس كافة رسولاً من عند الله ليبين لهم ما نزل إليهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[2]، فإن الدعاة إلى الله هم أحوج الناس لمعرفة كتاب الله والإحاطة بمعانيه على قدر الاستطاعة ؛ لأن حاجة الناس إليهم في ذلك ماسة حيث قيامهم بالدعوة إلى الله وإلى كتابه ، وإذا كان الناس عند نزول الوحي على رسول الله ﷺ في حاجة إلى تفسير كلام الله عز وجل ، فإن الناس في عصرنا الحاضر أشد حاجة إلى ذلك لفهم القرآن والعمل به على مراد الله سبحانه ومراد رسوله ﷺ لا على مراد أصحاب الأهواء الضالة الذين قصروا قراءة القرآن على الأموات وخالفوا ما تقتضيه شواهد القرآن كما في قوله سبحانه :﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ

(١) سوف نتناول بإذن الله هذه الأساليب في الفصل الرابع من الباب الرابع .

(٢) سورة النحل ، جزء من الآية ٤٤ .

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1] ، حيث نرى كثيراً من الناس وهم يتلون هذه الآية يطوفون حول ضريح مدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى أصواتهم قائلين : يا سيدي يا سيدي ولا يجرؤ أحد أن ينهاهم عن هذا المنكر[2] .

ومما سبق يتبين أهمية تفسير كتاب الله للمسلم وللداعية على وجه الخصوص .

٣ - الحديث النبوي[3] :

الحديث النبوي هو المصدر الثاني للتشريع ، وهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً ، لأن الحديث النبوي جاء موضحاً للقرآن بالإضافة إلى شموله لأحكام شرعية لم يتعرض لها القرآن الكريم .

ولذا فإن الحديث النبوي مهم للداعية ، يستمد منه الزاد العلمي ، ويمده بالشواهد والأدلة التي يستنبط منها الأحكام الشرعية .

كما تأتي أهمية الحديث للداعية حيث إن القرآن الكريم لا يفهم على حقيقته في كثير من الأحيان ، ولا يعلم مراد الله في كثير من الأحكام إلا بالرجوع إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم كما قال تعالى :﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] .

ولقد أشاد ابن القيم رحمه الله بعلم الحديث وأثره في الدعوة عن طريق الإشادة

---

(١) سورة الجن ، الآية ١٨ .

(٢) انظر : أبو بكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ج١ ، ص٥ ، ٦ ، نشر المؤلف ، المدينة المنورة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

(٣) الحديث أو السنة في اصطلاح المحدثين : هو ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية أو خِلْقية أو سيرة . مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص٤٧ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م الطبعة الثالثة .

(٤) سورة النحل ، الآية ٤٤ .

برجاله حيث قال : (ولما كانت الدعوة إلى الله والتبليغ عن رسوله شعار حزبه المفلحين وأتباعه من العالمين ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وكان التبليغ عنه من عين تبليغ ألفاظه وما جاء به وتبليغ معانيه كان العلماء من أمته منحصرين في قسمين : أحدهما حفاظ الحديث وجهابذته والقادة الذين هم أئمة الأنام وزوامل الإسلام الذين حفظوا على الأئمة معاقد الدين ومعاقله ، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله ، حتى ورد من سبقت له من الله الحسنى تلك المناهل صافية من الأدناس لم تشبها الآراء تغييراً . أما القسم الثاني فهم : فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام ، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام ، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء)[2] .

وكما قلنا عن استفادة الداعية من أسلوب العرض القرآني للدعوة ، نقول كذلك باستفادته من أسلوب العرض النبوي المتعدد الأغراض كأسلوب القصة والمثل والحوار والاستفهام التقريري والإنكاري إلى غير ذلك من الأساليب[3] .

كما يأخذ الداعية من حديث رسول الله ﷺ الصفات اللازمة التي سلكها رسول الله ﷺ في دعوته وحث عليها أمته .

٤ ـ علم (العقيدة) :

ترجع أهمية دراسة (العقيدة) للداعية إلى عدة أمور منها :

أ ـ أن التوحيد هو المحور الأساسي للدعوة وهو الذي ترتكز عليه عبادة الله سبحانه وتعالى ، كما أن العبادة لاتصلح إلا به يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ

(١) سورة يوسف (عليه السلام) ، آية ١٠٨ .

(٢) ابن قيم الجوزيه ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج١ ، ص٨ .

(٣) سنعرض أمثلة للأساليب النبوية في الفصل الرابع من الباب الرابع بإذن الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1] .

ب ـ أنه أول أمر كلف الله سبحانه وتعالى به رسله عليهم الصلاة والسلام لاعتقاده وتبليغه للناس ، ودعوتهم إليه وإلزامهم به حيث يقول الحق تبارك وتعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[2] ، وكما قال سبحانه لمحمد ﷺ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[3] .

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال : « أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »[4] .

وإذا عرف الداعية العقيدة الصحيحة ، فإنه بذلك يعد نفسه لتصحيح كثير من الأخطاء الشائعة عند كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام .

٥ ـ الفقه :

من المعلوم أن الفقه متعلق بالعبادات البدنية والمالية ، ومن هذا الجانب فإن على الداعية تعلم الفقه لحاجته الشخصية ، ولحاجة المدعوين كذلك ، حيث إن

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة هود ، الآية ٢٥ ـ ٢٦ .

(٣) سورة محمد ، الآية ١٩ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ، ج٣ ، ص٢٦١ رقم الحديث ١٣٩٥ .

الناس يفترضون في الداعية أن يكون فقيهاً كي يستطيع أن يقدم للمدعوين الذين يقبلون على دعوته أحكام الشرع في العبادات والمعاملات ؛ وعدم معرفة الداعية للأمور الفقهية المهمة يعتبر نقصاً فيه وتقصيراً .

ويلزم المرأة الداعية المعرفة بقدر المستطاع بالأحكام الفقهية المتعلقة بالنساء ، لأن الشريعة قد خصتهن بأحكام تزيد عن أحكام الرجال في الطهارة من الحيض والنفاس والصلاة والصوم والحج والعدة من الطلاق والوفاة وأحكام السفر والحجاب وأمور كثيرة أخرى .

٦ ـ سيرة[١] الرسول ﷺ وشمائله[٢] الكريمة :

إن العلم بسيرة النبي ﷺ وشمائله الكريمة مهم جداً حيث إنها تعرض ما عليه المصطفى الكريم من سيرة حميدة وشمائل كريمة يمثلها كثير من نصوص السنة المطهرة .

ومن هذا المفهوم نعرف العلاقة بين السيرة والسنة حيث يجتمعان في أشياء وينفرد كل منهما بشيء آخر[٣] .

---

(١) السيرة في اللغة : السنة والطريقة والهيئة ، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة سير ، فصل السين ، باب الراء ، وأما الاصطلاح ، فهي منهج الرسول ﷺ في حياته منذ مولده مروراً بنشأته وصباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وما رافق ذلك من أفعاله ، وكذلك نبوته ورسالته ودعوته وجهاده إلى يوم وفاته ﷺ .

(٢) الشمائل في اللغة : مفردها شميلة وهي خليقة الرجل : انظر ابن منظور لسان العرب المحيط مادة شمل ، وفي الاصطلاح ، صفات الرسول ﷺ الخِلقية والخُلُقية .

(٣) تتمثل أوجه الاجتماع في بيان صفة فعل الرسول ﷺ من معاملات وعبادات ودعوة وجهاد . وأما وجه الانفراد فتنفرد السيرة برصد لأحداث حياته الكريمة بصورة تاريخية متسلسلة حسب الأوقات وتوفر المعلومات المرصودة في تاريخ حياته الشريفة ﷺ .

وتنفرد السنة برصد النصوص الحديثية مع بيان الأحكام الشرعية . وكما ترتبط السيرة بالسنة فهي ترتبط أيضاً بالتاريخ بوجه عام والتاريخ الإسلامي بوجه خاص ، حيث إن السيرة تشغل حقبة زمنية تعتبر المثلى والأسوة ذات الصدارة في التاريخ الإسلامي .

ودراسة السيرة والشمائل مهمة للمرأة المسلمة الداعية للأمور التالية :

١ ـ أن تجد المرأة الداعية بين يديها صورة للمثل الأعلى في السلوك البشري في كل شأن ، للتمسك بها وتمثلها والتأسي بها ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ، وهذا مما ييسر الوقوف على منهج النبي ﷺ في الدعوة والتربية والتعليم فيما يدخل ضمن احتياجات النساء ، ومثال ذلك ما يلي :

أ ـ التعرف على كيفية تعامل الرسول ﷺ مع زوجاته وأهل بيته ، وما كان يفعله ﷺ على مرأى من زوجاته رضي الله عنهن مما لا يمكن رؤيته لأحد غيرهن .

ب ـ استعراض حياته الدعوية في مكة والمدينة ، وصبره على أذى قومه ، ومعالجته لهذه المواقف ، كما أنها استعراض لحياته الجهادية للاستفادة منها في حياة الداعية ، لتقوم المرأة المسلمة على تنشئة أبنائها على الصبر والتحمل وإعدادهم لخوض معارك الجهاد .

٢ ـ أن تجد المرأة الداعية في سيرة الرسول[2] ﷺ ما يعينها على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حيث إن كثيراً من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها .

٣ ـ الاستفادة مما تعرضت له السيرة من العبر والعظات والدروس ، فكم أهلك الله من جبار عنيد توفرت له أسباب القوة والنصر ، وكم نصر عباداً ضعفاء كما قال تعالى : ﴿ . . . قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٢) انظر محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة ص١٧ ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، الطبعة الخامسة بتصرف .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٤٩ .

٤ ـ معرفة ما قامت به المرأة المسلمة من نشاط دعوي عظيم وخدمة في معارك الجهاد الحربية من جهاد للأعداء وتضميد للجرحى ونقل الماء للمجاهدين .

٥ ـ ذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله محمد ـ ﷺ ـ كلما مر ذكره تنفيذاً لأمر الله سبحانه حيث يقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1] .

وكما قال ﷺ : « من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً »[2] .

٧ ـ دعوة الرسل :

الرسل عليهم الصلاة والسلام هم المثل الأعلى والقدوة المثلى لأقوامهم ، ودعواتهم هي النمط المحتذى الذي يسير عليه من بعدهم ، ولذا تأتي أهمية دراسة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

إن أهمية دعوة الرسل تعود لقضايا كثيرة لا يمكن الإحاطة بها ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أ ـ دراسة دعوة الرسل تبين للداعية الأولويات التي دعا إليها رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث بدأوا بالدعوة إلى الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبادة ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى القضايا الأخرى ، وهذا هو المنهج الذي أمر الله سبحانه وتعالى رسله بالسير عليه وأتباعهم من لدن نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ، ومن ثم فإن الدعاة من بعدهم سيقتفون أثرهم في هذا المنهج .

ب ـ كما أن هذه الدراسة يتبين منها للداعية تفاصيل المنهج الدعوي في حياة الرسل ، وتطلعه على الأساليب التي عرضوا بها دعوتهم ، والوسائل التي

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ بعد التشهد ، ج١ ، ص٣٠٦ ، رقم الحديث ٤٠٨ .

استخدموها ؛ فتستنير بها المرأة الداعية ، وتسير على هديها في نشر الدعوة بين أفراد أسرتها ومحارمها وبنات جنسها .

ج ـ هذه الدراسة تبين خصوص الرسالات السابقة وعموم رسالة نبينا محمد ـ ﷺ ـ مما يدعو الداعية إلى المضي في تبليغها للناس كافة .

د ـ تقوية الإيمان بالله سبحانه والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام .

هـ ـ حصول الأمن النفسي وتثبيت الفؤاد عند الدعاة إلى الله من خلال دراسة قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد كانت قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يثبت قلب النبي ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

و ـ أخذ العبرة من حياة المؤمنين والكافرين بالرسل بمعرفة مصير كل منهم .

ز ـ وكما سبق أن ذكرنا أن من فوائد دراسة السيرة النبوية ذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، فإننا نجد كذلك أن من ثمار دراسة دعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسله ، وحصول الفضيلة بسبب ذلك .

ولعل الداعية بذلك يكون قدوة لغيره من المدعوين .

٨ ـ سير الدعاة :

منهج هذه المادة يشبه منهج سيرة الرسول ـ ﷺ ـ لأنها اقتبست من حياة المصطفى ـ ﷺ ـ الشيء الكثير ، فكان الدعاة يفيدون به في حياتهم الدعوية ، لذلك فإن كثيراً مما يستفاد من دراسة سيرة الرسول ﷺ قد يستفاد على ضوئها من دراسة سير الدعاة من بعده ، وأهم تلك الفوائد ما يلي :

---

(١) سورة هود ، الآية ١٢٠ .

أ ـ دراسة سير الدعاة تعرف بالأساليب والمناهج التي سار عليها الدعاة والاقتداء بهم فيما يصلح لعصر الداعية .

ب ـ الوقوف على بعض المشاكل التي واجهوها في البلدان التي قاموا بالدعوة فيها ، والتعرف على كيفية معالجتها وصبرهم عليها .

ج ـ من خلال سير الدعاة توجد أحكام فقهية استجدت في ذلك العصر مما يعطي الداعية فوائد يمكن أن يستفيد منها في دعوته[1] .

د ـ تشحذ همة الدعاة ، وتقنعهم بأن هذه الصفات التي يقرأونها في القرآن والسنة مما يمكن تطبيقه في هذه الحياة .

٩ ـ الحسبة :

(والهدف من هذه المادة بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للداعية ، والرد على الشبهات التي تثار حول وجود أو جدوى الحسبة ، كما تبين شروط المحتسب وآدابه ، وشروط المحتسب عليه والمحتسب فيه ، ودرجات الاحتساب التي تكون المرأة الداعية على علم ومعرفة بها عند مزاولتها العمل الدعوي في منزلها وبين بنات جنسها)[2] .

١٠ ـ التربية في الإسلام :

التربية في الإسلام جانب من جوانب الدعوة إلى الله يدرس منهج القرآن والسنة في التربية مستعرضاً كافة الوسائل والأساليب التربوية التي وردت في هذين المصدرين مبينة ما كان عليه الرسول ﷺ من خصائص تربوية ربّى عليها أصحابه رجالاً ونساءً شيباً وشباباً وأطفالاً .

---

(١) د . محمد زين الهادي ، و د . زيد الزيد في جلسة علمية ، يوم ١٤٠٧/١٠/٢٥هـ .

(٢) د . فضل إلـهي في جلسة علمية ، يوم ١٤٠٧/١٠/٢٨هـ .

كما تتناول كافة الوسائل والأساليب التربوية في تاريخ الأمة الإسلامية خلال العصور .

ثانياً : العلوم المساعدة :

١ ـ اللغة[١] العربية وآدابها :

أكرم الله سبحانه وتعالى العرب بنزول القرآن بلغتهم[٢] ، ولذلك تأتي أهمية اللغة العربية ، وبالتالي وجب على المسلمين كافة تعلم ما يكفي منها لإقامة عباداتهم المفروضة على أقل تقدير . كما يحسن لكل من يتولى الدعوة إلى الله معرفة هذه اللغة .

وتأتي أهمية اللغة العربية للداعية ، من حيث إنه المبلغ عن الله سبحانه وتعالى ، والمبلغ عن رسوله محمد ـ ﷺ ـ ، كما أنه ناقل لكلام الله وكلام رسوله ـ ﷺ ـ اللذين جاءا بلغة العرب ، فلابد إذاً من نقلهما إلى المدعوين كما هما ، لأن تخلي الداعية عن استخدام اللغة العربية الفصحى يسبب دخول اللحن في آيات القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى ـ ﷺ ـ فيصرف معانيها عما جاءت به إلى غير مرادها ، ومن الأمثلة على ذلك : قول الله عز وجل : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[٣] ، فلو أن كلمة ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ بفتح التاء قرئت بالضم (أنعمتُ) لتغير المعنى تغيراً جذرياً حيث إن الآية بهذا المعنى تجعل العبد القارىء لها هو صاحب الإنعام على المسلمين ، بينما صاحب الإنعام هو الله سبحانه وتعالى . وقوله

---

(١) اللغة : اللسن ، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . انظر لسان العرب المحيط ، مادة لغا .

(٢) ونزول القرآن الكريم بلغة العرب ، يضمن بقاء هذه اللغة ما بقي القرآن الكريم ، ولذا فهي محفوظة من الزيادة ، أو النقصان ، أو التحريف ، والتبديل وستكون أطول عمراً من غيرها .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٧ .

سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1] فلو أن لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ دخلت عليه الضمة في آخر حروفه فسيقرأ لفظ الجلالة هكذا (اللَّهُ) ، وبهذا يتغير المعنى ، وينصرف عن المراد به ، ويصبح لفظ الجلالة فاعلاً للخشية تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

وقد يقود التحريف في القرآن إلى القول على الله بغير حق كما في قوله سبحانه : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[2] ، فلو أن كلمة ﴿ رَسُولُهُۥ ﴾ قرئت بكسر (لام رسول) لتغير المعنى ، ولأصبح مفهوماً براءة الله من المشركين ومن رسوله ، ومعاذ الله أن يبرأ من رسوله ، وحاشا لرسوله أن يبرأ منه الله .

وإذا كان الاختلاف في الإعراب خطيراً لهذه الدرجة فإن الأدب العربي بشعره ونثره وأمثاله وحكمه ووصاياه مهم للداعية المتحدث إلى الناطقين بالعربية ، يعذب به لسانه ويجود به أسلوبه عندما يعبر عن شيء يريد إيصاله إلى المدعوين وقد صح في الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر حكما »[3] .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يستمتع لسماع الشعر القوي الفصيح البليغ من أمثال شعر حسان بن ثابت ، وشعر كعب بن مالك ، وشعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، بل إنه ـ ﷺ ـ كان يحث على هجاء المشركين شعرا ، كما حث حسان بن ثابت بقوله : « اهج المشركين فإن جبريل معك »[4] وذلك عندما هجا المشركون رسول الله ـ ﷺ ـ .

---

(١) سورة فاطر ، جزء من الآية ٢٨ .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية ٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ج١ ، ص٣٠٣ ، وقال عنه الألباني : صحيح . (صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٢ ، ص٢٤٥ ، رقم الحديث ٢٢١١ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ج٤ ، ص٢٨٦ ، قال عنه الألباني : صحيح . (صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٢ ، ص٣٣٩ ، رقم الحديث ٢٥١٩ .

وليست الفصحاحة والبلاغة والبيان مطلوبة فقط من الرجال دون النساء ، أو أن الحاجة إلى توفرها تقل عندهن ، بل إن توفرها مطلوب في الجنسين كي يستفيد كل منهما بالدعوة ويفيد ، كما كانت عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها من قوة بيان وفصاحة لسان شهد لها بذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، حين قال : (والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة ، ليس رسول الله ﷺ)[1] .

كما شهد لها الشعبي وعروة وابن عبد البر باهتمامها بالشعر[2] . وكانت رضي الله عنها عالمة باللغة ومفرداتها ، وكانت تكره استعمال غريبها ، وتحث على استعمال كلمات القرآن الكريم[4] ، بل إنها ـ لشدة حسها اللغوي ـ تغضب إذا سمعت أحداً يلحن في كلامه ، ولا تفوت الفرصة بدون تنبيه .

وهذا الحس اللغوي من أهل اللغة يدل على ما للنحو من أهمية لصحة المعنى المراد ، وما للبلاغة والأدب نثراً وشعراً من قوة التأثير في النفس ، وأن العناية بالأدب والتضلع منه والاستفادة منه عند الحاجة أمر لازم للداعية الناجح .

هذا إلى جانب ما تحويه كتب الأدب من حوار وقصص وأخبار وأمثال وحكم

---

(١) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص١٨٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، الطبعة الأولى ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وانظر ما قاله الأحنف بن قيس في مستدرك الحاكم ، ج٤ ، ص١١ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص١٩٧ ، وانظر نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٩ ، ص٢٤٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية ، وعزاه للطبري وحسنه . وانظر بدر الدين الزركشي في كتابه الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة ، ص٥٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، الطبعة الثانية ، وعزاه لابن عبد البر ولم أجده في مصنفاته . والله أعلم .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ، ج٦ ، ص٢١٩ ، حيث اعترضت على من سألها عن العراك فقالت : قولوا ما قال الله : المحيض .

تتضمن قيماً أخلاقية ، وأساليب تربوية يستفيد منها الداعية في اطلاعه الخاص ، وينقلها بأسلوبه في مجال الدعوة .

٢ ـ خصائص الإسلام :

إن أهمية موضوع خصائص الإسلام ، تتمثل في تعريف الداعية بالإسلام ، من حيث الكمال والعموم والشمول ، وأنه الدين الذي رضيه الله سبحانه لعباده ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[(١)] ، وقوله عز وجل : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[(٢)]، وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٣)] ، وكذلك الربانيّة والوسطية وغير ذلك من الخصائص .

فإذا تعرف الداعية على هذه الخصائص تولد عنه الشعور بالاعتزاز بهذا الدين ، خاصة إذا درست هذه الخصائص مقارنة بخصائص الديانات الأخرى ، وما فيها من قصور عن تلبية متطلبات الحياة الدنيا والآخرة ، فإن ذلك مما يدفع الداعية إلى القيام بالدعوة بعزم وتصميم وإخلاص وإيمان .

٣ ـ علم أصول الفقه :

وهو إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية[(٤)] .

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية ٣ .

(٢) سورة سبأ ، جزء من الآية ٢٨ .

(٣) سورة النحل ، جزء من الآية ٨٩ .

(٤) الإمام محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ص٣ ، نشر دار الباز ، مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

وهذا العلم مهم للداعية كي يعرف الأدلة المتفق عليها عند المسلمين في كافة مصادر التشريع وهي الكتاب ، والسنة ، والإجماع[1] ، والقياس[2] وغير ذلك من الأدلة المعتبرة .

ثم التعرف على كيفية الاستنباط من الكتاب والسنة ، ومن يجوز له ، ومن يجب عليه ، ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه .

كما أن الداعية بحاجة إلى معرفة الراجح من المرجوح .

٤ ـ دراسة حالة العالم في الماضي والحاضر :

أ ـ التاريخ :

إن دراسة التاريخ استعراض لحياة البشرية ، بما مرت به من أحداث وسير ، وهو مجال خصب لأخذ العبرة والعظة من الغابرين .

وقد وجه القرآن الكريم إلى السير في الأرض والوقوف على مصير الأقوام المكذبين ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[3] .

إن القرآن الكريم في هذا التوجيه الكريم يهدف إلى ربط ماضي البشرية

---

(١) الإجماع في اصطلاح علماء الشريعة (اتفاق مجتهدي الأمة في عصر على أمر ولو كان الأمر فعلاً اتفاقاً كائناً بعد النبي ﷺ) نقلاً عن الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار ، شرح الكوكب المنير ج٢ ، ص٢١١ ، نشر جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد .

(٢) أما القياس فهو : رد فرع إلى أصل بعلة جامعة بينهما . نقلاً عن القاضي أبي يعلى الفراء البغدادي ، العدة في أصول الفقه ، ج١ ، ص١٧٤ ، نشر مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، الطبعة الأولى .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١١ .

بحاضرها ، وحاضرها بماضيها ، فيشير من خلال ذلك كله إلى مستقبلها[1] .

إن حاجة الداعية إلى التاريخ تكمن في الاستفادة من تجارب الماضين ، صالحين وطالحين ، والإحاطة بمصير كل فريق كي يطمئن قلبه من جهة حسن العاقبة للمتقين ، ويحذر الانزلاق مع المكذبين من جهة أخرى ، ويقوم بمسؤولياته مع المدعوين خير قيام في بيان الدروس والعبر والمواعظ من أحداث حياة السابقين ؛ وصدق الحق إذ يقول :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

ب ـ حاضر العالم الإسلامي :

إن دراسة حاضر العالم الإسلامي والواقع الذي يعيشه من كافة النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، بالإضافة إلى دراسة ما يواجهه من اضطهاد وتنصير وحرب إبادة تأكل الرطب واليابس من أهم القضايا التي تهم الداعية في العصر الحاضر ، وعلى الأخص فيما يتعلق بجانب المرأة المعاصرة ، وكيفية مواجهتها لهذه الظروف القاسية ، ودراسة ما يمكن أن تقدمه المرأة لأختها المضطهدة والمشردة التي تكالبت عليها قوى الشر والعدوان من كل جانب كمحاولة إيهامها بدعوى الحرية والحقوق المهضومة والصيحات التي تنادي بخروجها على قيم دينها وتعاليمه السماوية ، وجرها للاختلاط بالرجال في مواقع العمل ، وحثها على التبرج والسفور ، ومطالبتها بتحريم الطلاق وتعدد الزوجات والحرية الشخصية بلا حدود .

وتدرس كل هذه القضايا لأجل وضع الحلول المناسبة لها والمحاولة الجادة في إصلاحها من النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وكل ما يمكن أن

---

(١) انظر الأستاذ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص٨٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

يسهم في نشر الدعوة إلى الله ، وتوسيع رقعة العالم الإسلامي .

جـ - دراسة حاضر العالم أجمع :

إن دراسة حاضر العالم (على نظام الشرائح والنماذج المحددة) تعطي الداعية فرصة التعرف على كافة الأحوال العقائدية والسياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للاطلاع على جوانب الحضارة المادية ، إيجابياتها وسلبياتها للاستفادة من عوامل نجاح الحضارة المادية ، والتحذير من عوامل انحطاطها الإيماني والخلقي ، ومعرفة مكامن الخطر في تلك الحضارات ، ولكي نقوم نحن المسلمين بنقل عقيدة الإسلام وتعاليمه السمحة إلى سكان هذا العالم بأسره حيث مسؤولياتنا الكبيرة في ذلك .

المبحث الثاني : الإعداد النفسي

مدخل : ماهية الأخلاق .

- هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة .
- كيفية إثبات ارتباط الأخلاق بالدين والحاجة إليها .
- منزلة الأخلاق في الإسلام .

الإعداد النفسي للداعية .

مفهومه وأهميته .

أهم متطلباته .

١ ـ الإيمان بالله سبحانه ورسوله ﷺ .

٢ ـ الإخلاص .

٣ ـ التفاؤل .

٤ ـ الجرأة في الحق .

٥ ـ الاعتزاز بالإسلام .

٦ ـ الصبر .

٧ ـ معرفة حال المخاطبين .

أولاً : معرفة حال المخاطبين في العالم الإسلامي .

ثانياً : معرفة حال المخاطبين خارج العالم الإسلامي .

المبحث الثاني : الإعداد النفسي

مدخل :

نظراً لارتباط كل من الإعداد النفسي والاجتماعي بالأخلاق في سلوك الفرد والجماعة ، فإنه من اللازم بيان ماهية الأخلاق ، وهل هي فطرية أم مكتسبة ، مع بيان مكانتها في الإسلام .

ماهية الأخلاق :

الخلق[1] في اللغة السجية والطبع والمروءة والدين والأدب . وفي الاصطلاح نقول : (بأن الأخلاق مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس ، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه)[2] .

هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة ؟

اختلفت آراء الباحثين قديماً وحديثاً في موضوع فطرية الأخلاق أو اكتسابها . وإن الأخذ بأحد الرأيين دون الآخر مجانب للصواب ، لأن في الأخلاق ، ما هو فطري ، ومنه ما هو مكتسب بالتهذيب والتوجيه المتمم للجانب الفطري في الإنسان .

يقول الإمام الماوردي رحمه الله : (اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة

(١) مجد الدين الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، فصل الحاء باب القاف مادة خلق .

(٢) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص٧٥ ، مكتبة المنار الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، الطبعة الثالثة .

وأخلاق مرسلة ، لا يستغني محمودها عن التأديب ، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب ، لأن لمحمودها أضداد مقابلة ، يسعدها هوى مطاع ، وشهوة غالبة ، فإن أغفل تأديبها تفويضاً إلى العقل ، أو توكلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع ، أعدمه التفويض درك المجتهدين ، وأعقبه التوكل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلاً ، وفي صورة الجهل داخلاً ، لأن الأدب مكتسب بالتجربة ، أو مستحسن بالعادة)[1] .

ومما يقوله د . جعفر شيخ إدريس : (والإنسان ذو فطرة خيرة وأن الشر أمر طارىء عليه خارج عنه)[2] ، وهذا الرأي موافق لمراد الله سبحانه وتعالى وحكمته من خلق الجن والإنس في قوله سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] ، كما أن هذا الرأي يتوافق مع قوله سبحانه : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[4] ، وقوله سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[5] ، كما أنه يتوافق مع قول الرسول - ﷺ - في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[6] ، يقول الإمام النووي :

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، أدب الدنيا والدين ص٢١٠ ، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، الطبعة الثالثة ، تحقيق مصطفى السقا .

(٢) انظر مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثاني عشر ، سنة ١٣٩٧هـ ، ص٦٧ ، ضمن مقالة بعنوان : التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية .

(٣) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(٤) سورة الروم ، جزء من الآية ٣٠ .

(٥) سورة الشمس ، الآيتان ٧ ، ٨ .

(٦) صحيح الإمام مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص٢٠٤٧ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ .

(وهذا يعني أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام ، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا ، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا ، وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[1] .

وهذا الحديث يؤكد أن للأبوين عمل في تربية الابن والبنت ، وتوجيههما وتزويدهما بالخبرات ، وإكساب المهارات والصفات والأخلاق ، ولا يستطيع الطفل ذلك بدون توجيه ومراقبة من أحد .

كيفية إثبات ارتباط الأخلاق بالدين والحاجة إليها :

إن المتأمل لمقاصد الشرع بأوامره ونواهيه وتقريراته يعرف أنها ترمي إلى طهارة النفس وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2] ، وكما في قوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[3] وفي رواية : « مكارم الأخلاق » .

هذان النصان من الكتاب والسنة كافيان لإثبات ارتباط الأخلاق بالدين ، وأن الأخلاق جزء منه لا يستقيم الدين بدونها ، وما دام أن الأمر كذلك فنحن بحاجة إلى الأخلاق كما نحن بحاجة إلى الدين ، فالأخلاق والدين يسيران في خطين متوازيين ، بل إن الأخلاق من مستلزمات الدين .

وإذا كان الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قد تعرض إلى حاجة الإنسان للشريعة ، وجعل مطلبها أهم من مطلب الطب للأبدان ، فإن حاجة الإنسان

---

(١) الإمام النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم ، المجلد ٨ ، ج١٦ ، ص٢٠٨ .

(٢) سورة العصر .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص٣٨١ ، قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٢٣٤٥) ، كما أورده الألباني في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج١ ، ص٧٥ رقم الحديث ٤٥) .

للأخلاق الحسنة كذلك .

يقول الإمام ابن القيم في عرضه لحاجة البشرية للشريعة : (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب) ، ثم يبين بعد قليل أن كثيراً من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم ، (وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية فمبناها على الوحي المحض)[1] ، كما يبين رحمه الله أن الحاجة إلى الشريعة أهم من الحاجة إلى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب وعلل ذلك بقوله : (لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبد)[2] .

منزلة الأخلاق في الإسلام :

الأخلاق الحسنة سمة مهمة في حياة الإنسان بعامة والمسلم على وجه الخصوص والداعية المسلم على وجه أخص ، كما أن الأخلاق السيئة رذيلة ، وكفى بالأخلاق مكانة في الإسلام تناولها كافة العبادات والمعاملات في الإسلام ، وكفى بها نبلا أن قال فيها رسول الله : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » . وحيث إن الأخلاق تظهر في السلوك والصفات فإن الله سبحانه يحاسب الإنسان بموجبها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ويقول المصطفى - ﷺ - في ذلك : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[3] . وكفى الأخلاق شرفاً في الإسلام أن وردت الإشادة بها في كتاب الله الكريم ، وعلى لسان رسوله ﷺ

---

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، ج٤ ، ص١٩٨٧ ، حديث رقم ٣٤ .

وكفاها منزلة أنها أثقل شيء في ميزان المؤمن ، يقول المصطفى - ﷺ - : « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق »[1] ، ولعل المراد بكون حسن الخلق أثقل في الميزان هو الأفعال والمعاملات التي تنشأ من حسن الخلق مع الأقارب والأجانب[2] .

ولا غرو فإن الأخلاق علامة رقي الأمم وبقائها وصدق أحمد شوقي إذ يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هموْ ذهبت أخلاقهم ذهبوْا[3]

مفهوم الإعداد النفسي للداعية :

هو تهيئته وتكوينه نفسياً ليكون على استعداد للمشاركة الفعلية بعزم وثبات وشجاعة وإقدام في مجال دعوة الأفراد والجماعات متحملاً لكل الصعاب التي تواجهه في هذا الطريق .

أهميته :

الإعداد النفسي للداعية أمر في غاية الأهمية لارتباط وظيفته بالناس ، والناس متنوعو الثقافات والعقائد والأديان ، كما أنهم متنوعو الأهواء والمشتهيات والأغراض والأهداف ، بالإضافة إلى اختلاف نمط الأخلاق من شخص إلى آخر ، وتباين المجتمعات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وتاريخياً .

إن اختلاف هذه الأنماط يتطلب الإعداد النفسي للداعية ليكون قادراً على مواجهة أعباء الدعوة بصبر وثبات وقوة لا تعرف الملل أو التراجع أو الضجر عندما يعرض دعوته على الناس أفراداً وجماعات .

---

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الآداب ، ج٥ ، ص١٥٠ ، حديث رقم ٤٧٩٩ ، صححه الشيخ الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، رقم ٥٥٩٧ .

(٢) خليل أحمد السهارنفوري ، بذل المجهود في حل أبي داود ، ج١٩ ، ص٥٦ .

(٣) أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج١ ، ص٥٨ ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٨٩٨م .

ولكي نعد الداعية ـ رجلاً كان أو امرأة ـ من الناحية النفسية ليكون على استعداد للمواجهة الدعوية ـ فردية كانت أو جماعية ـ فلا بد من توفر بعض الصفات والمطالب النفسية اللازمة لهذا الإعداد ، ومن أهمها ما يلي :

١ ـ الإيمان بالله ورسوله .

٢ ـ الإخلاص .

٣ ـ التفاؤل .

٤ ـ الجرأة في الحق .

٥ ـ الاعتزاز بالإسلام .

٦ ـ الصبر .

٧ ـ معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم داخل العالم الإسلامي .

٨ ـ معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم خارج العالم الإسلامي .

وهذه الشروط يتفق فيها الدعاة رجالاً ونساء ، يضاف إليها شرط خاص بالنساء يتلاءم مع الظروف والأحوال الخاصة بالنساء من حيث اختصاصهن بالحمل والولادة والحيض والنفاس مما يجعلهن يتركن الصلاة لمدة الحيض والنفاس ، ويؤخرن الصوم والطواف بالبيت في هذه المدة ، كما أنهن يتعرضن لعدة الطلاق أو الوفاة ، كما يتعرضن لفرض الحجاب ، وكل هذه الأحوال مما يزيد من تحملهن مسؤولية خاصة في تبليغ ما يتعلق بالأحكام الشرعية لمثل هذه الأحوال حيث إنهن قد يكن أقدر من الرجال على تبليغها وبيانها لبنات جنسهن ، ومن هذه الحيثية فلابد من التهيؤ النفسي لهذه الظروف .

١ ـ الإيمان بالله ورسوله :

إن الإيمان بالله ورسوله وبما جاء من عند الله وعلى لسان رسوله ـ ﷺ ـ أهم العوامل والمقومات النفسية التي تدفع الإنسان للدعوة إلى الإسلام والتضحية في سبيله بكل ما يستطيع من بذل النفس والمال ، وبذل الجهد والوقت من أجله ،

واحتساب ذلك عند الله عز وجل من غير تردد عن ذلك أو تراجع ، وإذا عدم الإنسان هذا العامل لم يكن مسلماً وبالتالي فلا يستطيع الإسهام في هذا المجال ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

ولو لم يكن هذا العامل موجوداً في نفوس صحابة رسول الله - ﷺ - والتابعين لهم ومن بعدهم من رجال الدعوة إلى الله لم يستطيعوا تقديم شيء مما قدموه من تضحيات في سبيل الله حيث ضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإعلاء كلمة التوحيد ، ورفع راية العقيدة ، والذود عنها ، ونشرها في الأقاليم بالجهاد في سبيل الله .

وإن الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان بموعوده في الدنيا والآخرة يصنع الأعاجيب .

إن الإيمان بالله هو الذي دفع أبا بكر رضي الله عنه أن يصدق الرسول - ﷺ - بخبر الإسراء[1] ، وهذا الإيمان دعا بلالاً - رضي الله عنه - للصبر على حر الرمضاء وقت الظهيرة ، والصبر على ثقل الحجر وهو يقول : أحد أحد[2] ، وهذا الإيمان هو الذي دعا أسرة آل ياسر للصبر على الشدة والعذاب والنكال ، ويمر بهم النبي - ﷺ - وهم يعذبون فيقول مواسياً : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة »[3] ، فصبرت هذه الأسرة على هذا التعذيب ومات ياسر بسببه ، وطعن أبو جهل لعنه الله سمية في قلبها فماتت .

والإيمان بالله سبحانه وبرسوله ﷺ هو الذي دفع المرأة المسلمة إلى الهجرة في سبيل الله وترك الزوج والأهل والأولاد لا من أجل كره زوج أو عشيرة ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ج٥ ، ص١٣ ، تحقيق البنا وعاشور وغنيم .

(٢) انظر الإصابة ، ج١ ، ص١٧٩ .

(٣) مستدرك الحاكم ، ج٣ ، ص٣٨٨ ، على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[1] .

إن هذه الصفوة من المؤمنين والمؤمنات آمنوا بالله رباً واحداً لا شريك له ، وبالإسلام ديناً لا دين سواه ، وبمحمد - ﷺ - رسولاً خاتماً لا نبي بعده ، كما آمنوا بأن القرآن الكريم كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل حكيم حميد ، كما آمنوا بما صح عن رسول الله - ﷺ - من أحاديث شريفة قال عنها الرسول المصطفى - ﷺ - : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أبداً كتاب الله وسنة نبيه »[2] . وقال عنها ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه »[3] ، كما كان من مقتضى ذلك الإيمان أن يؤمن بأن الآجال بيد الله ، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[4]، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على ن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة الممتحنة ، آية ١٠ . وانظر شاهد القصة عند ابن كثير أثناء تفسير هذه الآية .

(٢) موطأ الإمام مالك ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ج٢ ، ص٨٩٩ ، رقم الحديث ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، قال عنه الألباني : صحيح : (صحيح الجامع) ج٣ ، ص٣٩ ، رقم الحديث ٢٩٣٤ .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ج٥ ، ص١٠ ، رقم الحديث ٤٦٠٤ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ٣٤ .

(٥) سورة التوبة ، آية ٥١ .

كما أن من مقتضى الإيمان ، أن الأرزاق بيد الله لا يمكن أن يمنع أحد رزق أحد إلا بإرادة الله ، ولا يمكن أن يرزق أحد أحداً ، إلا بمشيئة الله ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[1] .

ومن مقتضيات الإيمان الاعتقاد بأن الله عز وجل يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾[2] .

إن الإيمان بهذه الصورة ، هو الذي يعد الداعية لعمله ، ويجعله قوياً شجاعاً لا وجلاً ولا هيابا واثقاً بربه متكلاً عليه لا يخاف في الله لومة لائم .

الإخلاص لله[3] :

الإخلاص خلق نفسي كريم ، يحتاج إليه المسلم في عبادته ، وطالب العلم في عمله ، والداعية في دعوته ، وكل صاحب عمل شريف ، ومقتضى الإخلاص ، التجرد التام في العمل من المصالح الشخصية ، المرتبطة بالخلق وعدم إعلانه للناس إلا ما فيه مصلحة ظاهرة والتوجه إلى الله بالعبادة وعدم صرف منها لغير الله .

وعمل الداعية من أدق الأعمال وأكثرها حساسية لارتباطه بالنية وهي من أعمال القلوب . ولذلك فلابد أن يعد الداعية نفسه من هذه الناحية إعداداً قوياً ، فلا

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٣٠ .

(٢) سورة المجادلة ، آية ٧ .

(٣) ومعلوم أن الإخلاص لا يكفي وحده في العمل ، بل يلزم أمر آخر وهو أن يكون العمل صواباً وفق ما جاءت به نصوص الشرع .

يقدم على عمله الدعوي إلا بعد تمحيص النية وتخليصها من الشوائب التي تعكرها ، وتكدر صفوها .

فإذا عرف الداعية من نفسه الإخلاص لله عز وجل في أقواله وأفعاله ، فإنه بعد ذلك لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا تقف في طريقه معوقات الطريق وبذلك يصبح الإخلاص من أهم المقومات النفسية في عمله الدعوي قولاً وفعلاً .

ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله من أشرف العبادات التي يؤديها المسلم طاعة لله وابتغاء مرضاته ، وهذا أسمى هدف يسعى إليه المسلم .

وإذا كان هذا هو الهدف الذي يسعى إليه المسلم والداعية بالذات فعليه أن يحذر الوقوع في مزالق هذا العمل التي تؤدي إلى إحباط سعيه وهبوط عمله ، ومن أخطرها على الداعية الصفتان التاليتان :

١ ـ الرياء : وهو أن يعمل العمل ليراه الناس .

٢ ـ السمعة : وهو أن يعمل ليسمع الناس عنه .

والله عز وجل قد أمر عباده بالإخلاص في العبادة بالنص ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[1] .

وأمر سبحانه كذلك بالإخلاص بالنهي عن ضده ، فقال عز من قائل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾[2] .

وقد بين الرسول ـ ﷺ ـ الفرق في النية ، وتفضيل الإخلاص فيها لله عز وجل على من صرفها لأجل غرض دنيوي في قوله في الحديث المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الأعمال بالنية ولكل امرىء

---

(١) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .

ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[1] .

٣ ـ التفاؤل وحسن الظن بالله :

التفاؤل وحسن الظن بالله شعور في النفس يبعث الاطمئنان والثقة والأمل في المستقبل مما يدفع الإنسان إلى المضي قدماً في تنفيذ خططه بشجاعة نفسية دون خوف أو خور أو وهن أو قنوط أو يأس[2] .

والتفاؤل صفة حسنة في النفس مطلوبة لكل إنسان في مسار حياته الطويل ، والداعية إلى الله أولى الناس وأحراهم بالتحلي بهذه الصفة الحميدة والشعور بها ، لأنه بحكم ارتباط عمله الدعوي مع الناس يتعرض للنقد والعيب والرفض ، وقد لا يتحمل مثل هذه المواجهات فهو بحاجة إلى زرع التفاؤل في نفسه ، والأمل القوي في الإصلاح والصلاح ، فلا يدفعه موقف الرفض والنقد من مخالفيه إلى التوقف في مساره الدعوي ، بل يكون على ثقة واطمئنان واعتزاز بالله عز وجل وإيمان بعونه جل وعلا .

ولأهمية التفاؤل في النفس الإنسانية فقد جاء الأمر بالنهي عن ضده في كتاب الله عز وجل العليم الخبير بنفوس عباده فقال عز من قائل في معرض حديثه عن معركة أحد مخاطباً عباده المؤمنين باعثاً في نفوسهم الأمل والثقة بالله سبحانه ومبشراً لهم بأنهم الأعلون وإن أصيبوا بما أصيبوا به من الجراح والقتل : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ، ج١ ، ص١٣٥ ، رقم ٥٤ ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب قوله ـ ﷺ ـ إنما الأعمال بالنية ، ج٣ ، ص١٥١٥ ، رقم الحديث ١٥٥ .

(٢) انظر لسان العرب المحيط ، مادة فأل ، وقنط ويأس .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ . وانظر الطبري ، تفسير ج٧ ، ص٢٣٤ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

والله عز وجل حينما نهى عباده المؤمنين عن الشعور بالضعف والإحساس بالحزن ، وعندما يسوق لهم البشرى بعلو مكانتهم على أعدائهم ، إنما يعزي عباده المؤمنين ويواسيهم وكفى بها تعزية ، وكفى بها مواساة من الله العليم الخبير تحث على الاطمئنان والثقة ، وتحث على السعي والسير في خط الدعوة بلا تراخ أو كسل أو فتور .

ويثني الله عز وجل في تعزيته ومواساته للمؤمنين ، ويخبرهم بأنهم إذا صبروا فليسوا أول من صبر بل إن كثيراً من أتباع الأنبياء السابقين صبروا على ما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما شعروا بالذلة والمسكنة ، قال تعالى حاكياً عنهم ذلك : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] .

ولم يقتصر الأمر في كتاب الله تعالى على تعزية المؤمنين ومواساتهم وبيان فضيلة الصبر ، والتفاؤل وعدم الوهن والحزن والجزع لمن أراد أن يتمسك بهما أو يترك ، بل إن الله ذم اليائسين والقانطين ، وندد بهم وقبح فعلهم مبيناً تذبذب تصرفهم بين السراء والضراء حيث يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك :﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2] .

بل إن الأمر قد بلغ منتهاه عندما حكم القرآن الكريم بالكفر على من وصل به الأمر إلى اليأس من روح الله ورحمته ، فقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة يوسف ، جزء من الآية ٨٧ .

وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1] .

ولهذا نقول بأن التفاؤل أمر مطلوب لكل مسلم وخاصة للداعية الذي يحتاج إليه في كل لحظة من لحظات عمله الدعوي ، لأنه لو تسرب اليأس والقنوط إلى نفسه لتوقف عن العمل في تبليغ الدعوة للناس وهم في أمس الحاجة إلى أمثاله .

٤ ـ الجرأة في الحق :

الجرأة هي الإقدام على القول ، أو العمل ، في شجاعة نفسية مستمدة في أصلها من الإيمان بالله ـ سبحانه ـ وبرسوله ـ ﷺ ـ والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ، وهي من المسؤولية التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية . وهي تعتمد على الثقة بالنفس بما لديها من معلومات وثقافة وتربية ، فكل هذه العناصر سبب في حصول الشجاعة النفسية مبعث الجرأة في نفس الإنسان ودافعه على قول الحق الذي لا يخشى فيه لومة لائم .

والجرأة في الحق فضيلة نفسية عظيمة لا يؤتاها كل أحد ، ولعظم فضلها عدت من أعظم الأعمال وأفضل الجهاد ، فقد قال الرسول ـ ﷺ ـ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[2] ، ومن المعلوم أن الجرأة في الحق تدفع المتصف بها إلى قول الحق دون خوف أو وجل ، وقال أيضاً : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »[3] .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٥٦ .

(٢) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، ج٤ ، ص٥١٤ ، رقم الحديث ٤٣٤٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ج١ ، ص٣٦١ ، رقم الحديث ١١١١ .

(٣) مستدرك الحاكم كتاب معرفة الصحابة : شهادة حمزة رضي الله عنه ، ج٣ ، ص١٩٥ ، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وقال : صحيح . وحسنه الألباني في الجامع ، ج٣ ، ص٢١٩ ، رقم الحديث ٣٥٦٩ .

ولأهمية الشجاعة النفسية في الحق فقد بايع الرسول ﷺ أصحابه الكرام على أشياء كان من ضمنها البيعة على الشجاعة النفسية .

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[1] .

وقد امتدح الله سبحانه أنبياءه بأنهم يولون رسالات الله عنايتهم بتبليغها للناس بالجرأة والشجاعة النفسية ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله ، يخافونه ولا يخافون أحداً سواه سبحانه ، ومن المعلوم بالضرورة أن أتباعهم يدخلون ضمن من يثني عليهم الله إذا بلغوا دعوة الله ، قال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[2] .

وإن تاريخ دعاة الإسلام مليء بسير رجال ونساء[3] رفعوا لواء الحق بالجرأة المطلوبة . وللجرأة في الحق شروط نذكر منها :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، ج٣ ، ص١٤٧٠ ، رقم الحديث ١٧٠٩ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٩ .

(٣) مثال ذلك في الرجال أبو بكر رضي الله عنه فعن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال : رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر فدفعه عنه فقال ما قاله الله سبحانه على لسان مؤمن آل فرعون : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينٰت من ربكم ﴾ . صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا ، ج٧ ، ص٢٢ ، رقم الحديث ٣٦٧٨ . والآية في سورة فاطر رقم ٢٨ ، ومثال ذلك في النساء فاطمة بنت الخطاب في مناسبة إسلام أخيها عمر، عندما لطمها عاتباً عليها إسلامها ، قالت بكل شجاعة نفسية وجرأة : (نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك) . سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص٣٦٩ ، تحقيق السقا والأبياري وشلبي .

١ ـ الإخلاص لله عز وجل وذلك بأن يقصد بقوله أو فعله وجه الله سبحانه لا الرياء والسمعة في ثناء الناس عليه .

٢ ـ أن يكون الداعي عالماً بحكم ما يقول .

٣ ـ أن يكون متزناً في قوله أو فعله فلا يتسرع أو يتهور .

٤ ـ أن يكون الغرض من الدعوة إحقاق حق وإبطال باطل .

٥ ـ أن يستخدم في ذلك أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ومن ذلك تجنب ما يعتقد أن فيه إثارة للمدعو أو عدم قبوله .

٦ ـ أن ينزل الناس منازلهم .

٧ ـ أن يختار الأسلوب الأنفع حسب اجتهاده لاستمالة قلب المدعو .

٥ ـ الاعتزاز بالإسلام :

لقد قرر الله عز وجل في كتابه العزيز عزة المؤمنين على أعدائهم إبرازا لمكانتهم العظيمة عند الله ، وتطميناً لنفوسهم وتثبيتاً لهم ،فقال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ذلك : (ويضم الله ـ سبحانه ـ رسوله والمؤمنين إلى جانبه ، ويضفي عليهم من عزته ، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله) . إلى أن قال : (وصدق الله فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن ، العزة المستمدة من عزته تعالى ، العزة التي لا تهون ولا تهن ، ولا تنحني ولا تلين ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان ، فإذا استقر الإيمان ورسخ ، فالعزة معه مستقرة راسخة)[2] .

---

(١) سورة المنافقون ، جزء من الآية ٨ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٨ ، ص١١٥ .

ولذلك فإن من ثمار الإيمان الاعتزاز بالإسلام ، ومن دلالاته شعور المؤمن بالقوة والمنعة والشجاعة النفسية ، والثبات على الإسلام ، وإظهاره في مواطن الجاهلية ، والدعوة إليه ، والذود عنه بالسنان واللسان والكتابة نثراً وشعراً .

ومن أمثلة الاعتزاز بالإسلام موقف أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - من أهل الردة ، حيث قال بقوة المؤمن المعتز بإيمانه : (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه)[1] .

وكما كان عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قال : (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[2] .

وكما كان من ربعي بن عامر عندما ذهب إلى رستم بأمر سعد بن أبي وقاص في مقدمة معركة القادسية ، فدخل مجلس رستم المزين بالحرير وأجمل الفرش واللآلىء الثمينة وداس عليها بفرسه ورمحه ، فقال له رجال رستم ضع سلاحك ، فقال لهم : إني لم آتِكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال له رستم : ما جاء بكم؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[3] .

وإن من أمثلة الاعتزاز بالإسلام المتمثل بافتدائه بالأبناء ما قدمته الخنساء الشاعرة المشهورة في ثنائها على الله عز وجل عندما استشهد أربعة من أبنائها في

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج١٣ ، ص٢٥٠ ، رقم الحديث ٧٢٨٤ ، ٧٢٨٥ .

(٢) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب الإيمان ، باب قصة خروج عمر إلى الشام ، ج١ ، ص٦٢ . ووافقه الذهبي .

(٣) انظر الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٣٩ ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، الطبعة الرابعة .

معركة القادسية حيث قالت : (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)[1] .

ومن أمثلة الاعتزاز بالإسلام ما يقوم به شباب المسلمين المبتعثون للدراسة في بلاد الكفر من الثبات على عقيدتهم والدعوة إلى الإسلام .

ومن أمثلة الاعتزاز بالإسلام الذود عنه باللسان والكتابة نثراً وشعراً ، فأما النثر فيمثله أسلوب ابن تيمية ، وابن القيم ، وكذا الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ في كتاباته في ظلال القرآن ، أو معالم في الطريق ، أو خصائص التصور الإسلامي ومقوماته .

كما أن أسلوب الأستاذ حسن البنا ، وعبد القادر عودة ، وأبي الأعلى المودودي ، وأبي الحسن الندوي وغيرهم كثير يظهر فيه الاعتزاز بالإسلام واضحاً ؛ ومن أراد معرفة ذلك فما عليه إلا الرجوع إلى كتاباتهم وهي مشهورة .

وأما الشعر فقد تحدث عن الإسلام من باب الاعتزاز به ، سواء كان الحديث عن العقيدة الإسلامية ، أو القرآن الكريم ، أو شخص الرسول ﷺ ونجد شعر حسان بن ثابت شاعر الرسول ـ ﷺ ـ يأتي في مقدمة ما قيل في موضوع الاعتزاز بالإسلام عقيدة وقرآناً ورسولاً .

ومن قوله في العقيدة :

وقد وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد[2]
مستحكم من حبال الله ممدود ... مستعصمين بحبل غير منجذم[3]
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير محدود

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٧ ، ص٦١٦ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ص٤٨ ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م .
والتصريد هو الشرب دون الري ، انظر لسان العرب المحيط مادة صرد .

(٣) ضعيف وهزيل ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة جذم .

وقال أيضاً :

وأنت إلٰـه الخلق ربي وخـالقي ... بذلك ما عمرت في الناس أشهد[1]
تعاليت رب الناس عن قول من دعا ... سـواك إلٰهـاً أنت أعـلى وأمجـد
لك الخلق والنعماء والأمـر كله ... فـإيـاك نستهـدي وإيـاك نعبـد
لأن ثـواب الله كـل مـوحـد ... جنـان من الفردوس فيهـا يخلد

ومن قوله في القرآن الكريم :

تفـاقـد معشر نصروا قـريشـا ... ولـيس لهم ببـلدتهـم نـصـير[2]
هم أوتـوا الكتـاب فضيعـوه ... فهم عمي من التـوراة بـور
كفـرتم بـالقـرآن وقـد أتيتم ... بتصـديق الـذي قـال النـذيـر

ومن قوله في اعتزازه بالرسول ﷺ وثنائه عليه :

أغـر عـليـه لـلنبـوة خـاتـم ... من الله مشهود يلوح ويشهد[3]
وضم الإلٰه اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق لـه من اسمـه ليـجله ... فذو العرش محمود وهذا محمـد
نبي أتـانـا بعـد يـأس وفـترة ... من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فـأمسىٰ سراجا مستنيرا وهـاديـا ... يلوح كـما لاح الصقيـل المهنـد
وأنـذرنـا نـارا وبشر جـنـة ... وعلمنـا الإسـلام فـالله نحمـد

ومن الأمثلة كذلك قول نهار بن توسعه أحد شعراء العصر الأموي فهو يقول معتزاً بالإسلام عامة :

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ص٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص١١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص٤٧ .

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم[1]
دعي القوم ينصر مدعيه فيلحقه بذي الحسب الصميم
وما كرم ولو شرفت جدود ولكن التقي هو الكريم

وقال أبو الحسن الميرغناني من شعراء العصر العباسي الثالث :

إذا ما أناس فاخرونا بمالهم فإني بميراث النبيين فاخر[2]
ألم تر أن العلم يذكر أهله بكل جميل فيه والعظم ناخر
سقى الله أجداثاً أجنت معاشرا لهم أبحر من كل علم زواخر

٦ ـ الصبر :

الصبر قوة نفسية إيجابية تدفع المتصف بها إلى مقاومة كل أسباب الضعف والذلة والخور والاستسلام ، كما تدفعه إلى الثبات بقوة أمام المصائب والفتن والمغريات ، ولذلك نقول بأن الصبر ضروري للداعية ، يتسلح به ، ويتصف في محاور ثلاثة هي : الصبر على طاعة الله ، والدعوة إليه ، والصبر عن محارم الله ، والصبر على أقدار الله المؤلمة ، وكل هذه المحاور الثلاثة لها ارتباط وثيق بوظيفة الدعوة إلى الله عز وجل لأنها تجعل الداعية القدوة الحسنة أمام الناس .

وسنقصر الحديث على ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص تأمر بالصبر في مجال الدعوة وتحث عليه ، وسنتناول بعض هذه النصوصبالعرض والتحليل في هذين المصدرين مع إيراد نماذج من تضحيات الصحابة في صبرهم على العذاب في سبيل الله .

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١ ، ص٥٣٧ ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م ، الطبعة الثانية ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

(٢) علي بن الحسن الباخرزي ، دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ج١ ، ص٦٧٠ ، نشر وتحقيق د . محمد التونجي ، سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

أولاً : ما ورد في القرآن الكريم :

لقد وردت كلمة الصبر ومشتقاتها في حدود مائة وخمس آيات تناولت جميع محاور الصبر وأنواعه مما يدل على أهمية هذه الصفة الحميدة .

يقول الله عز وجل على لسان عبده لقمان الحكيم في وصيته لابنه وهو يعظه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة أمر صريح واضح على الصبر في الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث إن القائم بهذه الوظيفة يعرض نفسه للأذى في كل زمان ومكان في الغالب .

والله سبحانه يبين لرسوله محمد ﷺ ما كان عليه الرسل السابقون من التمسك بالصبر على الأذى في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله عز وجل ، كما يأمره بالصبر في ذلك كما صبروا ، وينهاه عن الاستعجال في النتائج .

فيقول الحق تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2] .

والله سبحانه وتعالى يواسي رسوله محمداً ﷺ على ما لاقى من تكذيب قومه ببيان صبر الرسل السابقين على تكذيب قومهم لهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة لقمان ، الآية ١٧ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية ٣٥ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٣٤ .

وتتأكد هذه المواساة للنبي ﷺ في بيان مهمته الدعوية التي تقتصر على البلاغ فقط ، وبيان الحق للناس ليتبعوه ، وبيان الباطل ليجتنبوه ، فمن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها ، ثم يبين الله له وجوب اتباع الوحي ، والصبر على هذا المنهج إلى أن يأتي حكم الله الفصل بين العباد .

قال الله تعالى في ذلك : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[2]

فإذا كانت مهمة الرسل مقتصرة على البيان والبلاغ دون الهداية القلبية كما قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3] .

فإن مهمة أتباعهم لا تخرج عن هذا الإطار وما عليهم إلا الصبر عند قيامهم بالدعوة إلى الله .

ثانياً : وأما ما ورد في السنة من الأمر بالصبر والحث عليه فمنه ما رواه خباب بن الأرت قال : (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا؟ فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة يونس ، الآيتان ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) سورة النحل ، جزء من الآية ٣٥ والآية ٣٦ .

نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ، من دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »[1] .

ولما فهم صحابة رسول الله ﷺ أهمية الصبر وقيمته من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعرفوا أهمية الصبر في إعداد المؤمن الداعية الصادق فقد هيأوا نفوسهم وأعدوها لتحمل المتاعب في سبيل الله ، وانطلقوا في ميادين الدعوة إلى الله غير مكترثين بما يعترضهم من عقبات ومصائب وأهوال .

ولقد شهد تاريخ أمة الإسلام أمثلة من هذه التضحيات في سبيل العقيدة لا تقع تحت حصر ، فبذل المسلمون دماءهم وأرواحهم وأموالهم وأبناءهم رخيصة في سبيل مرضاة الله عز وجل والدعوة إليه ، وحسبنا أن نورد نماذج فريدة من هذه التضحيات .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ج١٢ ، ص٣١٥ ، رقم الحديث ٦٩٤٣ .

أمثلة من تضحيات الصحابة في مجال الصبر
على العذاب في سبيل الله

لقد تعرض أصحاب رسول الله ﷺ لصنوف العذاب والقتل والهوان ، فهان عليهم ذلك وصبروا عليه ابتغاء وجه الله ، ومن هؤلاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وزوجته فاطمة بنت الخطاب وياسر وسمية وابنهما عمار وزينب بنت رسول الله ﷺ وأم سلمة زوج رسول الله ﷺ وعثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ وغير هؤلاء كثير .

فأما سعيد بن زيد فهو يحدثنا بنفسه رضي الله عنه فهو يقول : (لقد رأيتني وعمر موثقي على الإسلام)[1] .

وفي هذا الأثر شاهد على تحمل سعيد بن زيد الهوان واختياره له على الكفر ؛ كما أن زوجته فاطمة بنت الخطاب صبرت على إذلال أخيها عمر رضي الله عنه قبل أن يسلم .

وأما قضية العذاب الذي واجهه آل ياسر وصبرهم عليه فقد سبق ذكره في مبحث الإيمان بالله عز وجل ما يغني عن الإعادة[2] .

أما زينب بنت رسول الله ﷺ فقد روعت زمن هجرتها إلى أبيها ﷺ وصبرت على ذلك محتسبة[3] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، ج١٢ ، ص٣١٥ ، رقم الحديث ٦٩٤٢ .

(٢) انظر ص١٩٨ من هذه الرسالة .

(٣) انظر سيرة النبي ﷺ ، ابن هشام ج٢ ، ص٣٠٨ وما بعدها تحقيق السقا والأبياري وشلبي .

وفي قصة هجرة عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة ما يثبت صبرهما وتحملهما المشاق الكبيرة في هذه الهجرة ، وترك الأهل والوطن في سبيل الله من أجل أن يأمنوا على دينهم وعقيدتهم حتى يأذن الله بالفرج . كما أن قصة أبي سلمة وزوجه أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة ثم المدينة تمثل الصبر على فراق الأهل والوطن في سبيل الله من أجل البقاء على العقيدة والدين[1] .

٧ ـ معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم :

إن دراسة واقع المخاطبين في العالم بأسره من حيث انحرافه عن المنهج الصحيح ضرورة للداعية المسلم في مجال الإعداد النفسي . وإن البشرية كلها تنقسم من حيث دين الإسلام إلى أمة إجابة وأمة دعوة فمن دخل في الإسلام صار من أمة الإجابة ، له ما لها ، وعليه ما عليها ، وعلى ضوء هذا التقسيم سندرس كل قسم على حدة ، وذلك فيما يتعلق بالانحراف عن المنهج الصحيح للإسلام ، وتعدد واختلاف فرقه التي أخبر عنها المعصوم ﷺ في قوله : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »[2] .

ولهذا الحديث شاهد وفيه زيادة بيان أن هذه الملل الثلاث لا ينجو إلا فرقة واحدة في كل منها .

يقول المصطفى ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين

---

(١) انظر سيرة النبي ﷺ ، ابن هشام ج٢ ، ص١١٢ .

(٢) مستدرك الحاكم ، كتاب العلم ج١ ، ص١٢٨ وقال عنه على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وهذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار »[1] .

أولاً : معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم داخل العالم الإسلامي :

إن واقع العالم الإسلامي يعيش حياة التفرق في الشمل والكلمة والضعف المستكين المزري بأمة الإسلام ؛ وأصبح تابعاً بعد أن كان متبوعاً ، ومقوداً بعد أن كان قائداً ، وإمعة بعد أن كان رائداً ، ومسوداً بعد أن كان سيداً ، ومتخلفاً بعد أن كان متقدماً .

ولا ريب أن السبب الأول في هذا كله يعود إلى البعد عن الدين وتعاليمه تحكيماً وتشريعاً وعملاً ، مما كان له الأثر في إيجاد الأحزاب المختلفة ، والفرق الضالة ، والانتماءات السياسية والطائفية ، أمثال الحزب الشيوعي ، والرأسمالي ، والاشتراكي ، والبعثي ، والعلماني ، والماسوني . أو طوائف الصوفية الضالة ، أو الشيعية ، والبريلوية ، والقاديانية ، والبابية ، والبهائية ، والباطنية ؛ إلى غير ذلك من الفرق وأقسامها ، وما يقل عنها تطرفاً أو انحرافاً ، أو يزيد ناسين أو متناسين نداء الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي يأمرهم باجتماع الشمل واتحاد الكلمة ، فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، ج٢ ، ص١٣٢٢ ، رقم الحديث ٣٩٩٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير ، ج١ ، ص٣٥٧ ، ورقم الحديث ١٠٩٣) . وهذا الخبر عن الصادق ﷺ لا يعني إقراره ، كما أن الحكم على هذه الفرق لا يعني الحكم على أشخاص بعينهم ولذا فإن الدعوة واجبة إلى قيام الساعة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

فالداعية إلى الله مدعو لمعرفة حال هؤلاء قبل أن يدخل معهم في الدعوة حتى يكون على علم سابق بهم ليخطط لكيفية الدخول معهم في الدعوة ، فإن الطبيب لا يمكن أن يعطي الوصفة للمريض حتى يفحص حالته ويشخص مرضه .

ثانياً : معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم خارج العالم الإسلامي :

يطلق على شعوب العالم غير الإسلامي لفظ أمة الدعوة بمقتضى عموم رسالة الإسلام كافة البشرية وعلى مر العصور والأزمان ، وهي بحاجة ماسة لتعاليم الإسلام وقيمه في العقيدة والشريعة والأخلاق ، وهذه الشعوب متعطشة حيرى تبحث عن السعادة ولم تجدها ؛ ولن تجدها إلا في ظلال الإسلام .

إن هذه الشعوب مختلفة المشارب والعقائد والتشريعات ، ومتعددة الملل والنحل الباطلة كما مر معنا في مقدمة هذا المبحث ـ وهم نشيطون متحركون ينشرون هذا الباطل فيما بينهم ، ولهم طرقهم ومناهجهم ووسائلهم وأساليبهم الناجحة في ذلك ولا يدخرون وسعاً ، وهم جادون يُعْمِلون أفكارهم لرسم أنجح الخطط الكفيلة بنشر هذا الباطل .

أما نشاطهم خارج شعوبهم فهم لا يألون جهداً في ذلك ، ويتخذون كافة السبل لنشر دعوتهم في الشعوب الأخرى ، سواء كان من الناحية العسكرية أو الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية ، أو عن طريق مبعوثيهم إلى البلدان الأخرى ، وقطب الرحى في ذلك الغزو الفكري .

ومن نشاطهم ذلك ما يقومون به في البلاد الإسلامية من حرب شعواء على الإسلام والمسلمين اتخذت مسارين أحدهما : نشر عقائدهم في البلاد كما فعل النصارى في أفريقيا وجنوب غرب آسيا ودول الخليج العربي[1] .

---

(١) انظر مجلة (هذه سبيلي) مجلة سنوية متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض ـ سابقاً ـ كلية الدعوة والإعلام حالياً ، العدد السادس ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص١٦٥ .
وانظر مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ـ السعودية ، العدد التاسع ص٢٨٩ .

وثانيهما : محاربة الإسلام بإثارة الشبهة حول مصادر التشريع الإسلامي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع ، واتهام الإسلام بظلم المرأة[1] .

وإذا كان هؤلاء نشيطين في نشر باطلهم فنحن أولى منهم بالنشاط في نشر عقيدتنا لأنها هي الحق الذي يجب علينا ـ نحن المسلمين ـ أن ننقذهم به من عذاب الله بعون من الله وتوفيقه .

وإن مما يجب على الداعية أن يعرفه عن الأمم غير الإسلامية هو معرفة عقلياتهم ، كطريقة تفكيرهم ونظرتهم لغيرهم من الشعوب وبأي ميزان يزنون أنفسهم بالمقارنة بغيرهم ، وبما يفكرون ، وما مدى العلاقة بين معتقداتهم وما توصلوا إليه من مستحدثات الحضارة والتقنية الصناعية ، وكيف ينظرون إلى الدين ، وما طريقة تفسيرهم للظواهر الكونية سواء كان هؤلاء ممن قامت على أيديهم هذه الحضارة المادية أو ممن استفاد بها عن طريق نقلها إلى بلاده ، وسواء كان هذا الفرد من المعسكر الشيوعي أو الرأسمالي أو غيرهما من الأمم الفقيرة والغنية أو الكبيرة والصغيرة باختلاف الملل والنحل ، فإن دراسة الأحوال النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه الأمم من الأهمية بمكان .

وإن هذه المعرفة لأحوال العالم مهمة ، بل ضرورية للداعية لمعرفة حجم المشكلة ومدى اتساعها ، كما تكشف له المواقع الخصبة للدعوة ليستعد نفسياً لتقبل الأمر الواقع لا ليكون سلبياً حيال ذلك وإنما لكي يستعد لوضع الحلول المناسبة ، ويشارك مشاركة فعالة في الدعوة إلى الله عز وجل عقيدة وشريعة ونظاماً لانتشال البشرية من الهاوية ، وإنقاذها على يديه من النار بإذن الله .

وليس أدل على ضرورة هذه المعرفة للداعية من إرشاد النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن فقال له : « إنك تقدم على قوم أهل كتاب

---

(١) انظر مجلة (أضواء الشريعة) ـ تصدرها كلية الشريعة بالرياض ـ العدد الرابع عشر سنة ١٤٠٣هـ ، ص٢٧٩ ، ص٣١٤ ، تحت عنوان : شبهات حول التشريع الإسلامي بقلم محمد نبيل غنايم .

فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله . . . »[1] .

ففي هذا الحديث تعريف لمعاذ رضي الله عنه بحال المخاطبين كي يستعد لهم بما يحتاجون إليه من الأمور الضرورية الأول فالأول ، فمن المعلوم أنه لا يمكن للداعية في مثل هذا المجتمع أن يحشد لهم النصوص من الكتاب والسنة لأنهم بعد لم يؤمنوا بقائلها فكيف يؤمنوا بها .

ولعل من المناسب للداعية في مثل هذا المجتمع أن يطلع على كتبهم التي ينسبونها إلى الأنبياء ـ حسب زعمهم ـ ففيها كثير من الأمور التي يمكن للداعية أن يحتج بها عليهم .

كما أن من الواجب على الدعاة أن يخاطبوا هؤلاء الناس على قدر عقولهم وثقافاتهم بما يساعد على إيصال المعلومات إليهم كما أرشد إلى ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، المطبوع مع فتح الباري ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس من الصدقة ، ج٣ ، ص٣٢٢ ، رقم الحديث ١٤٥٨ .

(٢) صحيح البخاري ، مع الفتح كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، ج١ ، ص٢٢٥ .

المبحث الثالث : الإعداد الاجتماعي

سيتناول هذا المبحث مفهوم الإعداد الاجتماعي وأهميته وموضوعه بشكل عام ، وما يتعلق بالإعداد الاجتماعي للدعوة بشكل خاص .

المطلب الأول : التأسيس الاجتماعي للأسرة (الاختيار في الزواج) .

القسم الأول : الاختيار في القرآن الكريم .

القسم الثاني : الاختيار في السنة المطهرة .

الجزء الأول : اختيار الزوجة .

الجزء الثاني : اختيار الزوج .

المطلب الثاني : التنشئة الاجتماعية .

أ ـ تمهيد : الأسرة والتنشئة الاجتماعية .

ب ـ مفهوم التنشئة الاجتماعية .

ج ـ خصائص التنشئة الاجتماعية وتحليلها .

د ـ محاضن التنشئة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الإعداد الاجتماعي

تمهيد :

وكما عرفنا ما للإعداد النفسي من أهمية عظيمة في نشر الدعوة ، فإن الإعداد الاجتماعي لايقل عن ذلك ، فالعلاقات العامة والخاصة لها أثر كبير في الدعوة إلى الله ، ويتمثل ذلك في إيجاد المناخ الإسلامي في الأسرة الصغيرة والكبيرة ، البيت والمجتمع ، وبناء العلاقات بين أفراده بما يعود عليهم بالخير العام ، والتعرف على كيفية معالجة قضايا الدعوة ، وكيف واجه الدعاة المدعوين ، من خلال العلاقات الاجتماعية ، والتعرف على الصفات والمطالب الاجتماعية ، التي اتصف بها رجال ونساء الرعيل الأول من المسلمين ، مما جعلهم ينجحون بتوفيق من الله ، في نشر عقيدتهم لمحاولة التأسي بهم ، ومن ثم ترويض النفس على تحقيق هذه الصفات والمطالب الاجتماعية التي تعد من أهم القضايا التي ينبغي الإلمام بها والإعداد لها .

مفهوم الإعداد الاجتماعي :

إن الإعداد الاجتماعي للدعوة إلى دين الله : هو تهيئة الجو الملائم في المجتمع للتخلق بأخلاق الإسلام الاجتماعية بعامة ، وأخلاق الدعاة بخاصة ، لأن عمل الدعوة عمل اتصالي بالخاص والعام من الناس على اختلاف مشاربهم وهوياتهم وصفاتهم .

أهميته[1] :

إن الإنسان اجتماعي بطبعه يكون مع بني جنسه لبنات في هيكل البناء

---

(١) انظرد . صلاح مصطفى الفوال ـ علم الاجتماع ـ المفهوم والموضوع والمنهج ص٥٨ ، نشر دار الفكر=

الاجتماعي ، ولا بد من وجهة نظر الإنسان العادي أن يفهم ذلك المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر به ويؤثر فيه ، وإذا قلنا ذلك بالنسبة للإنسان العادي فإن الداعية يأتي في المقدمة من حيث التأثر والتأثير رجلاً كان أو امرأة .

ومن هنا تظهر أهمية الإعداد الاجتماعي للمراة المسلمة الداعية ، حيث أن المطلوب منها بعد أن تتأثر بقيم دينها وتعاليمه من خلال مجتمعها ، أن تعطي لهذا المجتمع ثمرة جهودها وتحصيلها ، سواء كانت أماً أو معلمة أو مربية أو في أي مجال من مجالات حياتها بوجه عام أو كانت داعية بوجه خاص .

ولو أن المرأة التي نعدها للدعوة فقدت هذا الإعداد فإنها ستكون من حيث التأثر والتأثير في هامش المجتمع لا قيمة لها ولا وزن ، وبالتالي فإنها ستفقد حقها في الحياة الاجتماعية في هذا المجال .

وتفسيراً لما عرضناه من تعريف مفهوم الإعداد وبيان أهميته فإننا سنتناول ـ بإذن الله تعالى ـ الحديث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : التأسيس الاجتماعي للأسرة (الاختيار في الزواج) .

المطلب الثاني : التنشئة الاجتماعية .

المطلب الثالث : الصفات الاجتماعية اللازمة .

= العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢م .

المطلب الأول

التأسيس الاجتماعي للأسرة (الاختيار في الزواج)

إن من فطرة الله سبحانه التي فطر الناس عليها أن جعل الزواج من أساسيات الحياة ، وجعل السكن إلى كل من الزوج والزوجة آية من آياته الدالة على وجوده ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

كما أن الله سبحانه قد أعطى للإنسان حق الاختيار في هذا السكن وحث عليه وكذلك جاءت سنة رسوله ﷺ بذلك ، وإن مراد الله عز وجل من اختيار الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها هو بناء البيت المسلم الذي يعبد الله وفق مراد الله سبحانه .

فللرجل حق الاختيار لزوجته وهو مدعو لاختيار الزوجة الصالحة التي تعينه على نفسه ، وتعينه على تربية أولاده وبناته وإعدادهم للدعوة ، وللمراة كذلك حق الاختيار لزوجها ، وهي مدعوة لاختيار الزوج الصالح الذي يعينها على نفسها ، ويعينها على تربية أولادها وبناتها وإعدادهم للدعوة .

وعلى ذلك يمكن تقسيم هذا الموضوع إلى قسمين هما :

القسم الأول : الاختيار في القرآن الكريم .

القسم الثاني : الاختيار في السنة المطهرة .

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢١ .

فأما الاختيار في القرآن الكريم فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

ولقد اشتملت هذه الآية على عدة أمور منها ما يلي :

١ ـ بيان الحكم الشرعي .

٢ ـ ذكر المعايير المرغبة في الزواج .

٣ ـ ترجيح معيار الإيمان في الزواج .

٤ ـ التعليل لهذا الترجيح .

فأما ما يتعلق بالحكم الشرعي فقد بين الله سبحانه وتعالى تحريم الزواج من المشركات ، وتزويج المشركين ، على المسلمين .

وأما ما يتعلق بالمعايير فقد أوضحتها الآية بذكر كلمة واحدة جاءت على صيغة الفعل الماضي ومصدرها الإعجاب . والإعجاب هو ما تتعلق به النفس البشرية فيمن تتوفر فيه عوامل الإعجاب ، وبخاصة إذا كان هذا الإعجاب يؤدي إلى الرغبة في الزواج الذي يعني الرباط الاجتماعي بين شخصين .

وعناصر الإعجاب أو الرغبة الدافعة للزواج متعددة في حياة الناس على اختلاف مشاربهم وشهواتهم ، ومن أهم هذه العناصر المال والجمال والنسب والجاه والدين .

وأما ما يتعلق بترجيح أحد المعايير على غيره ، فإننا نلاحظ أن الآية الكريمة قد ركزت على ترجيح صفة الإيمان في قوله عز وجل : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

وأما ما يتعلق بالتعليل لهذا الترجيح فقد بينته الآية الكريمة ، حيث إن صنف المشركين يدعو إلى النار ، وأن صنف المؤمنين يدعو إلى الجنة والمغفرة .

ومما يفهم من الآية أن الله عز وجل نسب الدعوة إلى النار؛ إلى المشركين أنفسهم تقليلاً من شأن ما يدعون إليه ، ونسب الدعوة إلى الجنة والمغفرة إلى نفسه الكريمة تكريماً لما يدعو إليه وتكريماً كذلك للمؤمنين .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله سبحانه : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ : هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ، ثم إن كان عمومها مراداً ، وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية ، فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله سبحانه : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[1]،قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ : (استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب)[2] ، وهذا الاستثناء لا يعني أن نساء أهل الكتاب أفضل من المؤمنات أو مساويات لهن ولكن الاستثناء جاء للإباحة .

أما قوله تعالى : ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فمعناه كما ذهب إليه ابن جرير الطبري في تفسيره : (يعني تعالى ذكره بذلك وإن أعجبتكم المشركة من غير أهل الكتاب في الجمال والحسب والمال فلا تنكحوها فإن الأمة المؤمنة خير عند الله منها)[3] .

ويقول الإمام ابن جرير في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٣٧٥ ، تحقيق غنيم وعاشور والبنا .

(٣) تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٣٦٩ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ : (يعني تعالى ذكره بذلك أن الله حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركاً كائناً من كان المشرك ومن أي أصناف الشرك كان فلا تُنكحوهن أيها المؤمنون منهم فإن ذلك حرام عليكم ولَأنْ تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله خير لكم من أَنْ تزوجوهن من حر مشرك ، ولو شرف نسبه وكرم أصله وإن أعجبكم حسبه ونسبه)[1] .

ويقول ابن جرير في تفسير قوله سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ : يعني تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين حرمت عليكم أيها المؤمنون مناكحتهم من رجال أهل الشرك ونسائهم يدعونكم إلى النار يعني يدعونكم إلى العمل الذي هم به عاملون من الكفر بالله ورسوله . يقول : (ولا تنكحوا إليهم فإنهم لا يألونكم خبالا ، ولكن اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به وانتهوا عما نهاكم عنه فإنه يدعوكم إلى الجنة) يعني بذلك يدعوكم إلى العمل بما يدخلكم الجنة ويوجب لكم النجاة ـ إن عملتم به ـ من النار وإلى ما يمحو خطاياكم أو ذنوبكم فيعفوا عنها ويسترها عليكم[2] .

وأما قوله (بإذنه) فإنه يعني أنه يدعوكم إلى ذلك بإعلامه إيَّاكم سبيله وطريقه الذي به الوصول إلى الجنة والمغفرة[3] .

القسم الثاني : الاختيار في السنة :

وينقسم هذا المطلب إلى جزئين هما :

الجزء الأول : اختيار الزوجة .

الجزء الثاني : اختيار الزوج .

---

(١) تفسير الطبري ج٤ ، ص٣٧٠ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر .

(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٧١ .

(٣) المصدر السابق .

الجزء الأول : اختيار الزوجة :

وكما تعرض القرآن الكريم لمسألة الانتقاء والاختيار في الزواج ، فقد تعرضت السنة كذلك لهذا الموضوع بشيء من التفصيل ، وركزت على عدة أمور في بناء الأسرة المسلمة ، من أهمها مايلي :

١ ـ ذكر المعايير المرغبة في الزواج .

٢ ـ ترجيح معيار الدين .

٣ ـ تحقيق الرغبة في حصول الذرية .

٤ ـ بيان السبب في اختيار ذات الدين .

فأما ما يتعلق بالمعايير المرغبة في الزواج فقد ذكرت في كتب الحديث تصريحاً وتلميحاً ، ومما ذكر تصريحاً المال والجمال والحسب والنسب والدين ، وأما ما ذكر تلميحاً فيدخل فيه الصحة والنظافة وحسن إدارة المنزل ، وما في مستوى ذلك من عوامل الإعجاب والسرور والرضى والارتياح النفسي .

فأما ما ورد التصريح فيه بذكر المعايير المطلوب توفرها عند اختيار الزوجة ، فقول رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] .

وأما ما جاء تلميحاً من معايير اختيار الزوجة فمنه ما رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، المطبوع مع فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، ج٩ ، ص١٣٢ ، رقم الحديث ٥٠٩٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، ج٢ ، ص١٠٩٠ ، رقم الحديث ١٤٦٧ .

فكلمة الصالحة في هذا الحديث تعني صلاح الدين والتقوى ، وهو خير معايير الاختيار في الزوجة .

أما ما يتعلق بترجيح أحد هذه المعايير على الآخر ، فنأخذه من حث النبي ﷺ بقوله في جملة أحاديث : « فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] .

وهذا الحث من رسول الله ﷺ للأزواج بأن يختاروا ذات الدين على غيرها من النساء دليل قاطع على رسم المنهج السليم للأسرة المسلمة التي تقوم على تعاليم الإسلام علماً وعملاً ودعوة وتربية للبيت المسلم الذي يكون فيه كل من الرجل والمرأة متعاونين على البر والتقوى والعمل الصالح تنفيذاً لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزل في الذهب والفضة ما نزل ، قالوا : فأي المال نتخذ ؟ قال عمر فأنا أعلم لكم ذلك ، فأوضع على بعيره وأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره ، فقال : يا رسول الله أي المال نتخذ ؟ فقال : « ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة »[2] .

وحيث إن الإسلام غير محصور بزمن معين ولا بجيل معين وإنما هو ممتد امتداد البشرية ، فكان هناك حث وتنبيه من رسول الله ﷺ في اختيار المرأة الولود التي تقوم بتنشئة الأجيال على ما نشأت عليه من صلاح ، وأن تورثهم ما ورثته ممن سبقها ـ يتضح هذا المعنى من حديث رواه أبو داود في سننه ـ (عن معقل بن يسار قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال ، وإنها

---

(١) معنى تربت : من ترب إذا افتقر وألصق بالتراب وهذه كلمة تجري على لسان العرب في مقام المدح والذم ولا يراد بها الدعاء على المخاطب دائماً ، وقد يراد بها الدعاء أيضاً . انظر لسان العرب المحيط ، مادة ترب .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، ج١ ، ص٥٩٦ ، رقم الحديث ١٨٥٦ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، قال عنه الشيخ الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٥ ، ص٨٢ ، رقم الحديث ٥٢٣١) .

لا تلد أفأتزوجها ؟ قال : « لا » ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »[1] .

الجزء الثاني : اختيار الزوج :

إن حسن اختيار الزوج من قبل المرأة لا يقل أهمية عن اختياره هو لها ، وعندما أعطى الإسلام للرجل حق اختيار شريكة حياته وأم أولاده فإنه قد وفر للمرأة مثل هذا الحق في اختيار شريك حياتها .

ونجد مصداق ذلك في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد »[2] .

وبذلك تطمئن الزوجة على وجود المناخ الإسلامي في بيتها وحياتها مع زوجها وأبنائها في المستقبل ، وبهذا يوجد الاتزان في طرفي المعادلة بين الرجل والمرأة ، فكلاهما مطلوب فيه الصلاح ديناً وخلقاً لكي يؤسسا باجتماعهما قاعدة صلبة للأسرة المسلمة وللمجتمع المسلم على كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، ويتعاونا على دعوة الأولاد إلى الله ، وتنشئتهم على الإسلام ، وإعدادهم للدعوة إليه .

---

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ، ج٢ ، ص٥٤٢ ، رقم الحديث ٢٠٥٠ . وقال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٣ ، ص٤٠ ، رقم الحديث ٢٩٣٧) .

(٢) سنن الترمذي ـ كتاب النكاح ، باب : إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، ج٤ ، ص٤٢ رقم الحديث ١٠٨٥ ، تعليق عزت عبيد الدعاس ، قال أبو عيسى الترمذي عن هذا الحديث : (هذا حديث حسن غريب) ، وله شاهد في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، ج١ ، ص٦٣٢ ، رقم الحديث ١٩٦٧ . قال عنه الألباني : حسن (صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج١ ، ص١٣٤ ، برقم ٢٦٧) .

المطلب الثاني

التنشئة الاجتماعية

أ - تمهيد : الأسرة والتنشئة الاجتماعية .

ب - مفهوم التنشئة الاجتماعية .

جـ - خصائص التنشئة الاجتماعية وتحليلها .

د - محاضن التنشئة الاجتماعية .

تمهيد : الأسرة والتنشئة الاجتماعية :

لقد جعل الإسلام التنشئة الاجتماعية محط نظره واهتمامه منذ اليوم الأول لخروج الوليد إلى الدنيا ، حيث ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[1] .

ولذا نجد أن الإسلام قد سبق إلى وضع خطة سليمة حكيمة كاملة تهتم بالجيل الجديد وتنشئته على الإسلام تنشئة متوازنة ، لا يطغى جانب منها على آخر لتخرج بعد ذلك المسلم والمسلمة اللذين يقومان على الخلافة في الأرض وفق شرع الله .

وحيث إن الحديث متعلق بموضوع التنشئة الاجتماعية فلابد من الوقوف على تعريف مفهوم هذا الاصطلاح .

فما هو مفهوم التنشئة الاجتماعية ؟

---

(١) صحيح الإمام مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص٢٠٤٧ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ .

إن علماء الاجتماع يستخدمون هذا المصطلح ويقصدون به عمليات إعداد الإنسان ليأخذ مكانه في جماعته .

وإذا بحثنا عن تعريف لمصطلح التنشئة الاجتماعية نجد لها تعريفات كثيرة ، نختار منها ما قاله الدكتور حامد عبد السلام زهران : (بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية ، وتقوم على التفاعل الاجتماعي ، وتهدف إلى إكساب الفرد ـ طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً ـ سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي ، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وهي عملية إدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية)[1] .

ويمكن أن نقول باختصار في تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها : (تفاعل اجتماعي يكسب الفرد شخصيته الاجتماعية) .

وبما أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية تفاعل بين أفراد المجتمع ، ما بين مؤثر ومتأثر ، أو بمعنى آخر عملية تفاعل بين داع ومدعو طوال عمر الإنسان ، فإنه لا يمكن وضع معايير محددة لعملية هذه التنشئة لا من حيث الزمان ولا المكان ، ولا من حيث تدرج الإنسان في سني عمره أو اختلاف فئاته الاجتماعية ، وهذا ما توضحه خصائص[2] التنشئة الاجتماعية فيما يلي :

١ ـ أنها عملية اجتماعية قائمة على التفاعل المتبادل بين أفراد المجتمع (دعاة ومدعوين) عن طريق التأثر بالقدوة الحسنة ، والمحاكاة والتقليد لمن حوله .

٢ ـ أنها عملية نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان والفئات الاجتماعية ، وفي هذه الحالة يمكن استخدام الوسائل والأساليب المناسبة لكل عصر ومصر ولكل

---

(١) حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص٢١٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، الطبعة الرابعة .

(٢) انظر علم النفس الاجتماعي ، ص٢١٤ .

فئة وجنس .

٣ ـ أنها عملية مستمرة مدى الحياة ، يقوم أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم بالمشاركة في عملية التنشئة كل على قدر استطاعته وإمكاناته المادية والمعنوية ، مما يترتب على ذلك أن لا تكتمل هذه العملية إلا مع نهاية عمر الإنسان .

٤ ـ أنها عملية عامة تشمل كافة أفراد المجتمع البشري يكتسب الفرد من خلالها طبيعته الإنسانية التي لا تولد معه ، وإنما تنمو خلال مشاركته للآخرين (داعياً ومدعواً) ماراً بتجارب كثيرة في هذا المجال .

وإذا كانت هذه الخصائص هي المحصلة المكونة لعملية التنشئة الاجتماعية ، فإننا نرى أن الدعوة إلى الله سبحانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمران داخلان ضمن العمليات الاجتماعية التي يتم من خلالها التفاعل بين أفراد المجتمع . وعلى ذلك فإن الإعداد للمرأة المسلمة كي تكون داعية إلى الله على أسس قوية متينة ثابتة لابد وأن تمر بمرحلة التنشئة الاجتماعية التي يركز فيها التدريب على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ الصغر مما يكون له الأثر في تكوين شخصية الطفل وشعوره بالاعتماد على النفس والاستقلال الفكري الذي يعود عليه بالصالح العام في الدنيا والآخرة . ويمكن أن يبدأ مثل هذا التدريب مع ابن وبنت الثالثة والرابعة من العمر ، وقد جرب مثل هذا التدريب مع أصحاب هذه السن فأدى ثماراً كبيرة والحمد لله ، في مجال التذكير بالقضايا المتعلقة بأداء الصلاة والآداب الشرعية للطعام ، مما يدل على أهمية التنشئة الاجتماعية منذ نعومة الأظفار .

محاضن التنشئة الاجتماعية :

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية[1] وأبلغها أثراً على

---

(١) انظر د . إبراهيم خليفة ، مفاهيم في علم الاجتماع ، ص٧٧ ، نشر المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م .

الإنسان ، ذلك لأنها متزامنة مع عمر الإنسان كله ، فإذا وجهت هذه العملية الوجهة السليمة ساعدت على وجود الحياة الكريمة في الدنيا والآخرة ، ذلك لأن الإنسان المنشأ تنشئة اجتماعية متكاملة وسليمة يصبح له التأثير السليم في الأجيال الحاضرة والمستقبلة في أغلب الحالات بتوفيق الله .

وإن محاضن التنشئة الاجتماعية كثيرة يأتي في مقدمتها محضن الأسرة ثم المدرسة ، ثم المجتمع المتمثل في مجتمع العمل ومجتمع الحي والأقارب ، كما يضاف إلى ذلك محضن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية التي ما تزال في الغالب الأعم ذات تأثير سلبي بسبب اعتمادها على الثقافات والأفكار الوافدة .

وعلى ذلك نقول بوجوب توافق هذه المحاضن في جملتها على الانطلاق من سياسة واحدة معتمدة في مناهجها على الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وبهذا وحده تتمثل وحدة الأمة وقوتها .

ومن المعلوم أن عدم توافق هذه المحاضن يؤدي إلى صراعات فكرية ، واختلافات عقائدية ، وبلبلة ذهنية ، تصيب الأمة بالتمزق والشلل المؤديين إلى فشل الأمة في خلافتها على الأرض وفق أوامر الله ونواهيه .

وتقوم محاضن التنشئة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بوظائف عدة تؤدي مهمتها في إيجاد المسلم الصالح في نفسه أولاً والمصلح لغيره ثانياً .

ويمكن أن نقسم عملية التنشئة الاجتماعية في الإسلام إلى قسمين هما :

١ ـ التنشئة الاجتماعية العامة .

٢ ـ التنشئة الاجتماعية الخاصة .

فأما ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية العامة فلن أتناول البحث فيها لأنها أمر مفروغ منه لعموم المسلمين رجالاً ونساء .

وأما ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية الخاصة ، وأعني بها هنا التنشئة لغرض

الإعداد الدعوي للمرأة المسلمة فهو الذي سأتناوله إن شاء الله بالدراسة والبيان .

ويتناول هذا النوع من التنشئة جانبين أحدهما جانب التدريب العملي ، وثانيهما جانب السلوك الاجتماعي الذي يخدم الدعوة .

فأما التدريب العملي فهو أن تتدرب المرأة الداعية على أداء ما تم تحمله من خلال التنشئة الاجتماعية العامة ، وأعني بذلك التدريب على الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في الوسط الأسري الخاص ، حتى إذا رأينا أن هذه المتدربة قادرة على الانتقال بعملها الدعوي إلى خارج محيط الأسرة فتحنا لها الطريق مع المراقبة ، والحذر ، والتوجيه والإرشاد ، في مجال أوسع من الأسرة مثل أن تقوم المرأة الداعية بالدعوة في محيط الزميلات والصديقات ومحيط المدرسة .

وهكذا إلى أن يصلب عودها ويستقيم عمودها ، وحيث إن مهمتنا في هذه الرسالة منصبة على إعداد المرأة المسلمة للدعوة ، فلابد أن نراعي ظروفها من واقع أوامر الشرع وإرشاداته المتعلقة بها .

أما جانب السلوك الاجتماعي الذي يخدم الدعوة فهو يتناول عدة صفات لازمة لمن يتولى القيام بهذه المهمة العظيمة .

وسأتناول ذكر هذه الصفات وفق ما يتيسر عرضه بتوفيق الله وعونه في المطلب التالي الذي يتحدث عن بعض عناصر الإعداد الاجتماعي التي تخدم وظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

فإلى ذلك المطلب في الصفحات التالية ، وبالله التوفيق .

المطلب الثالث

بعض عناصر الإعداد الاجتماعي

تمهيد :

إن وظيفة الدعوة إلى الله عمل اتصالي بالناس ، ولذلك فإن هذه الوظيفة تحتاج إلى نوع معين من الأخلاق الاجتماعية الخاصة ، إضافة إلى الأخلاق الاجتماعية العامة ، لأن الداعية يحتاج إلى الدخول في قلوب الناس وعقولهم ، وهم كذلك بحاجة إلى ما عنده من وصفات طبية إيمانية .

ولابد للداعية حينئذ أن يعد نفسه الإعداد المطلوب من أمثاله ، كما أن القائمين على أمر المجتمع عليهم مسؤولية إعداد الدعاة ، عن طريق وضع برامج وخطط يسير عليها الدعاة كي يصبحوا مؤهلين للقيام بمهمة الرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وإن من أول برامج الإعداد ، العلم بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، من وصف لهذه الأخلاق وحث على الاتصاف بها ، وترويض النفس على امتثالها في الحس والشعور ، ذلك لأن كثيراً من هذه الأخلاق يمكن اكتسابه .

ولعل من المناسب هنا ذكر بعض النصوص التي وصفت هذه الأخلاق وحثت عليها ، مما يتعلق ببيان أهمية هذه الأخلاق للداعية وارتباطها بعمله الدعوي والذي يؤهله لقيادة الناس ، علمياً وفكرياً ودينياً .

كما أنه لا يمكن الإحاطة بجميع المتطلبات الاجتماعية اللازمة للداعية ، وحسب الباحث أن يذكر بعضها فيما يلي :

١ ـ الشعور بأن الدعوة حق لجميع الناس .

٢ ـ الصدق والأمانة .

٣ ـ الكرم والسخاء .

٤ ـ الزهد والعفة .

٥ ـ الحلم والعفو .

٦ ـ الرحمة .

٧ ـ التواضع .

٨ ـ المودة والتآلف .

١ ـ الشعور بأن الدعوة حق لجميع الناس :

إن فهم الداعية أن الإسلام مطالب به الناس جميعاً على اختلاف مجتمعاتهم ومواقعهم وجنسياتهم ولغاتهم وألوانهم ، من واقع فهمه لعموم رسالة الإسلام بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]. يدفعه للقيام بمهمته في مختلف المحاور الاجتماعية دون النظر إلى هذه الاختلافات في تفضيل جنس على جنس ، أو لون على لون ، أو فئة على أخرى آخذاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ، وكما في هذه الآية ، فقد صدرت كثير من آيات القرآن الكريم بالنداء العام مثل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ تأكيداً لهذا المعنى العظيم .

ولقد هيأ الله عز وجل للدعاة درساً في هذا الباب أراد الله وقوعه على يد رسوله محمد ﷺ تشريعاً للبشرية ، وملخص هذا الدرس ، أن عبد الله بن أم مكتوم جاء ليتعلم من النبي ﷺ في بيته وعنده بعض زعماء قريش ممن هم على الكفر ، فرأى الرسول ﷺ أن يصرف ابن أم مكتوم إلى وقت آخر لانشغاله بهؤلاء

---

(١) سورة سبأ ، جزء من الآية ٢٨ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

النفر الذين كان يأمل أن يؤمن بإيمانهم لو آمنوا ، نفر كثير ، فلما انصرف عبد الله نزل العتاب على رسول الله ﷺ على تصرفه مع ابن أم مكتوم وشاهد ذلك العتاب قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾[1] . فجاء هذا العتاب موعظة وذكرى يبرز كرامة الإنسان المؤمن ، وهي موعظة تشير إلى ضرورة اعتبار القضايا التالية عند ممارسة الدعوة :

١ ـ أنه لا فرق بين إنسان وإنسان مهما كان مظهره أو جنسه أو جاهه أو ماله أو وضعه الاجتماعي فيما يتعلق بحقه في الدعوة إلى الله .

٢ ـ أن على الداعية مراعاة من عنده القبول للدعوة والإقبال عليها وعدم اليأس من المعرضين .

٣ ـ لا تقتصر الدعوة على من أسلم أو على من لم يسلم ، وإنما هي لمن أسلم تأكيد وتوضيح ، وهي لمن لم يسلم هداية وتعليم[2] . وقصة وصية النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن مشهورة تدل على عموم الدعوة إلى الإسلام لكل الأجناس وأصحاب الملل الأخرى . فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال : «إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم ، وتوق كرائم

---

(١) سورة عبس ، الآيات ١ ـ ١٠ .

(٢) انظر أحمد أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص٤٤٩ ، نشر دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة وبيروت سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م .

أموال الناس »[1] .

٢ ـ الصدق والأمانة :

هاتان الصفتان منبع الثقة والاطمئنان في الداعية لأنه يتعامل مع كل الناس وليس محدود الاتصال بأفراد معينين من أفراد المجتمع ، كما عليه سائر حال معظم الناس في حياتهم العامة والخاصة .

لذا فإن الصدق والأمانة ضروريان للداعية ، لأن ما يقوله ليس رأياً خاصاً به ، أو دعوة إلى نفسه ، وإنما هو مبلغ عن الله إلى الناس أجمعين ولابد والحالة هذه أن يكون صادقاً مع الله سبحانه أولاً ثم مع نفسه ، والناس ثانياً فيما ينقله إليهم وليكون أميناً في نقله لا يخون فيه بزيادة أو نقصان أو تحريف .

وقد يقبل تقصير الداعية في بعض الصفات المطلوبة في حقه ما عدا هاتين الصفتين الصدق والأمانة ، فإنه أبداً لا يعذر مطلقاً أمام الناس ، وإذا كان المصطفى ﷺ قد بين أن الكذب والخيانة من علامات النفاق في عموم الناس فكيف بمن قد أعد نفسه وخصص وقته للقيام بوظيفة الدعوة إلى الله ، حيث يقول المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أئتمن خان وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[2].

لذا فإن على الداعية أن يكون صادقاً فيما يقول أميناً فيما يفعل ، وأن لا يخالف قوله فعله في السر والعلن ، مما يتعارض مع صفتي الأمانة والصدق خاصة ، وجميع الصفات عامة ، وليروض نفسه على تلك الصفات إن وجد تقصيراً أو عجزاً .

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ج٣ ، ص٣٢٢ ، رقم الحديث ١٤٥٨ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الإيمان باب علامة المنافق ، ج١ ، ص٨٩ ، رقم الحديث ٣٤ .

٣ ـ الكرم والسخاء[١] :

إن للكرم والسخاء أثرهما البارز في خدمة الدعوة وإقدام الناس وميلهم ؛ لأن الكريم يستميل القلوب النافرة ، ويمهد النفوس للطاعة وقد كان النبي ﷺ إمام الدعاة وقدوتهم كريماً ، (وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)[٢] ، وكان أجود الناس)[٣] كما وصفه ابن عمه عبد الله بن عباس دون أن يمنن على أحد بذلك ، وكان ممتثلاً بذلك أمر الله سبحانه في قوله : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[٤] ، ولا ينتظر ثواباً إلا من الله ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٥] .

فإذا ثبتت هذه المعاني في نفس الداعية علم أن ما ينفقه في هذا السبيل مخلوف عليه ومعوض عنه من عند الله ، ولذلك فلا يتردد في الإنفاق على المدعوين عند الحاجة بقدر استطاعته المادية في مقابل طموحاته وآماله بنجاح دعوته .

٤ ـ الزهد والعفة :

إن الداعية تاجر من نوع خاص فهو لا يتاجر في عمله الدعوي مع الناس ، وإنما يتاجر مع الله سبحانه وتعالى ، لأن مصدر بضاعته من عند الله سبحانه ، والله سبحانه هو الذي يعوضه ويجزيه الأجر والثواب ، ولا يجوز للداعية أن ينظر

---

(١) يجب التنبيه إلى أن المرأة لا يجوز لها أن تصرف من مال زوجها في مجال الدعوة إلا بإذنه .

(٢) روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه مسلماً ، وهو يقول لهم : (أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة) ، القاضي عياض الأندلسي ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، ج١ ، ص٢٣٨ ، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر ، دمشق بدون سنة الطبع ، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرون .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، ج٤ ، ص١٨٠٣ ، رقم الحديث ٢٣٠٨ .

(٤) سورة المدثر ، الآية ٦ .

(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٧٢ .

إلى ما في أيدي الناس أو جيوبهم في مقابل بضاعته التي يعرضها عليهم وليأخذ من رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام الأسوة والمثل في ذلك ، حيث كانوا يصرحون لأقوامهم بأنهم لا يأخذون الأجر ولا يسألونه في مقابل قيامهم بتبليغ الناس رسالة الله وإنذارهم سطوته وأليم عقابه .

قال الله تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[1] .

وكما في قوله سبحانه على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام مخاطبين أقوامهم ، كل منهم يقول : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، وكما في قوله سبحانه مخاطباً نبينا محمد ﷺ : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[3] .

٥ ـ الحلم والعفو :

الحلم والعفو صفتان متلازمتان إذا وجد أحدهما وجد الآخر ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المتصفين بهما فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

إن الداعية في عمله الدعوي يحتاج أكثر من غيره إلى خلق الحلم على الناس والعفو عنهم ، لأنه يأتيهم بما لا يعرفون قيمته وفضله في الغالب ، ولذلك فقد يتعرض للإساءة منهم والأذى ، وهذا أمر جِبِلِّي في الإنسان في مقاومة ما يجهله ، ولا بد أن يكون الداعية على حيطة وحذر مما سيواجهه من الناس ، كما أن عليه أن

---

(١) سورة هود ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٣) سورة ص ، الآية ٨٦ .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٣٤ .

يستعد للمعارضة والتخلق بالحلم على المدعوين والعفو عنهم ، وإلا فلن ينجح في مهمته الدعوية إن قدم أخذ الثأر لنفسه والانتصار لها وقابل السيئة بالسيئة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] .

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على الصحابي الجليل أشج عبد القيس لاتصافه بهذا الخلق الحميد حيث قال له : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة »[2] .

والحلم ليس دليل ضعف أو عجز بل إنه دليل على القوة بدليل قول الرسول ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[3] .

ولضرورة هاتين الصفتين الحلم والعفو في حياة الداعية فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ بقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4] ويقول سبحانه : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5] .

٦ - الرحمة :

يعتبر خلق الرحمة من أهم الأخلاق ، ويجب على الداعي أن يتحلى بها ، ولذلك اتصف بها أئمة الدعاة ، وهم رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ، ج١ ، ص٤٨ ، جزء من حديث رقم ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ج١٠ ، ص٥١٨ رقم الحديث ٦١١٤ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ .

(٥) سورة المائدة ، جزء من الآية ١٣ .

وفي مقدمتهم رسول الهدى ﷺ الذي قال الله سبحانه وتعالى في حقه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

إن رحمة الداعية بالناس وشفقته عليهم ونصحه لهم من أهم عوامل الجذب والقبول لما يقول ، ولابد أن تكون هذه الرحمة نابعة من خوف الداعية وشفقته على المدعوين ، وحرصه على إنقاذهم من الضلال والكفر الذي يؤدي بهم إلى النار ، ورجائه بأن يفوزوا برضوان الله سبحانه .

وإن الرحمة المطلوبة في الداعية هي التي لا تتأثر بسبب إعراض الناس أو جهلهم عليه أو إيذائهم له ؛ لأنهم في هذه الحالة يجهلون قيمة ما يدعوهم إليه ويدلهم عليه في الغالب .

وإن الرحمة المطلوبة في الداعية تورث العفو والصفح في قلب الداعية لمن أساء إليه أو اعتدى عليه .

والرحمة تورث اللين في القلب ، فيقابل الداعية المدعوين بالرفق واللين ، ويتجنب الغلظة والفظاظة التي تسبب نفور الناس عنه وعن قبول ما يدعو إليه وإن كان صواباً ؛ ولذلك بين الله سبحانه فضل نعمته على رسوله ﷺ حيث جبله على خلق الرحمة وأبعد عنه خلق الفظاظة والغلظة في قوله سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[3] .

فإذا كان النفور سيقع لو كان النبي ﷺ فظاً غليظ القلب ـ وحاشاه ـ فإن غيره من الدعاة من باب أولى إذا تخلقوا بهذا الخلق السيء[4] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٥٩ .

(٤) انظر عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص٣٤٣ .

ولذا فيلزم الداعية أن يكون رحيماً ، وليروض نفسه على هذا الخلق الكريم حتى يكتسبه ويكون مألوفاً لديه ، وليكون أحد أسلحته التي يستخدمها في الدعوة إلى الله .

٧ ـ التواضع :

إن التواضع أحد الصفات الأساسية التي تساعد على المعاشرة الحسنة ، وهو من المطالب[١] الأساسية للداعية إلى الله سبحانه ، لأنه قد جعل الدعوة إلى الله همه ، ولا يمكنه أن يوصل الكلمة الطيبة للناس إذا كان يكلمهم من برج عاجي ، بل لا بد له أن يدخل في نفوسهم ، جاعلاً نفسه كأحدهم ، مشعراً لهم بذلك ، ملزماً نفسه بهذا الخلق الكريم . وهو بهذا الصنيع جدير بأن تفتح له القلوب ، وتطمئن إليه النفوس ، ويقبل قوله ، ويطاع أمره ، ويسمع لدعوته ، لأنه قد حقق قول الله سبحانه في نفسه حيث يقول آمراً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

وأما من يستطيل على الناس ويحتقر شأنهم ويتعالى عليهم ، فإنه جدير بنفور الناس عنه ، والهروب منه ، وإغلاق قلوبهم عن كلامه ، حتى ولو كان ما يقوله حقاً ، وقد يكون وبالاً لا على نفسه فحسب بل على الدعوة أيضاً ، وعلى الدعاة الآخرين فكثيراً ما رأينا الشامتين على الدعوة والدعاة وعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وذلك بسبب سلوكهم السيء في منهج الدعوة ، وهكذا جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وكراهية من أساء .

٨ ـ المودة والتآلف :

بحكم عمل الداعية المرتبط بالناس فلا بد له من أن يكون هاشاً باشاً ، تبرق أسارير وجهه أمام من يدعوهم ويختلط بهم ، يشعر بشعورهم ، يفرح لفرحهم

---

(١) انظر أحمد أحمد علوش ، الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص٤٥٤ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٥ .

ويحزن لحزنهم ، ويخفف عليهم الآلام ، يشعر إخوانه ومدعويه بأنه يحبهم ويتودد إليهم ، يحترم كبيرهم ، ويعطف على صغيرهم ، يعود مريضهم ، ويعزي في ميتهم ، ويدعو لهم من كل قلبه بالشفاء والرحمة ، ويشعرهم أنه واحد منهم لا يفضل عليهم بشيء ، ويريهم أنه يستفيد منهم أحياناً ، لا يدعي لنفسه الكمال ، ويشعرهم بتقصيره ، لا يحمل في قلبه غل لأحد ولا يضمر حقداً ولا حسداً ، ولا يشتغل بغيبة ولا نميمة ، ولا يسعى بالفرقة بين الناس ، بل يحرص على لم الشتات ، وجمع الشمل ، جامع لخصال الخير محب لها ، مانع لخصال الشر كاره لها .

فإذا ما كان الداعية على مثل هذه الحال أو قريب منها ، فإنه سيكون مقبول القول مسموح الكلام ، محبوباً مألوفاً ، كما كان عليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه عندما آمن بالرسول ﷺ وصدقه قام من فوره بدعوة الناس إلى هذا الدين الجديد ونجح في مهمته نتيجة لاجتماع كثير من الخصال الطيبة فيه[1] .

---

(١) انظر سيرة النبي ﷺ ، ابن هشام ، ج١ ، ص٢٦٧ .

الفصل الثاني

الإعداد التطبيقي

مفهومه :

الإعداد التطبيقي هو تهيئة الداعية بالتدريب العملي على فن الإلقاء ، والكتابة لنقل كلمة الله سبحانه والدعوة إلى سبيله عن طريق الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة والكتابة بأنواعها المختلفة .

أهميته :

إن الإعداد التطبيقي للداعية في غاية الأهمية . لأن الداعية ـ كغيره من أصحاب الصناعات ـ في المراحل الأولى أشبه بالإنسان عند ولادته حيث يحتاج إلى العناية التامة من إرضاع ، وخدمة عامة من إطعام وتنظيف وكسوة ، لا يستطيع الرضيع أن يقوم بها بنفسه ، ثم إنه كذلك يحتاج إلى من يدربه على المشي حتى يصلب عوده ويستغني بنفسه .

ولا نقول باستحالة الخطابة وغيرها على من لم يتدرب على يد أستاذ . وإنما نقول بأن فائدة التدريب تعود على المتدرب بحسن التوجيه والإتقان ، والنجاح المبكر . وكثيراً ما نجد الدعاة إلى الله مقصرين في طريقة العرض نتيجة لعدم وجود المدرب أثناء التحصيل .

ومما يجدر ذكره أن ندرة الدعاة على الله سبحانه قد أسهم فيها عدم وجود المدرب الذي يقوم على إعداد الدعاة وتدريبهم على الدعوة بالقول والعمل والكتابة والقدوة الحسنة .

وسنتناول في هذا الفصل كيفية الإعداد الدعوي في قسمين هما :

١ ـ **القسم الأول** : فن الإلقاء .

٢ ـ **القسم الثاني** : الكتابة .

القسم الأول : فن الإلقاء

مفهومه :

هو فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[١] .

١ : أهميته :

يعتبر فن الإلقاء الخطابي ذا أهمية كبيرة في حياة الإنسان العملية سواء كان معطياً أو آخذاً ، ذلك أن الإلقاء الجيد له تأثيره القوي في النفس البشرية ، حيث الجاذبية الساحرة والاستمتاع ، وصدق الرسول ﷺ حيث يقول : « إن من البيان لسحرا »[٢] .

وعلى ذلك فإن الخطيب والأستاذ والمحاضر والمشارك في ندوة لا يستغنون عن هذا الفن الذي يساعد على إيصال المادة العلمية إلى الجماهير ، وعلى الأخص من يعدون أنفسهم لنشر رسالة الإسلام والدعوة إليه من خلال الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة ، أو المناقشات في أروقة المدارس والجامعات ، أو في المصانع والمزارع والجمعيات ، أو في أماكن التجمع البشري بحسب الظروف والأحوال .

ويعتمد أسلوب الإلقاء الخطابي على عاملين أساسيين :

١ ـ **عنصر الإقناع** : أي إقناع المستمع بالمادة التي طرحها الخطيب ، وإسنادها بالمنطق والحجج والوثائق ، ويعتمد أيضاً على الثقة بالنفس .

---

(١) سنذكر هذا التعريف وتحليله عند الحديث عن الخطابة في الصفحة التالية ـ بإذن الله ـ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص١٨٥ من هذه الرسالة .

٢ ـ **عنصر الإثارة** : أي إثارة عواطف وأحاسيس المستمع بغية استمالته إلى المادة المطروحة[١] .

وتوفر أي من العنصرين في أي خطبة أمر نسبي ، فالخطبة السياسية تحتاج إلى إثارة أكثر من الإقناع ، والخطبة الدينية تحتاج إلى إقناع أكثر ، سواء كانت خطبة قصيرة ، أو طويلة كالمحاضرات العامة ، غير أن الخطبة القصيرة تتطلب إثارة العاطفة نوعاً ما وذلك ما لا تتطلبه المحاضرات العامة .

---

(١) انظر سامي عبد الحميد ، وبدري حسون فريد ، فن الإلقاء ، ج٢ ، ص٤٣ ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، سنة ١٩٨٠م .

المبحث الأول : التدريب على إعداد الخطبة

حيث إنه من غير المستحسن أن يبدأ الخطيب الجانب العملي في التدريب على الخطابة إلا بعد أن يطلع على الدراسات النظرية في هذا الفن ، فإنه لا بد من تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين :

- أحدهما يعالج الدراسة النظرية .
- والثاني يعالج التدريب العملي .

المطلب الأول : الدراسة النظرية :

أولاً : مفهوم الخطابة :

عرفت الخطابة بعدة تعاريف أحدها تعريف الدكتور أحمد محمد الحوفي ، الذي سبق ذكره ، فهو يقول بأن الخطابة : (فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته)[1] ، مبيناً بذلك أن أسس الخطابة تتكون من أربعة عناصر هي :

١ ـ المشافهة .
٢ ـ الجمهور .
٣ ـ الإقناع .
٤ ـ الاستمالة .

---

(١) أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص٩ ، مكتبة نهضة مصر ، سنة ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م ، الطبعة الثانية .

ثانياً : أهميتها :

الخطابة من أهم المجالات التي ينبغي للداعية أن يتدرب عليها لعظم شأنها ، وليس أدل على هذه الأهمية من أنها كانت من أهم وسائل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لتبليغ أممهم رسالة الله إلى الناس ، فبالخطابة قام رسل الله بوظيفتهم خير قيام ، حيث بشروا أقوامهم وأنذروهم بمضمون رسالاتهم التي قامت عليها أسس العبادة والطاعة لله الواحد الأحد .

ولو لم يكن للخطابة من أهمية إلا هذه لكفاها مكانة وسمواً .

وإذا كانت الخطابة إحدى وسائل تبليغ الأنبياء رسالة الله إلى العباد فإنها ما تزال محتفظة بتلك الأهمية ، وستحتفظ بها إلى قيام الساعة .

وقد حازت الخطابة هذه الأهمية العظيمة والمقام الأسمى نظراً لما أحرزته من تأثير كبير على قلوب الناس وعقولهم أفراداً وجماعات ، ولذا فإنها جديرة بالدراسة ، كما أنها جديرة بأن توضع لها الأصول ، وأن يعد لها الرجال والنساء كل في مجاله الاجتماعي ، يدرسون قواعدها ، ويتدربون عليها ليمارسوها قياماً بواجب الدعوة ، وأداء للمسؤولية الملقاة على عاتق المسلمين نحو عقيدتهم وشريعتهم .

وبما أن الموضوع الذي ندرسه هو إعداد المرأة للدعوة فقد يرد سؤال حول إمكانية تدريب المرأة على الخطابة ، وهل يجوز لها ذلك ؟

فللإجابة على ذلك نقول بإمكانية تدريب المرأة على الخطابة على يد معلماتها في المدارس الخاصة بالنساء ، كما نقول بجواز ذلك شرعاً ـ ضمن محيط النساء خاصة ـ لعدم وجود الدليل المانع عنه ، ولوجود شواهد من النساء في صدر الإسلام قمن بهذه الوظيفة في المجتمع النسائي ، ومن أهم أولئك النسوة في هذا المجال الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن التي اشتهرت بصفة : خطيبة النساء ، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي حيث قال عنها : هذه الأنصارية هي

أسماء بنت يزيد بن السكن بن كرز بن زعورا بن عبد الأشهل ، وكان يقال لها خطيبة النساء[1] ، حيث كانت ذات لسان سؤول ، وكانت الواسطة بين الرسول ﷺ والنساء ، فتنقل لهن ما سمعته وما رأته من الرسول ﷺ[2] .

ثالثاً : عدة الخطيب وصفات الخطابة :

ينبغي لكل من يتطلع إلى أن يكون خطيباً أن تتوفر فيه صفات معينة يحملها عدة له في هذا المجال لا يمكن أن يستغني بغيرها عنها ، وهذه العدة تغنيه في الغالب عن غيرها ، وأهم هذه الصفات ما يلي :

١ ـ الاستعداد الفطري .

٢ ـ اللسن والفصاحة .

٣ ـ جهارة الصوت وحلاوته .

٤ ـ سعة الثقافة .

٥ ـ معرفة نفسية الجمهور .

٦ ـ حرارة العاطفة .

٧ ـ سرعة البديهة .

٨ ـ جودة الإلقاء .

٩ ـ حسن الخلق[3] .

هذه أهم الصفات التي ينبغي أن تكون عدة للخطيب ، وقد تتخلف إحدى

---

(١) الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم السنة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج١ ، ص١٧٣ ، تحقيق وتخريج محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد ، سنة ١٣٩٩ / ١٤٠٠هـ .

(٢) وإذا حازت على صفة خطيبة النساء في مجتمع الصحابة حيث كانت ذات لسان سؤول فإن قيامها خطيبة للنساء في مجامعهن من باب أولى .

(٣) أحمد بن محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص١٢ .

هذه الصفات وتستبدل بغيرها ، وبمقدار ذلك تتأثر الخطبة جودة وضعفاً .

ولوضوح هذه الصفات فإني أرى الاكتفاء بذكرها دون الدخول في شرحها ، ومن أراد المزيد من المعرفة فعليه بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في فن الخطابة ، ففيها ما يغني ويكفي[1] .

رابعاً : أركان الخطبة :

تتكون الخطبة من ثلاثة أركان رئيسة هي كما يلي :

١ ـ المقدمة .

٢ ـ الصلب .

٣ ـ الخاتمة .

ولا بد من الوقوف على هذه الأركان لمعرفة مكانتها في الخطبة .

١ ـ المقدمة :

أهميتها :

ترجع أهمية المقدمة في الخطبة إلى أنها أول ما يطرق الأسماع من الخطبة ، ومن وظائفها تهيئة الجمهور لسماع موضوع الخطبة ، وعلى الخطيب أن يعتني بالمقدمة عنايته بالموضوع الرئيس باستخدام الأساليب الفنية اللغوية ، ليجذب انتباه الجمهور في أول لقائه الخطابي بهم ، حتى يحقق ببراعة الاستهلال أخص أسباب النجاح في الخطبة .

ومن شروط جودة المقدمة ما يلي[2] :

أ ـ اتصالها بالموضوع .

---

(١) أحمد بن محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص١٢ ، وعلي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، ص٤١ ، دار الاعتصام .

(٢) انظر : أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة ، ص١١٤ .

ب ـ وضوحها ومناسبتها لعقول السامعين .

ج ـ جاذبيتها .

د ـ تناسبها مع الخطبة طولاً وقصراً .

أنواع المقدمة :

ليس للمقدمة أسلوب معين لا تتعداه ، لأنها تخضع لظروف الخطيب وموضوع الخطبة ونوعية الجمهور ، ويأتي في مقدمة هذه الأنواع ما يلي :

أ ـ خطبة الحاجة[1] : وتشتمل على حمد الله والثناء عليه سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ والآيات التي تحث على التقوى وقد يكتفى بالجزء الأول من خطبة الحاجة ، وهو حمد الله والصلاة على رسوله ، وهذا النوع من المقدمات ينبغي على الداعية الالتزام به في كل خطبة .

ب ـ الاستهلال بآية أو حديث مناسبين لموضوع الخطبة .

ج ـ وهناك أنواع أخرى من المقدمات مثل البدء بحكمة أو مثل أو بيت من الشعر[2] .

لكن هذه الأنواع لا أرى أن يعول عليها الخطيب وخاصة الداعية . لأنه يؤدي رسالة الله إلى عباد الله ، ثم إن رأى أن من المناسب ذكرها فلا بأس أن يأتي بها مجتمعة ، أو بأحدها تالية للاستفتاح بأحد النوعين المذكورين أولاً ، كما أن بإمكان الخطيب أن يستوحي من واقع الحفل وظروفه ما يضفي على المقدمة نوعاً من التشويق والتأثير العميق في النفوس .

٢ ـ الصلب :

بعد أن يحدد الخطيب المقدمة ، عليه أن يدخل في صلب الخطبة باتباع الخطوات التالية :

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني ، خطبة الحاجة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ

(٢) انظر أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة ، ص١١٩ .

١ ـ تحديد الموضوع المناسب للناس زماناً ومكاناً وجمهوراً .

٢ ـ البدء في الخطبة ببيان أهمية الموضوع ، وشدة حاجة الفرد والمجتمع له ، وآثاره الطيبة في الفرد والمجتمع إن كان مما يأمر الشرع به ، أو ببيان خطره وآثاره السيئة إن كان مما ينهى عنه الشرع .

٣ ـ لا بأس بذكر شواهد من الآثار الاجتماعية في مجتمع الجمهور مما يرتبط بموضوع الخطبة لغرض التشجيع أو التحذير .

٤ ـ الاستدلال على الموضوع من القرآن الكريم والسنة المطهرة على الأمر به أو النهي عنه أو إباحته .

٥ ـ ذكر قصة أو مثل أو حكمة أو أبيات من الشعر ـ إن اقتضى الأمر ذلك ـ لتقرب المقصود معرفته إلى الأذهان ، مع عدم الإسهاب فيها لدرجة مخلة ، خاصة إذا كان الخطيب قد ذكر شيئاً من ذلك في المقدمة .

٦ ـ إذا احتاج الخطيب أن يرد على رأي مخالف لما يعتقده في موضوعه فله ذلك مع الالتزام بالآداب الشرعية المطلوبة في هذه الحالة ، وعليه أن يتجنب السباب والشتائم واللعن وما شابه ذلك ضد أصحاب الرأي المخالف ، بل من المستحسن أن يتلطف مع المخالفين حسب مقتضيات الحال .

وعلى الخطيب بعد أن يستعرض الموضوع بالاستحضار في ذهنه أو بالكتابة أن يلقي نظرة عامة على الخطبة للتأكد من وجود الوحدة والترتيب ووضوح الفكرة والمعاني ، حيث إنها اللبنات الأساسية لبناء الخطبة[1] .

فأما وحدة العرض في الخطبة فهي ضرورية للحفاظ على كيانها وعدم تشتتها وتشعبها وتفكك أجزائها ، مما يؤدي إلى ضعف الوصول بها إلى الغرض المنشود .

---

(١) انظر : عبد الرحيم محمود زلط ، الفنون الأدبية وأثرها في الحياة ، فن الخطابة ، القسم الأول ، ص١٠ ، مكتبة الشباب ، طنطا ، ١٩٧٧ / ١٩٧٨م .

وأما الترتيب فهو لأجل تسلسل الموضوع ، كي يربط كل جزء بما بعده في شكل منتظم لا شذوذ فيه ، ولا غرابة في أفكاره وأهدافه .

وأما الوضوح فضد الغموض ، وذلك باختيار التراكيب والجمل المعروفة في لغة التخاطب حتى لا يضطر الجمهور إلى سؤال أحد في توضيح معنى أو فكرة مما ورد على لسان الخطيب[1] ، مما يسبب للمستمع عدم متابعة الخطيب لانشغاله بالتعرف على معنى الكلمة الغامضة .

ويختلف موضوع الخطبة المعروض عن غيره من حيث الطول والقصر ، وكثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث ، وسوق البراهين ، واستخدام الأساليب البلاغية ، واختيار المواقف الشبيهة المناسبة لنوع الخطبة .

كما أن اختلاف الخطباء له تأثير كبير في رسم [2] مسار الخطبة فلو كُلِّف شخصان فقط بالكتابة أو إلقاء موضوع معين ، لاتخذ كل منهما أسلوباً معيناً في الكتابة والإلقاء ، فكيف لو كان عدد الخطباء أكثر .

بل إن طريقة العرض وإشباع الموضوع تتغير عند ذات الشخص نفسه بسبب ما يعتري الإنسان من مؤثرات نفسية أو اجتماعية ، أو بتعدد المران وتطور الثقافة عنده .

٣ ـ الخاتمة :

أهميتها :

باعتبار الخاتمة آخر ما يصل إلى الأسماع فهي لذلك أحرى بأن تبقى في الأذهان ، مما يدعو الخطيب إلى الاهتمام بها ، وجعلها في مستوى موضوع الخطبة موضوعاً ، وطولاً وقصراً ، حتى تنتهي الخطبة والنفوس متعلقة بالمزيد منها .

---

(١) انظر : أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص١٢٠ ، وانظر : الفنون الأدبية وأثرها في الحياة ، وانظر : فن الخطابة (القسم الأول) ص١٠ .

(٢) انظر : الفنون الأدبية وأثرها في الحياة ، ص١١ .

أنواعها :

وكما أن لمقدمة الخطبة أنواع ، فكذلك خاتمتها على اختلاف الظروف والأحوال الزمانية والمكانية والبشرية .

ومن أهم هذه الأنواع ، ما يلي :

أ ـ تلخيص الخطبة في عبارات مختصرة دون تكرار العبارات السابقة ، حيث إن تكرارها قد يولد الملل والسأم في النفوس ، وقد يورث نسيان جودة الموضوع[1] .

ب ـ الحث على الالتزام بما جاء في الخطبة أو التنفير منه حسب الموضوع المطروق .

جـ ـ إيراد جمل دعائية للجمهور وكافة المسلمين والمسلمات ، وختام الدعاء بالصلاة والسلام على النبي ﷺ .

وأخيراً فإن تحريك عاطفة الجمهور للتعاطف مع الموضوع المطروق وإثارة المشاعر نحوه من أهم ما يشغل بال الخطيب رجلاً كان أو امرأة ؛ وهما بجدارتها وقدرتها على تهيئة موضوع الخطبة يستطيعان أن يوجدا هذا الشعور من أول خطوات الخطبة إلى خاتمتها مروراً بنفس موضوع الخطبة بالأساليب اللغوية البلاغية .

---

(١) انظر : أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص١٢٧ .

المطلب الثاني : التدريب العملي على الخطابة :

القسم الأول : داخل قاعة الدراسة :

أولاً : مرحلة جمع المعلومات وكتابتها :

١ ـ تحديد الموضوع[1] : وهذا يحصل بسؤال النفس أو الأشخاص الذين يهمهم الأمر عن المواضيع التي يراد معالجتها ، حتى يتسنى الوقت للتفكير ، ويلزم إعطاء فرصة كافية لذلك ، قد تصل إلى أيام وليال بدون تحديد وقت بذاته ؛ فقد يكون التفكير أثناء الخلود إلى الراحة ، أو في الطريق ، أو في الصباح ، أو المساء ، أثناء ارتداء الملابس أو خلعها .

ولا بأس أن يناقش الموضوع مع بعض الصديقات ، وطرح الأسئلة الممكنة التي تتعلق بالموضوع والإجابة عليها .

٢ ـ القراءة حول الموضوع بعمق مع التدوين المباشر لأهم نقاطه ، والأفكار المكونة له ، ثم إضافة الأفكار والآراء الجديدة سواء ما كان مقروءاً أو مروياً ، أو حدث له ارتباط بالموضوع من حديث النفس .

٣ ـ مراجعة جميع الأفكار المدونة وترتيبها وتنسيقها بحيث تتلاءم المواضيع مع بعضها ، وتكون متسلسلة تسلسلاً منطقياً ، كل فكرة منها تؤدي إلى الفكرة التي تليها ، لكي يحصل التجانس ، ويزول الاضطراب .

٤ ـ في حالة ازدياد الأفكار أو الأمثلة عن جحم الخطبة المعتاد يستبعد الزائد ليبقى طاقة احتياطية تسعف الخطيبة عندما تنسى بعض الأفكار الأساسية التي اعتمدتها في الحديث .

٥ ـ كتابة جميع الأفكار بكلمات مرتبة في بطاقة على الترتيب الأصلي

---

(١) انظر : دايل كارينغي ، فن الخطابة ، ص٣١ ، نشر دار الهلال ، بيروت ، ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى .

للموضوع ، كل كلمة تذكر بالفكرة التي تتعلق بها ، على أن تحتفظ الخطيبة بهذه البطاقة معها كي تستخدمها عند الحاجة .

٦ - المراجعة المتكررة لفقرات الموضوع مطلوبة ، لتثبيت الأفكار مسلسلة في الذهن ، فإن ذلك مما يعين على غزارة العطاء .

ثانياً : مرحلة الإلقاء :

بعد إنهاء جمع المادة العلمية تأتي مرحلة الإلقاء ويستحسن للمدربة أن تلقي خطبتها لأول مرة في مكان خاص بعيداً عن أنظار الناس وكأنها أمامهم وتكرر هذه العملية حتى تتأكد من إتقانها .

ثم تنتقل بالتجربة إلى جمهور زميلاتها بحضور الموجهة للتصويب وتسديد الأخطاء ، وفي هذه الخطوة التي ستواجه المتدربة فيها زميلاتها ، لابد أن تضع في حسبانها عدة احتمالات قد تتعرض لأحدها أو لبعضها أو معظمها حتى لا تنهار نفسها مما يؤدي إلى الفشل الكامل .

ومن هذه الاحتمالات ما يلي :

١ - الخجل .
٢ - نسيان كل الفقرات المعدة مسبقاً أو بعضها .
٣ - عدم الاستطاعة في التفكير بوضوح .
٤ - الارتباك والتوتر العصبي والخوف .
٥ - اصطكاك الركب .
٦ - ازدياد دقات القلب وسرعة النبض .
٧ - الْتِصَاق اللسان بأعلى الفم .
٨ - التصبب العرقي[1] .

---

(١) انظر : دايل كارينغي ، فن الخطابة ، ص٩ .

كل ذلك أو بعضه قد يحدث رغم الإعداد المسبق للخطبة في حالة إلقائها لأول مرة .

فإذا عرفت المتدربة ما قد تتعرض له من عقبات مسبقاً ساعدها ذلك على اجتيازها بعد توفيق الله سبحانه وإعانته .

ومن حق المتدربة في هذه المرحلة أن تحظى باحترام أستاذتها وحسن توجيهها وكذلك الزميلات ، فلا يصدر منهن ما يجرح شعور المتدربة من سخرية ، واستهزاء ، بما تتعرض له أختهن من مواقف محرجة ، بل على الأستاذة حسن التوجيه ، وعلى الزميلات حسن الاستماع مع خدمة أختهن في تقديم الملاحظات ، وتقويم الخطبة ، والخطيبة ، مما يفيد المتدربة ، وتسير على ضوئها لأن ذلك أهم ما يثري موضوع الخطابة وينميها لديها مع التدريب المستمر ، كما ينمي في النفس الشجاعة والثقة بالنفس والعطاء الغزير ، لأن التعود على مواجهة الجمهور محرك يدفع العقول للعمل بفعالية أكثر بصورة لا يحسب الخطيب لها حساباً ، وكأن الجمهور هو الذي يعطيه هذا الزاد الفكري .

إن الخطيب في مرحلة التدريب بحاجة إلى اتباع خطوات كثيرة ، منها ما يلي ، كما ورد في كتاب فن الخطابة :

١ ـ أن يستحضر أهم جوانب الموضوع الذي سيتحدث فيه .

٢ ـ أن يقف منتصباً مستقيماً مركزاً نظره على عيون الجمهور ينتقل ببصره بينهم من جهة إلى أخرى .

٣ ـ أن يبدأ خطبته برغبة قوية وثقة .

٤ ـ ومن المستحسن للخطيب أن يشدد على الكلمات المهمة ويخفض غيرها ، وأن يغير طبقات الصوت أثناء الخطابة ، وأن يقف عن الكلام قبل وبعد الأفكار المهمة لإثارة الانتباه .

٥ ـ وعليه أن يحذر العبث بأزرار ملابسه أو فرك يديه أو مسح وجهه أثناء الخطبة .

٦ ـ وليعلم سوء الاختباء وراء الأثاث أثناء الخطبة ليواري جسمه عن الجمهور ، فقد يجد في ذلك بعض الشجاعة النفسية ، لكن فائدة هذا التصرف لا يقاس بالضرر الحاصل ، ولا بأس أن يضع يديه على المنضدة أو يمسك بعصى لتمتص شحنات الخوف والخجل في المراحل الأولى للتدريب .

وأخيراً فإن خير وصية للمتدرب هو الإكثار من مزاولة هذا العمل ، لأنه السبيل في تحقيق الذات ، في هذا الجانب يقول تشونستي م . ديبيو : (ليس هناك من إنجاز يستطيع أي إنسان أن يحقق من خلاله ذاته ويضمن لنفسه مقاماً رفيعاً مثل القدرة على الحديث بشكل مقبول)[1] .

القسم الثاني : محيط المجتمع المدرسي وخارجه :

فإذا تأكد المتدرب من نجاحه في ميدان زملائه في الفصل انتقل بعد ذلك إلى الخطابة في مجتمع المدرسة من الأساتذة والطلاب ، ومن ثم ينقل تجربته إلى خارج هذا الإطار ، على نفس الخطوات التي نفذت في الفصل .

وبالنسبة للمتدربات من النساء أن ينتقلن بتجربتهن في الخطابة من الفصل إلى محيط المدرسة والمحيط الخارجي في التجمعات النسائية في أماكن الاحتفالات النسائية الخاصة والعامة تحت إشراف المدربات المشرفات على التربية العملية للخطابة ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار عدم منح الطالبة شهادة التخرج حتى تجتاز مرحلة التدريب العملي في الخطابة .

(١) نقلاً عن دايل كارينغي ، فن الخطابة ، ص١٦ .

المبحث الثاني

التدريب على الإعداد للتدريس

أهميته :

يعتبر التدريس من أهم القنوات التي تستخدم مع الناس في الدعوة إلى الله سبحانه ، وتمتاز عن غيرها من قنوات الاتصال ، بالثبات وملازمة فئة معينة من الناس طوال فترة الدراسة التي تطول أو تقصر حسب ظروف الطالب أو الطالبة .

وعلى كل حال فلا مجال للمقارنة بين قنوات التدريس والقنوات الأخرى من حيث المدة أو التأثير ، وفي غالب الأحوال ، فإن المدرس يستطيع أن يؤثر في تلاميذه بشكل كبير حسب اتجاهاته الفكرية والثقافية . سلباً أو إيجاباً ، فهم كالعجينة بين يديه . ولهذا فيجب على الأمة الإسلامية أن تهتم بصناعة التدريس ، وإعداد المدرس الذي يحمل الإسلام فكراً وثقافة مهما كان تخصصه العلمي ، حتى يمكنه القيام بالدعوة إلى الله من خلال تدريسه وسلوكه الإسلامي ، حيث تتمثل القدوة الصالحة في هذا السلوك أمام الطلاب . كما أن المدرس يملك مركز قوة نسبي إذا ما قيس بمراكز القوة في القنوات الأخرى بسبب ما لديه من صلاحيات تمكنه من استخدام أساليب الرغبة والرهبة مع الطلاب ، كما تمكنه من القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما رأى ما يدعو لذلك .

ولذلك فلا مناص من إعداد المدرسين رجالاً ونساء إعداداً يؤهلهم للقيام بهذه المهمة العظيمة ، سواء ما تعلق بالإعداد النظري أو الإعداد التطبيقي ، فهما أمران لازمان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ولا يغني عنه .

ولا بد أن يتلقى طلبة التربية خلال إعدادهم للتدريس علوماً وخبرات منهجية ، نظرية وتطبيقية متنوعة ، تتفق في الغالب مع طبيعة تخصصاتهم ومهامهم العملية فيما بعد التخرج .

ويكون الإعداد متفقاً مع القيم الدينية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في ذلك المجتمع المسلم الذي يمثل هؤلاء المتدربون صورة حية لشرائحه المتعددة .

والتربية العملية لإعداد المعلمين مهمة وضرورية نفسياً واجتماعياً وتعليمياً وإدارياً كي يكسبوا خبرات أولية تساعدهم على القيام بمهامهم ومسؤولياتهم بصورة أقرب إلى الكمال والقوة .

ومن الضروري أن يقوم بالإشراف على التربية العملية موجهون ومربون مؤهلون في معاهد إعداد المعلمين ، أو كليات الإعداد التربوي والدعوي . والتربية العملية في مناهج إعداد المعلمين والمعلمات تتناول ثلاثة من أنواع الإعداد نذكرها فيما يلي[1] .

أنواع الإعداد :

١ ـ **الإعداد النظري التعليمي** : ويشمل مواد المتطلبات العامة والتخصص ثم المواد الاختيارية .

٢ ـ **الإعداد النظري الوظيفي** : ويشمل دراسة مواد وممارسة خبرات ضرورية لبناء شخصية المعلم التدريسية ، مثل تحفيز التعلم وانضباط الفصل وإدارته ، والمنهج الدراسي ، والطرق الخاصة ، والوسائل التعليمية ، وعلم النفس التربوي ، والتربية المقارنة ، وأصول التربية .

٣ ـ **التربية العملية** : وهي تعني خوض التجربة والممارسة العملية في

---

(١) انظر : د . محمد زياد حمدان ، التربية العملية الميدانية ، مفاهيمها وكفاياتها وممارساتها ، ص٢٦ ، ٢٧ ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م ، الطبعة الأولى ، حيث سترى نموذجاً لبداية التربية العملية ومبادىء وطرق التدريس .

التدريس ، وعلى الرغم من اختلاف الأسلوب التطبيقي للتربية التعليمية من مؤسسة تربوية لأخرى أو من دولة لدولة ، فإن هناك إجماعاً على ضرورة التربية العملية أياً كانت الصيغة التنظيمية والتطبيقية التي تتخذها لأنها تشكل عنصراً رئيساًلا غنى عنه في مناهج إعداد المعلمين حيث بدونها تفقد هذه المناهج فاعليتها وصلاحيتها ، بل إنها تعد ناقصة من الناحية التربوية .

وتعتمد العملية التعليمية على عدة محاور ، أهمها المعلم والتلميذ ، والمادة العلمية والمدرسة ، بما فيها من نظام يحكمها ووسائل إيضاح تستخدمها لإيصال المعارف العامة والخاصة للطلاب .

والمدرس أهم هذه المحاور التعليمية فيلزم إعداده إعداداً يؤهله للقيام بمسؤوليته على المنهج الذي يتمشى مع تعاليم الإسلام جاعلاً همه الأول الدعوة إلى دين الله من خلال رسالته التعليمية .

وإن مما يدعو للأسى حال المدرس وواقع إعداده العلمي والعملي في معظم البلاد الإسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بعلوم الشريعة ، حيث لم تعط الاهتمام الكافي في مناهج التعليم .

وإن معظم المعلمين والمعلمات الذين يمارسون تدريس الدين في المدارس في معظم البلاد الإسلامية لم يدرسوه من قبل مادة علمية مستفيضة ، كما لم يحيطوا بأصول تدريسه ، ولم يكن عندهم الاهتمام للدعوة إلى دين الله ـ وهو أثمن ما يملكه المسلم حيث هو عقيدة الأمة ـ فلا نعجب إذاً من النتائج البعيدة عن الدين في حقل التعليم وفاقد الشيء لا يعطيه[1] .

لذلك فإن القضية جد خطيرة والخطب جسيم ، ولا بد للأمة المسلمة من يقظة فكرية تستلهم من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ منهجها ، فعلى نور الله

(١) انظر : عابد توفيق الهاشمي ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص١٦ ، ساعدت جامعة بغداد على نشره مع مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الطبعة السابعة .

تسير ، وبهدي رسوله الكريم تستنير حتى تكون وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى لها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

وإذا تركت هذه الأمة سبيل ربها فقدت عقيدتها ، وبالتالي فقدت أهم مقومات حياتها التي تجعلها في ذرى المجد والقيادة العالمية .

وإن الفاحص العادي لمناهج التعليم في معظم البلاد الإسلامية يعرف أنها قد سارت في ركاب الدول الكافرة من الشرق والغرب على السواء في سياسة التعليم ومناهجه وخططه ، فأكدت بذلك تبعيتها الفكرية والثقافية لعدوها ، وأثبتت نجاح العدو في هذا النوع من الاستعمار الفكري الثقافي بعد أن فشل في استمرار الاستعمار العسكري .

ولكننا مع كل هذا التخلف ، ومع كل هذه التبعية ، لم نفقد الأمل ولن يتسرب إلينا اليأس إن شاء الله فيما يتعلق بقدرة هذه الأمة على استرجاع مجدها ومكانتها القيادية .

ولذا فإننا سنسعى جادين بعون الله وتوفيقه بالمشاركة في وضع الخطط الكفيلة بالنهوض من الكبوة ، والانتباه من الغفلة ، ولن يطول بإذن الله هذا السبات العميق . وتباشير الصحوة الفكرية في العالم الإسلامي تلوح في الأفق ، وليس على علماء الأمة ومفكريها وحكامها إلا احتواء هذه الصحوة ، والقيام على رعايتها وتوجيهها .

وإن من أول ما يجب اهتمام العلماء والمفكرين به هو إعداد المدرس المسلم الواعي المخلص المدرك لرسالته ، والذي يملك القدرة على صياغة مادته العلمية لتخدم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى مهما كان تخصص هذا المدرس ، وفي أي مكان أو زمان على أرض الله الواسعة .

ويجب على المجتمع المسلم أن يعي رسالة المدرس ، ويعطيه حقه من العناية والاحترام والتقدير ، لأنه الجسر العلمي الذي تعبر منه الأمة ، ولأنه البوابة

الثقافية للمجتمع ، ولأنه الذي يحمل مشعل النور إلى العالم أجمع إذا وجد الموجه المخلص والأستاذ الواعي والمشرف الناصح الأمين ، والمنهج السوي .

وإذا كانت هذه اللمحات السريعة تشير إلى مكانة المدرس السامية وقدره الرفيع ، فإن من حقه علينا أن نشارك مع المشاركين ، وندلي بدلونا مع أصحاب الدلاء في رسم منهج لإعداده كي يقوم برسالته التعليمية على أقصى ما يمكن من حدود الكمال ، مع العلم بأن الاختصار مطلوب ، وحسبنا أن نشير عند الحاجة إلى المراجع والمصادر والكتب المتخصصة في هذا الجانب ، والله المستعان .

مطالب الإعداد للتدريس

إن من العوامل اللازمة لنجاح إعداد المدرس للتدريس توفر عدة مطالب لا يمكن الاستغناء عنها بحال إذا ما أردنا تأمين المدرس الناجح ، ومن أهم هذه العوامل ما يلي :

١ ـ وجود المدرب الكفؤ ديناً وعلماً وخلقاً ، الذي يستطيع صياغة مادته العلمية بحيث تخدم الدعوة إلى الإسلام .

٢ ـ وجود المنهج الواضح والمقرر المستوفي لمعظم متطلبات الإعداد الذي يتسم ببروز الجانب الدعوي في ثناياه .

٣ ـ تخصيص عدد من الساعات الكافية الشاملة لكافة فقرات المنهج للدراسة النظرية ، وتخصيص ساعات مماثلة للتدريب العملي داخل فصل التدريب بين الزملاء تحت إشراف أستاذ متخصص في التدريب ، وساعات أخرى للتطبيق العملي في المدارس العامة أو الخاصة .

٤ ـ اختيار الطلاب من ذوي الكفاءة العلمية العالية والذكاء والأخلاق مع إعطاء الحوافز التشجيعية للالتحاق بالتدريس .

٥ ـ تشجيع المدرس الداعية ، وإعطاؤه الأولوية في المكافآت والرتب الوظيفية العالية ، وغير ذلك من الحوافز التشجيعية .

٦ ـ وفيما يتعلق بالمدرسات توفير الضمانات الكافية للجمع بين مسؤوليات البيت والمدرسة بحيث لا تضيع مصلحة على حساب أخرى أهم منها أو مساوية لها .

وإن عملية الإعداد للتدريس لتمر بعدة مراحل جزئية تنتظم في جانبين رئيسين هما :

١ ـ الجانب النظري .

٢ ـ الجانب التطبيقي .

وسنتناول ذلك في الصفحات التالية .

أولاً : الجانب النظري :

فأما الجانب النظري فيتناول استعراض ودراسة كافة فقرات المنهج المقرر من طرق التدريس ، واستيفاء ما كتب فيها دراسة نظرية متمشية مع خطة التدريس وخطواته على قدر الطاقة والإمكان .

وتشمل هذه الدراسة ما يلي :

أ ـ التعريف بالصفات والمقومات النفسية والاجتماعية اللازمة للتدريس ، وبيان أهميتها اللازمة للتدريس ، وبيان أهميتها والدعوة إلى التخلق بها[1] .

ب ـ تعريف المتدرب بأهداف التدريس العامة والخاصة لكل مادة علمية بل لكل موضوع على قدر المعطيات المتاحة[2] .

---

(١) انظر : عابد توفيق الهاشمي ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص٢٦ ، وانظر : عبد الرحمن النحلاوي وزملاؤه ، التربية وطرق التدريس ، ج١ ، ص١٥ ، نشر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٩هـ . وانظر : الأخلاق النفسية والاجتماعية للداعية في هذه الرسالة .

(٢) انظر مثلاً : النحلاوي وزملاؤه ، التربية وطرق التدريس ، ص٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، وانظر : عابد الهاشمي ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص٤٨ ، ٥٨ ، ٧٢ .

ج ـ بيان أهمية الوسائل التعليمية للمتدرب واستعراض ما أمكن منها ، وكيفية استخدام كل وسيلة مع الموضوع الخاص بها وإفادتها فيه[1] .

د ـ الإجابة على أسئلة المتدرب لتوضيح مسألة مبهمة ، أو حل تعارض في ذهنه .

هـ ـ قبول مشاركة الطلاب بإبداء الرأي ، أو التنبيه ، أو الإضافة ، فربما كان لمثل هذه المشاركة آثار إيجابية طيبة وفوائد مهمة وتجديد في الأفكار مما يساعد على تقديم خدمة لتطوير طرق التدريس .

و ـ عرض الأسئلة التلخيصية أو الاختبارية في نهاية الدرس[2] .

ز ـ إعطاء دروس نظرية وتمارين في طرق التدريس للمقررات التي تدرس في المدارس العامة .

ح ـ استعراض كافة العقبات التي تواجه المدرس عادة بهدف تلافيها في المستقبل .

ط ـ الاطلاع على نماذج تربوية من طرق التدريس لكل مادة على حدة ، ودراستها دراسة نقدية جيدة بهدف الاستفادة منها لا التعويل عليها .

ي ـ إعطاء دروس نظرية وتمارين في طرق التدريس للمقررات التي تدرس في المدارس العامة أوالخاصة .

ويجب أن يكون التدريس وفق خطة مرسومة ، وخطوات مرتبة ترتيباً جيداً ، بحيث تؤدي كل خطوة إلى التي تليها[3] .

---

(١) انظر : محمد زياد حمدان ، التربية العملية الميدانية ، ص١٢٥ ، وما بعدها .

(٢) انظر : عابد توفيق الهاشمي ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق ، ص٧٢ ، ٧٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

ثانياً : الجانب التطبيقي :

يتناول هذا الجانب مرحلتين هما :

١ ـ مرحلة التطبيق العملي داخل قاعة الدراسة للمتدرب أمام زملائه بإشراف أستاذه .

٢ ـ مرحلة التدريب العملي في المدارس العامة .

١ ـ فأما مرحلة التدريب العملي داخل قاعة الدراسة ، فيبدأ المتدرب فيها بتحضير موضوع معين يتفق فيه مع الأستاذ المدرب ، يطبق فيه ما يراه مناسباً بالموضوع ، ومتعلقاً به ، مما درسه على يد أستاذه ، أو ما ورد في ذهنه من أفكار يمكن أن تخدم موضوعه المطروح .

يبدأ المتدرب تحضير المادة العلمية لدرسه بجمع مفردات موضوعه ، ويقوم بتقسيم الموضوع حسب الإمكان إلى عدد من الوحدات الفكرية ، ثم يقوم بكتابة مقدمة مناسبة يفتتح بها درسه ، وخاتمة تلخيصية لجميع الأفكار التي وردت في الدرس في عبارات قصيرة بهدف استيعاب موضوع الدرس .

كما أن على المتدرب أن يقوم كذلك بتحضير الوسائل التعليمية (وسائل الإيضاح) التي تخدم الأفكار المطروحة ، إن كان ثمة حاجة .

ولا بأس على المتدرب أن يستعين ببعض الدروس النموذجية الموجودة في كتب طرق التدريس[1] ، أو الاستفادة مما عرضه الأستاذ المدرب في الفصل ، بالإضافة إلى الخبرات التي استقاها من واقع مشاهداته ومسموعاته .

وفي يوم تال يحدد من قبل الأستاذ المشرف ويحاط المتدربون من طلاب الفصل علماً بالموعد يأتي الطالب المتدرب ليلقي موضوعه على أستاذه وزملائه مفتتحاً بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ .

---

(١) انظر : عابد توفيق الهاشمي ، طرق تدريس الدين ، دروس نموذجية ، ص٧٤ ، ١١٦ ، ٢٠١ .

ويقوم الأستاذ المتدرب وزملاء المتدرب بتسجيل الملحوظات الإيجابية والسلبية لغرض النقد الهادف البناء .

ويتكرر هذا التدريب العملي عدة مرات على عدد المتدربين في غرفة الدراسة حتى يصل المتدربون إلى مستوى الثقة في نفوسهم ومقدرتهم على مواجهة طلاب المدارس العامة الذين سيطبقون عليهم جانب التدريب العملي . فإذا اطمأن الأستاذ المدرب من مقدرة المتدربين وتأكد من نجاحهم في مرحلة التدريب العملي نقلهم إلى مرحلة التدريب العملي في المدارس العامة .

٢ ـ مرحلة التدريب العملي في المدارس العامة :

في هذه المرحلة يزاول المتدرب تدريس طلاب المدارس العامة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية كل على حسب المقرر والمنهج الدراسي الخاص بهم لمدة فصل دراسي كامل ، تحت إشراف جزئي من الأستاذ المشرف ، وإشراف كلي من مدير المدرسة ؛ الذي يقوم برفع التقارير الشهرية إلى الأستاذ المشرف .

يقوم المتدرب في هذه المرحلة بكافة المسؤوليات العامة والخاصة بطلاب المدرسة ، من تحضير المادة العملية ، وإجراء الامتحانات ، ورصد الدرجات دون الاعتماد على الأستاذ المشرف في أي خطوة من هذه الخطوات ، وقد يحضر الأستاذ المشرف ساعة أو ساعتين من ساعات التدريس خلال هذه المرحلة ، وقد يكتفي بالتقارير المرفوعة من قبل مدير المدرسة ، أو بسؤال المتدرب عن المشاكل التي واجهته ويحتاج فيها إلى توجيه .

أ ـ خطوات التدريس :

بعد أن يتعرف المتدرب على المقرر المدرسي عليه أن يتعرف على الأهداف العامة والخاصة لجميع المواد التي سيقوم بتدريسها ، مع تحضير الوسائل التعليمية التي توضح بعض المسائل المطروحة لتساعد على دقة الفهم ووضوح الغاية .

ثم يقوم بتحضير موضوع الدرس المطلوب وفق المنهج الذي درسه في مرحلة

التدريب العملي .

وبعد ذلك يقوم بعملية التدريس مبتدئاً بإلقاء السلام على الطلاب ، وحمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، ثم يدخل في موضوع الدرس مبتدئاً بالتمهيد للموضوع ، على أن لا يكون على وتيرة واحدة في كل درس إذ الأستاذ له حق الاختيار في التمهيد بأساليب مختلفة منها :

١ ـ تقديم موجز يصور الفكرة العامة التي يشملها الموضوع .

٢ ـ إثارة قضية اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك مما له علاقة بالموضوع .

٣ ـ إذا كان الموضوع نصاً من القرآن الكريم أو السنة أو تفسيراً لبعض الآيات ، فإن ذلك يقتضي قراءة النص قراءة أولية مع ذكر أسباب نزول الآيات ، وبيان مكانة القرآن الكريم والسنة المطهرة إذا اقتضى الأمر ذلك .

ويحق للمدرس أن يجمع بين هذه المسائل كلها أحياناً ، أو الاقتصار على بعضها نظراً لتنوع أغراض الموضوع .

ب ـ موضوع الدرس :

إذا كان الموضوع دراسة نصوص قرآنية ، أو حديثية ، فلابد أن يقرأ الأستاذ قراءته النموذجية التي يطبق فيها جميع الأحكام المطلوبة في مثل هذه القراءة ، ثم يطلب من الطلاب القراءة الصامتة ثم الجهرية ، حتى يتأكد من تمكنهم من القراءة الجيدة ، ثم يقوم بشرح المفردات الصعبة .

وإذا كان الموضوع غير ذلك بدأ الأستاذ بتقسيمه إلى عدة فقرات مكتوبة على لوحة الحائط تؤلف كل منها وحدة فكرية مستقلة ، ويتناول كل وحدة بشرح مستقل ، ثم ينتقل إلى الحديث عن الوحدة الثانية ، وهكذا حتى ينتهي من الحديث عن جميع الوحدات الفكرية يصوغها في النهاية في عبارات قصيرة تجمع شمل هذه الوحدات في بوتقة واحدة مع الاهتمام في التركيز على إثارة قضايا الإيمان

بالغيب في النفوس ، مع بيان خصائص هذا الدين وهيمنته على جميع الأديان ، ليخدم بذلك الدعوة إلى الله مهما كان تخصصه[1] ، وله أن يربط في شرحه بين حال المسلمين اليوم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، مع مراعاة جانب الإقناع العقلي ، وإثارة الغيرة الدينية بعقل واع ، وقلب مشفق ، ووجه مشرق ، وثقة بالله سبحانه وتعالى ، ثم بنفسه مع مراعاة أن يطابق قوله عمله ، فيكون سلوكه مبنياً على أسس الإسلام ومبانيه العظام ؛ فيكون بذلك قدوة لطلابه .

جـ ـ الخاتمة :

وتشمل ما يلي :

أ ـ الخلاصة ، يقدم فيها الأستاذ ملخصاً لموضوعه في فقرات محددة .

ب ـ أو يقوم بتوجيه الأسئلة الشاملة لموضوع الدرس ، سواء كان ذلك لغرض تلخيص الدرس ، أو لاختبار مدى الاستيعاب عند الطلاب[2] .

جـ ـ أو يؤجل الأسئلة إلى اليوم التالي لكي يربط بين الموضوع الماضي والحاضر .

---

(١) انظر : عابد توفيق الهاشمي ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص١٧٧ .

(٢) إذا شعر الأستاذ بحاجته للاستئناس بالدروس النموذجية الموجودة في معظم كتب طرق التدريس فله ذلك .

المبحث الثالث : التدريب على إعداد المحاضرة[1]

أولاً : الجانب النظري :

في التدريب على المحاضرة ـ إعداداً وإلْقاء ـ يكون المتدرب قد تجاوز أهم الصعوبات التي تعوق سيره في الحديث ـ لأنه في الغالب ـ قد تدرب على الخطابة والتدريس داخل المدرسة أو المعهد الذي يتدرب فيه ، ولم يبق عليه سوى التدريب على كيفية إعداد موضوع المحاضرة بجمع المادة العلمية من مصادرها المتنوعة وتنسيق فقراتها وفق ما يلي :

١ ـ الهيكل التنظيمي .

٢ ـ الخصائص العامة .

فأما ما يتعلق بالهيكل ، فإن المحاضر يستهل محاضرته في الغالب بما شاء من أساليب الاستهلال التي مر ذكرها أثناء الحديث عن إعداد الخطبة ، إلا أن بإمكان المحاضر أن يجعل استهلاله بجمل دعائية يستعين الله بها على تقديم ما يراه خادماً لموضوعه من غير أن يثقل على السامعين .

ثم يدخل في صلب موضوعه ، وهو مخير في الابتداء إما بعرض أسئلة تتعلق بالموضوع شداً للانتباه وشحذاً للهمم وتحريكاً للأذهان وتوليداً للأفكار ، أو ببيان

---

(١) معظم معلومات هذا المبحث جاءت من واقع التجربة الشخصية في إدارة المحاضرات والندوات .

أهمية ونفع الموضوع وحاجة الناس إليه ، إن كان مما يأمر الشرع به أو بيان ضرره وفساده ، إن كان مما ينهى عنه الشرع موثقاً ذلك بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح من هذه الأمة ، مع استعراض الموضوع وبيان الراجح بهدف الوصول إلى المقصود مستعيناً في ذلك بإيراد الحكم والأمثال والقصص التي تضفي على الموضوع من تنوع المعلومات وجدتها ، ما يجعل الحضور مشدودين إلى متابعة المحاضر وعدم السأم ، ثم يذكر الآثار المترتبة على تطبيق ما يدعو إليه أو ينهى عنه من جميع الوجوه ، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، مع ملاحظة التنظيم والدقة ، والتروي في الإلقاء ، مع مراعاة الحضور بحيث لا يلقي موضوعه بإسهاب ممل ، وعليه أن يختار ما سهل من الألفاظ والعبارات والتراكيب مبتعداً عن التكلف وغريب الألفاظ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

فإذا أتم المحاضر الموضوع مستوفياً له من جميع الجوانب المتيسرة له ، أخذ بالوصية والحث على سلوك ما يدعو إلى فعله ، واجتناب ما يدعو إلى تركه حسب موضوع المحاضرة .

وفي ختام المحاضرة يستحسن أن يذكر المحاضر أهم العناصر الواردة لتكون آخر ما يعلق في أذهان الجمهور ، ويعقب ذلك حمد الله ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ثم يسلم على الجمهور ، ومن ثم يستعد للإجابة على الأسئلة التي تتناول بعض الأفكار المتعلقة بالمحاضرة مما لم يتناوله المحاضر ، أو لم يستوفه حقه من التوضيح والتفصيل والشرح والتحليل .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن تكون الأسئلة التي تعقب المحاضرة مما يضفي على المحاضر والمحاضرة والجمهور ثوباً من الحيوية والتجديد .

وأما الخصائص العامة فتنقسم إلى أربعة أقسام هي خصائص المحاضر والمحاضرة والجمهور ، وخصائص التنظيم الإداري .

١ ـ خصائص المحاضر :

وتتمثل في الصفات الخلقية والنفسية والاجتماعية ، وكذلك الصفات العلمية ، وقد ذكرنا عند الحديث عن الخطبة ما يغني عن الإعادة في هذا الموضوع .

ب ـ خصائص تتعلق بالمحاضرة ويمكن ذكرها فيما يلي :

١ ـ يغلب على المحاضرة صبغة تقرير الحقائق وتثبيت المعاني .

٢ ـ عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والأصول والأحكام[1] .

٣ ـ تحتاج المحاضرة إلى الشرح والاستشهاد .

٤ ـ المحاضرة تخاطب العقل في المقام الأول ، ولذلك فهي تتميز بهدوء العرض في غالبها ، ولا بأس بوجود العاطفة في المحاضرة بنسبة الملح إلى الطعام .

٥ ـ معلومات المحاضرة ليست تلقينية ولا تفرض على الحضور ، وإنما هي قابلة للنقاش واختلاف الآراء ، كما أن معلوماتها ليست موضع امتحان للجمهور ، ويكتفى من الموضوع بالعرض فقط .

٦ ـ المحاضرة لا تقبل الارتجال في الغالب ، لأن ذلك يدعو إلى بروز العاطفة والتحمس ، ونسيان بعض عناصر الموضوع ، كما أنها لا تقبل القراءة من ورقة ، فإن ذلك مما يجلب السأم للمحاضر وللحضور ، لأن الكل يريد الوصول إلى نهاية المقروء ويجعل المحاضر في واد والحضور في واد آخر ، ويستحسن تدوين ما يذكر بعناصر الموضوع وأساسياته المتضمنة للأفكار الرئيسة فيه .

٧ ـ قابلية المحاضرة لإطالة الوقت المخصص لها ، فهي غير محصورة بزمن معين بدقائق ، وإنما قد تستغرق ساعة أو ساعتين أو ثلاث تتخللها فترة الأسئلة ،

---

(١) انظر البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ٣٠٢ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

وذلك مما يستدعي بسط الموضوع بذكر الشواهد والأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما في ذلك ذكر الآراء المخالفة والرد عليها .

٨ - تعدد المراجع لموضوع المحاضرة ، والتثبت التام من صحة المعلومات وعدم تضاربها .

جـ - خصائص جمهور المحاضرة أهمها ما يلي :

١ - جمهور المحاضرة متنوع الثقافات ومختلف الأعمار ، ولذلك فكلما كان الموضوع يعالج حاجة عند الناس ، كان ذلك أقرب إلى نفوسهم ، وأكثر جاذبية لانتباههم .

٢ - يستحسن مراعاة حال غالبية الجمهور فيما يتعلق بالموضوع وأسلوب العرض ، فالتحدث إلى طبقة عالية الثقافة يختلف عنه عند متوسطي الثقافة ، فبالإمكان استخدام وسائل إيضاح وأساليب علمية كالرسوم والأجهزة الفنية أو البحوث الأصيلة مع طبقة المثقفين في مجال الطب والهندسة والعلوم التجريبية كل في مجاله .

د - خصائص تتعلق بالتنظيم الإداري ، ويتضمن ذلك ما يلي :

١ - اختيار موضوع المحاضرة .

٢ - ترشيح محاضر متخصص .

٣ - الإعلان عن مكان وزمان وموضوع المحاضرة واسم المحاضر .

٤ - تهيئة المكان ، بما في ذلك التأكيد من صلاحية مكبرات الصوت ، وتوفر المقاعد والتكييف والإضاءة .

٥ - إحضار الوسائل التوضيحية المناسبة إذا لزم الأمر .

٦ - تقديم المحاضر للجمهور والتعريف به وبموضوع محاضرته .

وكما ذكرنا التجارب العملية للخطابة والتدريس ، فيمكن أن تجرى تجربة

إعداد المحاضرة وإلْقائها على طالبات الفصل ، ثم تنقل التجربة إلى مستوى مدرسات المدرسة وتلميذاتها حتى يتم النضج المطلوب الذي يؤهل لمزاولة العمل الدعوي مع جمهور الناس في الممارسة العملية المعتادة ، وإليك أسوق نموذجاً لهذا التدريب .

ثانياً : الجانب التطبيقي :

١ ـ مرحلة التدريب العملي على إعداد محاضرة داخل قاعة الدراسة :

بعد الدراسة النظرية لكيفية إعداد المحاضرة فلا بد أن تدخل الطالبة مرحلة التدريب العملي تحت إشراف المعلمة التي تقوم بالتدريب .

وإن أهم الخطوات العملية لإعداد محاضرة هي ما يلي[1] :

١ ـ تطبيق ما تمت دراسته نظرياً مع مساعدة المعلمة .

٢ ـ اختيار عنوان الموضوع الذي لابد أن يكون مرتبطاً بحياة الناس وواقعهم .

٣ ـ جمع المادة العلمية من مصادرها تحت إشراف المعلمة التي تقدم مساعدتها للطالبة كلما احتاجت إلى ذلك ، مثل الدلالة على المصادر ، وتبويب المعلومات وترتيبها ، وعمل مقدمة وخاتمة ، إلى غير ذلك من الإرشادات التي تحتاجها الطالبة المتدربة في أول الطريق .

٤ ـ اطلاع المشرفة على موضوع المحاضرة بعد الإنتهاء من الكتابة بما في ذلك المقدمة والخاتمة حتى تضع اللمسات الأخيرة عليها .

٥ ـ إعداد أسئلة على موضوع المحاضرة والإجابة عليها .

٦ ـ تتفق المعلمة مع الطالبة في موعد محدد داخل الفصل الدراسي كي تجرى

---

(١) وضعت هذه الفقرات اجتهاداً قياساً على التطبيق العملي للتدريس .

التجربة الأولى لإلقاء المحاضرة على طالبات الفصل تحت إشراف المعلمة . وحيث إن المحاضرة تحتاج إلى من يقوم بالتقديم وقراءة الأسئلة المقدمة من الجمهور فعلى المعلمة تكليف طالبة أخرى بكتابة صيغة الإعلان للطالبات داخل الفصل محددة فيه عنوان المحاضرة وموعدها داخل الفصل واسم الطالبة المتدربة .

٧ ـ وفي الزمان والمكان المحددين تجلس كل من الطالبة المحاضرة ، والطالبة المقدمة أمام زميلاتها في الفصل لتقديم المحاضرة تحت إشراف المعلمة .

٨ ـ تبدأ الطالبة المقدمة افتتاح المحاضرة بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله مرحبة بالمحاضرة وبزميلاتها ومعرفة بعنوان المحاضرة . ثم تطلب الطالبة المقدمة من الطالبة المحاضرة تقديم محاضرتها .

٩ ـ تبدأ الطالبة محاضرتها على النسق الذي تعلمته في الدراسة النظرية عن كيفية إلْقَاء المحاضرة ووفق الموضوع الذي قد جمعت مادته العلمية ورتبته وأخذت موافقة المشرفة على تقديمه .

١٠ ـ وبعد أن تنهي الطالبة محاضرتها ، تقوم الطالبة المقدمة بشكر المحاضرة ، مؤذنة بابتداء فترة الأسئلة التي قد أعدت من قبل وتدربت الطالبة المحاضرة على إجابتها .

وبانتهاء الأسئلة تقدم الطالبة المقدمة شكرها للمحاضرة ، وشكرها للمشرفة ، وكذلك للطالبات على حسن إصغائهن ، منهية هذا اللقاء بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ، وإلْقاء تحية الإسلام .

١١ ـ بعد انتهاء المحاضرة والأسئلة تستعرض الملحوظات على الطالبة المحاضرة وموضوعها ، والطالبة المقدمة ، سواء من قبل المشرفة ، أو من قبل الطالبات المستمعات ، وفي هذه الحالة يجب على المشرفة أن تدرب الطالبات على سماع النقد الهادف وقبوله ، سواء كان هذا النقد على أسلوب العرض ، أو على المعلومات التي تضمنتها المحاضرة .

ويمكن كذلك تسجيل المحاضرة وإعادة سماعها كي تجري عليها التعديلات .

٢ ـ مرحلة التدريب العملي في مجتمع المدرسة وخارجه :

بعد أن تضاف التحسينات وتراعى[1] الملحوظات تنقل هذه التجربة إلى قاعة المحاضرات في المدرسة أمام عموم مدرسات المدرسة وطالباتها ، وتقدم بنفس صيغة التجربة الأولى بعد إجراء التعديلات والتحسينات ، ثم تنقل التجربة خارج المدرسة .

ولا بد من الإشارة إلى أن فترة الأسئلة ذات أهمية كبيرة ، ولابد من تدريب عموم طالبات المدرسة على ضوابطها ومتطلباتها[2] ، وعلى هذه الكيفية يتم تدريب الطالبات جميعاً ، ويشترط في التخرج المرور بهذه التدريبات واجتيازها بنجاح .

---

(١) انظر : جمعية تعليم الكبار الأمريكية ، كيف تدير المناقشة ، ص٦٠ ، ترجمة سيد عبد الحميد مرسي ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ، ونيويورك ، سنة ١٩٧٥م ، الطبعة الثانية .

(٢) سوف نذكر هذه الضوابط بعد الحديث عن موضوع التدريب على إعداد الندوة بإذن الله .

المبحث الرابع : التدريب على إعداد ندوة وإدارتها[1]

أولاً : الجانب النظري

تمهيد :

عرف العرب قديماً أسلوب الندوات الشعرية التي كانت مجالاً حياً لعرض نشاطاتهم ومشكلات حياتهم وفخرهم بأمجادهم ، وقد كانت أسواق الجاهلية أمثال ذي المجنة وذي المجاز . ميدان عروضهم لمثل هذه الأنشطة .

هكذا كان مفهوم الندوات في ذلك العصر ، غير أن هذا المفهوم في عصرنا قد نحى منحاً آخر حيث أصبح مفهوم الندوة عبارة عن حديث أو موضوع علمي يتبادل بيان جوانبه والبحث فيه مجموعة لهم اختصاص محدد ، وقد تكون هذه الندوات مقفلة أو مفتوحة ، وقد تثار فيها بعض القضايا التي تصبح مدار نقاش ومناظرات تختلف فيها وجهات النظر ، غير أنها في الغالب تكون مفتوحة لجماهير الناس بقصد بيان الحقائق وتذكيراً بمعلومات مفيدة ومهمة ، ولذا فإن الندوات من أهم وسائل الدعوة إلى الله ، ويمكن أن يجتهد في الأساليب التي تقدم بها مثل هذه الندوات .

أهميتها :

تعتبر الندوات من طرق الحصول على المعلومات الإنسانية ، وكثير من الناس

---

(١) معظم معلومات هذا المبحث جاءت من واقع التجربة الشخصية في إدارة المحاضرات والندوات .

يفضل هذا الطريق لأنها متعددة الأطراف والمصادر ، وتمتزج فيها الأفكار والاستنتاجات والتجارب المتنوعة والمتعددة بتعدد الأشخاص الذين يؤدونها .

وأسلوب الندوة في العادة أكثر جاذبية وأعمق أثراً وأغزر علماً وأكثر إثارة ومتعة[1] .

وإن أسلوب الندوة يدعو المشاركين فيها إلى التنافس العلمي وشحذ الهمم وإشغال الفكر للوصول إلى أصح المعلومات وأدق النتائج ، ولذلك فلابد للدعاة إلى الله أن يستفيدوا من هذه الوسيلة باستخدامها لإيصال كلمة الحق والذود عن دين الله .

آدابها :

بالإضافة إلى الجهد العلمي والتمتع بالأخلاق الكريمة ينبغي لمن يشارك في ندوة أن يلتزم بما يلي :

١ ـ أن يكون موضوعياً فيما يعرضه على الناس .

٢ ـ عدم التعصب لفكرة ما دون دليل .

٣ ـ احترام آراء الآخرين وعدم فرض رأيه على أحد .

٤ ـ الرجوع إلى الحق إذا ظهر له ، وأن يعقد العزم على أن يكون الحق رائده .

٥ ـ أن يدرب نفسه على الابتكار والتجديد والتحليل والنقد ، لأن أسلوب الندوات والمناظرات يتطلب ذلك .

٦ ـ أن يستفيد مما يقوله زملاؤه المشاركون في الندوة .

٧ ـ أن يختصر في الكلام عندما يتحدث بقدر الإمكان وأن لا يسهب من غير حاجة حتى يعطي الفرصة لزملائه .

---

(١) انظر : كيف تدير المناقشة ، ص١٨ .

٨ ـ أن يحذر من الأسلوب العاطفي فيتحول إلى خطيب .

٩ ـ عدم مقاطعة زملائه في الحديث .

١٠ ـ أن يكون واضح الحديث فلا يجنح إلى غريب اللغة ووحشي الكلام[١] .

ويضاف إلى ذلك بعض الآداب والمهام التي يلزم مدير الندوة التحلي والقيام بها ، ومنها :

١ ـ الفهم التام لحدود صلاحية وظيفته القيادية فلا يتعرض لمسؤوليات غيره ، مع الاحتفاظ بحقه في إبداء رأيه .

٢ ـ الحيدة التامة مع أعضاء الندوة .

٣ ـ تمكين جميع الأعضاء من حقهم في الندوة وإبداء آرائهم .

٤ ـ تحديد دقائق معينة لكل إجابة .

٥ ـ أن يكون سريع التصرف حاضر البديهة عندما تواجهه مشكلة ما أثناء انعقاد الندوة قدر الإمكان لينقذ الموقف من الحرج أو الإرباك .

٦ ـ استقبال الأسئلة من الجمهور ، وانتقاء ما يتعلق بموضوع الندوة ، ومحاولة ترتيبها حسب الأهمية ، ويلزم مدير الندوة أن يكون حصيفاً فطناً فيصرف النظر عن الأسئلة المحرجة .

---

(١) انظر : كيف تدير المناقشة .

المراحل المتبعة في إعداد الندوة

١ ـ مرحلة التخطيط :

تمر المرحلة العملية لإعداد الندوة بالخطوات التالية :

١ ـ اقتراح عنوان للموضوع مما يمس واقع حياة الناس ويركز على ما يشغل بال المرأة المسلمة في جميع شؤون حياتها .

٢ ـ ترشيح ثلاث شخصيات من ذوات الاختصاص في الموضوع على قدر الإمكان والاتصال بهن وأخذ موافقتهن .

٣ ـ اتفاق العضوات مع مديرة الندوة على موعد يلتقين فيه للتخطيط للندوة ودراسة جوانب الموضوع وتقسيمه بينهن بحيث تتحمل كل عضوة التحضير فيما يخصها ومعالجته من كافة الجوانب[1] مع الإلمام بجميع فقرات الموضوع .

٤ ـ محاولة التعرف على مشكلات الموضوع والاتفاق على حلها .

٥ ـ وضع تصور عام لاهتمامات الجمهور والتفكير في الأسئلة المتوقعة والإجابة عليها .

٦ ـ تحديد زمان ومكان الندوة .

٧ ـ التحضير العلمي الجيد حتى تشعر المشاركة في الندوة بأنها قد استوفت

(١) في حالة تعذر اللقاء المباشر فيمكن الاتفاق عن طريق الهاتف إن أمكن .

الموضوع من جميع جوانبه ، ويكون ذلك تحت إشراف المدربة .

٨ ـ إذا وجدت عند المشاركات في الندوة بعض الآراء المتعارضة فيتخذ لها كافة الأسباب بالدراسة والتحضير العلمي الوافي ، واستيفاء الأدلة والشواهد والردود العلمية مع تذكر الالتزام بالموضوعية وعدم التعصب .

وإذا واجهت إحدى عضوات الندوة مشكلة ما فلابد من عرضها على زميلاتها لدراستها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، واطلاع المشرفة على ذلك .

٩ ـ يعلن عن موعد الندوة ومكانها وموضوعها مع بيان بأسماء المشاركات فيها في الأوساط النسائية .

٢ ـ مرحلة التنفيذ :

وتمر مرحلة التنفيذ بالخطوات التالية :

١ ـ في الزمان والمكان المحددين وبعد وصول جميع المشاركات في الندوة تقوم مديرة الندوة بافتتاح الجلسة مبتدئة بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ثم ترحب بالمشاركات وتعرف بهن الجمهور كما ترحب بالجمهور ، ولا بأس أن تذكر عنوان الندوة وأهم مرتكزاتها .

٢ ـ ثم تبدأ بفقرات الموضوع مسندة إلى كل عضوة ما يخصها ، وهنا يلزم مديرة الندوة أن تكون على حذر وحيطة ، وذلك بلزوم توزيع الفقرات على حسب ما اتفق عليه في مجلس التخطيط ، وعلى حسب التسلسل الموضوعي .

٣ ـ وفي نهاية الندوة تقوم المديرة ، بإيجاز ما ذكر في الموضوع ، ثم تقدم شكرها للمشاركات على جهودهن وللجمهور على حضورهن .

٤ ـ ثم تبدأ مرحلة الأسئلة المقدمة من الجمهور كي يتم استيفاء الموضوع من جميع جوانبه ، وتلافي النقص الذي لا يخلو منه إنسان .

ولكي تؤدي الأسئلة الثمرة المطلوبة فلابد لها من معايير تضبطها وتحقق لها النجاح غالباً ، وسنتناول هذه الضوابط مع بيان بعض فوائد الأسئلة في الصفحات التالية .

ضوابط فترة الأسئلة

إن كثيراً من فترات الأسئلة لا تحقق سوى القدر الضئيل مما يمكن تحصيله ، ويعود ذلك إلى عدم معرفة الطريقة الصحيحة لتخطيط هذه الفترة .

وإن من عوامل نجاح فترة الأسئلة ما يلي[1] :

أ ـ توزع عينات من الأسئلة مرتبطة بالموضوع قبل بداية المحاضرة أو الندوة لتساعد على المتابعة الجادة للموضوع ، ولتساعد على إثارة أسئلة أخرى .

ب ـ تشجيع الجمهور على إيراد الأسئلة .

جـ ـ أن تكون الأسئلة بعيدة عن الإحراج .

د ـ تدوين كل سؤال يطرأ على الذهن أثناء المحاضرة أو الندوة في حينه ، ولا يؤجل إلى نهاية العرض حتى لا ينسى ، وهذا يتطلب من المسؤولين توزيع بطاقات صغيرة على الجمهور لتدوين أسئلتهم أولاً بأول .

هـ ـ أن يفكر السائل في طريقة كتابة السؤال قبل أن يشرع في كتابته .

و ـ أن تنفذ الأسئلة إلى أعماق الموضوع المطروح لتربط الإجابة الأجزاء المفككة وتلخص الموضوع وتوضح ما غمض منه وتكمل ما نقص .

---

(١) انظر : جمعية تعليم الكبار الأمريكية : كيف تدير المناقشة ، ص٦٧ ـ ٧٠ .

ز ـ إعطاء الأسئلة الاهتمام الكامل من المسؤولين والجمهور بحيث تكون جزءاً أساسياً من الجلسة ، ولا يغض من مكانتها أنها في آخرها ، لأنه الموقع الطبيعي لها .

ح ـ الإجابة على القدر الأكبر منها حسب الأهمية أو التسلسل الموضوعي للمحاضرة لأن ذلك يكون موضع تقدير الجمهور وحثاً له على المتابعة .

ط ـ عدم تهاون المحاضر بأي سؤال أو التقليل من شأنه بقدر الإمكان لأن ذلك مما يوجد موقفاً سلبياً بين السائل والمسؤول لا فائدة فيه .

بعض فوائد الأسئلة

للأسئلة فوائد كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ تكشف مدى المتابعة والتفاعل مع المحاضرة أو الندوة .

٢ ـ تكشف مدى ارتباط الموضوع بحياة الناس وحاجاتهم .

٣ ـ تكشف مدى الرضى عن المنهج المتبع في عرض المادة العلمية .

٤ ـ قد تفوت بعض المعلومات على المستمع أو تحتاج إلى توضيح .

٥ ـ التأكد من فهم المعلومات المعروضة .

٦ ـ تصحيح سوء الفهم في حالة حدوثه .

٧ ـ الكشف عن ثغرات المعرفة التي تحتاج إلى استكمال .

٨ ـ الكشف عن بعض نواحي المعارضة واختلاف الآراء لدى الجمهور والسعي للتقريب والجمع بينها حسب الإمكان .

٩ ـ إتاحة الفرصة للجمهور للمناقشة يعطي كبير الفائدة مثل إيجاد الشجاعة والثقة بالنفس .

١٠ ـ إتاحة الفرصة لتأكيد النقاط الأساسية وتلخيصها .

ثانياً : الجانب التطبيقي

التدريب العملي على إعداد ندوة وإدارتها في إطار المدرسة :

من الممكن أن تتدرب المرأة المسلمة الداعية على إعداد ندوة وإدارتها على يد مدرسات داخل مدرسة أو معهد أو كلية الإعداد (القسم الخاص بالنساء) .

ويمكن أن توضع الخطط والبرامج والمناهج التدريبية لتدرس نظرياً في فترة فصل أو فصلين دراسيين .

وبعد أن تجتاز الطالبات فترة الدراسة النظرية تبدأ المدرسة التي تقوم بالتدريب بالتطبيق العملي لإعداد الندوة وإدارتها وفق الخطوات التالية :

١ ـ اختيار ثلاث طالبات أو أربع تقوم إحداهن بإدارة الندوة .

٢ ـ ترتيب اجتماع لهن داخل المدرسة تحت إشراف المعلمة .

٣ ـ تطلب المعلمة من الطالبات اختيار موضوع معين للندوة ، وتقوم بمساعدتهن في ذلك عند الحاجة .

٤ ـ تقوم المعلمة بمساعدة الطالبات في التخطيط للندوة والتحضير لها ، وترشدهن إلى المصادر المهمة .

٥ ـ تطلب المعلمة من الطالبات تقسيم الموضوع إلى عناصره الأساسية لكي توزع هذه العناصر على الطالبات بالتساوي .

٦ ـ تركيز كل طالبة على التحضير للعناصر الخاصة بها والإلمام بصفة عامة بجوانب الموضوع كله .

٧ ـ من المستحسن أن تكون الفقرات قصيرة والإجابات عليها كذلك .

٨ ـ تقوم المعلمة بتوجيه الطالبات بالبعد عن الأمور الخلافية .

٩ ـ وضع أسئلة عامة متوقعة من الجمهور ، والتدرب على الإجابة عليها ، على أن يكون من بين الأسئلة سؤال يطلب من المتدربات الاعتذار عن الإجابة عليه لعدم الإحاطة به ، ففي ذلك تدريب لهن على الصدق والصراحة والشجاعةالنفسية في قول الحق ، ففي ذلك علاج كبير للحرج الذي يتعرض له المحاضرون والدعاة عندما لا يعرفون الإجابة الصحيحة فإنهم يحاولون الإجابة حسب الاجتهاد وكثيراً ما يقعون في الأخطاء التي لا تغتفر .

١٠ ـ تعتبر الأسئلة السابقة بمثابة أسئلة الجمهور ، ويمنع عرض أي سؤال لم تتدرب الطالبات على الإجابة عليه .

١١ ـ القيام بالتجربة الأولى للندوة موضوعاً وأسئلة في مكان منفرد تحت إشراف المعلمة ، على أن تلاحظ طريقة عرض الأسئلة بحيث لا يعرض سؤالان متتاليان على شخصية واحدة .

١٢ ـ بعد نجاح التجربة تطلب المعلمة من الطالبات تحديد الزمان والمكان داخل المدرسة .

١٣ ـ تقوم الطالبة المقدمة ، بالإعلان عن الندوة موضوعاً وزماناً ومكاناً مع بيان أسماء المشاركات في الندوة إدارة وتنفيذاً .

١٤ ـ في الزمان والمكان المحددين تقوم مديرة الندوة بافتتاح الندوة مبتدئة بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسوله ، والترحيب بالمشاركات والتعريف بهن وبالموضوع ، وكذلك الترحيب بجمهور معلمات المدرسة والطالبات ، ومن ثم تبدأ الندوة على الكيفية التي تمت بها التجربة الأولى .

وتعقبها فترة الأسئلة التي كانت معدة من قبل ، وتستطيع الطالبات المتدربات على الإجابة عليها ، وعند اختتام الأسئلة تقدم مديرة الندوة شكرها للطالبات على وجودهن وللمدرسات والطالبات المستمعات على حضورهن متمنية لهن التوفيق في اللقاءات القادمة ، ويكون مسك الختام بحمد الله والصلاة والسلام على الرسول ، وتلقي تحية الإسلام على الجمهور .

مرحلة التقويم للمحاضرات والندوات

١ - يمكن تقويم مثل هذه الأعمال من قبل المعلمة المدربة وكذلك زميلات المدرسة والمعلمات الأخريات ، وذلك بكتابة الملحوظات والإرشادات التي ينبغي اتباعها .

٢ - كما يمكن تسجيل الندوة في مرحلتها التجريبية والتي تليها للتمكن من إعادة أحداثها ، ومن ثم إدخال الإصلاحات عليها ، ومعرفة مواقع الخطأ ليتم تعديله وتصويبه سواء كان ذلك التعديل من الشخص نفسه أو ممن يسمعه من الآخرين الذين يساعدونه في تقديم الملاحظات .

٢ - التدريب العملي على إعداد الندوة وإدارتها خارج المدرسة :

وبعد نجاح التجربة داخل المدرسة تنقل إلى المجتمع الخارجي النسوي تحت إشراف المدرسة وتتبع فيها نفس الخطوات السابقة .

القسم الثاني : فن الكتابة

أهمية الكتابة :

تأتي الكتابة بعد الحديث الشفوي وسيلة مهمة للاتصال بين الناس ، وتحتل جانباً كبيراً من حياتهم ، وتأخذ قسطاً كبيراً من نشاطهم اليومي في عصرنا الحاضر بالذات ، كاتبين وقارئين ، مما يستوجب جودة الأسلوب الكتابي لإيصال المادة العلمية للجمهور ، وهذا مما يوجب بذل الجهد والحرص على التفكير الجيد حتى يكون ما نكتبه مثمراً في المضمون ، ومؤثراً في العرض[1] .

وإذا كان إتقان الكتابة مطلوباً من كل كاتب ، فإن الداعية إلى الله أكثر حاجة إلى إتقان أسلوبه الكتابي ، لأنه بذلك يخدم دين الله ويسهم في نشره بين الناس .

ويعتمد أسلوب الكتابة على عاملين أساسيين هما :

١ ـ دقة العبارة وسلامتها من النقص أو الحذف ، لأن القارىء لا يستطيع في الغالب أن يجتهد في فهم العبارة الناقصة ، كما لا يستطيع الاتصال بالكاتب حتى يستفهم منه ما غمض عليه .

---

(١) انظر : دكتور أحمد شوقي رضوان ، دكتور عثمان بن صالح الفريح ، التحرير العربي ، ص١٠ ، ١١ ، نشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى .

٢ ـ قوة إقناع القاريء بالمادة المطروحة ، والاستدلال عليها بالأدلة والحجج والبراهين والوثائق والمنطق ، إضافة إلى إحالة المعلومات إلى مراجعها الأصلية وذلك بهدف توثيق المعلومات وتوكيدها خدمة للقاريء وكسب رضاه والتأثير عليه .

مميزات الكتابة :

وتمتاز الكتابة على الحديث الشفوي بما يلي :

١ ـ خاصية الثبات والتوثيق ، فبإمكان الكاتب مراجعة ما كتبه عدة مرات حتى يتأكد من حسن صياغته وقوة عرض أسلوبه فيزيل منه ركاكة الأسلوب وحواشي الكلام ، أو يصلح قواعد النحو والإملاء .

٢ ـ أن الكتابة تبقى سنين طويلة .

٣ ـ قدرة الكتابة على الربط بين الأجيال في الماضي والحاضر .

٤ ـ أن الكتابة أكثر دقة وأمانة على النص من الحديث العادي في الغالب .

٥ ـ تمكن الكاتب من الاتصال بعدد من الناس أكبر بكثير مما يتيحه الحديث العادي ، فالخطيب مثلاً يصل حديثه إلى مستمعيه فقط وهم محدودون عدداً ؛ أما إذا كان حديثه مكتوباً فإنه يصل إلى كل من يقرؤه في وقته ، كما يقرؤه من يأتي بعده بزمن طويل[١] .

٦ ـ كما يمكن قراءة المكتوب عدة مرات ، وفي ذلك فرصة لتوثيق المعلومات للكاتب والقارىء .

٧ ـ أن القارىء للمكتوب لا يرتبط بزمان ولا مكان محددين ، كما عليه الحال في سماع الدروس والندوات والمحاضرات .

---

(١) انظر : التحرير العربي ، ص١١ ، ١٢ .

٨ ـ أن الكتابة بالنسبة للمرأة المسلمة والداعية بالذات تعد من أنسب وأهم وسائل الدعوة إلى الله لأنها لا تتطلب منها الخروج المتكرر من المنزل لأجل الكتابة ، لأنها تستطيع أن تكتب في بيتها .

٩ ـ أن بإمكان المرأة تخصيص جزء من ساعات يومها للكتابة متى شاءت من ليل أو نهار بدلاً من ضياع الأوقات في القيل والقال والغيبة والنميمة والخروج الزائد عن حده من بيتها .

١٠ ـ أن الداعية من خلال الكتابة تستطيع الاتصال بكافة أفراد المجتمع ، رجالاً ونساء دون أن تكلف نفسها عناء الخروج للنساء في أماكنهن ، أو الاختلاط بالرجال .

فإذا عرفنا أهمية الكتابة ومزاياها فإن ذلك لا يكفي لإخراج كتاب دعاة ، بل لابد من الإعداد التطبيقي لهم وتدريبهم على الكتابة . فما مفهوم الإعداد التطبيقي في الكتابة ، وما هي أهميته ، وهل يختلف الأمر عن مفهوم الخطابة وأهميتها ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول :

إن مفهوم الإعداد التطبيقي وأهميته فيما يتعلق بالكتابة لا يختلف عن مفهوم الإعداد التطبيقي وأهميته في الخطابة ، فكلاهما يخدم غرضاً واحداً هو إيصال المعلومات للقارىء والمستمع غير أن وسيلة الاستقبال في الكتابة هي العين ، بينما وسيلة الاستقبال للخطابة هي الأذن .

التدريب على الكتابة :

إن مما يؤسف له في عالمنا الإسلامي غياب النظرة الواقعية لأهمية التدريب على الكتابة بشكل ملحوظ كما هي الحال في الإعداد والتدريب على المحاضرات وإقامة الندوات ، علماً بأننا في عالمنا الإسلامي لم نغفل قضية الإعداد والتدريب لغرض التدريس ، مع أن الكتابة لا تقل أهمية عن التدريس .

وإن من الواجب على الأمة المسلمة ، أن تلتفت إلى أهمية هذه الأمور ، التي

تعد من مقتضيات التطور الفكري للأمة .

ومن الواجب أن يتلقى الأبناء والبنات في المدارس ، التدريب على فن الكتابة ، دون الاقتصار على تركيب الكلمات والجمل القصيرة في المراحل الابتدائية فقط .

وقد أدى هذا الإهمال إلى عجز كثير من كتاب الرسائل والبحوث الجامعية ، عن إتقان فن الكتابة في رسائلهم العلمية وغيرها .

وهذا يتطلب وضع القواعد ، والمناهج ، والخبرات الفنية في الكتابة في برامج موزعة على مراحل التعليم ، نظرية وتطبيقية متنوعة على أن يراعى في هذا التدريب طبيعة التخصصات وخاصة في المراحل الجامعية على أن يكثف الجانب التطبيقي في الكتابة حتى تصبح ملكة فنية للطالب مع مراعاة توجيه الإعداد النظري والتطبيقي ليخدم القيم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الإسلامي .

والتربية العملية في الكتابة مهمة وضرورية للمجتمع الإسلامي كي يقوم بواجبه في الحياة لخدمة دينه وأمته ، وإعلاء شأنها ، ونشر رسالتها السماوية . ومن الضروري أن يقوم على التربية العملية في هذا الفن أساتذة مؤهلون لهذه المهمة من الرجال والنساء كل فيما يخصه .

خطة مناهج الكتابة :

إن مما ينبغي أن تشتمل عليه خطة مناهج الكتابة ما يلي :

أولاً : الإعداد النظري ، ويشمل ما يلي :

١ ـ دراسة قواعد اللغة العربية وآدابها .

٢ ـ دراسة قواعد كتابة القصة القصيرة والطويلة ، والرواية والمقالة ، والبحث العلمي والأدبي والحوار والكتابة النقدية وغير ذلك من أنواع الكتابة .

٣ ـ القراءات الشاملة والمستوعبة للبحوث السابقة (عينات مختارة) حسب الإمكان .

ثانياً : الإعداد التطبيقي :

إن الإعداد التطبيقي في التدريب على الكتابة عملية ليست سهلة ، وتحتاج إلى كثير من التجارب ، وإن من أهم الخطوات التي ينبغي أن تمر بها ما يلي :

١ ـ تحديد الموضوع : ويحصل هذا بسؤال النفس أو الآخرين الذين يهمهم الأمر أو بتكليف من المدرب عن المواضيع التي يراد معالجتها حتى يتسنى الوقت للتفكير ، وهذا يتطلب وقتاً كافياً وقد يصل إلى أيام وأسابيع أو أشهر ـ على حسب حجم الموضوع وأهميته .

٢ ـ القراءة حول الموضوع بعمق مع التدوين المباشر للأفكار المهمة والآراء السديدة والجديدة ما كان منها مقروءاً أو مسموعاً .

٣ ـ مراجعة جميع الأفكار المدونة وترتيبها وتنسيقها لتتلاءم المواضيع مع بعضها ، وتكون متسلسلة تسلسلاً منطقياً ، كل فكرة تؤدي إلى الفكرة التي تليها كي يحصل التجانس ويزول الاضطراب .

٤ ـ في حالة كثرة الأفكار والأمثلة يمكن تقسيم الموضوع إلى مطالب ، ثم إلى مباحث ، ثم إلى فصول ، ثم أبواب .

٥ ـ من المستحسن والأفضل أثناء التدريب أن تختصر موضوعات الكتابة ، مع مراعاة عدم الإخلال بجوانب الموضوع الذي يتدرب على الكتابة فيه حتى تكتسب الدربة ، ويكون المتدرب على أرض صلبة ، ومن المستحسن أن لا يزيد المكتوب عن صفحتين أو ثلاث في كل أسبوع .

٦ ـ المراجعة المتكررة لفقرات الموضوع وتقسيماته مطلوبة للتأكد من سلامة العرض ووفاء الموضوع حقه .

٧ ـ تدوين المعلومات وفقاً للترتيب المنطقي وفقاً لقواعد اللغة العربية .

٨ ـ المراجعة المتأنية بعد التدوين ، وحذف ما لا ينبغي ، وإضافة ما يستحسن .

٩ ـ العرض على الأستاذة المشرفة عند الحاجة أثناء جمع المادة العلمية وترتيبها ، وعندما يكتمل الموضوع ، للإشراف عليه وتوجيه الملحوظات .

١٠ ـ مراجعة ملحوظات المشرفة ، وتعديل الأخطاء الواردة في الموضوع وفقاً للتصويبات .

١١ ـ طباعة الموضوع إن أمكن ذلك ، وتصوير نسخ منه توزع على زميلات الفصل لإبداء ملحوظاتهن إن تيسر ذلك .

ومن الآداب المطلوبة في حق المتدربة حسن الاحترام والتقدير من قبل المشرفة ، وحسن التوجيه ، وكذلك الزميلات فلا يصدر منهن ما يجرح شعور المتدربة في حالة وقوعها في خطأ أو تقصير بيان .

ولتطوير أسلوب الكتابة تدرب الطالبات على أساليب كتابة القصة والمقالة والبحوث الطويلة في المراحل الجامعية ، وأما التشجيع والحث على الكتابة فله عدة سبل ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ تثبيت مادة التعبير في مراحل التعليم العام ، وإعطاؤها الاهتمام المناسب .

٢ ـ عمل اللوحات الحائطية في المدارس الابتدائية والمتوسطة .

٣ ـ عمل مسابقات بين الطالبات لتقديم أفضل موضوع ورصد الجوائز له حسب كل مستوى دراسي .

٤ ـ نشر المقال الفائز في الصحف المحلية والمجلات الأسبوعية والشهرية .

٥ ـ إيجاد مجلة متخصصة تكتب بأقلام الطالبات ويكون الإشراف عليها من قبل المسؤولات في المدرسة .

وبهذه الخطوات يمكننا تطوير فن الكتابة في مدارسنا وجامعاتنا وخدمة ديننا عن هذا الطريق .



الباب الثالث

الظروف المحيطة والمؤثرة في الإعداد

الفصل الأول : الإيجابيات

الفصل الثاني : المعوقات



الفصل الأول

الإيجابيات

المبحث الأول : إيجابيات ثابتة .

المطلب الأول : وجود الكتاب والسنة .

المطلب الثاني : ضمانات وجود المجتمع المسلم وتحقق وجوده .

المطلب الثالث : حرية الفكر (العقيدة) .

المطلب الرابع : انتشار العلم .

المطلب الخامس : وجود التخصص العلمي .

المبحث الثاني : إيجابيات متغيرة .

المطلب الأول : اغتنام فترة الشباب .

المطلب الثاني : اغتنام توفر الصحة .

المطلب الثالث : اغتنام توفر المال .

المطلب الرابع : اغتنام وقت الفراغ .

المطلب الخامس : اغتنام فترة الحياة .

المطلب السادس : اتساع نطاق التقاء النساء .

المطلب السابع : اليقظة الفكرية المعاصرة .



الفصل الأول
الايجابيات

المبحث الأول : إيجابيات ثابتة

المطلب الأول : وجود الكتاب والسنة :

إن أهم العوامل المساعدة على اشتغال المرأة بالدعوة ، وجود الكتاب والسنة ، وهما أهم الركائز الإيجابية الدافعة ، والمؤيدة للدعوة ، واستمرار عطائها ، بحكم بقاء هذين المصدرين الثابتين ، اللذين طالما بقيا محفوظين من التغيير فإن الضمانات لاستمرار الدعوة باقية أيضاً ، وليس أكبر من هذه المصادر التشريعية شيء يضمن استمرارية الدعوة وإمكانية تأثيرها .

وإن الدلائل والمؤشرات على بقاء هذين المصدرين ، موجودة في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وسنة رسوله ﷺ حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية : (بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص ، أو يتغير منه شيء أو يبدل ، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٩ .

حَمِيدٍ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[2] وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآية أن الضمير في قوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ راجع إلى الذكر الذي هو القرآن)[3] .

ويؤيد هذه الصحة ما قال السدي وقتادة عن القرآن في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ يعني الشيطان ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص ، وقال سعيد بن جبير : لا يأتيه التكذيب (من بين يديه ولا من خلفه)[4] .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة يوم عرفة ، كما ورد ذلك في سنن أبي داود ، وابن ماجه : « وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله »[5] .

فهذا الحديث فيه دليل قاطع على بقاء هذا الكتاب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن مجيء أداة النفي (لن) في الحديث تفيد التأبيد : فإذا كان كتاب الله سبحانه وتعالى باق بضمان الله سبحانه وتعالى فإن ذلك يعتبر أهم الركائز المبشرة والمطمئنة على بقاء مسيرة الدعوة واستمرارها إلى يوم القيامة .

وأما ما يتعلق بضمان بقاء سنة رسول الله ﷺ فهي كذلك إلى يوم القيامة بإذن الله ، ذلك لأنها مفسرة للقرآن وموضحة له كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ

---

(١) سورة فصلت ، جزء من الآية ٤١ ، والآية ٤٢ .

(٢) سورة القيامة ، الآيات ١٦ ـ ١٩ .

(٣) أضواء البيان ، ج٣ ، ص١٢٠ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج١٥ ، ص٣٦٧ .

(٥) بذل المجهود في حل أبي داود ، كتاب الحج باب صفة حجة النبي ﷺ ، ج٩ ، ص١٩٥ ، وصحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ ، ج٢ ، ص١٨٨ ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، توزيع المكتب الإسلامي بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، الطبعة الأولى .

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] .

واقتران السنة بالقرآن كاقتران شهادة أن محمداً رسول الله بلا إلـه إلا الله ، سواء بسواء ، لا يغني أحدهما عن الآخر . فالله عز وجل يقول : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] .

وقد قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بالقرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه »[3] .

ويقول ﷺ : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : (لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) »[4] .

وإن وصية رسول الله ﷺ بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده دليل على بقاء هذه السنة واستمرار وجودها بجانب القرآن الكريم حيث يقول المصطفى ﷺ في إحدى وصاياه لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء[5] المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل

(١) سورة النحل ، جزء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الحشر ، جزء من الآية ٧ .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ج٥ ، ص١٠ ، رقم الحديث ٤٦٠٤ ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد . قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير) ج٢ ، ص٣٧٥ ، رقم الحديث ٢٦٤٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٢ ، رقم الحديث ٤٦٠٥ . قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير) ج٦ ، ص١٢١ ، رقم الحديث ٧٠٤٩ .

(٥) هم الخلفاء الأربعة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم .

بدعة ضلالة »[1] .

وستبقى سنة رسول الله ﷺ محفوظة باقية ما بقي القرآن الكريم ، وقد قيض الله سبحانه وتعالى لسنة رسوله ﷺ من يقوم عليها سنداً ومتناً إثباتاً للصحيح وإبعاداً للدخيل فيها مما لم يصح سنداً أو متناً .

المطلب الثاني : ضمانات وجود المجتمع المسلم وتحقق وجوده :

على الرغم من مرور أربعة عشر ، قرناً من عمر الإسلام ، وتغير الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، على رقعة الكرة الأرضية ، فقد أثبت الإسلام وجوده ، وبروز شخصيته ، وهيمنته على القلوب ، في مساحات جغرافية واسعة ، فانتشر على نطاق قارات العالم ، وجزره ، على الرغم من المؤامرات والتحديات ضده ، ورسم الخطط السرية والعلنية للقضاء عليه والفتك به ومحوه من خريطة العالم سواء كان ذلك عن طريق اتحاد جميع فئات الكفر على حربه ومناوأته عسكرياً ثم فكرياً واقتصادياً بطريق مباشر ، أو بتسليط الزعامات المصنوعة من أبناء المسلمين الذين تربوا في أحضان الغرب أو الشرق فاصطنعهم على عينه لينفذوا سياسته على رقاب شعوبهم .

إن هذا الثبات والرسوخ في مجتمعات الإسلام على اختلاف مواقعها الجغرافية وفتراتها التاريخية يعتبر معجزة ناطقة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ حيث ورد فيهما ضمانات قيام المجتمع المسلم إذا قام بالشروط المطلوبة منه سواء كانوا أفراداً أو جماعات .

فأما القرآن الكريم فهو يقرر النصرة والتثبيت لمن يقوم بنصر الله عز وجل في كل موقف من مواقف الحياة ، ومن ذلك الجهاد والدعوة إلى الله عز وجل بشكل عام يقول الحق تبارك وتعالى مخاطباً عباده المؤمنين : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، ج٥ ، ص١٣ ، رقم الحديث ٤٦٠٧ . قال عنه الألباني : صحيح (صحيح الجامع الصغير) ج٢ ، ص٣٤٦ ، رقم الحديث ٢٥٤٦ .

﴿ إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1] ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] .

كما يقرر القرآن الكريم أن الفلاح والنجاح في الحياة الدنيا والآخرة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ويتواصون فيما بينهم بالحق والصبر ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾[4] .

كما أن عمل الدعوة يؤدي إلى قيام حياة الإيمان والعمل الصالح المستمر المؤدي إلى تكريم الله عز وجل للمؤمنين بالحياة الطيبة الهانئة السعيدة المستقرة في الدنيا ، ومجازاتهم بالأجر الجزيل في الحياة الأخرى في جنات النعيم ، حيث وعد الله عز وجل بذلك في قوله سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[5] .

وأما السنة فتؤيد القرآن الكريم في وعده وبشارته في تمكين من يقوم على دين الله ونشره ، فعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي

---

(١) سورة محمد الآية ٧ .

(٢) سورة غافر الآية ٥١ .

(٣) سورة النور الآية ٥٥ .

(٤) سورة العصر .

(٥) سورة النحل الآية ٩٧ .

ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[1] .

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ويعطي الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتي أمر الله »[2] .

قال الإمام النووي : (ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض)[3] .

ثم أضاف الإمام النووي رحمه الله قائلاً : (وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فإن هذا الوصف بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث)[4] .

وهذه الإضافة تعتبر شهادة من الإمام النووي رحمه الله على واقع عصره وهو كذلك واقع في عصرنا وما بعده إن شاء الله .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ (لا تزال طائفة ، ج١٣ ، ص٢٩٣) ، رقم الحديث ٧٣١١ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ (لا تزال طائفة ، ج١٣ ، ص٢٩٣) ، رقم الحديث ٧٣١٢ .

(٣) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، ج١٣ ، ص٦٧ .

(٤) المصدر السابق .

المطلب الثالث : حرية الفكر (العقيدة) :

لقد قرر الإسلام كرامة الإنسان وعلو منزلته في إطار إيمانه بالله سبحانه وتسليمه له ، ولذلك يعرف الإسلام بأنه التسليم لله سبحانه وتعالى ، وتفويض الأمر إليه ، وهو أيضاً الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، وإخلاص الدين له ، فلا معبود بحق سواه وبذلك يخلص القلب من أدران الشرك في الظاهر والباطن كما قال تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1]، وتحرير النفس من الرياء والسمعة كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[2] .

وبذلك تتحرر النفس من كل خوف ، وتسمو على كل شرك ؛ فيصبح الناس أحراراً متساوين فلا يتعلقون إلا بالله ، ولا يعتمدون إلا عليه ، ولا يلجؤون إلا إليه ، ولا يخافون إلا منه ، ولا يرجون إلا إياه ،حيث جاء الإسلام حرباً على الشرك والإلحاد ، كما أكد الإسلام الصلة المباشرة بين العبد وربه ، فلا وساطة ولا كهانة ، ولذلك فلا سلطان لأحد من البشر على أحد فيما يتعلق بما بين المخلوق والخالق ، كما لا تسمح الشريعة الإسلامية للإنسان بالإيمان دون تفكير وروية ، وكثير من آيات الكتاب الكريم تنتهي بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، ولذلك فقد عاب الله على قوم بنوا عقائدهم على التقليد لغيرهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[3] .

ومن الأدلة الثابتة في كتاب الله على ضرورة التفكير والتبصر لاختيار العقيدة الصحيحة قوله سبحانه : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

---

(١) سورة النور جزء من الآية ٥٥ .

(٢) سورة الزمر ، جزء من الآية ٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠ .

عَلِيمٌ ﴾[1] .

وعدم الإكراه في الدين مبني على أن الإكراه لا يؤدي إلى الإيمان بالضرورة ولو آمن المكره ظاهراً لم ينفعه ذلك ما لم يخالط الإيمان قلبه .

وينطبق على ذلك لو أكره إنسان على الكفر فإنه لا يكفر إلا إذا خالط الكفر قلبه مع جواز إظهار الكفر في هذه الحالة ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان وشاهد ذلك قوله سبحانه :﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[2] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم[3] .

وقد روى محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال : (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ،فلما أتى رسول الله ﷺ قال : « ما وراءك » ؟ قال : شر يا رسول الله . ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : « كيف تجد قلبك » ، قال : مطمئن بالإيمان ، قال : « إن عادوا فعد »)[4] .

ونستخلص من هذا الحديث أن المؤمن يملك كامل الحرية في الإيمان بالله سبحانه ، ولا سلطان لأحد عليه ولو كان في وسط مشركين أو ملاحدة .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٦ .

(٣) تفسير الطبري م٧ ، ج١٤ ، ص١٢٢ ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٤) مستدرك الحاكم ، كتاب التفسير ، حكاية إسارة عمار بن ياسر بيد الكفار ،ج٢ ، ص٣٥٧ ، قال عنه الإمام الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبي .

وبهذا يؤكد الإسلام الاستقلال الفكري للإنسان ، فهو إن آمن لا يضره كفر غيره ، وإن كفر لا ينفعه إيمان غيره . بل إن الإسلام إذا أوجب على الرعية السمع والطاعة لولي الأمر فإنه كذلك يوجب عدم الطاعة في المعصية ، فعن ابن عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[1] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (إن رسول الله ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً ، فأوقد ناراً ، وقال أدخلوها ، فأراد ناس أن يدخلوها ، وقال الآخرون : إنا قد فررنا منها ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة ، وقال للآخرين قولاً حسناً ، وقال لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف)[2] .

وبهذا نأخذ من نصوص الكتاب والسنة أن الإسلام قد منح المسلم حق الاستقلال بعقيدته ؛ بل أوجب عليه ذلك في أي ظرف وعلى أي حال ، ولم يجعل مصيره مرتبطاً بأي سلطان سوى سلطان الله العزيز الحكيم ، وبذلك يمكن للمسلم أن يعبد الله وأن يدعو إليه في كل زمان ومكان .

ويعد ذلك من الإيجابيات التي يتمتع بها المسلم رجلاً كان أو امرأة في الثبات على عقيدة الإسلام والمضي في نشرها على قدر الطاقة والإمكان ، على النطاق الفردي مع أفراد الأسرة أو غيرهم ، أو الجماعي في اللقاءات العامة . ولا يلزم من ذلك الاصطدام مع السلطة ، فلنا في رسول الله ﷺ الأسوة في ذلك حيث بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله بكل إمكاناته المتاحة ، ولم يذكر التاريخ أنه اصطدم مع السلطة الحاكمة في شيء من ذلك مع ما كان يلاقيه من الأذى في سبيل ذلك .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله ، ج٣ ، ص١٤٦٩ ، رقم الحديث ١٨٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٨٤٠ .

المطلب الرابع : انتشار العلم :

لا يقتصر العلم على قناة واحدة بل قنوات ، ويأتي في مقدمة هذه القنوات المؤسسات التعليمية والدعوية والإعلامية ، وهذا مما يقف حائلاً دون الاستقصاء ، وفي نفس الوقت يمنع من الإيجاز الشديد ، وحسبي أن أتحدث عن هذا الموضوع بشمولية مختصرة عن هذه القنوات التي رتبتها وفق ما يلي :

أولاً : جهود الجامعات الإسلامية .

ثانياً : جهود المكتبات .

ثالثاً : جهود المؤسسات الدعوية في المملكة العربية السعودية .

رابعاً : جهود حلقات المساجد .

خامساً : جهود الجماعات الإسلامية الأخرى .

سادساً : جهود وسائل الإعلام .

سابعاً : وجود التخصص العلمي .

أولاً : جهود الجامعات الإسلامية :

تعتبر الجامعات الإسلامية المنابر الرسمية للتعليم في عصرنا الحاضر ، وهي التي تمد العالم الإسلامي بالعلماء في كل ما يتعلق بعلوم الشريعة واللغة العربية .

ولقد نفع الله عز وجل المسلمين بالكثير من خريجيها ، حيث قاموا بالتدريس والتأليف في علوم الإسلام ، كما قام بعضهم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق الإمامة بالناس وخطبة الجمعة والدرس والمحاضرة والمشاركة في الندوات بالدعوة الفردية والجماعية .

ومن هذه الجامعات الإسلامية التي أمدت العالم الإسلامي بفيض من العلماء ، معهد الحرم الملكي[1] وجامعة القرويين بالمغرب ، والكلية الزيتونية بتونس ،

(١) أسس هذا المعهد سنة ١٣٨٥هـ على مستوى شهادة المرحلة الثانوية في علوم الشريعة واللغة العربية .

وجامعة الأزهر بمصر التي كانت وما تزال ـ بحمد الله ـ قائمة على أصولها رغم ما مر بها من عوائق وظروف سياسية قاسية .

وإلى جانب هذه الجامعات العريقة فقد وجدت بعض الجامعات الإسلامية في عصرنا الحاضر لتقوم ببعض الواجب نحو رسالة الإسلام الخالدة .

ويأتي في مقدمة هذه الجامعات : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي خرجت آلاف الطلاب[1] وما تزال بحمد الله قائمة برسالتها .

كما أن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أنشئت من أجل إمداد العالم الإسلامي بالعلماء والدعاة والمدرسين والأئمة[2] .

كما أن جامعة أم القرى التي كانت نواتها كلية الشريعة ، قد تخرج منها حتى الآن عدد لا بأس به في العلوم الإسلامية والعربية[3] .

وقد افتتحت في باكستان الجامعة الإسلامية[4] التي ينتظر إن شاء الله أن تشارك أخواتها الجامعات الإسلامية بإمداد العالم الإسلامي بالعلماء والباحثين والدعاة

---

(١) أنشئت هذه الجامعة عام ١٣٧٣هـ وخرجت (١٦٣٨٤) طالباً وطالبة في العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية منذ عام ١٣٧٦هـ حتى نهاية عام ١٤٠٦ / ١٤٠٧هـ . انظر دليل الخريجين دفعة (٣١) ،ص٨ ، عمادة القبول والتسجيل .

(٢) أنشئت هذه الجامعة عام ١٣٨٠/١٣٨١هـ لخدمة العالم الإسلامي ، حيث خصص بها ٨٥٪ من الطلاب من غير السعوديين يمثلون ٨٦بلداً ، وقد تخرج منها ٥٠٢٧ طالباً حتى عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـ .

انظر التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤٠٥/١٤٠٦هـ ، ص٩ ، إصدار إدارة التخطيط والميزانية والمتابعة والإحصاء بالجامعة الإسلامية .

(٣) أنشئت كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٦٩هـ ، وأنشئت الجامعة عام ١٤٠١هـ . انظر دليل حفل التخريج للجامعة عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـ ، ص٢٩ .

(٤) أنشئت هذه الجامعة في إسلام آباد عام ١٩٨٥م . انظر كتاب الجامعة الإسلامية العالمية ، مرسوم ١٩٨٥ .

الذين - بهم إن شاء الله - تحيا الأمة ويشتد ساعدها .

هذا إلى جانب مراكز البحوث العلمية في الجامعات ، ومهمة هذه المراكز التنسيق والمتابعة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، وحثهم على الإنتاج الفكري والعلمي الذي يعالج القضايا المعاصرة ويقدم لها الحلول الناجحة .

وما يزال العالم الإسلامي بحاجة ماسة إلى المزيد من الجامعات ومراكز البحث العلمي الجادة والمعاهد والمدارس الإسلامية التي تساعد العالم الإسلامي على النهوض من كبوته التي طال سقامها وليس لها منقذ إلا تعاليم الإسلام .

ثانياً : جهود المكتبات :

تعد المكتبات في هذا العصر أحد المصادر الرئيسة للمعرفة ، ولم تعد محصورة في اهتمام المؤسسات التعليمية فحسب ، بل إنها حازت على اهتمام جميع المؤسسات الحكومية كالوزارات ومؤسسات الدعوة ،وأصبحت المكتبة جزءاً مهماً في كيان كل مدينة وقرية ،وبلغ الأمر بالكتاب حداً في الانتشار جعل منه صناعة تجارية ، وتكونت المكتبات في المساجد والبيوت ، ومن خلال ما كتبه الدكتور فؤاد سزكين عن مجموعات المخطوطات العربية فقط في مكتبات العالم العامة والخاصة نعرف مدى انتشار الكتاب مع أن الأستاذ المذكور لم يتمكن - قطعاً - من الحصر الدقيق للمكتبات سواء منها ما كان تابعاً للجامعات ومؤسسات التعليم الأخرى ، أو ما كان خاصاً بالأفراد[1] ، وما كان منها مخطوطاً أو مطبوعاً بأي لغة كانت .

ولقد قامت جامعة أم القرى بإخراج دليل للمكتبات الجامعية في العالم الإسلامي باللغة الإنجليزية[2] . يمكن لمزيد الاستزادة ،الرجوع إليه .

---

(١) انظر د . فؤاد سزكين ،تاريخ التراث العربي ،مجموعة المخطوطات العربية في مكتبات العالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،ومن المعلوم أن المؤلف قد سجل في هذا الكتاب قريباً من ١٦٧٠ مكتبة .

(٢) لقد كانت نتيجة الإحصاء للمكتبات الجامعية في الدليل المذكور (٢٨٢) مكتبة في عددها من =

ثالثاً : جهود المؤسسات الدعوية :

تضطلع المؤسسات الدعوية المتمثلة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد[1] ، ورابطة العالم الإسلامي[2] ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي[3] بمسؤوليات كبيرة وكثيرة في سبيل نشر العلم ، وتتخذ في ذلك عدة وسائل خدمة

= الجامعات يتراوح عدد الكتب فيها ما بين عشرات الآلاف والمليون كتاب ، انظر على سبيل المثال مكتبة جامعة بنجلادش التي تحتوي على (١٢) ألف عنوان ، وجامعة الجزائر التي تحتوي على (٧٠٠٥٥٠) سبعمائة ألف وخمسمائة وخمسين كتاباً ، وجامعة الملك سعود التي تحتوي على (١١٢٣٢٤٤) مليون ومائة وثلاثة وعشرين ألفاً ومائتين وأربعة وأربعين كتاباً .

Directory of universities and their libraries of the muslim world by CH. Muhammad Awais, librarian central library, UMM AL–QURA University, deanship of library affairs, UMMAL–QURA University, Makkah AL–Mukarramah, 1407/1987.

(١) نشأت نواتها باسم دار الإفتاء زالإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد العلمية عام ١٣٧٤هـ ، ثم تحولت إلى اسم الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١هـ .

(انظر جريدة أم القرى العدد ١٥٦٥ السنة الثانية والثلاثون ، الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٧٤هـ ، والعدد ٢٣٨٧ السنة التاسعة والأربعون الجمعة ١٣ رجب ١٣٩١هـ) .

وقد حصلت على معلومات شفوية عن هذه الإدارة من فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الفنتوخ مدير عام إدارة الدعوة في المملكة ودول الجزيرة العربية ، ومن فضيلة الشيخ محمد بن ناصر بن قعود مدير عام إدارة الدعوة في الخارج يوم الأحد ١/ـغـ/١٤٠٨هـ .

ويعتمد المسؤولون في هذه المؤسسة على العمل الصامت واعتبروا ذلك شعاراً لهم ، ولقد ورد في مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن هذه المؤسسة ما نصه : (يتسم العمل الإسلامي في هذه الرئاسة بالصمت الدائم حفاظاً على مصلحة العمل والإخلاص فيه) ، انظر العدد الرابع من المجلة ، ص١٨٠١ ، سنة ١٣٩٨هـ .

(٢) أنشئت هذه المؤسسة سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م في مكة المكرمة .

(٣) أنشئت هذه المؤسسة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م في الرياض .

انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، نشأتها وتطورها ، وثائقها ص٧ .

للدعوة إلى الله سبحانه ، وتقوم كل مؤسسة بأعمال متماثلة كل منها على حدة رغبة في شمول مساحة أكبر من العالم الإسلامي ، ومن أهم هذه الأعمال ما يلي :

١ ـ بعث نسخ من القرآن الكريم بروايتي حفص وورش إلى مناطق العالم[١] .

٢ ـ تسجيل القرآن الكريم على أشرطة وتوزيعه على بلاد المسلمين والأقليات المسلمة .

٣ ـ بعث الكتب والمجلات الإسلامية والمقررات المدرسية بمختلف اللغات[٢] .

٤ ـ إقامة دورات تدريبية لمدد تتراوح بين شهر وشهرين في دول العالم لتدريب الدعاة ، كما تقام الندوات والمحاضرات والدروس في دول العالم الإسلامي والأقليات المسلمة[٣] .

٥ ـ إقامة ندوات ومحاضرات في موسم الحج في المشاعر المقدسة لمدة شهرين تبدأ من الأول من شهر ذي القعدة من كل عام[٤] .

٦ ـ عمل محاضرات ودروس وندوات موجهة لغير المسلمين[٥] .

---

(١) انظر تقرير الأمانة العامة للرابطة ، الدورة ٢٣ ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، وانظر مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الرابع ، سنة ١٣٩٨هـ ، ص١٨٠١ .

(٢) انظر التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، تقرير عام ١٤٠٤هـ ، ص٣٠١ ـ ٣٠٢ ، وانظر مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الرابع ، ص١٨٠١ ، سنة ١٣٩٨هـ ، وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي نشأتها ، تطورها ، وثائقها ، ص٢٦ .

(٣) فضيلة الشيخ محمد بن ناصر بن قعود مدير عام إدارة الدعوة في الخارج ، وانظر التعليم العالي ، تقرير عام ١٤٠٤هـ ، ص٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٤) انظر تقرير الأمانة العامة للرابطة ، الدورة ٢٣ ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، ومجلة البحوث الإسلامية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ص٤١٦ .

(٥) مما يجدر ذكره في هذا المجال ما تقوم به جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت .

٧ ـ بعث الدعاة لدول العالم الإسلامي والأقليات المسلمة للدعوة وإمامة الناس وتدريس القرآن الكريم[١] .

٨ ـ الإعانات المالية لغرض شراء الكتب والمستلزمات الأخرى[٢] .

٩ ـ افتتاح مكاتب فرعية في دول العالم تقوم بالأعمال المكلفة بها من قبل المكاتب الرئيسة فيما يتعلق بشؤون الدعوة[٣] .

وتنفرد الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الداخل بالقيام بمهمة الإشراف على الدعاة وتسهيل مهماتهم في مدن المملكة وقراها وأريافها ، وقد وضعت برامج أسبوعية أو شهرية تقوم بالتخطيط لها ومتابعة تنفيذها في بيوت الله[٤] بالدروس اليومية والمحاضرات أو الندوات الأسبوعية ، كما أن هيئة كبار العلماء في الرئاسة تقوم بجهد كبير في نشر العلم عن طريق الفتاوي وإلقاء المحاضرات والدروس والندوات ، كما تقوم بإصدار مجلة البحوث الإسلامية كل ثلاثة أشهر[٥] .

أما ما تنفرد به الرابطة فهو إنشاء إذاعة صوت رابطة العالم الإسلامي في دولة (بلجيكا) في أوروبا ، وتبث برامجها من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ومن أهم برامجها إذاعة القرآن الكريم ، وتفسيره ،

---

(١) انظر التقرير السنوي للدورة ٢٦ ، ص٩٦ ـ ٩٨ .

(٢) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي نشأتها ، تطورها ، وثائقها ، ص١٧ . وما أملاه فضيلة الشيخ محمد بن ناصر بن قعود .

(٣) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، نشأتها ، تطورها ، وثائقها ، ص٦٣ ، انظر التقرير السنوي للدورة ٢٣ ، ص٢٧٦ ـ ٣١٥ ، والدورة ٢٦ ، ص٧٢ ـ ٩٤ ، ومجلة الرابطة العدد الثامن ، شعبان ١٤٠٥هـ ، ص٣٦ ، وما أملاه فضيلة الشيخ محمد بن ناصر بن قعود .

(٤) نقلت هذه المعلومات شفاهاً من فضيلة الشيخ عبد الله بن فنتوخ .

(٥) انظر مجلة البحوث الإسلامية ، قسم الفتاوى .

وأحاديث المصطفى ﷺ ، وبرامج أخرى[1] .

كما تصدر الرابطة مجلة رابطة العالم الإسلامي وهي شهرية ، وأخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ، وكذلك المجلات الموسمية .

وأما ما تنفرد به الندوة العالمية للشباب الإسلامي فهو إقامة المخيمات الطلابية والشبابية الدائمة والمؤقتة ، كما أنها تتعاون مع (٤٥٠) منظمة طلابية وشبابية في العالم التي تمثل بمجموعها ملايين من الطلاب والشباب[2] .

رابعاً : جهود حلقات المساجد :

لقد بدأت رسالة المسجد العلمية والتعليمية لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ منذ اللحظة الأولى التي تم فيها بناء المسجد النبوي ـ على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ حيث كان المدرسة الأولى التي تخرج منها أصحاب رسول الله ﷺ[3] ، فخرجوا إلى الدنيا فاتحين حاملين لواء الإسلام والدعوة إليه ، ولقد تتلمذ على يد هؤلاء الصحابة الكرام جمع غفير من التابعين في مسجد رسول الله ﷺ ، وقد شارك المسجد الحرام في مكة المكرمة حمل هذه الرسالة[4] ، وتوالت العصور وتعددت حلقات المساجد ، فعمت المسجد الأقصى ، والمسجد الأموي ،

---

(١) انظر التقرير السنوي للرابطة للدورة ٢٦ ، ص٩٤ .

(٢) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، نشأتها ، تطورها ، وثائقها ، ص٢٠ . ولقد استفدت في موضوع المؤسسات الدعوية داخل المملكة العربية السعودية من بحث غير منشور للشيخ عبد الحكيم عبد السلام بعنوان : دور العهد السعودي الثالث في خدمة الإسلام ، مقدم لقسم الدعوة بالجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٥ / ١٤٠٦هـ .

(٣) انظر مجلة رسالة المسجد ، العدد السادس ، ص١٧ ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، محاضرة بعنوان (المساجد وأثرها في الدعوة) لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، رحمه الله .

(٤) المصدر السابق ، العدد الثامن ، ص٣٦ ، سنة ١٤٠٣هـ ، مقال بعنوان : (التعليم في المسجد الحرام) بقلم هشام هلال عاشور .

والمسجد الأزهر ، ومساجد بغداد والأندلس وبخارى والهند[1] وغيرها مما لا يقع تحت حصر .

إلا أن رسالة المسجد في عصرنا الحاضر كادت أن تقف بعد أن سرت إلى العالم الإسلامي عدوى فصل الدين عن الحياة ـ كما هي الحال في بلاد الغرب ـ وذلك بإنشاء مدارس للتعليم خارج المسجد ولا ترتبط به من قريب ولا من بعيد ، فأصبح المسجد مقتصراً على أداء الصلوات الخمس والجمعة فقط .

ويرجع اضمحلال رسالة المسجد إلى ربط العلم بالمعاش ، وبذلك أصبح الأمر ضمن مسؤوليات الحكومات التي لا تقيم لدروس المساجد وزناً ، وعلى الرغم من هذا الحصار للمسجد إلا أن الأمل في إعادة رسالته إليه ممكنة لأسباب نذكر منها :

١ ـ أن المسجد هو المنبر الأول للعلم فعن طريقه انتقلت رواية القرآن الكريم والسنة المطهرة بالتواتر .

٢ ـ أن المدرس والدارس في المسجد يظهر عليهما الوقار والتمسك بالدين والأخلاق ، كما يبدو منهما الإخلاص في طلب العلم ، وهذا ما يفتقده طلاب العلم في المدارس الحديثة إلا من رحم الله ، وقليل ما هم[2] .

وهذا العامل كفيل بإعادة رسالة المسجد إليه إن شاء الله .

٣ ـ بروز الصحوة الإسلامية التي دعت إلى الاهتمام بدراسة علوم الإسلام لمن لم يتيسر له دراستها دراسة تخصصية .

٤ ـ عدم توفر الدراسات الإسلامية في معظم مدارس وجامعات العالم

---

(١) انظر رسالة المسجد ، العدد السادس ، ص١٨ سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، محاضرة بعنوان (المساجد وأثرها في الدعوة) لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد .

(٢) انظر رسالة المسجد ، ص١٨ .

الإسلامي والدول الأخرى التي تضم أقليات مسلمة ، مما يستدعي قيام المسجد برسالته ، لذلك فإن من الضروري للمسلم حضور حلقات العلم في المساجد ، الرجال مع الرجال ، والنساء مع النساء ، كل في مكان خاص ، بعيداً عن أنظار الطرف الآخر ، ولا بأس من استفادة النساء بدروس الرجال وذلك باستخدام مكبرات الصوت ، وما تزال آثار حلقات المساجد ماثلة للعيان في بعض بلدان العالم الإسلامي ـ والحمد لله ـ كما هي الحال في بلاد الهند والباكستان والمملكة وتركيا[1] ، على الرغم من تولي الحكومات رسالة التعليم ، وهناك خريجون من هذه المساجد في عصرنا الحاضر ممن قاموا بنشر العلم وخدمة قضايا الإسلام ، ولهم أثر واضح في معظم دول العالم[2] على الرجال والنساء .

خامساً : جهود الجماعات الإسلامية :

إن من الأمور التي يجب أن توضع في الحسبان هو قيام الجماعات والجمعيات والمراكز الإسلامية في العالم كله بجزء كبير في نشر العلم بين المسلمين ، كل على

(١) لقد ذكر الشيخ محمد محمود الصواف وجود مليون حافظ بنين وبنات في تركيا عندما ألقى كلمة في المؤتمر الإسلامي العام في الرابطة سنة ١٤٠٨هـ .

(٢) ومن هؤلاء سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي الديار السعودية في وقته ، وقد درس على يد والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، وعلى يد عمه عبد الله بن عبد اللطيف ، وقرأ القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج ، وتوفي عام ١٣٨٩هـ .
ومنهم كذلك سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله تعالى ـ الذي توفي يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ .
وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وأمد في عمره ، وكلاهما قد تتلمذ على يد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
والشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ سعد بن عتيق رحمهم الله جميعاً .
انظر مجلة رسالة المسجد ، العدد السادس ، ص١٤ ، نشر مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، عام ١٤٠٣هـ ، وانظر عبد الله البسام علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ، ص٨٨ ، نشر مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٨هـ ، الطبعة الأولى .

حسب الإمكانات التي يملكها .

ولا يخلو بلد إسلامي أو جماعة كبيرة من الأقليات من وجود مسؤولين فيها يقومون بتلك المهمة العظيمة ، مشاركة منهم في خدمة الإسلام والمسلمين في محيطهم .

ولا يمكننا أن نحصر هذه الجماعات ، ولا نستطيع الإشارة إلى ما تقوم به من أعمال لصعوبة ذلك ، بل لاستحالته ، ولذلك فلن أذكر جماعة بعينها دون غيرها . وما يزال العالم الإسلامي والجماعات الإسلامية بخير والحمد لله ، وكلها تسعى بإذن الله لخدمة هذا الدين والذود عنه بالقول والعمل والكتابة والتخطيط السليم ، وكل هذه الجهود من هذه الهيئات والمؤسسات والجماعات تنطلق بهدف نشر العلم الذي لا يقوم الدين إلا به ، كما أن ثمار هذه الجهود بارزة للعيان محسة ملموسة في كل مكان ، لكنها تحتاج إلى استثمار ورعاية واهتمام ينشأ عليها الصغير ، ويشب عليها الصبي ، وتواكب حياة الكبير من الرجال والنساء ، كما تحتاج إلى إخلاص في الاعتقاد والقول والعمل ، وإلى متابعة لما جاء به المصطفى الكريم ﷺ من عند ربه ، المتمثل في الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وإلى اجتماع الكلمة امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] ، نسأل الله أن يكون ذلك قريباً .

سادساً : جهود وسائل الإعلام :

إن للوسائل الإعلامية ـ سواء كانت مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ـ أثر واضح في نشر العلم مع اختلاف في طرق الأداء وحجمه ، غير أن المؤسسات الصحفية كانت أسبق من غيرها إلى هذا الميدان ، فخرجت صحافة إسلامية متخصصة تتخذ الإعلام منهجاً ، والإسلام رسالة ، تخاطب الفرد والمجتمع بمؤسساته المختلفة ، وتنقل إليه ما يهمه من أمور الإسلام وقضاياه ، وأخبار المسلمين

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٠٣ .

ونشاطهم وآلامهم وآمالهم ، تعرض كل ذلك بالأسلوب الصحفي الممتع ، سواء بالصحيفة اليومية[1] أو المجلة الأسبوعية[2] ، أو الشهرية[3] ، أو الفصلية[4] ، أو الحولية[5] .

أما ما يتعلق بالمؤسسات الإعلامية المسموعة ، فهناك إذاعات القرآن الكريم والتي يبث من خلالها كتاب الله متلواً ، إضافة إلى البرامج اليومية مثل (نور على الدرب) ، والأسبوعية مثل (مجالس العلماء) ، و (ركن الدعوة والإفتاء) ، وغيرها من البرامج ، إضافة إلى البرامج الإسلامية في الإذاعات العامة[6] وكذا البرامج الموسمية مثل مناسبة رمضان والحج .

المطلب الخامس : وجود التخصص العلمي :

يعد التخصص العلمي في علوم الشريعة من الإيجابيات المتوفرة نوعاً ما في العالم الإسلامي ، وتستطيع المرأة المسلمة أن تتخصص في دراسة هذه العلوم لتقوم بما يجب عليها من الدعوة إلى دينها . ففي العالم الإسلامي ست جامعات إسلامية متخصصة في علوم الشريعة[7] بعامة ، كما يوجد بهذه الجامعات بعض الكليات

---

(١) كانت هناك صحيفة إسلامية يومية تصدر باسم (الإخوان المسلمون) في القاهرة سنة ١٩٤٨م ، ثم توقفت لظروف سياسية . ذكرتها هنا من أجل إعطاء صورة واضحة بإمكانية صدور مثل هذه الصحيفة يومياً .

(٢) مثل مجلة المجتمع والدعوة والاعتصام .

(٣) مثل مجلة الرابطة ومجلة الأمة والبلاغ والبعث الإسلامي والوعي الإسلامي والبيان .

(٤) مثل مجلة البحوث الإسلامية .

(٥) مثل المجلات الجامعية كمجلة كلية الشريعة وأصول الدين وغيرهما .

(٦) مثل إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية .

(٧) منها ثلاث جامعات بالمملكة العربية السعودية هي : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، ولها فروع في القصيم وأبها . والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . وجامعة أم القرى في مكة المكرمة ، ولها فرع في الطائف . وجامعة الأزهر بمصر وقد أسست عام ٣٧٠هـ . وجامعة أم =

المتخصصة في القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، والدعوة ، وأصول الدين ، بالإضافة إلى وجود جامعات[1] أخرى غير متخصصة في علوم الشريعة ، يوجد بها كليات علوم شرعية ، كما يوجد بعض الأقسام[2] في العلوم الشرعية داخل الكليات في الجامعات غير المتخصصة[3] .

ويوجد في عالمنا الإسلامي أكثر من ثلاثين دولة تحتضن جامعات إسلامية متخصصة ، أو كليات علوم شرعية داخل إطار الجامعات العامة ، أو أقساماً للعلوم الشرعية داخل الكليات العامة ، وبشائر الخير قادمة بإذن الله رغم التحديات التي تواجهها المشاريع الإسلامية .

= درمان الإسلامية التي تأسست عام ١٣٨٥هـ ، وكان الأصل في إنشاء هذه الجامعة وجود المعهد الديني الإسلامي منذ عام ١٩١٢م ، وقد أنشئت الجامعة الإسلامية في إسلام آباد في باكستان عام ١٤٠٥هـ .

(١) كما عليه الحال في الجامعة الإسلامية في المدينة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) مثل جامعة الكويت ، وجامعة بغداد ، وجامعة دمشق ، وجامعة النيجر ، وجامعة نيجيريا .

(٣) مثل قسم الدراسات الإسلامية في كليات التربية والآداب بالرئاسة العامة لمدارس البنات ، وجامعة الملك سعود ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ويمكن لطالب الاستزادة الرجوع لدليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي ، إعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج ، وكذلك :

DIRECTORY OF UNIVERSITIES AND THEIR LIBRARIES OF THE MUSLIM WORLD BY CH. MUHAMMAD AWAIS, LIBRARIAN CENTRAL LIBRARY, UMM AL-QURA UNIVERSITY, DEANSHIP OF LIBRARY AFFAIRS, UMM AL-QURA UNIVERSITY, MAKKAH AL-MUKARRAMAH, 1407/1987.

المبحث الثاني : إيجابيات متغيرة

تمهيد :

إن نعم الله كثيرة لا تحصى كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1] .

والله سبحانه وتعالى قد وهب هذه النعم لعباده ، تكرماً منه وإحساناً ؛ فعلى العباد مقابلة هذه النعم بالشكر الاعتقادي والقولي والعملي مستفيدين منها بالتقوّي على طاعة الله وصرفها في مرضاته عز وجل ، مستغلين فرصة توفرها لديهم فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير العميم ، وفي مقدمة ذلك الدعوة إلى الله ، أفضل الأعمال .

ولقد حث المصطفى الكريم ﷺ على استغلال الفرص المتاحة للإنسان في حياته من النعم الكثيرة التي لا تحصى ، ومنها نعمة الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة بشكل عام .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »[2] .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٣٤ .

(٢) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب الرقاق ، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، ج٤ ، ص٣٠٦ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الإمام الذهبي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[1] .

وإن هذه النعم العظيمة من أهم الإيجابيات التي تساعد الداعية على المضي في الدعوة ويتحتم عليه أن يستفيد منها .

وسيكون الحديث في سبعة مطالب ، تتناول اغتنام الشباب والصحة والمال والفراغ والحياة بشكل عام ، إضافة إلى اتساع نطاق الْتقاء النساء واليقظة الفكرية المعاصرة .

المطلب الأول : اغتنام فترة الشباب :

إن الشباب فترة يمر بها الإنسان في أطوار حياته ، تمثل فترة الحيوية والنشاط الحركي والقوة الجسدية والفكرية والعقلية ، تزداد يوماً بعد يوم نتيجة التجارب والمعلومات المتجددة ، كما أنها أخصب فترة للإنتاج لكل المتطلبات البشرية ، كما تعتبر القاعدة الرئيسة التي تعتمد عليها فترة الكهولة والشيخوخة ، فإذا خسر الإنسان شبابه ، خسر بذلك دنياه وأخراه في الغالب .

هذه الفترة هي فترة القوة التي قال الله عز وجل عنها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[2] .

ففترة القوة هذه تتوسط فترتين سمة الإنسان فيهما الضعف ، إحداهما تسبق فترة القوة وهي فترة الحمل في بطن الأم ، وفترة الطفولة التي تتميز بعدم استقلال الإنسان فيها بنفسه ، والفترة الثانية تعقبها وهي فترة الشيخوخة ، وتتميز بالضعف والركود الجسمي والفكري غالباً .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب ما جاء في الرقاق ، ج١١ ، ص٢٢٩ ، رقم الحديث ٦٤١٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٥٤ .

وعندما ذاق الشاعر العربي تكاليف الشيخوخة وآلامها بعد الشباب وحيويته تمنى عودة الشباب مظهراً تذمره من هذه الفترة التي يعيشها فقال :

فيا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب[1]

وإذا أمعنا النظر وحصرناه فيما يتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل وجدنا أن الأنبياء والرسل عليهم السلام بعثوا إلى أقوامهم في سن الشباب ، ومعظم الذين يتبعون الأنبياء والرسل ويقوم عليهم أمر الدين من الشباب .

ومثال ذلك رسالة الإسلام الخالدة بُعِثَ بها النبي محمد ﷺ في سن الأربعين ، وكان معظم الذين تبعوه وآمنوا به دون هذه السن أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

كما نجد أن أتباع النبي ﷺ من النساء كان معظمهن في سن الشباب ، وخرجن معه في الغزوات للسقي وتضميد الجرحى ، فخروجهن لهذه المهمة دليل واضح على أنهن كن في سن الشباب[2] .

والمرأة لا تختلف عن الرجل من حيث النشاط الفكري والحركي في هذه السن ، بل إنها في هذه السن تقوم بعملية الإنتاج البشري الذي يواكب عملية التنشئة الاجتماعية والتوجيه التربوي للطفل ، حيث ارتباطه بأمه أكثر من ارتباطه بأبيه في هذه الفترة ، كما أن الفترة التي تقوم فيها بعمل خارج البيت تكون في فترة الشباب غالباً ، وهي الفترة الزمنية التي يمكنها أن تقوم خلالها بالدعوة إلى الله من

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص٤٦ ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ،ج٦ ، ص٧٨ ، رقم الحديث ٢٨٨٠ ، ونصه : عن أنس رضي الله عنه قال : (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن تنقزان القرب ، وقال غيره تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم) .

خلال الكلمة المسموعة أو المقروءة .

ففي فترة الشباب المتأخرة يمكن المرأة الداعية أن تقوم بإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات ، كما تستطيع أن تقوم بالكتابة على شكل مقال أو بحث أو كتاب ، فإذا مرت المرأة الداعية بهذه الأعمال الدعوية في فترة الشباب ، فإن ذلك مؤشر خير على استمرارها على هذا العمل العظيم في سن الكهولة وأوائل الشيخوخة ، فتعيش حياتها كلها داعية إلى دين الله .

المطلب الثاني : اغتنام الصحة :

إن الصحة البدنية والنفسية من نعم الله الكبرى على الإنسان وهي ضد المرض الذي بسببه أجاز الإسلام اتخاذ الرخص في العبادات ، وذلك بالإفطار في رمضان لعدم القدرة على الصيام لقوله سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[1] .

أو بالتيمم لعدم القدرة على استعمال الماء لقوله عز وجل : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[2]، وغير ذلك من الأعراض المرضية المضعفة للعمل ، أو المانعة منه ، والتي قلما يسلم منها الإنسان في حياته لحكم يعلمها الله سبحانه .

ولذلك فقد حث الإسلام على اغتنام فترة تمتع المسلم بصحته للقيام بالأعمال المقربة إلى الله عز وجل قبل أن يدهم الإنسان المرض فلا يستطيع القيام بمثل هذه الأعمال كما ذكرنا في قوله ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس. . . . وصحتك قبل سقمك » وكما في قوله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[3] .

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ١٨٤ .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية ٤٣ .

(٣) سبق تخريج الحديثين . انظر ص٣٢٤ من هذه الرسالة .

والعجيب من غفلة هذا الإنسان الذي لا يعرف نعمة الصحة حتى يصاب بالمرض وصدق الحكيم الذي يقول : الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى .

وأكثر ما تتوفر الصحة في زمن الشباب ، حيث الطفولة والشيخوخة فترتا ضعف في حياة الإنسان ، ولذلك نلمس أن أكثر الأمراض تصيب الإنسان في زمن طفولته وشيخوخته ، كما أن مرحلة الشباب يمكن أن تجتمع فيها للإنسان جميع النعم التي حث الحديث الشريف على اغتنامها من شباب وصحة وغنى وفراغ وحياة .

فما على المرأة الداعية إلا أن تغتنم فرصة توفر الصحة للقيام بالدعوة إلى الله فهي لا تعلم متى يفجؤها المرض فتتمنى لو كانت صحيحة تستطيع أن تقدم لدينها ما يفرضه عليها إسلامها ، فتندم حينئذ ، ولات ساعة مندم .

المطلب الثالث : اغتنام وفرة المال :

لقد حث الإسلام على بذل المال في وجوه البر والإحسان ـ علاوة على ما أوجبه من زكاة المال ـ وأفضل هذه الوجوه ما بذله صاحبه إعلاء لكلمة الله ، دعوة إلى دين الله ودفاعاً عن حياض الإسلام .

وحيث إن المال في يد الإنسان عرضة للزيادة والنقصان ، فقد أرشد الإسلام أتباعه إلى اغتنام فرص توفر المال لديهم ، ورغبهم في الصدقات والقربات في حالة الغنى ، حيث يقول الرسول ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس. . . وغناك قبل فقرك » .

وقد وعد الله عز وجل بمضاعفة الأجر للمنفقين في سبيل الله فقال سبحانه :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

ولم يقتصر الأمر على مضاعفة الأجر فقط بل تعداه إلى الوعد بالنجاة من العذاب الأليم يوم القيامة ، وتلك والله ، التجارة الرابحة ، فما هي أركان هذه التجارة يا ترى؟

إنها الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس ، يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1] . وقد أثنى الله سبحانه على الذين يبذلون المال وهم في حاجة إليه ، فقال سبحانه : ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ ﴾[2] ، وفي مقابل ذلك حذر سبحانه من كنز المال فقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾[3] .

ولقد بذل المسلمون أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله ، يغتنمون فرص وجود المال في الأعمال الخيرية ليس على موائد القمار والفسق والفجور كما يفعله كثير من الناس اليوم ، إذا توفر لديهم شيء من المال .

فعندما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتصدق في سبيل الله ، اغتنم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فرصة توفر المال لديهما فقدم أبو بكر كل ماله ، وقدم عمر نصف ماله ، فقد روى زيد بن أسلم العدوي عن أبيه رضي الله عنهما قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق[4] ذلك

---

(١) سورة الصف ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة الحشر ، جزء من الآية ٩ .

(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية ٣٤ ، والآية ٣٥ .

(٤) قوله : فوافق ذلك مالاً ، يدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اغتنم فرصة وجود المال فصرفه تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ .

مالاً عندي ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك؟ قلت : مثله ، قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له الرسول ﷺ : وما أبقيت لأهلك؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقك إلى شيء أبداً)[1] .

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يبذل الكثير من ماله في سبيل الله ، وقصة شرائه لبئر رومه ووقفها لله سبحانه يشرب منها الغنيّ والفقير وابن السبيل مشهورة ،كذلك قصة تجهيزه رضي الله عنه جيش العسرة في معركة تبوك .

فعن أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه (أن عثمان رضي الله عنه ، حيث حوصر أشرف عليهم وقال : أنشدكم الله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر رومه فله الجنة ، فحفرتها[2] ألستم تعلمون أنه قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزته؟ قال فصدقوه بما قال ، وقال عمر في وقفه : لا جناح على من وليه أن يأكل ،وقد يليه الواقف وغيره ، فهو واسع لكلٍ)[3] .

وهل اقتصر البذل في سبيل الله على الرجال فقط دون النساء؟ لا ، بل إن النساء ما إن سمعن بوعظ رسول الله ﷺ وأمره لهن بالصدقة حتى بادرن بتنفيذ الأمر النبوي طاعة لله ورسوله ، واغتنمن فرصة وجود المال والحلي في أيديهن

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الزكاة ،باب الرجل يخرج من ماله ، ج٢ ، ص٣١٣ ، وذكر الحديث الإمام الترمذي في سننه في كتاب المناقب ، باب مناقب أبي بكر ، رقم الحديث ٣٦٧٦ ، وقال عنه : حديث حسن صحيح . كما قال عنه الإمام الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الإمام الذهبي . انظر مستدرك الإمام الحاكم ، ج١ ، ص٤١٤ .

(٢) والمشهور عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه اشترى بئر رومه وجعلها وقفاً للمسلمين ثم حفرها بعد ذلك للحاجة إلى مزيد من الماء ، انظر فتح الباري ، ج٥ ، ص٤٠٧ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الوصايا ، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ، ج٥ ، ص٤٠٦ ، رقم الحديث ٢٧٧٨ .

فقدمنه رخيصاً في سبيل الله ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم ، وبلال يأخذ في طرف ثوبه[١] .

ولم يقتصر البذل على معارك الجهاد أو سداً لحاجة فقير ، بل إن الرسول ﷺ كان يبذل ماله في كل سبيل يرى أنه سبب لتأليف القلوب على الإسلام والدخول فيه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (ماسئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين[٢] فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة)[٣] .

ولابد أن يكون لمثل هذا البذل أثر في النفوس فيقلبها من حال إلى حال أحسن بإذن الله ، ذلك أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ؛ فعن ابن شهاب رضي الله عنه قال : (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ، فتح مكة ، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ، ثم مائة ثم مائة)، قال ابن شهاب : (حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ)[٤] .

بل كان رسول الله ﷺ وأصحابه يغتنمون فرص توفر المال لديهم لينفقوه في

---

(١) المصدر السابق ، كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ، ج١ ، ص١٩٢ ، رقم الحديث ٩٨ .

(٢) قوله بين جبلين يعني : كثيرة .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقا ، ج٤ ، ص١٨٠٦ ، رقم الحديث ٢٣١٢ .

(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣١٣ .

سبيل الله تثبيتاً للدين ونشراً له وقمعاً لأعدائه ؛ ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (أن رسول الله ﷺ قال له : « لو قد جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا ، وهكذا ، وهكذا » ، وقال بيديه جميعاً فقبض النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين ، فقدم على أبي بكر بعده فأمر منادياً فنادى : من كانت له على النبي ﷺ عدة أو دين فليأت . فقمت فقلت إن النبي ﷺ قال : « لو قد جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » ، فحثى أبو بكر مرة ثم قال لي : عدها ، فعددتها فإذا هي خمسمائة ، فقال خذ مثليها)[1] .

ومما سبق يتبين لنا ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رجالاً ونساء من حب للدين والذود عنه واغتنام الفرص في كل وجه لإعلاء كلمة الله بالنفس والنفيس .

ولذلك فالمرأة المسلمة ، وعلى الأخص العاملة بالأجر المادي ، إذا توفر لديها المال مدعوة للبذل في سبيل الله إعلاء لكلمة الله في الدعوة إليه ، وتثبيتاً للمؤمنين والمؤمنات ، وصداً لكيد أعداء الله من كل جنس .

وإذا كان الإسلام لم يفرض على المرأة المسلمة الجهاد بالنفس كما في الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » ، فقد رغبها في بذل المال كما ذكرنا في صدر هذا المطلب ، وعلى المرأة الداعية أن تغتنم فرص توفر المال لديها فائضاً عن حاجتها ومن تحت يدها ، فتصرفه في وجوه الخير لعل الله أن يهدي على يديها من شاء الله هدايته لتحوز على المكافأة العظيمة التي تفوق المال الذي صرفته في سبيل ذلك حيث يقول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا ، وكثرة عطائه ، ج٤ ، ص١٨٠٦ ، رقم الحديث ٢٣١٤ .

رضي الله عنه : « فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم »[1] .

المطلب الرابع : اغتنام الفراغ :

الفراغ أحد سلبيات حضارة العصر الحديث ، ساعدت على وجوده كثير من وسائل التقنية الحديثة في الصناعة والكهرباء ووسائل النقل السريعة والحاسب الآلي ونظام القوى العاملة الذي قنن للناس ساعات معينة للعمل لا تزيد على ثمان ساعات غالباً في اليوم الواحد يعود بعدها العامل إلى منزله ليتصرف هو في باقي وقته دون تدخل من أحد ، وإذا كان علماء النفس والاجتماع قد درسوا هذه المشكلة واجتهدوا في وضع الحلول المناسبة لها على ضوء تصوراتهم ، فإن الإسلام في مصدريه الكتاب والسنة قد تعرض لهذه المشكلة ، وحث على تفاديها باغتنام وقت الفراغ فيما يعود على الفرد والجماعة بالخير ، وما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، فقال سبحانه وتعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ وأمته له تبع : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾[2] .

يقول أبو بكر الجصاص رحمه الله في تفسير الآية : (قال ابن عباس إذا فرغت من فرضك فانصب إلى ما رغبك تعالى فيه من العمل ، وقال الحسن : فإذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب إلى ربك في العبادات ، وقال قتادة : فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء ، وقال مجاهد : (فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب إلى عبادة ربك)[3] .

(وهذه المعاني كلها محتملة ، والوجه حمل اللفظ عليها كلها فيكون جميعها

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ، ج٦ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٢٩٤٢ .

(٢) سورة الشرح ، الآية ٧ .

(٣) يلزم التنبيه إلى أن مراد مجاهد رحمه الله من قوله هذا : ما لا يتعارض مع أداء فريضة ، تفسير مجاهد ، ج٢ ، ص٧٦٨ ، دار المنشورات العلمية ، بيروت .

مراداً ، وإذا كان خطاباً للنبي ﷺ فإن المراد به جميع المكلفين)[1] .

وقد ذكرنا حديث اغتنام النعم الخمس ومن بينها قول الرسول ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس . . . وفراغك قبل شغلك » .

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »[2] .

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله نقلاً عن ابن بطال : (معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً إلا إذا كان مكفياً صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على ألا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرط في ذلك فهو المغبون ، وأشار بقوله : (كثير من الناس) إلى أن الذي يوفق لذلك قليل)[3] .

ونقل ابن حجر عن ابن الجوزي قوله : (قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون ، لأن الفراغ يعقبه الشغل ، والصحة يعقبها السقم)[4] .

وعلى أي حال فإن عصرنا الحاضر يتميز عن العصور الماضية بكثرة ساعات الفراغ ، نظراً لتقنين ساعات العمل وتدخل الآلة في عمل الإنسان ، سواء في

---

(١) الإمام أبو بكر الجصاص ، أحكام القرآن ، ج٣ ، ص٤٧٣ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب ما جاء في الرقاق ، ج١١ ، ص٢٢٩ ، رقم الحديث ٦٤١٢ .

(٣) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ج١١ ، ص٢٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٣٠ .

المصانع الآلية ، أو في وسائل الزراعة الحديثة ، أو في وسائل النقل وأدوات شق الطرق ، مما جعل الإنسان يجد وقتاً طويلاً من يومه لا يدري ما يفعل فيه حتى سرى ذلك على المجتمع النسائي ، حيث دخلت وسائل الطبخ والتنظيف الحديثة في البيوت ، وعلى ذلك فإن أهم عمل تقوم به المرأة المسلمة في وقت فراغها هو القيام على تربية أولادها ، ودعوتهم إلى أصول الإسلام وفروعه ، كما أن بإمكانها فيما زاد من وقتها أن تعمل على إفادة أقاربها وجيرانها بحسب وقت الفراغ الذي تحياه ، وبذلك يعتبر الفراغ في مثل هذه الحالات من الإيجابيات التي تساعد المرأة على قيامها بمسؤوليتها الدعوية وواجبها الفردي والاجتماعي ، وتساعد بذلك أمتها على المشاركة في الدعوة وتؤدي مسؤوليتها الدعوية .

المطلب الخامس : اغتنام فترة الحياة :

ليس أحسن ولا أفضل من الحياة ، حياة البدن والروح ولا خير في حياة بدن بلا روح . هذه الحياة التي كتبها الله عز وجل على ابن آدم امتحاناً له ليرى كيف يصنع وكيف يتعامل مع نعمة الحياة ، فإن كان سعيد الحظ موفقاً فإنه سيسعى لإنقاذ نفسه وأهله من الهلاك وخسران الدنيا والآخرة ، وإن كان سيء الحظ غير موفق فإنه سيسلك طريق الغواية والإجرام ، وسيؤدي بنفسه مواطن الهلكة ، ويجر على أهله وذويه من المصائب ما الله به عليم ، يقول الحق تبارك وتعالى في معرض الحديث عن الحياة والموت : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[1] .

إن الحياة تمر سريعاً بالإنسان ولا يدري متى يفاجئه الأجل وتخترمه المنية . يقول الشاعر أحمد شوقي رحمه الله :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان[2]

(١) سورة الملك ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج٣ ، ص١٥٨ ، المكتبة التجارية الكبرى .

وكم تمنى الإنسان الذي فارق الحياة أن يرجع إليها ليتزود بصلاة أو صيام أو زكاة أو حج أو صدقة أو أي تطوع ، لكن أنى له ذلك ، ويخبر الله سبحانه عن ندم الإنسان بعد الموت فيقول : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[2] .

نعم عندما يرى المجرمون ذلك اليوم العصيب يتمنون أنهم يعودون إلى الحياة الدنيا كي يكسبوا حسنة تقربهم إلى الله ، يقوا الله في ذلك المشهد العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[3] .

فعلى كل عاقل أن يستعد بالزاد ليوم المعاد ، ويقدم ما ينجيه من العذاب الشديد . وليس أفضل من القيام بالدعوة إلى دين الله .

المطلب السادس : اتساع نطاق التقاء النساء :

إن النقلة الحضارية في الحياة المعاصرة للعالم الإسلامي وأقلياته سهلت التقاء النساء ببعضهن في أماكن وأوقات متعددة بل متكررة على مدار الأيام والأسابيع والشهور من خلال المؤسسات التالية :

١ ـ المؤسسات التعليمية في رياض الأطفال والمدارس والمعاهد والجامعات بين

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٢ .

(٣) سورة الحج ، الآيتان ١ ، ٢ .

المدرسات والطالبات ، حيث يتم اللقاء يومياً لإعطاء العلم وتلقيه على مدار ثمانية أشهر في كل عام .

٢ ـ المؤسسات الصحية في المستشفيات والمستوصفات والعيادات الخاصة والعامة ، حيث يتم اللقاء بين الطبيبات وهيئة التمريض النسوي وبين المريضات .

٣ ـ المؤسسات الاجتماعية النسوية كالرعاية الاجتماعية للمعاقين والأرامل والمطلقات والسجينات وتقديم المعونات المادية للأسر الفقيرة ، ومثال ذلك ما تقوم به الجمعيات الخيرية النسائية .

٤ ـ المؤسسات الخاصة مثل مزاولة الأعمال التجارية والصناعية النسائية .

هذا بالإضافة إلى ما كانت تتمتع به المرأة المسلمة من فرص اللقاء بأختها ، في المساجد ، وأماكن المحاضرات والدروس والندوات ، ومواسم الحج ، والزيارات بين الأقارب والجيران ، واجتماع المناسبات في الحفلات الصغيرة والكبيرة ، وحفلات الزواج وغيرها .

وعلى ذلك فمجال الدوة في الوسط النسائي في العصر الحاضر أوسع مما كان عليه في السابق . وبذلك تكون المسؤولية الدعوية أكبر وآمال الاستفادة والنجاح كذلك ، فعلى قدر المعطيات تكون المطالب في بذل الجهد المستطاع : و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] ، فالتقوى على قدر الإستطاعة لقول الله سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] .

المطلب السابع : اليقظة الفكرية المعاصرة :

يشهد عصرنا الحاضر يقظة فكرية وصحوة إسلامية في كل مكان يوجد فيه

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة التغابن ، جزء من الآية ١٦ .

مسلمون حتى شملت الأقليات المسلمة .

ولقد دعت هذه اليقظة إلى الرجوع إلى مصادر التشريع الأصلية ومخزون المسلمين الفكري والعلمي بعد فترة ليست بالقصيرة ، كان المسلمون فيها في غفلة وغفوة تمثلت في الإنسياق والتبعية وراء أصحاب الحضارة المادية ، يأخذون منهم كل شيء دون تمييز بين الغث والسمين[1] ، فأخذوا إلى جانب الصناعات أخلاق أصحابها وقيمهم رغم مخالفتها لتعاليم الإسلام ظناً منهم ـ إن أَحْسَنًا الظن في ذلك ـ أن هذه الحضارة كل لا يتجزأ ، وأنهم لا يمكنهم عزل الحضارة بمفهومها التقني عن الحضارة بمفهومها الأخلاقي السلوكي ، ولم يقف الأمر عند هذا الاعتقاد بل إنهم قد عزوا تخلف شعوبهم إلى الدين الإسلامي لأنهم استخدمواْ قياسهم الخاطيء على مخالفة النصرانية للعلوم ، المبني على منطلقات أصحاب الحضارة المادية أنفسهم الذين ثاروا على الدين عندما تصادم مع الحضارة ، وحق لهم ذلك لأن كل دين تتدخل فيه يد الإنسان بالزيادة والنقصان تبعاً للأهواء والشيطان لابد وأن يكون مصيره هذا المصير ؛ ولا ينطبق ذلك على دين الإسلام ولا يمكن أن يقاس عليه .

ويضاف إلى ما سبق ما تعمده أصحاب تلك الحضارة المادية من الحرب الفكرية ضد المسلمين خوفاً من أن يعيد التاريخ نفسه كما حدث في الحروب الصليبية من هزائم لحملة الصليب على يد صلاح الدين الأيوبي[2] ، مما دعاهم إلى محاربته وغرس المفاهيم الخاطئة لدى تلامذتهم من أبناء المسلمين ، ومن ذلك

---

(١) انظر : د . جعفر شيخ ادريس ، الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ، نشر رابطة الشباب المسلم العربي ، سنة ١٩٨٧م ، وانظر البحث المقدم بعنوان : تصور للبرامج الدينية الموجهة لمن يتحدثون العربية من تلفازات الخليج ، ص٦ ، تقديم د . جعفر شيخ ادريس لندوة البرامج الدينية في تلفزيونات الخليج عام ١٤٠٧هـ .

(٢) من أشهر المعارك التي خاضها هذا البطل ، معركة حطين سنة ٥٨٣هـ . انظر الكامل لابن الأثير ج١١ ، ص٥٣٦ ، نشر دار صادر ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .

التلقين بأن الأديان كلها بما في ذلك الإسلام سبب للتخلف الحضاري .

ومن فضل الله عز وجل على هذه الأمة أن هذه اليقظة لم تنشأ من فراغ ، حيث الأصول الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة موجودة ، ولها أتباع يذودون عنها مما يبشر بأن هذه الصحوة وهذه اليقظة لن تبدأ من جديد ، وإنما ترد معينها الصافي لتنهل منه وتضع يدها مع المستقيمين على الحق .

ولقد تمثلت هذه الصحوة في جماعات كثيرة ، منها حركة التجديد الإصلاحي في الجزيرة العربية ، وهي حركة سلفية تعتمد الكتاب والسنة ، وجماعة أهل الحديث في الهند ، والإخوان في مصر ، وجماعة أنصار السنة في السودان ، والجماعة الإسلامية في الهند ، ومنظمات الشباب الإسلامي ، واتحاد الطلبة المسلمين في معظم بقاع المعمورة .

ومن أهم الممارسات العملية لهذه الجماعات :

١ ـ العودة إلى الكتاب والسنة المصدرين الرئيسين في الإسلام .

٢ ـ تحقيق العبادة لله وحده .

٣ ـ حضور الناس رجالاً ونساء حلقات المساجد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وإقامة الندوات والمحاضرات والدروس في العلوم الشرعية .

٤ ـ الاهتمام بالكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي مما دفع المكتبات التجارية إلى التنافس في هذه الصناعة ، مما كان له الأثر في تكوين المكتبات المنزلية الخاصة .

٥ ـ توجه كثير من الشباب ـ بنين وبنات ـ إلى أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات ودور العلم .

٦ ـ توجيه المراكز الصيفية في المؤسسات التعليمية وجهة إسلامية .

٧ ـ وجود الصحافة الإسلامية المتخصصة .

وغير ذلك من معالم وآثار الصحوة الإسلامية ، مما كان لها الأثر الطيب في نفوس الناس ، رجالاً ونساء .

الفصل الثاني

المعوقات وكيفية معالجتها

الحكمة من وجود المعوقات

شواهد منها :

المبحث الأول : المعوقات العامة .

المطلب الأول : الغزو الفكري .

المطلب الثاني : المعوقات النفسية والاجتماعية .

المطلب الثالث : المعوقات السياسية .

المطلب الرابع : المعوقات الاقتصادية .

المطلب الخامس : الجهل بعلوم الشرع .

المطلب السادس : ضعف الإعداد الدعوي .

المطلب السابع : غفلة المفكرين المسلمين ويقظة غيرهم .

المطلب الثامن : معوقات الدعوة في أوساط الأقليات المسلمة .

المبحث الثاني : المعوقات الخاصة بالمرأة .

المطلب الأول : الغزو الفكري للمرأة المسلمة .

المطلب الثاني : معوقات داخل المنزل .

المطلب الثالث : الحياء والخجل .

المطلب الرابع : صعوبة المواصلات .



الفصل الثاني

المعوقات وكيفية معالجتها

تمهيد :

ويشتمل على : الحكمة من وجود المعوقات وشواهد ، منها :

العنصر الأول : الحكمة من وجود المعوقات :

في بداية الحديث عن هذا الموضوع ، لا بد أن نضع في تصورنا عدة قضايا تتعلق به ونسجلها فيما يلي :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى كتب الصراع بين الحق والباطل منذ أن خلق الله أبانا آدم عليه السلام ، حيث ابتدأ ذلك الصراع بعصيان إبليس ربه بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام ، ومنذ ذلك الحين والحق والباطل في صراع دائم ، ولكل واحد منهما جولة وصولة ، والحق دائماً هو المنتصر ، وتلك سنة الله في خلقه كما قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1] . ولقد اقتضت حكمة الله عز وجل ، أن لا تخلو طريق الدعوة من المعوقات لأمور كثيرة منها :

١ ـ إرشاد الدعاة إلى الله أن الهداية القلبية بيد الله سبحانه وله المشيئة المطلقة في ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[2] وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ

(١) سورة الرعد ، جزء من الآية ١٧ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٩٩ .

أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] .

وعلى ذلك فلا يبقى بيد الدعاة سوى هداية التوضيح والإرشاد والبلاغ كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾[2] وكما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

٢ ـ التمحيص والامتحان للناس ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4] وكما قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[5] .

٣ ـ رفع درجات الدعاة والمجاهدين بعضهم فوق بعض نتيجة لاختلاف درجات البلاء الذي قدموه والابتلاء الذي واجهوه[6] .

٤ ـ الدعوة إلى الله عمل قيادي ، والقيادة محببة للنفس ، ولا يستحقها إلا الكفء من الناس ، الذين يصبرون على الشدائد ، فيواجهونها بحكمة ، ولا يعرف الكفء إلا عند الشدائد .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية ٢٠ .

(٣) سورة الشورى ، جزء من الآية ٥٢ .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٦) الشيخ بشر بن فهد البشر في مناقشة علمية صباح الثلاثاء ١٤٠٩/٣/٢٢هـ .

٥ ـ وظيفة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تظهر قوتها إلا بمدافعة المعوقات التي تقف في وجهها .

٦ ـ مدافعة المعوقات يعين على ترسيخ القيم والمبادىء والأخلاق ، ويقف في وجه الباطل ليوقفه أو يحد من انتشاره وسيطرته على الناس .

كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] . وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[2] .

٧ ـ تحريك الإيمان وتقويته في النفوس ، بحركة الدعوة ، لأن الحركة فيها تجديد ، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشبه بالماء في حركته وسكونه ، فإن جرى وتحرك حافظ على خاصيته ، وطهارته ، ونفعه ، في سقاية الناس والأشجار ، وإن سكن في حركته ، أسن وتغير لونه وطعمه وفسد .

وإن من طبيعة عمل المعوقين ، الصد عن ذكر الله والتثبيط عن مناصرة أولياء الله ، ووضع العراقيل والأشواك في طريق الدعوة إلى الله ، في كل سبيل ، ولكن الله عز وجل يأخذ بيد المؤمنين وينصرهم ، ويكشف عورات أهل الباطل ويهزمهم ، ويبين زيفهم ويفضحهم أمام الملأ كما قال تعالى مطمئناً نبيه محمداً ﷺ ومثبتاً لقلبه في معركة الأحزاب عندما كشف عوار المنافقين ، الذين خذلوا رسول الله ﷺ : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى

(١) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٥١ .

ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[1] .

هاتان الآيتان وإن كانتا تتعلقان بالمعوقين عن الجهاد في سبيل الله ، ومواجهة العدو في المعركة القتالية ، إلا أنهما تتناولان كل المعوقين ، والمعوقات ، الذين يقفون في وجه الدعوة الإسلامية ، سواء بالسنان أو باللسان ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثانياً : أنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار اختلاف النساء عن الرجال ، في نوع العائق وصفته ، وذلك بسبب اختلاف طبيعة كل جنس . وهنا لا بد من إيضاح مسألتين في هذه العوائق :

١ ـ هناك عوائق عامة للجميع ، وعوائق خاصة ، للنساء دون الرجال ، سنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٢ ـ أنه لا يمكن للمرأة بحال أن تكون في مستوى مسؤولية ، الرجل حيث لا يجب على المرأة لا الجهاد ولا الجمعة ولا الجماعات ، كما لايجوز لها تولي أي نوع من الولايات العامة وهذه مسألة يجب الوقوف عندها وتوضيحها لتكون المرأة المسلمة على دراية وحيطة من أمرها ، فقد يأخذ المرأة الحماس في الدعوة ، فتطلب لنفسها الإمكانات التي للرجال ، ولن تحصل لها ، وبالتالي فستعتبر كل شيء يحول دونها للوصول إلى هذه الدرجة عائقاً أمامها في الدعوة إلى الله ، والله سبحانه وتعالى قد هيأ لكل من الرجل والمرأة قدرات معينة يختلف فيها كل منهما عن الآخر ، وقد كلف الله سبحانه وتعالى كلاً منهما وفق قدراته وإمكاناته ولا يسأل عما عداها كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾[2] وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

ثالثاً : إنه يجب ملاحظة الفرق بين العمل في الدعوة ومستوى القبول لها وإجابتها حيث لا يلزم للقيام بالدعوة ، قبولها . لأن الداعية غير مسؤول عن النتائج ، بل عليه البلاغ فقط كما سبق ذكره .

ولذلك فلا يجوز للداعية إلى الله أن يشعر بالإحباط ، والفشل ، عندما لا يستجيب له أحد ، أو عندما يصيبه أذى في سبيل الدعوة . أو يعتبر أن عدم إجابة الدعوة عائقاً من عوائق الدعوة ، لأنه بذلك يكلف نفسه شططاً لا يسأله الله عنه .

ولذلك فعلى الداعية أن لا يستعجل ثمرة جهده ولا يضجر ، كما عليه أن يصبر على الأذى مهما اشتد عليه وتنوع .

كما أن اكتمال صفات الداعية مطلوبة ، لكنها درجة عسيرة ، فالكمال لله وحده ، ولذلك فلا ينبغي تأخير الدعوة حتى اكتمال الصفات المطلوبة لها ، فالعمل على قدر الاستطاعة .

وفيما يلي نستعرض بعض الشواهد من المعوقات في حياة الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

العنصر الثاني : شواهد من المعوقات في حياة الأنبياء والصحابة ومغالبتها[1] :

ونجد في حياة الأنبياء والصالحين نماذج من المعوقات التي تمثلت في أقاربهم ، وسنقتصر على ذكر المعوقات التي تمثلت في النساء فقط ، وما قصة كل من (امرأتي) نوح ولوط عليهما السلام إلا نماذج سيئة للزوجات غير الصالحات والمثبطات للدعوات السماوية وصد الناس عنها كما قال تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ

---

(١) انظر محمد بن سليمان البراك (روابط القرابة وأثرها في الدعوة في ضوء القرآن) ص٧٨ ، بحث مكمل للماجستير مقدم لقسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٦هـ .

﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[1] .

كما نجد في حياة نبينا محمد ﷺ أن زوجة عمه أبي لهب تشارك زوجها في إيذاء الرسول ﷺ بلسانها ، ويدها ، حيث كانت تعيره بالفقر ، وضيق اليد وتضع الشوك في طريقه ، وفيها وفي زوجها نزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[2] .

وقد تعرض بعض أصحاب رسول الله ﷺ لبعض الأذى من أقاربهم ، كما حدث لسعد بن أبي وقاص ومصعب بن عمير من الأذى النفسي من قبل والدتيهما حيث امتنعتا عن تناول الطعام حتى يعود الأبناء إلى دين الآباء ، وكما حدث لفاطمة أخت عمر بن الخطاب قبل إسلامه . وقد لا يكون الأقارب كفاراً ومع ذلك يحاولون منع الداعية من العمل في الدعوة ، إما لأنها تعارض شهواتها أوحسداً منهم ، أو خوفاً على الداعية من أذى المدعوين ، أو من السلطة الحاكمة ، أو غير ذلك ، ويمكن أن نشير هنا ألى ما تعرضت له أخت عمر بن الخطاب قبل إسلامه[3] .

أما تعرض الداعية للأذى من غير أقاربه ، فهذه قضية لا تقع تحت حصر ؛ وحسبنا أن نشير فقط بالذكر إلى ما تعرضت له الصحابيات من أذى مثل بنات النبي ﷺ زينب ورقية وزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وسمية بنت خياط ، وزنيره الرومية ، رضي الله عنهن[4] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية ١٠ .

(٢) سورة المسد .

(٣) انظر قصة سعد رضي الله عنه في صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل سعد بن أبي وقاص ، ج٤ ، ص١٨٧٧ . وانظر قصة مصعب في الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١١٦ ، ١١٩ ، دار بيروت ، وانظر قصة فاطمة بنت الخطاب في قصة إسلام عمر كما سبق ذكرها .

(٤) لقد سبق ذكر قصص معاناة بعض أولئك النسوة مبثوثة في هذه الرسالة .

ولست في مقام الإحصاء لأولئك النسوة اللاتي بذلن في سبيل الدعوة كل غال ونفيس ، وقدمن أنفسهن وأرواحهن رخيصة في سبيل الله ففزن بالجنة والرضوان .

ولقد واجه كثير من الداعيات إلى الله في عصرنا الحاضر صنوف العذاب من الإيذاء والاستهزاء والضرب والسجن والقتل مقبلات على الله ، صابرات محتسبات ما يلاقينه في سبيل الله .

المبحث الأول : المعوقات العامة[1]

المطلب الأول : الغزو الفكري :

ما من أحد يخفى عليه أن الصراع بين الحق والباطل دائم ومستمر ، والحرب بينهما مستمرة إلى أن تقوم الساعة .

كما أنه ما من أحد من المسلمين يخفى عليه ما بين الإسلام وأعدائه من عداء سافر منذ أشرقت شمس الإسلام .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام من أعدائها وموالاتها واتباع عقائدهم ، وبين أن الأعداء لن يرضوا عن ذلك بديلاً فقال سبحانه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[3] .

---

(١) اعتمد الباحث في ذكر المعوقات على معلومات شخصية نسائية من خلال استبانة شملت عينات من النساء المسلمات في البلاد الإسلامية ودول الأقليات المسلمة بالإضافة إلى المراجع المدونة .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢١٧ .

وأساليب العداء للإسلام تتجدد في كل عصر تبعاً للظروف والأحوال كما هو الحال في الغزو الفكري . ولن نتناول تاريخ هذا الغزو الفكري ، وإنما نستخلص منه عبراً من الحقائق التاريخية المسلم بها .

ومن هذه الحقائق أن الغرب وجه إلى بلاد الإسلام حملات حربية عرفت بالحروب الصليبية ، وكانت هذه الحملات تحمل عدة أهداف دينية وسياسية واقتصادية ، ويأتي في مقدمتها الانتقام من الإسلام نفسه ، ومحاولة إخراج المسلمين من دينهم .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد حيث هيأ الله سبحانه لأمة الإسلام من يرد هذه الحملات والغزوات على أعقابها تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي .

فأيقن الأعداء الصليبيون أنه مهما ضعفت دولة الإسلام فإنهم لن يستطيعوا النيل منها . فبدأوا بالتفكير في خطة جديدة يتناولون فيها عقيدة الأمة الإسلامية وفكرها ، عن طريق الاستشراق والتنصير[1] .

فأما الاستشراق فهو أول خطوات الغزو الفكري للمسلمين ، ووظيفته دراسة مصادر الإسلام والكتابة عنها بتعصب شديد أفقد القوم الأمانة العلمية ؛ فقاموا بحملات تشويه الإسلام في مصادره ، وتاريخه ، وحضارته ، وتراثه ، بهدف زعزعة ثقة المسلمين بدينهم وتشكيكهم في أصالة مصادرهم وصحتها مما يؤدي بكثير من المسلمين إلى قطع صلتهم بالإسلام ، ومن ثم يشعرون بغربة في حياتهم وفراغ رهيب يبحثون فيه عن منقذ لحياتهم من هذا الفراغ[2] .

---

(١) انظر د . علي جريشة ومحمد الزيبق ، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص١٦ ،نشر دار الاعتصام ، القاهرة ، سنة ١٣٩٨هـ ، الطبعة الثانية .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص١٨ ، وانظر أيضاً الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص٢٥ ، مجموعة من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ ، نشر الجامعة ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

وأما الخطوة الثانية التي سلكها أعداء الإسلام بعد أن نجحوا في نقل شعور الإحساس بالغربة والفراغ فهي تغريب المسلمين بحيث يتلقفون حضارة الغرب ويتشربونها في كل المجالات التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية[1] .

وقد نصبوا شباكهم للمرأة المسلمة ليصطادوها من خلال إيهامها بظلم الإسلام لها بزعمهم أن الإسلام لم يوفر لها فرص التعليم ، فدعوها لطلب العلم مع الاختلاط بالرجال ، كما زعموا بظلم الإسلام لها اجتماعياً عن طريق تعدد الزوجات والطلاق ، كما زينوا لها السفور والتبرج ومشاركة الرجل في عمله[2] .

وأما من الناحية السياسية فقد حرضوا المرأة المسلمة بالمطالبة بمشاركة الرجال في وظائفهم في الحكم والنيابة العامة والقضاء .

وأما من الناحية الاقتصادية فقد أوهموها بأن الإسلام قد ظلمها في عدم مساواتها مع الرجل في الإرث والدية .

وأما عن الأخلاق فقد دعوها إلى التبرج والسفور والاختلاط ، وزعموا بأن كل ذلك ليس داعياً للفساد .

ونظراً لأن المستشرقين أيقنوا بأن خططهم لن يكتب لها النجاح الكامل إلا إذا حملها أبناء الإسلام لأهلهم ، فقد جندوا بعض المغرر بهم من أبناء المسلمين من نفذ مطالبهم بعد أن غسلوا عقولهم ومحوا انتماءهم وولاءهم للإسلام في بعثات تعليمية إلى بلاد أوروبا[3] .

وكان من أبرز هؤلاء التلاميذ المخلصين للأعداء من الأتراك : أحمد فارس

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠٧ .

(٢) لقد خصص الباحث مطلباً مستقلاً بالغزو الفكري للمرأة المسلمة .

(٣) انظر ما قاله القسيس زويمر كما نقله عنه مؤلفاً كتاب أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص٣٣ .

الشدياق ، ومن العرب : رفاعة الطهطاوي ، وقاسم أمين ، ومن الزعماء أحمد عرابي وسعد زغلول .

ومن النساء نازلي فاضل وهدى شعراوي[1] .

ومن أبرز تلاميذ العصر الحديث : طه حسين ، وسلامة موسى ، وزكي نجيب محمود ،ومحمود عزمي ، وعلي عبد الرازق ، وغير هؤلاء كثير من غير العرب .

لقد قام هؤلاء التلاميذ المخلصون لأسيادهم برسم وتنفيذ الخطط الرامية لتغريب العالم الإسلامي ؛ فنشروا العقائد الفاسدة كالشيوعية والنصرانية وغيرهما من الفلسفات الهدامة كالوجودية والفوضوية والعري وإحياء القوميات ،وفي مجال التنصير بالذات قام المنصرون وتلامذتهم من أبناء المسلمين بجهود كبيرة في تنصير عدد كبير من المسلمين في أفريقيا وآسيا .

ولم ينس أعداء الله المرأة المسلمة من التنصير فبعثوا لها الراهبات لمحاولة تنصيرهن ، ولقد سلك التنصير أساليب عديدة منها ما يلي :

١ ـ التعليم ، وله طريقان :

الأول : عن طريق الابتعاث إلى دول الغرب .

الثاني : افتتاح المدارس والجامعات الخاضعة لسياسة الغرب[2] .

٢ ـ الإعلام عن طريق الصحافة والإذاعة والتلفزيون حيث يسيطر الإعلام الغربي والشرقي على عقول المسلمين ، يقوم عليه رجال من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، حيث يروجون للأخلاق المعادية للإسلام ، ويطبلون لحضارة الأعداء ، ويفتخرون بأنهم يحيون حياة الغرب ويعيشون حضارته وينقمون على مجتمعهم

---

(١) عاش هؤلاء ما بين منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي .

(٢) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص٣٠ ، ٣١ .

(المتخلف على حسب زعمهم)[1] .

٣ ـ الطب : ولقد استغل المنصرون هذا الجانب الإنساني ، فبعثوا إلى البلاد الإسلامية جماعات من الأطباء والطبيبات ، وقاموا كذلك بإنشاء المستشفيات والمصحات وكانت الرسالة الأولى لهؤلاء هي نشر النصرانية عن طريق تقديم العلاج[2] .

ونخلص من ذلك إلى أن سلاح هذا الغزو هو الفكرة والكلمة والرأي والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض وشدة الجدل ولدادة الخصومة وتحريف الكلم عن مواضعه[3] .

ولو أننا تأملنا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ لوجدناهما حافلين بالكلمات والأفكار والآراء وخلابة المنطق وجمال العرض وقوته ما يعجز عنه الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم سنداً للآخر كما قال تعالى متحدياً : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[4] .

وكما قال تعالى في باب التحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[5] .

وقد نفى الله عن كتابه وسنة رسوله ﷺ كل زيف وباطل أو خداع أو شبهة أو

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص٧٠ .

(٢) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص٣٢ .

(٣) د . عبد الستار فتح الله سعيد ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص١٧٩ ، ضمن بحوث مؤتمر الفقه .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

(٥) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

كذب وافتراء ، فقال سبحانه عن كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] .

وقد أثنى رسول الله ﷺ على كتاب الله سبحانه والسنة الكريمة فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا »[2] وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (إن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ﷺ)[3] .

لقد كان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل حجة رسالة القرآن الخالدة معجزة تخاطب العقل ، وتعتمد على الدليل والبرهان ، بل توجب الفقه والتأمل والنظر ، وتحض على التفكير والاستدلال والتثبت ، وتطالب خصومه بالحجة في دعواهم الباطلة كما في قوله سبحانه في تقرير حقيقة التوحيد : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4] . ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[5] .

لذلك كان محور القرآن الكريم في غزو الجاهلية هو التأثير النفسي ، والتغيير الفكري ، والإقناع الذاتي ، والإلزام العقلي بالحجة البينة والدليل المستقيم

---

(١) سورة فصلت ، الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم ، ج١ ، ص١٧٥ ، رقم الحديث ٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج١٣ ، ص٢٤٩ ، رقم الحديث ٧٢٧٧ .

(٤) سورة النمل ، جزء من الآية ٦٤ .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية ٤ .

والكلمة الصادقة ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1] .

ولقد قرر المصطفى ﷺ هذه الحقيقة عن القرآن الكريم التي تؤكد أهميته حيث يقول في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ،فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[2] .

ولقد اشتمل هذا الوحي العظيم على أوفى تفصيل وتوضيح لجوانب الغزو الفكري[3] بشقيه الهجومي والدفاعي معلماً للمؤمنين كي يواصلوا الدعوة إلى الله تعالى على هدى وبصيرة من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

ورداً على الكافرين والمنافقين وأضرابهم من أهل الكتاب وخاصة اليهود الذين اتخذوا الجدل مطيتهم ومردوا على الشبهات ، فقد وصف القرآن الكريم قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة مثل الشياطين والسفهاء والمعوقين والمرجفين وأكابر المجرمين وأئمة الكفر والذين في قلوبهم مرض وغير ذلك من الأوصاف التي تليق بهم .

وكذلك سمي هذا اللون بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة ، مثل زخرف القول ، والغرور ، والخبال ، والفتنة ، والسفه ، مثل قوله سبحانه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾[4] ،

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٤٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ج ، ص ، قال عنه الألباني : صحيح ، صحيح الجامع ، ج٥ ، ص١٥٧ ، رقم الحديث ٥٥٥٧ .

(٣) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص١٨١ ، مجموعة بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة الإمام سنة ١٣٩٦هـ .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية ١٤٢ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1] ، وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[2] .

والآيتان الأخيرتان مع غيرهما من سورة التوبة جاءتا بصدد الحرب الفكرية التي تولى كبرها المنافقون في غزوة تبوك وقبلها ، من التخذيل والإرجاف والإشاعات الكاذبة والعمل على تفريق المؤمنين وتسريب الشبهات إلى وسط الصفوف المؤمنة[3] .

وقد بين القرآن الكريم أن نتائج الحرب الفكرية أخبث من آثار السيف والقتل[4] ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ ﴾[5] .

ولقد كان النبي ﷺ وأصحابه يقارعون المشركين بكل ما يملكون من أساليب البيان ، سواء بآيات القرآن الكريم بما لها من أسلوب بليغ وقف في وجه الشعر والشعراء وأهل النثر حتى أنهم لا يطيقون الصبر على كتمان إعجابهم بأسلوب القرآن الكريم عندما يسمعونه على لسان الرسول ﷺ أو على لسان أحد من أصحابه .

كما استخدم المسلمون بأمر الرسول ﷺ أسلوباً آخر من أساليب البيان كالشعر

---

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة ، الآيتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، القسم الثاني ، ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه ، ص١٨٢ .

(٤) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه ، ص١٨٢ .

(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢١٧ .

والخطابة وانبرى لذلك عدد من الشعراء مثل النابغة الجعدي وكعب بن زهير وحسان بن ثابت ، كما اختار الرسول ﷺ ثابت بن قيس خطيباً ، وكان وقع شعر حسان أشد على الكفار من السهام في غبش الظلام[1] .

وهذا بالطبع يعني أننا ـ نحن المسلمين ـ نملك في مصادر عقيدتنا مقومات القوامة والقيادة ؛ ومن ذلك مقومات الغزو الفكري الأصيل الذي غايته البناء والتعمير وليس الهدم والتدمير ، هذه العقيدة التي كنا بها خير أمة أخرجت للناس ، وعاش عليها سلفنا الصالح قروناً طويلة ، ودانت لهم مساحات شاسعة الأطراف على رقعة الكرة الأرضية في قارات العالم القديم .

كيفية استعادة الأمة مجدها :

لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما الحل لاستعادة مجد الأمة المسلمة وقوامتها على العالم بعد حالة الضعف والهوان التي تعيشها في العصر الحاضر .

إن الحل يكمن في عودة المسلمين إلى حقيقة دينهم عقيدة وشريعة وتحكيماً ولكن هذا الأمر يحتاج إلى قيادة . فمن المرشح لهذه القيادة ؟ وهل يمكن أن تكون هذه القيادة على مستوى الحكومات أم الأفراد ؟ وإن المتأمل في خارطة العالم الإسلامي يجد عدداً كبيراً من الأنظمة السياسية المختلفة ، وعند ذلك لا يبقى أمامنا إلا ما ذكره الدكتور جعفر إدريس وهو : (أن يقوم بعض أفراد المجتمع المسلم الذين تتوفر فيهم القدرة على الاستقلال الفكري وعدم التبعية والموافقة للأفكار السائدة بحيث يكون لديهم الاستعداد للاستمساك بالحق والعمل على إحقاقه مهما كلفهم من جهد وأذى حتى لو كلفهم أرواحهم)[2] .

ولقد تكفل الله بحفظ هذا الدين بوجود طائفة من أمة محمد ﷺ فعن ثوبان

---

(١) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه ، ص١٨٤ .

(٢) انظر الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ، ص٢٣ ، نشر رابطة الشباب المسلم العربي ، سنة ١٩٨٧م .

رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »[1] .

وهذه الطائفة لا يلزم أن تكون في مكان معين فحسب بل قد تكون أكثر من طائفة في أكثر من موقع ، ويدخل فيها كل مسلم يستمسك بالحق ويدعو إليه ، وهذا متحقق بحمد الله ليس في بلاد العالم الإسلامي فحسب بل في العالم كله حيث تنتقل الأقليات المسلمة في كل مكان .

فإذا كانت هذه الطائفة موجودة فما علينا إلا أن نسهم ـ نحن المسلمين ـ في توسيع رقعتها ، وتقوية عودها بكل وسيلة ، وبكل أسلوب مادي أو معنوي ، نفسي أو اجتماعي ممكن ، فإذا تقوت هذه القاعدة تلمسنا لها قوة تحميها وتساعد نموها بقدر الاستطاعة على أن لا تكون هذه الحماية على حساب العقيدة أو على حساب انتشارها .

فإذا كان لنا ذلك أمكننا السير في خطوات ثابتة قوية لمواجهة الحضارة الغربية أو الشرقية على حد سواء ؛ وليس ذلك فقط لإيقاف زحفها نحونا وغزوها لأفكارنا فحسب ، بل بدعوة أصحابها إلى الصراط المستقيم .

ولكي يتسنى ذلك لنا فلا بد من تحقيق ما يلي[2] :

أولاً : الحكم بالإسلام ، ومن عناصره ما يلي :

١ ـ الاستقلال التام عن الدول الكبرى .

٢ ـ كفالة الحرية السياسية للمواطن المسلم .

٣ ـ كفالة العدل الاجتماعي بين أفراد الأمة .

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ج٣ ، ص١٥٢٣ ، رقم الحديث ١٩٢٠ .

(٢) نقلاً عن الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ، ص٢٦ ، ٢٧ باختصار .

٥ ـ إقامة الحدود الشرعية .

ثانياً : أسلمة مناهج التعليم ، ومن عناصرها ما يلي :

١ ـ تنقيتها من التصورات المادية الإلحادية وسائر التصورات المخالفة للإسلام .

٢ ـ حذف كل النظريات التي لم يثبتها واقع وتخالف حقائق قررها الإسلام .

٣ ـ طرح الإطار الفلسفي الإلحادي في مناهج التعليم والأخذ بالإطار التوحيدي .

٤ ـ اعتبار الوحي المصدر الأول من مصادر الحقيقة .

٥ ـ صياغة كل العلوم باللغة العربية .

ثالثاً : دراسة الغرب من حيث التاريخ والواقع والمستقبل من وجهة النظر الإسلامية .

رابعاً : معرفة الهدف من صياغة العلوم على أساس إسلامي وذلك للاستفادة من الحضارة الغربية أخذاً بإيجابياتها وطرحاً لسلبياتها[1] .

المطلب الثاني : المعوقات النفسية والاجتماعية :

تتعدد المعوقات النفسية والاجتماعية التي تمنع أو تحد من نشاط الداعية ـ رجلاً كان أو امرأة ـ منها ما يكون قولياً ومنها ما يكون عملياً .

ولقد واجه الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والدعاة إلى الله معوقات نفسية واجتماعية كثيرة من خصوم الدعوة ، نذكر منها ما يلي :

أولاً : المعوقات النفسية القولية :

١ ـ السخرية والاستهزاء[2] بالداعية بهدف إضعاف همته في الدعوة وتوهينه

---

(١) نقلاً عن الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ، ص٢٨ ، ٢٩ باختصار .

(٢) السخرية والاستهزاء هما بمعنى واحد ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة سخر ، هزأ .

وصد الناس عنه ، ومنه احتقار الداعية واستصغاره وتعييره بألفاظ ينفر منها حيث تأثيرها القوي على نفسيته .

٢ ـ الزجر[1] والتهديد والتخويف من عواقب سيئة متوقعة لمن يقوم بهذا العمل ، وضرب الأمثلة ممن سلكوا هذا الطريق وما واجهوه من أذى .

ثانياً : المعوقات النفسية العملية :

١ ـ الإعراض عن سماع الدعوة .

٢ ـ وضع الأذى في طريق الداعية أو على جسمه .

٣ ـ الضرب والحبس وتوجيه صنوف الأذى والتعذيب أو منع الطعام والشراب لمدد معينة ، وقد يصل الأمر إلى قتل الداعية في حالات خاصة .

ثالثاً : المعوقات الاجتماعية القولية والعملية :

ومن أهمها الوشاية بالداعية والكذب والافتراء عليه وغيبته ، وذلك بهدف إسقاط مكانته الاجتماعية ، وصد الناس عن قربه أو التعاون معه بما يؤدي إلى مقاطعة الناس له في الحديث والتعامل بكل صوره الاجتماعية .

هذه المعوقات النفسية والاجتماعية وغيرها مما سبق ذكره وما سيأتي ، لا يسلم منها عادة طريق الدعوة ، ويتعرض لها الدعاة كل بحسبه في نشاطه وقوته في الدعوة وظروف بيئته لحكم كثيرة ، وقد سبق أن تحدثنا عن الحكمة في وجود هذه المعوقات في أول هذا الفصل ، ولذلك لاأرى هنا أن أزيد على ما قلت إلا التأكيد عليه والصبر على تحمل المشاق لمن أراد الفلاح والنجاح في طريق الدعوة والله الهادي إلى سواء السبيل .

المطلب الثالث : المعوقات السياسية :

تختلف درجات الأحوال السياسية التي تمثل عائقاً يمنع أو يحد من النشاط

---

(١) الزجر هو الانتهار والمنع والنهي ، انظر المصدر السابق مادة زجر .

الدعوي في العالم على حسب ما هو متبع في كل نظام سياسي ،وهذه الدرجات تتراوح مابين الإلحاد والعلمنة والدعوة إليهما مروراً بالتنصير وكافة الملل المعادية للإسلام حتى يصل الأمر ليتناول العوائق الخاصة بالبلاد الإسلامية وخاصة صنائع الكفر من الحكام الذين يخشون على مراكزهم السياسية من السقوط أو مجاملة للدول العظمى التي تسير في فلكها وتعيش في حمايتها . أو تنفيذاً لبعض أهداف أسيادهم وإن كان على حساب الإسلام .

ومن المواقف السياسية أيضاً ما يسمح بإقامة الشعائر الدينية والدعوة إليها دون المساس بنظام الحكم مهما كانت فلسفته ونظامه ، ولم تقتصر هذه العوائق على مجتمع الرجال فحسب بل إنها شملت مجتمع النساء أيضاً حيث جندت فئات كبيرة من الرجال والنساء لضبط أي تحرك دعوي يشم منه معارضة النظام السياسي الحاكم .

ولست بحاجة إلى التمثيل من واقع الأمة المسلمة وأنظمة الحكم فيها لأن الواقع المعاش أوضح للعيان لكل ذي عينين وسمع وفكر وجنان .

ولمحاولة وضع الحلول لهذه المشكلة الكبيرة أود زرع الطمأنينة في قلوب الدعاة من الرجال والنساء ، فأقول بأنه على الرغم من تلك المكائد والمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام والدعاة إليه فما زال الإسلام بخير حيث نجد المعتصمين بحبل الله في كل مكان على سطح الأرض مما يدفع اليأس ويبعث الأمل ويحث على العمل الجاد المثمر لنشر الدعوة في ربوع المعمورة كل على حسب حاله وقدراته وظروف حياته .

المطلب الرابع : المعوقات الاقتصادية :

إن بذل المال في مجال الدعوة من أهم الأمور المساعدة على نشر الدعوة سواء كان ذلك البذل في مجال التخطيط ، أو كان صرفاً مباشراً للمدعو لاستمالته إلى الإسلام ، ولايستطيع القيام بمثل هذه الأمور إلا الحكومات وعدد قليل من الأفراد الأغنياء .

وحيث إن المرأة المسلمة في الغالب لا تقوم بكسب رزقها بنفسها فمن أين لها المال الذي تصرفه في مجال الدعوة ؟ وهل يعتبر عدم الحصول على المال أحد عوائق الدعوة ؟

ولمعالجة هذه القضية نقرر ما يلي :

١ ـ أنه إذا توفر المال لدى المرأة الداعية فهذا خير على خير .

٢ ـ أنه لا يلزم توفر المال لكل من يقوم بالدعوة ، لأن مجالات الدعوة كثيرة جداً ولا تقتصر على المال وحده ، فما زال الدعاة ينشرون دين الله بجهودهم الخاصة التي تعتمد على الكلمة والعلاقات الشخصية والخدمات الاجتماعية ، هذا بالإضافة إلى أن صرف الأموال في الدعوة إلى الله أكبر من حجم الأفراد حتى لو كانوا على درجة كبيرة من الغنى .

أما في مجال التأليف والكتابة فبإمكان الداعية التي لا تملك المال لنشر ما تكتبه أن تسلمه لمؤسسات النشر التي تتولى مسؤولية الكتاب في طباعته ونشره ، أو تسلمه لولي الأمر في الدولة الإسلامية أو من يقوم مقامه أو أحد الأفراد الذين عندهم الاستعداد لنشر هذه المؤلفات والبحوث على حسابهم الخاص .

المطلب الخامس : الجهل بعلوم الشرع :

إن مما يندى له الجبين أسفاً واقع المسلمين في عصر اتسم بالعلم والحضارة المادية ، وهذا الواقع الذي أعنيه هو جهلهم بدينهم وعلى رأس ذلك جهلهم بمصدر الإسلام الأول ـ القرآن الكريم ـ ناهيك عن جهلهم بسنة المصطفى ﷺ .

وإذا كان هذا الحكم يشمل الرجال والنساء فإنه في حق النساء أكبر مصيبة فكم من المسلمين رجالاً ونساء لا يحسنون الصلاة والصيام ، ولا يؤدون زكاة أموالهم على الوجه المطلوب ، ولا يعرفون مناسك حجهم ، وليس هذا فحسب بل وكم من المسلمين من لا يحقق التوحيد الخالص الخالي من الشرك والخرافات .

وكل ذلك أدى إلى تفتيت جماعاتهم وتفريق شملهم وتكالب العدو عليهم

وسيطرته وفرض سلطانه . وصدق فيهم قول المصطفى ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قلنا : يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن ، قال : قلنا : وما الوهن ، قال : حب الحياة وكراهية الموت »[1] .

وهذا الجهل يعود إلى أسباب كثيرة منها :

١ ـ غزو عقول المسلمين من أعدائهم كما ذكرنا .

٢ ـ بعد المسلمين عن مصادر دينهم .

٣ ـ انشغالهم بعلوم الدنيا التي بهر الناس بريقها .

٤ ـ تفرق شملهم وعدم اعتصامهم بحبل الله .

٥ ـ تعدد لغاتهم وابتعادهم عن تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة ، وذلك ناتج عن نجاح فكرة القومية في بلاد المسلمين . وأدى هذا الوضع إلى ندرة الكتاب الإسلامي في بلاد الإسلام ، وخاصة عند الشعوب التي لا تتحدث اللغة العربية .

٦ ـ إضافة إى كل ذلك قلة المراكز الإسلامية التي تقوم على نشر الكتاب الإسلامي بلغات الشعوب الإسلامية .

وأرى أن حل هذه المشكلة ، كما يلي :

أ ـ جمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ب ـ صرف الجهود للحث على تعلم علوم الدين .

ج ـ حث شعوب العالم الإسلامي على تعلم اللغة العربية ، لأن عدم الإلمام بها يعتبر أحد العوائق الكبيرة التي تقف حائلاً أمام انتشار الدعوة الإسلامية ، فالعلاقة

(١) مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص٢٧٨ ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ، ج٢ ، ص٦٨٣ ، رقم الحديث ٩٥٨ ، والحديث من رواية ثوبان مولى رسول الله ﷺ .

بين اللغة العربية والإسلام لا تحتاج إلى بيان أكثر من أن يقال : إن اللغة العربية هي لغة الإسلام[1] ، وأن من لا يعرف العربية من المسلمين فلا يمكنه أن ينهل بنفسه من مناهل المعرفة الأصيلة لهذا الدين القويم ، بل سيعتمد على غيره في نقل علوم الشرع إليه ، فهو أشبه بمن لا يستطيع أن يدلي بالدلاء في البئر بنفسه ليشرب ، بل يعتمد على سواعد الآخرين ويكون عالة عليهم . فأنى لمثل هذا أن يعرف عن الإسلام حق المعرفة .

وإن هذا الواقع الذي يعيشه أكثر من ستمائة مليون مسلم يستدعي يقظة العالم الإسلامي عامة ، والعالم العربي بخاصة ، لأنه يتحمل المسؤولية بنفسه لنقل اللغة العربية إلى إخوانه في مشارق الأرض ومغاربها لربط هؤلاء المسلمين بدينهم على الوجه المطلوب ، وليحتفظوا بشخصيتهم الإسلامية ويعيدوا عز أمتهم وسالف مجدها .

وإن مما يثير الدهشة والاستغراب أن أعداء الإسلام والمسلمين أدركوا أهمية اللغة العربية في بقاء الإسلام ، فخططوا وما زالوا لإبعاد اللغة العربية عن الأمة العربية ، بالدعوة إلى إحياء اللهجات العامية ، وبكتابة اللغة بالحروف اللاتينية بهدف فصل الأمة عن عقيدتها[2] .

وبإمكان العالم الإسلامي بأسره أن يعمل على تضافر الجهود لإقامة مراكز دعوية في العالم كله ، وأن يضع ميزانية خاصة بإقامة المراكز الدعوية النسائية في العالم .

---

(١) انظر الأقليات المسلمة في العالم ، المجلد الأول ، ص٥١ ، مجموعة أبحاث المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض سنة ١٤٠٦هـ ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، وقد وافق ذلك ما جاء في الاستبانة .

(٢) انظر أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، ص١٦١ ، نشر دار الاعتصام ، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ ، الطبعة الأولى .

المطلب السادس : ضعف الإعداد الدعوي :

إن ضعف الإعداد الدعوي في الجوانب التربوية والعلمية والفكرية أو فيما يتعلق بوسائل وأساليب الدعوة أدى إلى بروز النقص الكبير في النشاط الدعوي في حياة المرأة المسلمة .

وهذا يعود إلى عدة عوامل ، منها :

١ ـ عدم وجود نظام التعليم الإسلامي في كثير من البلاد الإسلامية أو دول الأقليات الإسلامية .

٢ ـ قصور في المنهج العلمي وعدم شمولية الموضوعات المدروسة في البلاد التي تقوم سياسة التعليم فيها على الإسلام .

ولمعالجة هذه المشكلة فلابد أن تتبنى كافة الدول الإسلامية ما يلي :

أ ـ اعتماد سياسة التعليم الإسلامي في مؤسساتها التعليمية للرجال والنساء كل على حدة .

ب ـ كما يجب على الدول الإسلامية مطالبة الدول غير الإسلامية باعتماد سياسة التعليم الإسلامي للأقليات المسلمة الموجودة بها .

ج ـ إيجاد حلقات رجالية ونسائية خاصة في مساجد الجمعة وغيرها ، وتوسيع دائرة الموجود منها على يد العلماء الموثوقين ، مع العمل على إيجاد علماء وعالمات على مستوى الدعوة إلى الإسلام ، مع العمل على نشر الشريط الإسلامي والاكثار من وسائل انتشاره .

د ـ افتتاح مراكز صيفية خاصة بالطلاب والطالبات كل على حدة ، يلتقون فيها خلال العطلة الصيفية لطلب المزيد من العلم والتخطيط ، ودراسة مشاكل الدعوة .

هـ - إيجاد مجلات نسائية إسلامية متخصصة في الدعوة ، والتركيز على الموضوعات النسائية خاصة .

المطلب السابع : غفلة المفكرين المسلمين ويقظة غيرهم :

لقد أسهم إهمال المفكرين المسلمين للمرأة المسلمة وعدم الاهتمام بشأنها إلى وقوعها تحت تأثير أعداء الإسلام ، وتأثرها بصوت الناعقين الذين مدوا إليها أيديهم وألسنتهم مرحبين بها في ساحتهم ، وقد استعدوا بمساعدتها على كل صعيد يريدونه ، فزينوا لها الباطل ، وادَّعوا بأنها مظلومة ، وأنهم سيتولون رفع الظلم عنها ، بالشعارات البراقة والآمال المزيفة ، فقبحوا لها الستر والحشمة ، وزينوا لها العري والتبرج ، وأغروها بالحرية المغلفة ، وصنعوا فكرها على أيديهم ، فلا ترى إلا ما يرون ، ولا تسمع إلا ما يسمعون ، ولا تنعق إلا بما ينعقون ، ولا تفكر إلا بما يفكرون ، فصار الحق في نظرها باطلاً ، والباطل حقاً ، ينقبض صدرها لسماع الحق ، لأنه في عينها باطل ، وينشرح صدرها لسماع الباطل ، لأنه في عينها حق ، وصدق فيها قول الباري سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ ﴾[1] ، ولا ريب أن أعداء الإسلام قد نجحوا إلى حد كبير بسبب ما رافق عملهم من تخطيط وتعاون فيما بينهم ، واستغلال لوسائل التعليم والإعلام والنشر .

وإن هذا الواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة يحتاج إلى دراسة متأنية من علماء الإسلام ومفكريه ، وتقديم المقترحات والحلول الشاملة لانتشالها وإنقاذها من الهوة السحيقة والمصير المشؤوم .

وعلى مؤسسات التعليم والإعلام ، ودور النشر في الحكومات الإسلامية مسؤولية إفساح المجال للفكر الإسلامي ، وقطع دابر الفكر الغازي ومحاربته ، وهذا الأمر يتطلب أن يفيق المسؤولون في الدول الإسلامية من تبعيتهم وغفوتهم

---

(١) سورة فاطر ، جزء من الآية ٨ .

التي طال أمدها ليعيدوا قوامتهم على العالم وليس لهم إلا ذلك ، وإلا هلكوا مع الهالكين .

المطلب الثامن : معوقات الدعوة في أوساط الأقليات المسلمة :

إن للأقليات المسلمة ظروفها الخاصة ، ومن ذلك ما يتعلق بموضوع العوائق التي تمنع أو تحد من انتشار الدعوة في بلدانها .

وأكثر هذه المعوقات عامة يشترك فيها الرجل مع المرأة ، ولا يعني أن حل هذه المعوقات يجعل حال الأقليات المسلمة أفضل من حال المسلمين جميعاً في البلاد الإسلامية ، ذلك أن معظم المعوقات التي لدى الأقليات المسلمة لا يوجد لها نظير في البلاد الإسلامية في الغالب ، ومع ذلك فلم تخل المجتمعات الإسلامية في البلاد الإسلامية من المعوقات الكثيرة الأخرى .

وهذا الاختلاف البارز في هذه المعوقات يدل على اختلاف درجاتها ، فمنها معوقات رئيسة وعامة ، ومنها معوقات ثانوية وخاصة ، وإن غالب المعوقات في عالم الأقليات المسلمة هو من نوع المعوقات الرئيسة والعامة .

وفيما يلي نذكر أهم المعوقات في مجتمعات الأقليات المسلمة :

١ ـ لا يقتصر الأمر على عدم وجود التعليم الإسلامي في دول الأقليات فقط ، بل يوجد تشويه صورة الإسلام في مجتمعات الأقليات المسلمة عن طريق وسائل الإعلام والتعليم .

٢ ـ ندرة المراكز الإسلامية ، وعدم وجود المدارس والمراكز الإسلامية الأهلية التي تقوم بإعداد البرامج الخاصة للتعليم والإعداد للدعوة في المجتمع .

٣ ـ عدم وجود المؤلفات الإسلامية بلغات الأقليات المسلمة وفي مقدمتها ترجمات معاني القرآن الكريم[1] .

---

(١) هذه المعلومات مستوحاة من الاستبانة الموزعة على عدد من أبناء الأقليات المسلمة رجالاً ونساء .
وانظر كذلك الأقليات المسلمة في العالم ، المجلد الثاني ، ص٥٤٩ ، ٥٥٠ .

٤ ـ النقص في عدد الدعاة المؤهلين[٢] .

٥ ـ النقص في الموارد المالية .

٦ ـ عدم المتابعة للمسلمين الجدد من الرجال والنساء لعدم وجود من يقوم على رعايتهم وتقديم المساعدات العلمية والنفسية والاجتماعية أمام مقاطعة الأهل للمسلم الجديد .

٧ ـ عدم الْتزام بعض المسلمين ـ رجالاً ونساء ـ بتعاليم الإسلام خارج بلادهم ، وخاصة ما يتعلق بزي المرأة ولباسها حيث التبرج والسفور والاختلاط .

٨ ـ عدم فهم الإسلام فهماً صحيحاً يؤدي إلى معارضة بعض أحكام الإسلام ، خاصة في المجتمع النسائي فيما يتعلق بالحجاب وتعدد الزوجات والطلاق[٣] .

٩ ـ وجود بعض الفرق الضالة التي تتسمى بأسماء إسلامية تسيء إلى سمعة المسلمين ، فتعوق حركة الداخلين في الإسلام .

ولمعالجة هذه الظروف المحيطة بالأقليات يجب عليهم ما يلي :

١ ـ تضافر جهودهم ، واجتماع كلمتهم ، واتحاد أهدافهم وغاياتهم ، ويكونون كالجسد الواحد القوي الذي يمثلون هم أعضاءه ، ويقومون بالتخطيط ورسم الأطر العامة لحياتهم العلمية والدينية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية .

٢ ـ العمل على إيجاد النشاطات الدعوية في أوساطهم بكل وسيلة ممكنة .

٣ ـ كما يجب على الدول الإسلامية والمراكز والجماعات والجمعيات الإسلامية

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص٦٤٠ .

مد يد العون لهذه الأقليات التي لا بد أن تقوى علاقاتها بتلك الدول والجماعات لأنها لا يمكن بحال أن تنهض بنفسها دون معين[1] .

(١) انظر الأقليات المسلمة ، المجلد الثاني ، ص٨٠٨ .

المبحث الثاني : المعوقات الخاصة بالمرأة

المطلب الأول : الغزو الفكري للمرأة المسلمة :

لقد ارتبط هذا الغزو ـ كغيره ـ بالاستعمار الصليبي للبلاد الإسلامية مع سقوط الخلافة العثمانية وتفكك البلاد الإسلامية ونشوء القوميات .

وحيث كان السبق لتركيا بالاختلاط بالأجانب وسبقهم في الاطلاع على معالم التمدن الحديث ، فقد حدثت محاولات في تركيا للمناداة بما يسمى تحرير المرأة على يد أحمد فارس الشدياق[1] حيث نادى من خلال صحيفة (الجوائب)[2] بهذه الحركة المسمومة .

وأما في مصر ، فإن الباحث عن تاريخ هذه الحركة يجد أن جذورها تعود إلى عهد محمد علي باشا[3] والي مصر ، حيث قام بإرسال بعثات طلابية لتلتقي الخبرات والمهارات الفنية في فرنسا ، فعادت هذه البعثات حاملة معها أفكاراً دخيلة على الإسلام حاولوا نشرها عن طريق المراكز القيادية التي يقومون على إدارتها في مختلف الميادين السياسية والتربوية والفكرية . وكان من ضمن هؤلاء ، الشيخ رفاعة الطهطاوي[4] الذي رافق البعثة المصرية كواعظ وإمام لها . وما أن

---

(١) عاش أحمد فارس الشدياق ما بين عام ١٨٠٤ ـ ١٨٨٨م .

(٢) صدرت هذه الصحيفة عام ١٨٦٠م .

(٣) ولد سنة ١٧٦٩م ، وتوفي سنة ١٨٤٩م ، انظر عبد الرحمن الرافعي عصر محمد علي باشا ، ص١١ ، منشورات مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ ، الطبعة الثانية .

(٤) عاش الطهطاوي ما بين عامي ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م ، ومكث في فرنسا ما بين عامي ١٨٢٦ إلى =

رجع إلى مصر حتى بدأ بالبذور الأولى لكثير من الدعوات الدخيلة على مصر المسلمة ، ومن ذلك ما استوحاه من أفكار ؛ من واقع الحياة الفرنسية في المجتمع النسوي ، هي أبعد ما تكون عن شرائع الإسلام وآدابه ، وهذا واضح في مواقفه الجريئة من قضايا تعدد الزوجات ، وتحديد الطلاق ، وقضايا تعليم الفتاة واختلاط الجنسين ، حيث زعم في أحد كتبه بقوله :

(إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا تأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة أو الخسيسة)[1] ، ثم دعا إلى الاقتداء بالفرنسيين حتى في إنشاء المسارح والمراقص .

ثم جاء قاسم أمين فتنة الأجيال وداعية السفور في عهد الاحتلال ، الذي سبق له أن دافع عن الحجاب ، رداً على نصراني فرنسي في كتابه (المصريون) الذي كتبه باللغة الفرنسية سنة ١٨٩٤م ، واستنكر في كتابه ذلك تشبه بعض المصريات بالأوربيات بالسفور واختلاطهن بالرجال والحديث معهم .

غير أن قاسماً هذا انقلب على عقبيه ، فكتب سنة ١٨٩٩م كتابه الذي أسماه (تحرير المرأة) مناصراً بذلك ما كتبه النصراني (مرقص فهمي) الحاقد على الإسلام والمسلمين في كتابه (المرأة في الشرق) من سفور المرأة واختلاطها بالرجال ، والدعوة إلى تحديد الزواج بواحدة ، وتقييد الطلاق واشتراط وقوعه عند القاضي .

وليس الغريب أن تقع مثل هذه الدعوات من أعداء الإسلام والمسلمين الذين لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم . لكن الغريب أن يتبنى أفكارهم رجل يحسب من عداد المسلمين ، بل لا يكتفى بأن يجعل نفسه أحد المدلين برأيهم في هذا المجال ،

= ١٨٣١م . انظر رفاعة رافع الطهطاوي ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، ص٤ ، ص٦ ، ص٣١ ، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، تحقيق دكتور مهدي علام وزملائه .

(١) رفاعة رافع الطهطاوي ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، ص٣٠٥ ، تحقيق دكتور مهدي علام وزملائه .

بل يجعل من نفسه الرجل المنافح عن قضية يرى أنه جاء بجديد فيها ، كما يدعي أنه لم يأت ببدعة في الدين ، وإنما هي بدعة في العادات والتقاليد[1] .

وتذكر بعض التكهنات بأن قاسم أمين لم ينفرد بالدعوة إلى هذه الحركة ، ولم يكن الرأس المدبر لحركة ما يسمى (تحرير المرأة) ، لكنه الرأس المنفذ لها ، بحيث شاركت جهات دينية وسياسية في هذه الحركة - كما ذكرها الدكتور محمد عمارة - والله أعلم ، منهم الشيخ محمد عبده الذي يظن أنه قد شارك في تأليف كتاب (تحرير المرأة) ، بل لقد جزم الدكتور محمد عمارة بذلك حيث قال عن علاقة الشيخ محمد عبده بالكتاب : (والرأي الذي أومن به ، والذي نبع من الدراسة لهذه القصة ، هو أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين ، وأن في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين)[2] .

أما من الناحية السياسية فسعد زغلول ونازلي فاضل[3] حفيدة إبراهيم باشا ، كما شاركها في ذلك هدى شعراوي وغيرهم كثير .

وكل هذه الرؤوس المدبرة هي في حقيقتها أدوات منفذة في يد المستعمر الخبيث ، الذي قام بتشويه أفكار هذه الفئة من المسلمين وجعلهم أدوات هدم وتخريب في المجتمع المسلم .

ولم تقف المعركة عند هذا المستوى ، بل أخذت في العصر الحاضر في التوسع مستغلة وسائل الاعلام في الصحافة والإذاعة والتلفاز تروج للسفور والتبرج والعري ، والاختلاط ومشاركة الرجل في عمله ، والطالب في مدرسته جنبا إلى

---

(١) انظر قاسم أمين ، تحرير المرأة ، ص١٢ ، ضمن الأعمال الكاملة لقاسم أمين التي جمعها د . محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت سنة ١٩٧٦م .

(٢) د . محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، ص١٣٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص١٣٢ - ١٣٤ .

جنب ، وأصبح التشويه للإسلام في وسائل الإعلام أحد أركان الرسالة الإعلامية حتى في البلاد الإسلامية ، وخصصوا لتدمير المرأة جانبا كبيرا في وسائل الإعلام .

وبذلك نجح أعداء الإسلام في توظيف المسلمين لهدم القيم الدينية في قلوب المسلمين .

وقد حذرنا الرسول الكريم ﷺ من أمثال هؤلاء لأنهم أخطر على المسلمين وأكبر معوق من أعدائهم ، ذلك لأن الأعداء يوجهون حروبهم من الخارج . أما هؤلاء فهم مرض داخلي يهتك في جسم الأمة ، ويفت في عضدها ، ويوهن عظمها ، مما يجعلها لا تقوى على مصارعة العدو الخارجي ، ومن أمثال هؤلاء ورد التحذير من النبي ﷺ : فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت يا رسول الله : انا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » ، قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت أنت على ذلك »[1] .

وما زال العالم الإسلامي يتجرع مرارة هذه الدعوة الخبيثة لتخريب المرأة وتحليل عرضها في معظم بلاد الإسلام ، فالتبرج والسفور والاختلاط ومشاركة

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ج١٣ ، ص٣٥ ، رقم الحديث ٧٠٨٤ .

الرجل في عمله وضياع حقوق المرأة والأسرة والمجتمع . كل هذه الأوضاع تمثل عوائق كثيرة أمام الدعوة في المجتمع وخاصة المجتمع النسائي .

ويضاف إلى ذلك أن من مهام الغزو الفكري ضد المرأة المسلمة ترصد الجاهلية للعمل الإسلامي وتحركاته ، ومن ذلك ما تلقاه المرأة المسلمة من إرهاب واستنكار وإجهاز على الحركة الدعوية في الوسط النسائي ، مما تنطلق به صيحات التحذير والاستنكار والدعوة إلى إبعاد المرأة المسلمة عن ميدان العمل الدعوي الإسلامي على الرغم من تجنيدها للعمل الشيطاني ، والدعوة إلى الخروج من الإسلام بعد أن تمر بخطوات السفور والتبرج ، ومشاركة الرجل في عمله جنباً إلى جنب ، وتبني الأفكار المعادية للإسلام من الإباحية والشيوعية وغير ذلك من الملل والنحل الباطلة .

ولقد تولى كبر حركة إبعاد المرأة المسلمة عن دينها في هذا العصر ، صنائع الاستعمار الغربي والشرقي من زعماء الأمة الإسلامية الذين ينفذون ما يمليه أسيادهم من دعوة مباشرة سافرة وتخطيط معلن أو خفي إلى خروج المرأة عن تعاليم دينها .

ومن الجدير ذكره أن التخطيط لإخراج المرأة المسلمة من دينها جزء من كل ، في مخطط كبير آتى ثماره في البلاد الإسلامية ، بإبعادها عن تحكيم شرع الله ، والأخذ بالقوانين البشرية ، واتباع اليهود والنصارى وصدق الله عز وجل حيث يقول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1] ، وصدق الرسول ﷺ حيث يقول : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا وذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟[2] .

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ١٢٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، ج١٣ ، ص٣٠٠ ، رقم الحديث ٧٣٢٠ .

ولا ريب أن علماء المسلمين ومفكريهم وحكامهم في معظم بلاد الإسلام يتحملون المسؤولية كاملة ، حيث لم يقوموا بالواجب عليهم خاصة في تثقيف المرأة المسلمة وتعليمها أمور دينها ، وتدريبها على الدفاع عن شريعة ربها ، ومحاربة الناعقين والدعوة إلى دين الله .

وإن المتأمل في المخالفات الشرعية في المجتمع المسلم يجد أن تلك المخالفات تكثر عند النساء بسبب الجهل المطبق ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كما أن المتأمل في نظام التعليم في العالم الإسلامي لا يجد إلا النظام العلماني في التعليم في معظم دوله ، كما أنه لا يجد التركيز على علوم الإسلام .

وإذا نظرت إلى نصيب المرأة من التعليم الشرعي في المدراس والجامعات وجدت أنه من الأمور الثانوية ـ إن لم يكن مهملا البتة ـ مما جعل أعداء الإسلام ، يتربصون بالمرأة وينادونها بأصواتهم الناعقة أن هلمي إلينا ، فأسلمت نفسها طائعة مختارة .

وإن الحل يكمن في يقظة علماء الأمة ومفكريها وحكامها ومراجعة حساباتها من خلال مصادرها السماوية ومشرعها القويم .

كما أننا نأمل في هذه الصحوة الفكرية الإسلامية التي عمت أرجاء المعمورة بين صفوف الرجال والنساء كل خير ، مع الأمل الكبير أن تحتضن هذه الصحوة من قبل علماء المسلمين لشد الأزر ، وتعضيد الحركة ، والأخذ بها إلى شاطىء الأمان .

المطلب الثاني : معوقات داخل المنزل

أولا : رب الأسرة ومن في حكمه :

ترى كثير من النساء أن رب الأسرة ـ أبا كان أو أخا أو زوجا ـ يمثل عائقا أمام المرأة في الدعوة . ويدخل ضمن العوائق بعض النساء كالأم والأخوات اللاتي يكبرن الداعية سنا .

ويعود هذا العائق إلى عدة أسباب نذكر منها :

١ ـ عدم الاقتناع بمسؤولية المرأة الدعوية .

٢ ـ عدم استقامة رب الأسرة .

٣ ـ سوء استخدام القوامة .

٤ ـ تحميل النص الشرعي ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ ما لا يحتمل .

١ ـ عدم الاقتناع بمسؤولية المرأة الدعوية :

فأما عدم الاقتناع بمسؤولية المرأة الدعوية ، فإن هذه الرسالة قد عالجت هذا الموضوع بالقدر الذي يرى الباحث أنه مؤد للغرض وموف بالحاجة إن شاء الله .

٢ ـ عدم استقامة رب الأسرة :

وأما عدم استقامة رب الأسرة أو من في حكمه ، فإن على المرأة الداعية القيام بواجبها في الدعوة بأساليب الدعوة المعروفة ، وأن تكرر الدعوة والنصيحة ، وتستعين بغيرها في المناصحة حتى لو أدى ذلك إلى طلب تدخل ولي الأمر في الدولة الإسلامية إذا كان سلطان الدولة يعين على ذلك ، وما عدا ذلك فيكتفى بالمناصحة الدائمة والصبر .

٣ ـ سوء استخدام القوامة :

وأما ما يتعلق بسوء استخدام القوامة ، فإن البعض من أولياء الأمور لا يفهم من قوله سبحانه : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ ﴾[1] إلا معنى التسلط وظلم المرأة وعدم إعطائها الحرية في مشاركته الرأي ، في حين أن قوامة الرجل على المرأة إنما هي قوامة تنظيم وإدارة ورئاسة عامة للأسرة ، ليس لأحد من أفراد الأسرة الخروج عليها ، كما أن على رئيس الأسرة مراعاة حاجة مرؤوسيه ومن تحت رعايته وإذا كان المسلم يعرف أن

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية ٣٤ .

سبب إسناد هذه القوامة إليه من الله عز وجل هو ما فضل الله به الرجال على النساء وبما أنفقوا ، فإن هذه المكانة لا تعطيه حق ظلم رعيته أو توجيه الإهانة والازدراء لهم والتضييق عليهم .

٤ ـ تحميل النص الشرعي ما لا يحتمل :

وأما فيما يخص تحميل النص الشرعي في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[1] ما لا يحتمل ، حيث يفهم البعض من النص الأمر بالقرار في البيوت واعتبار خروجهن منها مخالفة شرعية بدون استثناء ، مما يؤدي إلى حرمان المرأة من بعض حقها المشروع ، فهذه المسألة غير مقبولة لا شرعا ولا عقلا ولا واقعا .

وللإجابة على هذه المسألة نقول ما يلي :

إن الإسلام قد وضع قاعدة أصلية في حق المرأة حيث جعل مكانها الأصلي والأساسي هو البيت ، ولذلك جاء النص في كتاب الله سبحانه ليبين هذه القاعدة في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ .

لكن المرأة تحتاج للخروج لقضاء حاجة فهل وضع الإسلام استثناء لها أم لا ؟

وللإجابة على هذا السؤال نورد ما يؤيد ذلك ، ومنه ما قاله ابن كثير في تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ حيث قال بأنها تعني : (الْزَمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة)[2] ، ومن هذا التفسير يتبين لنا أنه طالما كان للمرأة حاجة في الخروج من المنزل فلا بأس أن تخرج مع الالتزام بالآداب الشرعية .

ويقوي هذا التفسير ما ورد عن المصطفى ﷺ في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حيث قالت : خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرآها عمر فعرفها فقال : إنك والله يا سودة ما تخفين علينا ، فرجعت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى ، وإن في يده لعرقا ، فأنزل عليه فرفع عنه وهو

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٣٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص٤٠٥ .

يقول : « قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن »[1] .

ويقول الإمام العيني في شرح هذا الحديث : (قال ابن بطال : في هذا الحديث دليل على أن النساء يخرجن لكل ما أبيح لهن الخروج فيه ، من زيارة الآباء والأمهات وذوي المحارم ، وغير ذلك مما تمس به الحاجة)[2] .

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ ولي الله الدهلوي حيث يقول : (شرع النبي ﷺ ألّا تخرج المرأة من بيتها إلا لحاجة لا تجد منها بدا)[3] .

وهذا الاستثناء يجيز للمرأة الخروج من منزلها لحاجة تقتضيها المصلحة خاصة أو عامة ، ولكن بعد إذن ولي أمرها كما سيأتي بيانه .

وتحدثنا نصوص من سنة المصطفى ﷺ عن بعض الحالات التي خرجت النساء من بيوتهن لأجلها مثل الخروج للمساجد والجهاد ، وكذلك الخروج لحفلات العرس[4] وغير ذلك من الحاجات التي كانت سائدة في ذلك العصر .

وحيث إن الحاجات تتغير بتغير الأزمان وتتعدد حسب مقتضيات كل عصر ،

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب خروج النساء لحوائجهن ، ج٩ ، ص٣٣٧ ، رقم الحديث ٥٢٣٧ .

(٢) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، ج٢٠ ، ص٢١٨ ، طبعة محمد أمين دمج بيروت .

(٣) الشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي حجة الله البالغة ، ج٢ ، ص٦٨٦ ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، بدون سنة الطبع .

(٤) من الأمثلة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أبصر النبي ﷺ نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام ممتنا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إليّ » وهذا مما يدل على جواز خروج النساء إلى حفلات العرس وأمثالها ، ولو كان حضورهن محرما أو مكرها لأنكر عليهم النبي ﷺ . والحديث في صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس ، ج٩ ، ص٢٤٨ ، رقم الحديث ٥١٨٠ ومعنى ممتنا أي قام قياما قويا فرحا بهم ممتنا عليهم بمحبته لهم ، نقلا عن فتح الباري ، ج٩ ، ص٢٤٨ .

فإن مسألة الاستثناء تظل متمشية مع حاجات كل عصر ما لم تتعارض مع نص شرعي .

ولذلك فإن الإسلام يأذن للمرأة بأن تخرج من البيت إذا كان ثمة حاجة خاصة أو عامة ، مثل طلب علم ، أو تعليم ، أو تطبيب ، أو أي خدمة اجتماعية ، أو زيارات خاصة أو عامة ، مع الالتزام بالآداب الشرعية ، كما يمكنها الخروج من أجل الدعوة إلى الله ، سواء كانت متفرغة للدعوة ، أو من خلال قيامها بوظيفتها العامة في الوسط النسائي ، على أن لا يؤثر خروجها على واجباتها المنزلية .

٥ ـ وجوب الاستئذان للخروج :

وإذا أذن الإسلام بخروج المرأة لحاجتها فليس هذا الإذن على إطلاقه ، بل يلزمها الاستئذان من ولي أمرها ـ أبا أو أخا أو زوجا ـ لأن الاستئذان من حق الرجل على المرأة بحكم القوامة التي جعلها الله سبحانه للرجال على النساء ، في قوله عز وجل : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾[1] .

وإذا كانت القوامة للرجل على المرأة دل ذلك على وجوب استئذانها ولي أمرها في الخروج لحاجتها ، فإذا أذن لها خرجت ، وبذلك يرتفع كل الحرج عنها في مسألة الخروج على أن تلتزم بآداب الشرع في خروجها .

ومما يدل على وجوب الاستئذان ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها »[2] . هكذا ورد الحديث بالعموم بدون تحديد بمكان معين وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد ، ج٢ ، ص٣٥١ ، رقم الحديث ٨٧٣ .

رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد فأذنوا لهن »[1] .

فهذان الحديثان اشتملا على عدة قضايا هامة ، منها :

١ ـ وجود شرط الاستئذان مما يدل على على وجوبه .
٢ ـ استحباب الإذن للمرأة في الخروج عند أمن الفتنة .
٣ ـ إذا كان الاستئذان للخروج إلى المسجد واجبا فإن وجوب الاستئذان لغيره من باب أولى .
٤ ـ أن الاستئذان للخروج إلى المسجد وغيره لا يلزم الرجل بالإذن للمرأة[2] .

وقد قال الإمام النووي في شرح الحديث الثاني : (ستدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن)[3] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه ولا يحل لأحد أن يأخذها إليه ويحبسها عن زوجها سواء كان ذلك لكونها مرضعا أو لكونها قابلة أو غير ذلك من الصناعات ، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله ومستحقة للعقوبة)[4] .

وهذا الإذن مما يقتضيه حق قوامة الرجل على المرأة ووجوب حسن العشرة .

ومن وظائف هذه القوامة إدارة شؤون المنزل ورعايته وتنظيم حركته ؛ وليس من وظائفها التسلط على المرأة وظلمها وهضم حقوقها أو التضييق عليها .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ، ج١ ، ص٣٢٧ رقم الحديث ١٣٧ .

(٢) انظر المجموع شرح المهذب للنووي ج٤ ، ص١٩٩ ، نشر دار الفكر ، بيروت بدون سنة الطبع .

(٣) فتح الباري ، ج٢ ، ص٣٤٧ ، ولم أجده في مظانه عند الإمام النووي في شرح صحيح الإمام مسلم .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج٣٢ ، ص٢٨١ .

ولذلك فلا يجوز للرجل أن يسيء فهم حقه في القوامة فيؤذي المرأة ، فإن في ذلك مخالفة صريحة ومعصية لله سبحانه وتعالى حيث أمر الأولياء ـ وخاصة الأزواج بحسن المعاشرة في قوله سبحانه : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] .

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : (أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة ، والخطاب للجميع : إذ لكل أحد عشرة ، زوجا كان أو وليا) .

ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج وهو مثل قوله تعالى : ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ﴾[2] وذلك توفية حقها من المهر والنفقة وأن لا يعبس في وجهها بغير ذنب ، وأن يكون منطلقا[3] في القول لا فظا ولا غليظا . . . إلى أن قال : (فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال ، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش وهذا واجب على الزوج)[4] .

وقال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : (فيجب على الزوج لزوجته ، المعروف ، من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان ، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال)[5] .

فقول السعدي : من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان ، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال) يعني والله أعلم مراعاة الأحوال النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية باختلاف الزمان والمكان .

فما كان سائدا في العصور الماضية من المعاشرة بالمعروف يختلف في بعض جزئياته عما هو سائد في عصرنا هذا زيادة أو نقصا ظهورا أو خفاء .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ٢٢٩ .

(٣) منطلقا : أي مستبشر الوجه ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة (طلق) .

(٤) تفسير القرطبي ، ج٥ ، ص٩٧ .

(٥) تفسير ابن سعدي ، ج٢ ، ص٤٢ .

وإذا ساد في عصرنا الحاضر خروج المرأة من بيتها للزيارات والحفلات بأنواعها والترفيه عن النفس وفق تعاليم الإسلام ، كما خرجت للعمل فليس هذا الخروج بأهم من الخروج للدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين بنات جنسها أو طلب علم أو تعليم ، وخير للمرأة ولمجتمعها أن تكون داعية خير لا داعية سوء .

ومن المعلوم أن منع أي امرأة في عصرنا الحاضر من الخروج المباح لها شرعا ، وحرمانها مما تتمتع به بنات عصرها قد يعتبر من التضييق الذي لا يكاد يطاق ولا يعتبر من المعاشرة بالمعروف .

وقد أوجب الله لهن مثل الذي عليهن بالمعروف كما في قوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[1] .

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : (أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن ، مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لأزواجهن)[2] .

وقد ورد في تفسير الطبري عن ابن زيد أنه قال في تفسير ما لهن وما عليهن أي : (تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم)[3] .

ولشفقة رسول الله ﷺ ورحمته بالنساء فقد كان حسن المعاشرة لنسائه ، وكان يشجع أمته على حسن معاشرة النساء ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[3] ، وكان يوصي أمته بالنساء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٨ .

(٢) تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٥٣١ ، تحقيق محمود شاكر ، وتفسير القرطبي ، ج٣ ، ص١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٣١ ، بتحقيق محمد شاكر .

ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء »[1] .

وخلاصة القول أن الإسلام في مصدريه القرآن والسنة ، قد وصى بحسن العشرة مع النساء ، والرفق بهن ومعاملتهن بالحسنى ، حسب ظروف كل عصر وبيئة في كل أمر مباح وخاصة ما يتعلق بتلبية حاجتهن أو حاجة مجتمعهن ، على أن لا يؤثر هذا الخروج على واجب منزلي أو حق زوج أو أولاد لأن ذلك من أوجب الواجبات .

وبحسب ما يسود عصرنا هذا فيما يتعلق بنظام العمل الأسري فإننا نلاحظ أن بإمكان المرأة التوفيق إلى حد ما بين مصالح أسرتها ومصالح مجتمعها إذا أحسنت تنظيم وقتها .

وعلى أي حال فإن المسلم رجلا كان أو امرأة لا يطالب بعمل لا يستطيعه ، فالتقوى على قدر الاستطاعة كما يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] و﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3] فإذا لم يأذن ولي أمر المرأة بخروجها فليس لها أن تخرج . ولذلك فما على المرأة المسلمة إلا أن تبذل قصارى جهدها في مجال الدعوة مع احتفاظها بحسن العشرة مع ولي أمرها وأن لا يدفعها الحماس في الدعوة إلى مخالفة أمر القيم فتفسد حياتها وسكينتها ولتكتف برعاية بيتها وزوجها ، وتربية أولادها ، لأن المرأة إذا ربت أولادها تربية صالحة تكون قد قامت بواجب عظيم الشأن .

وإن المرأة المسلمة الغيورة على دينها الداعية إلى سبيل ربها لن يخلو منها زمان أو مكان بإذن الله سواء كان ذلك معلوما مشتهرا ، أم كان ذلك مستترا ، ولن تزال هذه الأمة بخير في رجالها ونسائها .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج٦ ، ص٣٦٣ ، رقم الحديث ٣٣٣١ .

(٢) سورة التغابن ، جزء من الآية ١٦ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

وإن العوائق التي تواجه المرأة الداعية في أسرتها كثيرة لا تقتصر على ما سبق ذكره ولها دوافع كثيرة منها .

٥ ـ تقدير ولي أمر المرأة ، أن زوجته أو من تحت يده لا تستطيع الجمع بين واجبات المنزل وأعمال الدعوة خارجه ، وهو بذلك لا يقف ضد الدعوة ذاتها وإنما لمراعاة مسؤولية البيت فقط .

وهذا الأمر لا بد أن يقدر كذلك من المرأة الداعية نفسها . فإذا تعارضت واجبات المنزل ومسؤوليتها مع الدعوة خارج المنزل فعلى المرأة أن تقوم بمسؤولياتها المنزلية ، وتربية أولادها ، وأن تتحين الفرص المناسبة لتسهم بشيء من وقتها وجهدها في الدعوة خارج منزلها أثناء الزيارات وما شابه ذلك .

٦ ـ كما أن من أفراد الأسرة من يمنع الداعية شفقة ورحمة خوفا عليها من سلطة حاكم ، فيدفعه هذا الخوف إلى التضييق على الداعية اقتصاديا بقطع النفقة عنها ، واجتماعيا بمقاطعتها وعدم الحديث معها .

ويمكن علاج هذه المسألة ببيان الحق فيها ، وأن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأن مثل هذا الخوف لا مكان له ولا اعتبار لمن أراد الفوز بالجنة والنجاة من النار . فإذا لم تستطع المرأة الداعيةمن اقناع أسرتها بذلك استعانت بغيرها ممن تثق الأسرة فيهم ، وعليها أن تعتصم بالصبر في كل الأمور .

٧ ـ وقد يكون اختلاف الدين سبباً لوضع العراقيل والعوائق المذكورة في الفقرة السابقة[1] ؛ وقد حدث هذا لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا في شواهد المعوقات ، ولمعالجة هذه المسألة فما على الداعية إلا الصمود بالحق في مواجهة الباطل ، وعدم الإذعان له ولا يمنع ذلك من مواصلة ذلك القريب لبره ومناصحته خاصة إن كان أحد الوالدين تنفيذا لأمر الله في حق الوالدين : ﴿وَإِن

(١) كما سبق ذكره في شواهد من المعوقات في حياة الأنبياء .

﴿ جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾[1] .

وإذا كان الانتصار للحق واجبا حتى لو خالفه الوالدان فغيرهما من باب أولى ، وهذا يحصل عادة مع المسلمين الجدد في كل زمان ومكان .

ثانيا : شؤون المنزل :

تعتقد الأكثرية من النساء في عالمنا الإسلامي اليوم أن إدارة شؤون البيت ورعاية الزوج وتربية الأولاد لا تدخل ضمن المسؤوليات الدعوية للمرأة المسلمة وذلك بسبب خلو المنهج الذي تسير عليه في هذه الأعمال من التوجيه التربوي في الإسلام ، وهذا الأمر مما يستدعي انتباه أمة الإسلام ويقظتها من نومها العميق ، والهوة السحيقة التي تردت فيها حتى تستعيد حياتها من جديد وقوامتها على الناس .

وأكاد أجزم بأن نظام حياة معظم الأسر في العالم الإسلامي لا يختلف عن نظام حياة أي شعب آخر في الشرق أو الغرب اللهم إلا ما عدا المظهر العام وليس الجوهر ، وإذا أمعنت النظر في نظام الحياة في العالم الإسلامي فيما يتعلق بخدمة البيت والزوج والأولاد وخدمة الغذاء واللباس ، وجدت أن طابع الحضارة الغربية أو الشرقية يكاد يسيطر على بيوت المسلمين .

وعلى أساس هذا التطبيق البعيد عن منهج الإسلام في معظم بيوتات المسلمين اعتبر العمل داخل البيت من العوائق التي تحد أو تمنع بالكلية النشاط الدعوي .

ولذلك فإن على أمة الإسلام إعادة رسم خارطتها الفكرية والعلمية من جديد على الأسس الموجودة في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، وإحياء ما كان عليه سلف الأمة من النظام الكامل والشامل في الحياة ، وبعث الأمة من جديد وبث الوعي في كل قطاعاتها الاجتماعية رجالا ونساء ، ومحاولة نشر العلم في البيت

---

(١) سورة لقمان ، جزء من الآية ١٥ .

وخارجه ، والقضاء على الجهل بتعاليم الإسلام ، التي تهدي الناس إلى الصراط المستقيم .

وحينئذ تعرف المرأة المسلمة مسؤوليتها الدعوية الكاملة في البيت والمجتمع ، كما تستطيع تحديد مسؤوليتها في بيتها وأسرتها بدقة وفق وصية الرسول الكريم ﷺ في حديث المسؤولية الذي يتضمن قوله ﷺ : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم »[1] .

وأهم هذه المسؤوليات مسؤولية التربية الإسلامية والإيمانية والعقلية مما يدفع المرأة المسلمة إلى رسم خطة يومية لتوجيه من في البيت من الأهل والذرية ، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث : الحياء والخجل :

الحياء أصل الأخلاق الكريمة وأقوى باعث على فعل الخير وترك الشر ، ومبعث الحياء في الإنسان هو الإيمان بالله سبحانه ورسله الذين كانوا يتصفون بهذا الخلق الحميد فورثوه لأتباعهم . وإذا كان المسلمون على إرث واضح من جميع الأنبياء والمرسلين كما هو واضح في القرآن الكريم ، فإن من الواجب أن نتمسك بهذا الميراث العظيم الشأن ، وأن نتحلى به ونتخلق ليبقى إرث الأنبياء جميعا ظاهرا فينا .

والحياء نوعان :

أ ـ أحدهما فطري وثانيهما مكتسب ، يكتسبه العبد من معرفة الله وعظمته وقربه سبحانه من عباده واطلاعه عليهم ، والمسلم الذي يسعى في كسب وتحصيل هذا الحياء إنما يحقق في نفسه أعلى خصال الإيمان وأعلى درجات الإحسان[2] .

---

(١) سبق تخريج الحديث ، انظر ص١١٦ من هذه الرسالة .

(٢) انظر مصطفى البغا وزميله ، الوافي في شرح الأربعين النووية ، ص١٤٠ ، دار الإمام البخاري ، نشر وتوزيع مؤسسة علوم القرآن ، دمشق وبيروت سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، الطبعة الأولى .

ولقد وصف الرسول ﷺ الحياء بأنه جزء من الإيمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « الحياء شعبة من الإيمان »[1] . وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياء خير كله ، أو قال : الحياء كله خير »[2] ، وقد كان الرسول ﷺ : (أشد حياء من العذراء في خدرها)[3] .

وإذا خلت نفس الإنسان من الحياء ، وخلا قلبه من الحياء الفطري لم يبق ما يمنعه من ارتكاب القبيح والدنيء من الأفعال ، وأصبح كمن لا إيمان له من شياطين الإنس والجن[4] .

الحياء الممدوح والحياء المذموم :

إذا كان الحياء امتناع النفس عن القبائح والرذائل والنقائص فإنه خلق يمدح به الإنسان ، أما إذا أصبح الحياء زائدا عن حده المعقول ، ووصل بصاحبه إلى الاضطراب والتحير ، وانقبضت نفسه عن فعل ما لا ينبغي الاستحياء فيه فإنه خلق يذم في الإنسان لأنه حياء في غير موضعه ، بل يتحول هذا الحياء إلى خجل يحول دون تعلم العلم واكتساب الرزق . والخجل داء نفسي خطير ومرض ينبغي على الإنسان تداركه لأنه دليل ضعف في الإنسان وعجز وخور[5] .

والمرأة والرجل في ذلك سواء ، وإذا تعلق الحياء بأمر ديني ، يمنع الحياء من

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، ج١ ، ص٦٣ ، رقم الحديث ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص٦٤ ، رقم الحديث ٦١ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، ج١٠ ، ص٥١٣ ، رقم الحديث ٦١٠٢ .

(٤) الوافي في شرح الأربعين النووية : ص١٤١ .

(٥) انظر المرجع السابق ، ص١٤١ .

السؤال فيه أو عرضه في تعليم أو دعوة ، فإن مما ينبغي العمل به هو رفع الحرج ، ومدافعة هذا الحياء الذي يمنع من التحصيل العلمي أو الدعوة إلى الله سواء عند الرجال أو النساء .

وفيما يتعلق بالنساء فقد أثنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار فقالت : (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[1] .

وإذا شعرت المرأة المسلمة المعاصرة بالخجل عند مزاولة الدعوة مع بنات جنسها فهذه الظاهرة تبدو في الغالب أثناء مواجهة الجماهير في المرحلة الأولى ، وليس هذا الأمر مقتصرا على النساء فحسب ، بل ويوجد عند الرجال أيضا ، وهذا الخجل أمر طبيعي لا يلبث أن يزول مع التدريب والتمرين ، وإجراء التجارب وتكرار العمل حتى يصبح أمراً عاديا .

المطلب الرابع : صعوبة المواصلات :

إذا كانت المرأة المسلمة تعرف أن دينها يحرم عليها التبرج والسفور والاختلاط والخلوة مع الرجل الأجنبي ، كما أنه يحرم عليها السفر بدون محرم ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو : كيف تعمل المرأة الداعية في مجال الدعوة الذي يحتاج إلى الحركة والانتقال والاتصال بالأخوات لدراسة مشروع أو لإلقاء محاضرة أو درس أو ندوة أو اللقاء الفردي للدعوة .

وللإجابة عن هذا السؤال نقول ما يلي :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى وضع للرجل والمرأة أحكاماً فقهية لا يجوز لأي منهما أن يتجاوزها ، وقد رتب سبحانه على هذه الأحكام تكاليف معينة بناء على تلك الأحكام التي فرضها على عباده وهذه قضية معروفة لا نقف عندها .

٢ ـ أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب عباده على شيء لم يكلفهم به وما ليس في

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، ج١ ، ص٢٢٨ .

طاقتهم كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[1]

وعلى ذلك فما الذي يحرج المرأة الداعية في هذه القضية فتحمل نفسها ما لم تكلف به شرعاً وهي تعلم علم اليقين أن لها أوضاعاً خاصة تختلف فيها عن الرجل ، ولهذه الأوضاع أحكام خاصة في الشريعة تتفق مع الفطرة التي خلقت عليها المرأة لا ينبغي منها الخروج عليها .

٣ ـ عندما فرض الإسلام الحجاب في حق المرأة كلف الرجل بالقوامة عليها وإعطائها حقوقها كما قرر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[2] .

كما أن للمرأة حق المعاشرة بالمعروف تنفيذاً لأمر الله سبحانه : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾[3] .

وهذا الحق الذي لهن ومعاشرتهن بالمعروف وفق ما شرع الله يختلف من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى مكان ، فإذا غلب على طابع العصر والمكان أن تخرج المرأة لطلب العلم أو للتعليم أو التطبيب أو أي خدمة اجتماعية أو زيارة أو حضور حفل ، فإن من الحق الذي لهن ومعاشرتهن بالمعروف أن يؤمن لهن سبيل وصولهن إلى هذه الأماكن مع المحرم بعد إذن ولي المرأة .

٤ ـ إذا أذن ولي أمر المرأة من زوج أو أب أو أخ للمرأة بالخروج لأماكن طلب العلم أو العمل أو الدعوة فيلزم اتخاذ أحد الإجراءات التالية :

أ ـ أن يتولى ولي الأمر أو أحد المحارم إيصال المرأة .

ب ـ إذا تعذر الأمر الأول فبالإمكان الاستعانة بسائق مسلم ثقة مأمون ترافقه

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٢٨ .

(٣) سورة النساء ، جزء من الآية ١٩ .

زوجته أثناء خروج المرأة المسلمة داخل البلد .

ج ـ كما يجوز لامرأتين فأكثر استخدام السيارات العامة الصغيرة والحافلات الكبيرة بشرط أن يكون السائق مسلماً مأموناً[1] .

د ـ وإذا تعذر ذلك وجب على ولي الأمر في الدولة المسلمة تأمين وسائل المواصلات العامة الخاصة بنقل النساء .

هـ ـ كما أن على ولي الأمر تأمين وسائل النقل الجماعي التي يتوفر فيها فصل أماكن الرجال عن أماكن النساء .

٥ ـ هذا بالإضافة إلى وجود مجالات الدعوة داخل البيت كقيامها على تربية الأولاد ، ودعوة الزائرات ، والدعوة عن طريق الهاتف ، والكتابة في مواضيع الدعوة الكثيرة .

---

(١) يجب التنبيه إلى أنه لا يجوز في هذه الحالة جلوس المرأة بجوار السائق ، تجنباً لأسباب الفتنة .



الباب الرابع

كيفية ممارسة المرأة المسلمة للدعوة

ويشمل الفصول التالية :



الفصل الأول

الأحكام العامة عن حجاب المرأة المسلمة

المبحث الأول : حجاب الوجه والكفين

المبحث الثاني : الاختلاط

المبحث الثالث : خلوة الرجل بالمرأة

المبحث الرابع : مصافحة غير المحارم

المبحث الخامس : زينة الصوت

المبحث السادس : عمل المرأة الداعية في وسائل الإعلام



الفصل الأول
أحكام عامة عن حجاب المرأة المسلمة

المبحث الأول : حجاب الوجه والكفين

المطلب الأول : القائلون بالوجوب :

إن الناظر في الآيات الكريمة التي نزلت بشأن الحجاب يجد أنها تعالج قضية مهمة يعود نفعها على المجتمع الإسلامي كله ، ذلك أنها تبرز أهمية الحياء في حياة الرجل والمرأة ، وتدعوهما إلى العفاف والحشمة والوقار ، وكل ذلك من مكارم الأخلاق .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى كلا من الرجل والمرأة بأوامر تتوافق مع ما منح كلا منهما من قدرات .

وإن مما تقتضيه النصوص الشرعية في الكتاب والسنة وما كانت عليه أمهات المؤمنين وبقية نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، هو حجاب المرأة المسلمة لبدنها كله عن الرجال الأجانب بما في ذلك الوجه والكفان ، للأدلة التالية :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

الدليل الأول قوله تعالى :

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

﴿لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[1] الآية .

فالله سبحانه وتعالى قد نهى المؤمنات عن إبداء زينتهن . والوجه عنوان الزينة وملاكها ، ولقد قال بذلك جمع من المفسرين أمثال عبد الله بن مسعود ، والحسن بن علي ، وابن سيرين ، وأبو الجوزاء ، وإبراهيم النخعي[2] رضي الله عنهم أجمعين .

الدليل الثاني قوله تعالى :

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3] .

ومعلوم أن المقصود بالثياب هنا هي الجلباب أو الرداء الذي هو بمنزلة العباءة التي تغطي كل جسم المرأة من فوق رأسها إلى أسفل قدمها ، وقد قال بذلك أبن مسعود وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي[4] .

وهذا الترخيص للقواعد من النساء بوضع الرداء دليل على أن الأصل وجوب بقائه لغيرهن من النساء الشواب إذا أردن الخروج لحوائجهن .

الدليل الثالث قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ

(١) سورة النور ، جزء من الآية ٣١ .

(٢) انظر تفسير الطبري ، المجلد ٨ ، ج١٨ ، ص٩٢ ، ٩٣ ، دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، وتفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص٤٧ .

(٣) سورة النور ، الآية ٦٠ .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري ، المجلد ٨ ، ج١٨ ، ص١٢٦ ، ١٢٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص٩١ .

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] .

فإشراك نساء المؤمنين مع أزواج النبي ﷺ بالأمر بإدناء الجلباب يستلزم وجوب ستر الوجه لنساء المؤمنين كافة ، إذ لا نزاع بين المسلمين في وجوب احتجاب أزواج النبي ﷺ وستر وجوههن[2] .

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية :

(أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة ، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ، ويبدين عينا واحدة)[3] وهو صحيح .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٩ .

(٢) انظر أضواء البيان ج٦ ، ص٥٨٦ .

(٣) تفسير الطبري ، المجلد ١١ ، ج٢٢ ، ص٣٣ ، نشر دار الفكر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، وتفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص٤٧١ .

وهذا الأثر من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمعاوية بن أبي صالح الحمصي قاضي الأندلس وعبد الله بن صالح المصري كاتب الليث بن سعد .

وقد ضعف هذا الطريق يعقوب بن أبي سفيان بسبب ابن أبي طلحة .

انظر تهذيب التهذيب ج٧ ، ص٣٣٩ ، ٣٤٠ .

كما ضعفه النسائي بسبب عبد الله بن صالح . كما ضعفه صالح جزرة وابن المديني .

انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٤١ .

كما ضعفه من المعاصرين الشيخ الألباني ، انظر حجاب المرأة المسلمة من الكتاب والسنة ص٤١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، الطبعة الثامنة .

أما الذين وثقوا هذا الطريق وأثنوا عليه واعتمدوا عليه فمنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي أثنى على صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير واعتمد عليها البخاري في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس ، وقد رواها البخاري عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، كما اعتمد عليها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر ، كما وثقها ابن حجر .

انظر الإمام السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص١٨٨ ، وانظر البخاري ، التاريخ الكبير ٤/١/٣٣٥ ، نشر جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٠هـ الطبعة =

وقد وافق ابن عباس في تفسيره محمد بن سيرين وابن عون وعبيدة السلماني فعن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة عن قوله : (يدنين عليهن من جلابيبهن) فعند أبن جرير قال : فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه ، وأما عند ابن كثير : فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى)[1] .

الدليل الرابع قوله تعالى :

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (لما أمر الله النساء بالحجاب عن الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب عنهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾)[3] .

فهذه أربعة أدلة من القرآن الكريم تفيد وجوب احتجاب المرأة عن الرجال

= الأولى ، وابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص٢٠٩ - ٢١٢ ، ج٥ ص٢٥٩ وميزان الاعتدال ج٤ ص١٣٥ ، وتفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ج١ ص١٧٧ .

وانظر محمد بن صالح بن عبد القادر : المفسر عبد الله بن عباس ، وتحقيق المروي عنه ، من الفاتحة والبقرة وآل عمران ج١ في الصفحات ٩١ - ١٠١ ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٠/١٤٠١هـ .

وأنظر صالح بن محمد الجهني ، تحقيق وتخريج المروي عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى ص٣٩ - ٤٦ ، ص ٢٤١ ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٦هـ/١٤٠٧هـ .

(١) تفسير الطبري ، مجلد ٨ ، ج٢٢ ، ص٣٣ ، وتفسير ابن كثير ج٦ ص٤٧١ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ح ٦ ، ص ٤٤٦ .

الأجانب[1] .

ثانياً : الأدلة من السنة :

الدليل الأول :

ما روته أم المؤمنين حفصة رضي ألله عنها عن امرأة سألت النبي ﷺ : (أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ - أي إلى مصلى العيد - فقال ﷺ : « لتلبسها صاحبتها من جلبابها ولتشهد الخير ودعوة المسلمين »[2] .

ويبدو من الحديث : أن المعتاد عند النساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب ، وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج[3] ، كما أن الرسول ﷺ أجاب المرأة بقوله : « لتلبسها صاحبتها من جلبابها » مما دل على وجوب الحجاب الكامل للمرأة إذا خرجت ولو للعبادة ، وقد مر بيان كيفية لبس الجلباب قريباً .

الدليل الثاني :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد)[4] .

فقول عائشة رضي الله عنها (ما يعرفهن أحد) دليل واضح على أن النساء

---

(١) انظر الشيخ محمد الصالح العثيمين ، رسالة الحجاب ، ص ١٣ ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحيض ، باب شهود الحائض العيدين ، ج١ ، ص٤٢٣ ، رقم الحديث ٣٢٤ .

(٣) الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، رسالة الحجاب في الكتاب والسنة ، ص١٥ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب في كم تصلي المرأة في الثياب ، ح ١ ، ص٤٨٢ ، رقم الحديث ٣٧٢ .

يخرجن للصلاة في الظلام متحجبات بالمروط[1] حجاباً كاملاً بحيث لا يعرفن بعضهن ، ومن المعلوم أن التعارف لا يكون إلا عن طريق الوجه وهو أبرز شيء في الإنسان ، ويضاف إلى ذلك كونهن يرتدين الحجاب في الليل ، فلا بد أن يكن في النهار أكثر احتياطاً بالحجاب .

الدليل الثالث :

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، قالت : (سئل رسول الله ﷺ كم تجر المرأة من ذيلها ؟ قال : « شبراً » ، قلت : إذا ينكشف عنها ، قال : « ذراع لا تزيد عليه »[2] .

وهذا يدل على أن قدم المرأة عورة لا يجوز كشفه ، فإذا كانت هذه حال القدم فإن حال الوجه من باب أولى ، فهو أحق بالستر لأنه عنوان الفتنة ، والتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه .

الدليل الرابع :

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها قالت : (كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام)[3] .

ولهذا الحديث شاهد من رواية عائشة رضي الله عنها قالت : (كان الركبان[4] يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها

---

(١) المرط : يعني الكساء المصنوع من خز أو كتان ، انظر لسان العرب المحيط مادة مرط .

(٢) الشيخ الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب اللباس ، باب ذيل المرأة كم يكون ؟ ، ح ٢ ، ص٢٧٩ ، رقم الحديث ٢٨٨١ ، والذيل يعني أسفل الثوب .

(٣) مستدرك الإمام الحاكم ، كتاب المناسك ، تغطية الوجه للمحرمة ، ج١ ، ص٤٥٤ ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) الركبان : جمع راكب .

من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه)[1] .

الدليل الخامس :

ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها في قصة حديث الإفك أنها حجبت وجهها عندما رأت صفوان بن المعطل السلمي الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه ، وفي ذلك تقول عائشة : (فخمرت وجهي بجلبابي)[2] .

والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة لا يمكن حصرها هنا ، وإنما الهدف هو بيان الحكم الشرعي في حجاب وجه المرأة الذي أراد الإسلام بها صيانة زينة المرأة عن نظر الرجال الأجانب ، ومن المعلوم أن الوجه مجمع المحاسن ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

(وحقيقة الأمر : أن الله جعل الزينة زينتين : زينة ظاهرة ، وزينة غير ظاهرة ، وجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوي المحارم)[3] والمقصود بالزينة الظاهرة هي الثياب التي تغطي جسم المرأة كاملاً كما سبق تفسير ذلك عن ابن مسعود وغيره رحمهم الله .

ويقول الإمام ابن القيم في العورة : (العورة عورتان ، عورة في النظر وعورة في الصلاة ، فالحرة لها أن تصلي مكشوفة الوجه والكفين وليس لها أن تخرج في

---

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الحج ، باب في المحرمة تغطي وجهها ، ج٢ ، ص٤١٦ . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٦ ، ص٣٠ ، وهو شاهد لحديث عائشة رضي الله عنها ، في مستدرك الحاكم قال الإمام الخطابي : (قلت قد ثبت عن النبي ﷺ أنه نهى المحرمة عن النقاب فأما سدل الثوب على وجهها من رأسها فقد رخص فيه غير واحد من الفقهاء) وممن قال بالترخيص، عطاء ومالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب (لو لا إذ سمعتموه قلتم . . .) ، ح ٨ ، ص٤٥٢ ، رقم الحديث ٤٧٥٠ .

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ح ٢٢ ، ص١١٠ ، نشر المؤلف سنة ١٣٨٢هـ ، الطبعة الأولى .

الأسواق ومجامع الناس كذلك)[1] ، وقد قال بهذا القول كثير من علمائنا المعاصرين منهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[2] وسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[3] وفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري[4] وغيرهم من علماء الإسلام .

المطلب الثاني : القائلون بعدم الوجوب :

وبعد أن عرضنا رأي القائلين بوجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال الأجانب نعرض رأي القائلين بعدم الوجوب بعرض أدلتهم ومناقشتها إن شاء الله تعالى .

أولاً : الأدلة من الكتاب والسنة :

أما الأدلة فهي ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[5] .

حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما : (هي وجهها وكفاها والخاتم ، وفي رواية الكحل والمسكة والخدان . قال الأعمش عن سعيد بن جبير وتفسير الصحابي حجة[6] .

الدليل الثاني : ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء

---

(1) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ح ٢ ، ص٦١ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٧هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(2) انظر رسالته الصغيرة بعنوان (التبرج والسفور) ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، سنة١٤٠٧هـ .

(3) انظر رسالته الصغيرة بعنوان (رسالة الحجاب) .

(4) انظر الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت وحلب بدون سنة الطبع .

(5) سورة النور ، جزء من الآية ٣١ .

(6) رسالة الحجاب ، ص ٢٦ .

بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه »[1] .

الدليل الثالث : ما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر) . ففي هذا دليل على أن المرأة كاشفة وجهها[2] .

الدليل الرابع : ما رواه البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صلاة النبي ﷺ بالناس صلاة العيد : (ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : « تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة[3] النساء سفعاء[4] الخدين . . .)[5] ففهم من هذا الحديث أن هذه المرأة كانت مكشوفة الوجه .

ثانياً : مناقشة أدلتهم :

وبعد عرض هذه الأدلة التي اعتمد عليها المجيزون لكشف الوجه نقوم بمناقشتها عموماً ثم نناقش كل دليل منها على حدة .

---

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب اللباس ، باب فيما تبدي المرأة من زينتها ، ج٤ ، ص٣٥٧ ، رقم الحديث ٤١٠٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الحج ، باب وجوب الحج وفضله ، ج٣ ، ص٣٧٨ ، رقم الحديث ١٥١٣ .

(٣) سطة النساء : أشرافهن وقد تفيد معنى وسط التجمع النسائي ، انظر لسان العرب المحيط مادة وسط .

(٤) سفعاء الخدين : سواد مشرب بحمرة ، انظر لسان العرب المحيط مادة سفع .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، ج٢ ، ص٦٠٣ ، رقم الحديث ٤ .

فأما من حيث المناقشة العامة فيمكن القول بأن أدلة وجوب ستر الوجه ناقلة عن الأصل وهو بقاء الشيء على ما كان عليه من قبل وهو الكشف . وأما أدلة جواز الكشف فمبقية على الأصل ، والناقل عن الأصل مقدم كما هو معروف عند الأصوليين[٥] .

فإذا وجد الدليل الناقل عن الأصل دل ذلك على طروء الحكم على الأصل وتغييره له ، والناقل معه زيادة علم وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي . والمثبت مقدم على النافي[١] .

وأما من حيث مناقشة كل دليل على حدة فهو كما يلي :

أولاً : فيما يتعلق بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما فيمكن مناقشته فيما يلي :

١ ـ ان صحت رواية[٢] الاستثناء (بالوجه والكفين) فيحتمل أن يكون مراد ابن عباس أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب[٣] كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

---

(١) انظر محفوظ بن أحمد الكولذاني الحنبلي ، التمهيد في أصول الفقه ، دراسة وتحقيق دكتور محمد بن علي بن إبراهيم ، ج٤ ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ ، نشر جامعة أم القرى سنة١٤٠٦هـ/١٩٨٥م الطبعة الأولى .

(٢) انظر عبد اللطيف البرزنجي ، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية ، ج٢ ، ص٤٢٣ ـ ٤٢٥ ، نشر وزارة الأوقاف العراقية بغداد سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٢م ، الطبعة الأولى ، وانظر رسالة الحجاب ، ص٢٨ .

(٣) انظر سعود بن عبد العزيز الحمد ، تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العتكبوت ج٢ ص٤١١ وما بعدها ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد بين ضعف روايات استثناء الكحل والخاتم ، والكحل والخدان ، والخاتم والمسكة ، والله أعلم .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٢٢ ، ص١١٠ .

٢ ـ ويحتمل كما قال ابن كثير أن مراد ابن عباس في قوله (وجهها وكفيها والخاتم[١] عائد إلى الزينة التي نهي النساء عن إبدائها كما قال أبو اسحاق السبيعي بسنده إلى ابن عباس : الزينة بالقرط والدملج[٢] والخلخال والقلادة[٣] ، والمقصود مواضع هذه الزينة لأنه لا تحرم رؤية أدوات الزينة خارجاً عن مواضعها .

ويؤيد ما ذكرنا تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ﴾ حيث قال : (أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة)[٤] .

وفي رواية عن أبي إسحاق السبيعي أيضاً أنه قال : (الزينة زينتان ، فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار ، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب)[٥] .

٣ ـ أن ابن عباس لا يكون حجة يجب قبولها إلا إذا لم يعارضه صحابي آخر ؛ فإن عارضه صحابي آخر أخذ بما ترجحه الأدلة الأخرى[٦] .

وإذا نظرنا إلى تفسير ابن مسعود رضي الله تعالى عنه نجد أنه فسر قول الله تعالى : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ بالرداء والثياب وما لا بد من ظهوره فلزم طلب الترجيح والعمل بما كان راجحاً في تفسيريهما[٧] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٦ ، ص٤٧ .

(٢) الدملج : المعضد من الحلي .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٦ ، ص ٤٧ .

(٤) انظر ص ٣٩٩ من الرسالة .

(٥) تفسير ابن كثير ج٦ ، ص٤٧ .

(٦) رسالة الحجاب ص ٢٩ .

(٧) انظر رسالة الحجاب ص ٢٩ .

ثانيا : فيما يتعلق بحديث عائشة فإنه ضعيف بسبب الانقطاع بين عائشة وخالد بن دريك ، فهو لم يدرك عائشة كما ذكر ذلك أبو داود نفسه[1] .

كما أن في إسناده سعيد بن بشير البصري ، ضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وتركه ابن مهدي[2] .

ثالثاً : أما فيما يتعلق بحديث المرأة الخثعمية فلا دليل فيه على جواز النظر إلى الأجنبية لعدة أمور نذكر منها ما يلي :

١ ـ أن الرسول ﷺ لم يقر الفضل على النظر إلى المرأة ، بل صرف وجهه إلى الشق الآخر[3] .

٢ ـ على تقدير أن الفضل قد رأى وجه الخثعمية ، فيحتمل أنه انكشف بغير قصد منها فرآه الفضل وحده .

٣ ـ لم ينفرد الفضل برواية قصته مع الخثعمية ، ومع[4] ذلك فالذين شاهدوا قصة الفضل والخثعمية لم يذكروا حسن المرأة ووضاءتها ، ولم يذكروا أنها كاشفة عن وجهها ، ومن الذين رووا هذه القصة علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله عند أحمد والترمذي ومسلم وأبي داود .

٤ ـ أن رواية عبد الله بن عباس للقصة توهم بأنه شاهدها وليس كذلك لأنه كان مع من قدمهم رسول الله ﷺ من الضعفة بليل[5] كما ثبت ذلك عنه في

---

(١) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب اللباس ، باب فيما تبدي المرأة من زينتها ، ج٤ ، ص٣٥٨ .

(٢) انظر رسالة الحجاب ص٣٠ ، وانظر الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، ص ١١٤ .

(٣) انظر رسالة الحجاب ، ص ٣٠ .

(٤) انظر الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ص ١٢٣ .

(٥) انظر صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحج ، باب من قدم ضعفة أهله بليل ، ج٣ ، ص٥٢٦ رقم الحديث ١٦٧٧ .

الصحيحين .

وروايته للقصة إنما كانت من طريق أخيه الفضل بن عباس رضي الله عنهما[1] .

٥ ـ مع افتراض أن المرأة كانت سافرت الوجه فلهذه المسألة احتمالان :

أحدهما : (أنها كانت محرمة)[2]

الثاني : أن رسول الله ﷺ نهاها بعد ذلك ولم ينقل نهيه لها ، فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر إذ عدم النقل ليس نقلاً للعدم)[3] .

رابعاً : وأما ما يتعلق بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه فليس فيه دليل على جواز السفور لعدة أمور :

١ ـ ليس في الحديث ما يثبت أن الرسول ﷺ رأى المرأة سافرة وأقرها على ذلك ، وعلى تقدير أنه رآها وأقرها على السفور فذلك محمول على إحدى حالتين : إما أن يكون ذلك قبل الأمر بالحجاب في سورة الأحزاب ، وإما أن تكون تلك المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً .

٢ ـ انفراد جابر رضي الله عنه برؤية وجه المرأة لا يدل على سفورها المقصود ، بل قد يعود إلى انحسار جلبابها عن وجهها عن غير قصد منها ، فرآه جابر وأخبر عن صفته .

ومن ادعى أن النبي ﷺ رآها كما رآها جابر وأقرها فعليه الدليل[4] .

٣ ـ لم ينفرد جابر رضي الله عنه برواية خطبة النبي ﷺ هذه وموعظته للنساء ، بل شاركه في روايتها ابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم

---

(١) انظر الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، ص ١٢٣ .

(٢) رسالة الحجاب ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٤) الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، ص ١١٨ .

أجمعين . ومع ذلك لم يذكر واحد منهم ما ذكره جابر من سفور المرأة وصفة خديها[1] . وهذا يقوي القول بانفراد جابر برؤية تلك المرأة .

وإن من باب إحقاق الحق والاعتراف لأهله به ، فإننا نبين أن هؤلاء العلماء الذين يرون جواز كشف المرأة وجهها للأجانب لا يقولون به مطلقاً ، بل اشترطوا شروطاً معينة منها :

١ ـ أن لا يكون الوجه مثيراً للفتنة .

٢ ـ أن لا تضع المرأة على وجهها الأصباغ المزينة للوجه وكذلك الحلي ، فإن كان شيء من ذلك حرم الكشف .

وفيما يلي نعرض أقوال بعض العلماء في هذه المسألة :

يقول صاحب الدر المختار من الحنفية : (وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال ، لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة ولا يجوز النظر إليه بشهوة)[2] .

ويقول العلامة أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، من المالكية : (وعورة الحرة مع رجل أجنبي غير الوجه والكفين ، وأما هما فليسا بعورة ، وإن وجب عليها سترهما لخوف فتنة)[3] .

وينقل الإمام القرطبي عن ابن خويز منداد من أئمة المالكية قوله : (إن المرأة

---

(١) انظر روايتي ابن عباس وابن عمر في صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، ج٢ ص ٦٠٢ ، الحديثين رقم ١ ، ٢ .

وانظر رواية أبي سعيد في صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب ، ج٣ ، ص٣٢٥ رقم الحديث ١٤٦٢ .

(٢) محمد أمين الشهير بابن عابدين ، حاشية رد المختار على الدر المختار ، ج٥ ، ص٢٤٤ ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر المحمية سنة ١٣٢٦هـ الطبعة الثالثة .

(٣) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ، ج١ ، ص٢٨٩ ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م .

إذا كانت جميلة وخيف من كشف وجهها وكفيها الفتنة ، فعليها ستر ذلك)[1] .

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني وهو من العلماء المعاصرين الذين لا يرون وجوب ستر الوجه : (لكن ينبغي تقييد هذا إذا لم يكن على الوجه وكذا الكفين شيء من الزينة لعموم قوله تعالى : (ولا يبدين زينتهن) ، وإلا وجب ستر ذلك لا سيما في هذا العصر الذي تفنن فيه النساء بتزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينة والأصبغة مما لا يشك مسلم بل عاقل ذو غيرة في تحريمه)[2] .

ومن ذلك نصل إلى الجمع بين آراء الفقهاء في وجوب ستر المرأة وجهها عند خوف الفتنة ، وإذا كان الأمر كذلك (فمن يستطيع أن يضمن عدم وجود فتنة من كشف وجه المرأة ، والوجه هو مظهر الجمال ويكفي الوجه وحده لإثارة الشهوات والفتن)[3] .

وأخيراً نقول بأن التساهل في أمر الحجاب جر على المسلمين مشاكل كثيرة ؛ فلم تعد معظم المسلمات مقتصرات على كشف الوجه فقط ، بل تعدى ذلك إلى كشف الشعور ، فالأقراط ، فالنحر ، فالصدر ، ثم الأقدام ، حتى رفعت المرأة الثوب إلى ما فوق الركبة .

وأول ما تقع فيه كاشفة الوجه بعد استقرار هذا الأمر عندها هو أنها تحتاج إلى تجميل وجهها بما يدعو إلى الفتنة .

ثم يزول الحياء تدريجياً عن المرأة فيؤدي ذلك إلى نقص إيمانها وخروجها عن الفطرة التي خلقت عليها[4] .

---

(١) تفسير القرطبي ، ج ١٢ ، ص ٢٢٩ ، نشر دار الكتاب العربي ، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ .

(٢) ناصر الدين الألباني ، حجاب المرأة المسلمة ، ص٤٢ ، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م الطبعة الثامنة .

(٣) د / فضل الهى ، التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ، ص٢٨٢ ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ومكتبة أسامة ، الرياض ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى .

(٤) انظر : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، رسالة الحجاب ، ص٢١ .

ثم تتساهل في الاختلاط بالرجال والحديث معهم ، فالرجل إذا رأى المرأة كاشفة سهل عليه الكلام معها كما هو مشاهد معلوم ، مما سهل على المرأة المسلمة الإقدام على مشاركة الرجل في ميدان العمل ومزاحمته في وظائفه التي لا تصلح إلا به ولا يصلح إلا لها فأصبح عاطلاً عن العمل ، من جهة ، محتاجاً إلى من يقوم برعاية منزله ورعاية أولاده بعد أن خرجت زوجته للعمل ، من جهة أخرى .

ولقد تنبهت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى خطر تساهل المرأة في خروجها فقالت : (لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل)[1] .

فإذا كان هذا التحذير في زمن القرون الأولى المفضلة فما الظن بزماننا هذا ؟ .

هذا وإن على ولي الأمر مسؤولية منع النساء من التبرج والسفور ، وإجبارهن على ذلك ، ومنعهن من حديث مع الرجال في الطرقات ، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (ويجب على (ولي الأمر) منع النساء من الخروج متزينات ، متجملات ، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات كالثياب الواسعة[2] والرقاق ، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ، ومنع الرجال من ذلك . وإنْ رَأَىٰ ولي الأمر أن يفسد على المرأة إذا تجملت وتزينت وخرجت ـ ثيابها بحبر ونحوه ـ ، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب ، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية ، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها ، ولا سيما إذا خرجت متجملة ، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية ، والله سائل ولي الأمر عن ذلك)[3] .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم ، ج٢ ، ص٣٤٩ ، رقم الحديث ٨٦٩ .

(٢) المقصود بالواسعة : الثياب التي تكشف بعض أجزاء جسم المرأة لفرط سعتها ، مثل انكشاف الذراعين إذا كانت الأكمام واسعة .

(٣) الإمام ابن القيم ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص٢٨٠ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة سنة ١٣٧٢هـ ، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي .

المبحث الثاني : الاختـــلاط

إن مما يجب على الرجال والنساء مراعاته تجنب الاختلاط بينهم ، فقد جاء في سنة المصطفى ﷺ ما يدل على تحريمه ، ومن ذلك ما أرشد إليه النبي ﷺ في بيان خير الصفوف وشرها في الصلاة مما يدعو إلى بذل الجهد في ابتعاد أحد الجنسين عن الآخر .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها »[1] .

وكان ﷺ يحرص على عدم اختلاط الرجال بالنساء في الطريق من المسجد إلى البيت ، لذلك نراه ﷺ إذا صلى بالناس ثبت في مكان صلاته ومن معه من الرجال حتى ينصرف النساء إلى منازلهن .

فعن هند بنت الحارث أن أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ، ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم) ، قال الإمام الزهري رحمه الله ـ نرى والله أعلم ـ أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال)[2] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها ، ج١ ، ص٣٢٦ ، رقم الحديث ٤٤٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب صلاة النساء خلف الرجال ، ج٢ ، ص٣٥٠ ، رقم الحديث ٨٧٠ .

ويقول الإمام ابن قدامه : (إذا كان مع الإمام رجال ونساء ، فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يرى أنهن قد انصرفن ، ويقمن هن عقب تسليمه ، ثم يقول ابن قدامة بعد إيراد الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ : (لأن الإخلال بذلك من أحدهما ، يفضي إلى اختلاط الرجال بالنساء)[1] .

ومما يؤكد حرصه ﷺ على اتخاذ الوسائل لمنع الاختلاط أنه خصص في مسجده باباً للنساء للدخول إلى المسجد والخروج منه ، فقد ترجم الإمام أبو داود في سننه باباً بقوله : (باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال) ثم ذكر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تركنا هذا الباب للنساء »[2] .

قال نافع تلميذ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات) .

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ح ١ ، ص ٥٦٠ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٢) سنن أبي داود المطبوعة مع بذل المجهود ، باب في اعتزال النساء المساجد ج٣ ، ص٣٠٣ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

واختلف في رفع سند هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ أو وقفه على عمر رضي الله عنه ، فرجح أبو داود رحمه الله رواية الوقف على عمر بدليل ما أورد بعد ذلك من رواية أيوب عن نافع قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر بمعناه ، فقال أبو داود عن هذه الرواية : (وهو أصح) .

لكن الشيخ خليل أحمد السهارنفوري صاحب بذل المجهود في حل أبي داود رجح الرفع إلى رسول الله ﷺ حيث قال : إن رواية الرفع فيها عبد الله بن عمر وعبد الوارث وكلاهما ثقتان ثبتان، ثم قال عن هذا الحديث : يمكن أن يكون مرفوعاً قاله رسول الله ﷺ ثم قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك لما رأى من المصلحة فيه . (بذل المجهود في حل أبي داود ، ج٣ ، ص٣٠٤) .

وقد ذكر الشيخ الألباني الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ وقال عنه : صحيح ، صحيح الجامع الصغير ، ج٥ ، ص٦١ ، رقم الحديث ٥١٣٤ .

ولم يقتصر منع الاختلاط بين الرجال والنساء على الجمع الكثير فحسب ، بل تناول ذلك المرأة الواحدة إذا صلت مع الرجال .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : صلى النبي ﷺ في بيت أم سليم ، فقمت ويتيم خلفه ، وأم سليم خلفنا[1] .

ولقد حرصت النساء في صدر الإسلام على عدم مزاحمة الرجال أو الاختلاط بهم حتى في المطاف .

فعن ابن جريج قال : أخبرني عطاء : إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال ، قال كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال ؟ قلت : أبعد الحجاب أو قبل ؟ قال : أي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب ، قلت : كيف يخالطن الرجال ؟ قال : لم يكن يخالطن ، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة[2] من الرجال لا تخالطهم[3] .

وإن مما يلزم معرفته أن الأوامر والنواهي في الشريعة الإسلامية ليست اختيارية يطبقها الناس حيث شاؤوا أو يتركونها متى شاؤوا ، ومن ذلك النهي عن الاختلاط فليس للرجال الحرية في الاختلاط بالنساء ، وليس للنساء الحرية في الاختلاط بالرجال ، بل لا بد من الامتثال لأمر الله سبحانه وأمر رسوله ﷺ ، وإلا فسيعرضون أنفسهم للعقوبة الربانية بارتكاب هذه المعصية .

كما أن على ولي الأمر أن يمنع من الاختلاط كما فعل الرسول المصطفى الكريم ـ أفضل ولاة الأمور على الإطلاق ـ حينما منع النساء من الاختلاط بالرجال أثناء

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب صلاة النساء خلف الرجال ، ج٢ ، ص٣٥١ ، رقم الحديث ٨٧١ ، وانظر كذلك نفس المصدر ، ص٣٤٥ ، رقم الحديث ٨٦٠ .

(٢) حجرة : بفتح الحاء وسكون الجيم ، أي ناحية ، وهو مأخوذ من قولهم نزل فلان حجرة من الناس أي معتزلا ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة حجر .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، ج٣ ، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

السير في الطريق العامة .

فعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء في الطريق ، يقول : « استأخرن ، فإنه ليس لكن أن تحققن[1] الطريق ، عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليلصق بالجدار من لصوقها به[2] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (إن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرح ومجامع الرجال) ، قال مالك رحمه الله : (أرى للإمام أن يتقدم إلى الصناع في قعود النساء إليهم ، وأرى أن لا يترك المرأة الشابة تجلس إلى الصناع ، والإمام مسؤول[3] عن ذلك والفتنة به عظيمة وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال ، والاختلاط بهم في الطريق)[4] . وعدم تنفيذ ولي الأمر لذلك لا يعفي الأفراد من الالتزام بالحكم الشرعي .

والسبب الموجب لاتخاذ هذه الإجراءات وهذه التدابير الوقائية من الاختلاط هو الحيلولة لمنع وقوع الزنا عياذا بالله ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة ،

---

(١) تحققن الطريق أي تتوسطنه ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة حقق .

(٢) سنن أبي داود مع عون المعبود ، كتاب الأدب ، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق ، ج١٤ ، ص١٩٠ ، رقم الحديث ٥٢٥٠ ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، شرح العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي ، وقال عن الحديث سكت عنه المنذري ، وقال عنه الألباني : حسن ، صحيح الجامع ، ج١ ، ص٣١٧ ، رقم الحديث ٩٤٢ .

(٣) صحتها : مسؤول .

(٤) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص٢٨٠ بتصرف .

واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة ، ولما اختلط البغايا بعسكر موسى وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون فمات منهم في يوم واحد سبعون ألفاً)[1] .

ولم تقتصر تعاليم الإسلام على منع المرأة من الاختلاط بالرجال فحسب ، بل حرم عليها التطيب إن خرجت من بيتها خشية أن تفتن الرجال برائحتها ، ولو كان خروجها للصلاة ، فعن زينب امرأة عبد الله قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا »[2] .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة »[3] ، وإن أصرت على التطيب فلولي الأمر منعها من الذهاب إلى المسجد ، يقول الإمام ابن القيم عن مسؤولية ولي الأمر : (ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة في المسجد)[4] .

كما يجب عليها أن لا تظهر زينتها لا بصوتها ولا بصوت قدمها لقوله سبحانه : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[5] وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[6] .

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٨١ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ، ج١ ، ص٣٢٨ رقم الحديث ١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٤٣ .

(٤) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص٢٨١ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٣٢ .

(٦) سورة النور ، جزء من الآية ٣١ .

المبحث الثالث : الخلوة بين الرجل والمرأة

حرم الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ دخول الرجل على امرأة ليس معها ذو محرم ، أو أن تدخل امرأة على رجل ليس لها بمحرم .

فعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول ﷺ قال : « إياكم والدخول على النساء »[1] فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو ؟ قال : « الحمو[2] الموت »[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يخطب يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم »[4] .

---

(١) قوله ﷺ : « إياكم والدخول على النساء » يقول الحافظ بن حجر في شرح الحديث : تقدير الكلام اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء ، والنساء أن لا يدخلن عليكم ، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بطريق الأولى ، فتح الباري ، ح ٩ ، ص٣٣١ .

(٢) الحمو الموت ، يقول الإمام النووي رحمه الله : معناه أن الخوف منه أكثر من غيره ، والشر يتوقع منه ، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة ، والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي ، والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ، ولا يوصفون بالموت . (شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٤ ، ص١٥٤) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، ج٩ ، ص٣٣٠ ، رقم الحديث ٥٢٣٢ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج أو غيره ، ج٢ ص٩٧٨ ، رقم الحديث ١٣٤١ .

وسبب هذا النهي الشديد ، ما يتوقع من وسوسة الشيطان لهما بفعل الفاحشة ، ففي مناسبات كثيرة علل الرسول ﷺ هذا المنع بكون الشيطان ثالثهما ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان »[1] .

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له ، فإن ثالثهما الشيطان »[2] .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : (وعلة التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما ، وحضوره يوقعهما في المعصية)[3] .

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران وهو يوصيه : (لا تخلون بامرأة وإن قلت أعلمها القرآن)[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وتحرم الخلوة بغير محرم ولو بحيوان يشتهي المرأة أو تشتهيه كالقرد)[5] .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج٣ ، ص٣٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٤٤٦ .

وقد أورد هذا الحديث والذي قبله ، الإمام الشوكاني في كتابه نيل الأوطار وعزاهما إلى مسند الإمام أحمد ثم قال : (حديث جابر وعامر يشهد لهما حديث ابن عباس المتفق عليه في باب النهي عن سفر المرأة للحج بدون محرم) : نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، ج٦ ، ص١٢٧ ، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، وانظر موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمي ، كتاب المناقب ، باب فضل أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم ، ص٥٦٨ ، رقم الحديث ٢٢٨٢ ، نشر دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، تحقيق الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة .

(٣) نيل الأوطار ، ح ٦ ، ص١٢٧ .

(٤) الشيخ محمد صالح الفرفور ، النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة ، ص٥٠ ، طبع دار الإمام أبي حنيفة ، دمشق سنة ١٣٩٨هـ ، الطبعة الثانية .

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية ، الاختيارات الفقهية ، ص٢٠١ ، طبع مكتبة الرياض الحديثة .

المبحث الرابع : مصافحة غير المحارم

لقد ثبت عن المصطفى ﷺ في قوله وفعله أنه حرم المصافحة بين غير المحارم ، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها أخبرته : (أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بقول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ، إلى قوله : ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ، قال عروة : قالت عائشة : (فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول الله ﷺ : « قد بايعتك » ، كلاماً ، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك »[2] .

وعنها رضي الله عنها قالت : (كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية : ﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قالت : وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها)[3] .

يقول الحافظ بن حجر في معنى قول رسول الله ﷺ للمرأة : « قد بايعتك » كلاماً أي يقول ذلك كلاماً فقط لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال

---

(١) سورة الممتحنة ، جزء من الآية رقم ١٢ .

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير باب : (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) ج٨ ، ص٦٣٦ ، رقم الحديث ٤٨٩١ .

(٣) المصدر السابق ، كتاب الأحكام ، باب بيعة النساء ، ج١٣ ، ص٢٠٣ ، رقم الحديث ٧٢١٤ .

عند المبايعة[1] .

وقال الشيخ محمد السفاريني : (وفي الحديث إشارة إلى مجانبة النساء الأجانب وعدم النظر إليهن ومجانبة مسهن)[2] .

وإذا كان هذا في حق رسول الله ﷺ ـ وهو المعصوم ـ فيكون في حق الأمة آكد وأوجب حيث لا تؤمن الفتنة .

وإذا كان هذا الخطر قد تناول أهم المسائل في طاعة ولي الأمر وذلك في البيعة العامة ، فإن تحريم مس الرجل للمرأة الأجنبية عنه في الأمور الأخرى من باب أولى .

وقد ورد عن الرسول ﷺ فيما رواه معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[3] . فدل هذا الحديث على الزجر الشديد عن هذا العمل المنكر .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : (اعلم أنه لا يجوز للرجل الأجنبي أن يصافح امرأة أجنبية منه ولا أن يمس شيء من بدنه شيئاً من بدنها والدليل على ذلك أمور :

الأول : أن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال : « إني لا أصافح النساء »[4] ،

---

(١) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ج٨ ، ص٦٣٦ .

(٢) الشيخ محمد السفاريني ، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص٩٣٠ ، نشر المكتب الإسلامي ، دمشق ، سنة ١٣٨٠هـ .

(٣) الإمام سليمان الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٠ ، ص٢١٢ ، رقم الحديث ٤٨٧ ، نشر وزارة الأوقاف في الجمهورية العراقية ، بغداد ، سنة ١٩٨١هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، قال الألباني : صحيح . سلسلة الأحاديث الصحيح ، ج١ ، ص٥١ ، رقم الحديث ٢٢٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب بيعة النساء ، ج٢ ، ص٩٥٩ ، رقم الحديث ٢٨٧٤ ، =

والله تعالى يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] فيلزمنا أن لا نصافح النساء اقتداء به ﷺ .

وكونه ﷺ لا يصافح المرأة ولا يمس شيء من بدنه شيئاً من بدنها في الوقت الذي يقتضيها وهو وقت المبايعة ، دل ذلك على أنها لا تجوز وليس لأحد مخالفته ﷺ ، لأنه هو المبين للشرع المشرع لأمته بأقواله وأفعاله وتقريراته .

الثاني : هو ما قدمناه من أن المرأة كلها عورة يجب عليها أن تحتجب وإنما أمر بغض البصر خوف الوقوع في الفتنة ، ولا شك أن مس البدن للبدن أقوى في إثارة الغريزة وأقوى داعياً إلى الفتنة من النظر بالعين ، وكل منصف يعلم صحة ذلك[2] .

وقد أجمع الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ على تحريم مصافحة الرجال النساء من غير المحارم[3] .

= وصححه الألباني في كتابه صحيح سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص١٤٥ ، رقم الحديث ٢٣٢٣ ، بتكليف من مكتب التربية العربية لدول الخليج بالرياض ، سنة ١٤٠٧هـ ، الطبعة الأولى .

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية٢١ .

(٢) أضواء البيان ، ج٦ ، ص ٦٠٣ .

(٣) انظر علاء الدين بن مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٦ ، ص٢٩٥٩ ، نشر زكريا علي يوسف ، مطبعة الإمام ، القاهرة ، وانظر حاشية رد المحتار على الدر المختار ، لابن عابدين ، ج٥ ، ص٢٤٣ ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ، المحمية ، سنة ١٣٢٦هـ ، الطبعة الثالثة .
وانظر الإمام سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي ، المنتقى ، شرح موطأ الإمام مالك ، ج٧ ، ص٣٠٨ ، نشر مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٣٣٢هـ الطبعةالأولى .
وانظر الإمام ابن العربي المالكي ، عارضة الأحوذي ، شرح صحيح الترمذي ، ج٧ ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ، نشر دار العلم للجميع ، سوريا .
وانظرالإمام النووي ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف الشيخ محمد الشربيني الخطيب ، ج٣ ، ص١٣٢ ، نشر دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، وروضة الطالبين للإمام =

كما أجمعوا على تحريم إلْقاء السلام على النساء عند خوف الفتنة ، أو ما كان موصلاً لها[1] .

= النووي ، ج٧ ، ص٢٨ ، نشر المكتب الإسلامي بيروت ، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، الطبعة الأولى .

وانظر الشيخ محمد السفاريني ، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ، ج١ ، ص٢٨٠ ، مطبعة النجاح بمحروسة ، مصر سنة١٣٢٤هـ .

(١) انظر حاشية رد المحتار على الدر المختارج٥ ، ص٢٤٤ ، وانظر المنتقى شرح موطأ الإمام ج٧ ، ص ٢٨٠ ، وانظر شمس الدين الرملي المعروف (بالشافعي الصغير) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج٦ ، ص١٨٤ نشر المكتبة الإسلامية القاهرة ، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، وانظر غذاء الألباب ص ٢٩٨ .

المبحث الخامس : زينة الصوت

إن الله سبحانه وتعالى هو العليم وحده بنفسيات خلقه التي جبلهم عليها ، وتولى بنفسه الكريمة جل وعلا وضع التدابير الواقية من وقوع من خلقه في المحرمات ومن ذلك فاحشة الزنا .

وإن المتأمل في التدابير التي سبق ذكرها مثل تحريم النظر من أحد الجنسين إلى الآخر ، وكذلك تحريم الاختلاط والخلوة والمصافحة ، يجد أنها تتضافر مجتمعة للحد من كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى الزنا بما في ذلك الكلام الزائد عن الحاجة .

وانظر إلى أدب الحديث مع النساء الذي أرشد إليه الرب سبحانه حيث يأمرنا بقوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[1] .

إن هذا الإطار الذي حدده الله سبحانه عند الحديث مع النساء الأجنبيات يؤدي قطعاً إلى الحد من الحديث معهن من غير حاجة شرعية ، وهذا مشاهد في المجتمعات المحافظة على الحجاب الشامل للوجه والكفين .

ولذلك جاء النهي صريحاً في كتاب الله الكريم لأمهات المؤمنين عن الخضوع

---

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٥٣ .

بالقول حتى لا يثرن شهوات مرضى القلوب . وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :
﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [1] .

وإذا كان الخطاب في هذه الآية والتي قبلها موجهاً لصفوة النساء ، أمهات المؤمنين ، أزواج رسول الله ﷺ رضي الله عنهن ، وهن من هن من التقى والورع ، وتلميذات بيت النبوة وفي عصر المصطفى ﷺ وصحابته الأطهار ، فإن شمول هذا الخطاب لكل المسلمات في شتى العصور من باب أولى .

وأيضاً إذا كان الله عز وجل قد نهى النساء عن الضرب بأرجلهن خشية إظهار صوت الحلي الخفية ، أو إثارة الشهوات بايقاعات ضرب الحذاء على الأرض فإن منعهن من رفع الصوت بالحديث من باب أولى .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[2] . يقول أبو بكر الجصاص في تفسير هذه الآية كذلك : (وفيه دلالة على أن المرأة منهيّة عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذ أن صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ، ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت [3] .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيره هذه الآية عن الحكمة من هذا النهي : (وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها ، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها ، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته ، وسماع وسوسة الحلي ، أو شمام شذى العطر من بعيد ، قد يثير حواس رجال كثيرين ويهيج أعصابهم ويفتنهم فتنة جارفة ، لا يملكون لها رداً ، والقرآن يأخذ الطريق

---

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٣٢ .

(٢) سورةالنور ، جزء من الآية ٣١ .

(٣) أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن ، ح ٣ ، ص ٣١٩ .

على هذا كله ، لأن منزله هو الذي خلق ، وهو الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1] .

وإذا كان المشروع للمحرم بحج أو عمرة أن يرفع صوته بالتلبية لقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه خلاد بن السائب عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال »[2] ، ومع ذلك فالمرأة ممنوعة من رفع صوتها بالتلبية حتى لا تظهر زينتها بالصوت ، وقد قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه انه سمع أهل العلم يقولون : ليس على النساء رفع الصوت بالتلبية ، لتسمع المرأة نفسها[3] ويقول الإمام ابن قدامة : (قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن السنة في المرأة أن لا ترفع صوتها وإنما عليها أن تسمع نفسها ، وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي ، وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة بها ، ولهذا لا يسن لها آذان ولا إقامة ، والمسنون لها في الصلاة التصفيق دون التسبيح)[4] .

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٦ ، ص٩٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب رفع الصوت بالتلبية ، ج٢ ، ص٩٧٥ ، رقم الحديث ٢٩٢٢ ، وانظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني ج٢ ، ص ١٥٥ ، رقم الحديث ٢٣٦٤ .

(٣) الإمام مالك ، الموطأ مع شرح الزرقاني ، ج٣٣٤ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر سنة ١٣٧٠هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٤) المغنى ، ج٣ ، ص٣٣٠ ، ٣٣١ ، باختصار .

المبحث السادس : عمل المرأة الداعية في وسائل الإعلام

يقوم الإعلام بكافة وسائله بنشاط كبير في حياة الناس اليوم ، فعن طريقه تغرس القيم والأخلاق والآداب في النفوس البشرية .

والإعلام بهذا العمل يستطيع التغيير في سلوك الأفراد والجماعات بل والحكومات ، سواء كان ذلك الغيير سلباً أو إيجاباً لأنه سلاح ذو حدين .

وتمتاز وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بقدرتها على تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية والاجتماعية بدون استئذان ، وتصل إلى ملايين الناس بمختلف لغاتهم وجنسياتهم .

كما تمتاز كل وسيلة من وسائل الإعلام المختلفة مسموعة ومرئية ومقروءة بمنهج معين وطريقة خاصة في عرض البرامج التي تناسبها .

كما يبذل القائمون على وسائل الإعلام قصارى جهودهم لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الناس وشدهم إلى البرامج المقدمة .

وعلى هذا فإن على المسلمين واجباً كبيراً للاستفادة من كل الوسائل الإعلامية المشروعة ، وتسخيرها لغرس القيم الإسلامية وعلى رأسها العقيدة الإسلامية وتعاليم الإسلام وأخلاقه ، وذلك لأمرين :

الأمر الأول : تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب الناس ، وزرع

الثقة في نفوسهم بما عندهم من أصالة فكرية ، وبث تعاليم الإسلام الشرعية وإبلاغها للناس .

الأمر الثاني : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وبذل الجهود الكبيرة لإيصال كلمة الحق إلى أسماع الناس على مختلف مشاربهم ولغاتهم وعقائدهم ؛ وبذلك يؤدي المسلمون بعض ما عليهم من واجب نشر الإسلام وتبليغه للناس ليكون ذلك حجة لهم عند ربهم يوم لقاه لأنهم مؤتمنون على هذه الرسالة .

ولكي يقوم الإعلاميون المسلمون برسالتهم الإعلامية يجب عليهم أن يجعلوا نصب أعينهم تعاليم الإسلام في جميع الأمور بعامة ، وما يتعلق بأسلوب العرض وطريقته فيعرضوها على تعاليم الإسلام ، فما كان منها جائزاً أخذوا به وما كان منها محظوراً تركوه .

وهنا يرد سؤال حول مشاركة المرأة في تقديم برامج الإذاعة والتلفاز ، وهل يوجد اختلاف بين الرجل والمرأة في استخدام هذه الوسائل أم لا ؟

وللإجابة على ذلك يمكن تقسيم الموضوع إلى ثلاثة أقسام هي ما يلي :

الأول : المساواة بين الرجل والمرأة في تلقي الرسالة الإعلامية .

الثاني : المساواة بين الرجل والمرأة في تقديم الأفكار والمقترحات والمقالات ، وبعثها إلى القائمين على الوسائل الإعلامية باختلاف وسائلها .

الثالث : مباشرة بث الرسالة الإعلامية ، وهو الأمر الذي تختلف فيه رسالة المرأة عن رسالة الرجل الإعلامية نظراً لما بينهما من الاختلاف المبني على اختلاف طبيعة كل منهما ، حيث خصّ الخالق سبحانه المرأة بالحجاب الكامل عن الرجال الأجانب ، بحيث حرم الله عز وجل على الرجل أن ينظر إلى المرأة ، أو أن تنظر المرأة إلى الرجل ، وفرض عليها الحجاب مما لا يمكن معه أن تختلط بالرجال الأجانب ، ولا أن تختلي بأحد منهم ولا أن تصافحهم ، ولا أن تسلم عليهم أو ترد عليهم السلام إذا لم تؤمن الفتنة ، وكذلك الكلام مع المرأة الأجنبية من باب

أولى ، وقد سبق الحديث عن حجاب المرأة بالتفصيل بما يغني عن إعادته .

ولذلك فلا يجوز للمرأة أن تباشر العمل مع الرجل في الإذاعة أو التلفاز أو الصحافة ، وإنما الجائز لها المشاركة في تقديم الأفكار والمقالات مكتوبة ، ومن ثم تبعثها للقائمين من الرجال على هذه الوسائل ، وهم يقومون من جانبهم بالاستفادة من هذه الأفكار أو تقديم المقال عبر موجات الأثير أو كتابته في الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية والشهرية والحولية وغيرها .

وقد أعجبني ما قالته : الأستاذة سهيلة زين العابدين حماد في دعوتها للمرأة السعودية حيث تقول : (إنني أدعوها أن تساهم بفكرها لا بصوتها في إعداد برامج دينية وثقافية واجتماعية وأدبية ، وأن تؤلف القصص والحكايات للكبار وللصغار ، فيقرأ الرجل ما تكتبه ويقدم ما تعده)[1] .

ونظراً لخطورة الموضوع وحساسيته ، فقد قمت باستفتاء عدد من العلماء في مقدمتهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حول موضوع مشاركة المرأة الرجل في الوسائل الإعلامية المختلفة ، فكان الإجماع على تحريم ذلك بناء على النصوص الشرعية .

وفيما يلي نورد فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على السؤال الموجه إليه حول هذا الموضوع ونصه :

هل يجوز للمرأة المسلمة الداعية استخدام وسائل الإعلام لنشر الدعوة إلى الله ؟

فكان الجواب ما يلي :

(لا ريب أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات ومن أفضل القربات ، ولكن قيام

---

(١) سهيلة زين العابدين حماد ، مسيرة المرأة السعودية إلى أين ؟ ص٣٩ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، حدة ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .

المرأة بذلك في ميدان الدعوة من طريق التلفاز ، ومن طريق الإذاعة أمر يترتب عليه مشاكل كثيرة وأخطار عظيمة ، من الخلوة بالرجال ، والتبرج والخضوع ، بالصوت إلى غير ذلك من المفاسد ، فالذي يظهر لي من قواعد الشرع المطهر ، أنه لا يجوز لها ذلك لأن اشتراكها في التلفاز والإذاعة يفضي إلى مفاسد كثيرة من عدم التحجب ، ومن الخضوع بالقول ، ومن التبرج ، ومن الخلوة بالرجال ، وهذا كله يضر المجتمع ضرراً كبيراً ، ويفضي إلى فساد كبير .

فالخلاصة أني أرى أنه لا يجوز لها أن تشارك في ميدان الإذاعة ، ولا في ميدان التلفاز ، أما المشاركة في الصحافة ، في الكتابة وإرسال المقالات النافعة فهذا لا بأس به)[1] .

هذا ما أفتى به الشيخ وفقه الله ، وتؤكده التجارب التي مرت بها الشعوب التي جربت إشراك المرأة في البرامج الإعلامية وكافة شؤون الحياة .

ولقد قمت بعمل استبانة واخترت التلفزيون المصري ميداناً لها ، فجاءت نتيجة الاستبانة تتحدث عن الواقع الموجود وفق النسب التالية :

١ ـ الاختلاط بنسبة ١٠٠٪ .

٢ ـ آداء التحية بنسبة ١٠٠٪ .

٣ ـ المصافحة بنسبة ٤٢,٧٪ .

٤ ـ الاشتراك في إعداد برنامج ٥٠٪ .

٥ ـ الأحاديث المتبادلة المألوفة ٦٩٪ .

٦ ـ وجود الألفة ورفع الحرج ٤٣٪ .

٧ ـ وجود المخاوف من الاختلاط ٤٤٪ .

٨ ـ الخلوة مع الرجل ٣٤٪ .

---

(١) لقد سجلت هذه الفتوى صوتياً على شريط (كاسيت) فجر يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٤٠٧هـ .

٩ ـ المقابلة مع الرجال لغرض العمل ٤٨٪ .

ويتبادر إلى الذهن أن أفراد هذه العينة لا يستطعن القيام بأعمالهن إلا وهن حاسرات عن وجوههن[1] .

وهذه بعض نتائج العمل المختلط ، ونحن في غنى عن ذكر نتائجه الخطيرة التي تؤدي إلى هدم الأخلاق وضياع الأنساب واختلال المجتمعات .

---

(١) لقد أخذت هذه العينة على فئة من النساء العاملات في تلفزيون جمهورية مصر العربية بقنواته الثلاث في الفترة الواقعة بين يومي السبت والخميس ٢٤ ـ ٢٩/٢/١٤٠٨هـ / ١٧ ـ ٢٢/١٠/١٩٨٧م .

الفصل الثاني

ميادين الدعوة

تمهيـد :

حيث إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ، فقد سخر له كل ما يحيط به من مخلوقاته المختلفة نوعاً وحجماً ، كما ركبه من عنصرين هما :

١ ـ الـروح .

٢ ـ الجسـد .

فمن هذين العنصرين ركب الله سبحانه جسم الإنسان ، فمادة الجسم أرضية ، حيث صنعه الله من مادة الطين كما في قوله سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾(١) .

أما الروح فهي من روح الله المخلوقة حيث يقول سبحانه لملائكته الكرام : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(٢) .

وقد فضل سبحانه وتعالى الروح ، وهذه الروح مرتبطة بالقلب الذي جعل الله غذاءه من عنده سبحانه ، وجعل غذاء الجسد من الأرض ذاتها التي نشأ منها

---

(١) سورة ص ، الآية٧١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٧٢ .

وعاش عليها وسيعود فيها كما أخرج منها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وعلى ضوء هذين العنصرين اللذين يتكون منهما جسم الإنسان سنقسم الدراسة في ميادين الدعوة إلى قسمين كبيرين :

أولاً : الميادين التربوية وهي الميادين المتعلقة بتربية الروح وتعليمها وتثقيفها وتطهيرها بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ومن خلال الميادين التربوية يمكن مخاطبة الإنسان مخاطبة مباشرة للعقل والروح .

ثانياً : الميادين الاجتماعية ، وهي الميادين المتعلقة بتربية الجسد من ناحية النمو والسلامة والصحة النفسية والاجتماعية والجسدية وأخذ الزينة ، وتبادل هذه الخدمات بين أفراد البشرية بما يتلاءم مع التربية الروحية لتتضافر هذه الميادين مجتمعة على إبراز الشخصية المسلمة المؤمنة بالله سبحانه وتعالى وفق مراد الله وامتداداً لفطرة الله التي فطر الناس عليها .

وهذا التقسيم للميادين إلى تربوية واجتماعية ، لا يعني انفراد أحدهما عن الآخر ، واستقلاله التام بنوع من الخدمات ، بحيث لا يشترك معه فيها غيره ، وإنما هو مبني على أساس الخدمة الغالبة لكل ميدان .

ولذلك فإن على الداعية أن يوازن بين هذين العنصرين وأن يلبي حاجات المدعو الروحية والجسدية عند مزاولة الدعوة ، فلا يغلب جانباً على آخر لأن اهتمام الإنسان بجسده على حساب روحه يعد حيوانية ، كما أن تغليب روحه على حساب جسده يعد رهبانية ، ولا رهبانية في الإسلام . وقصة الثلاثة النفر الذين آلى كل واحد منهم بنذر لله ينذره على نفسه . فالأول آلى على نفسه أن يصلي الليل أبداً ولا يرقد . والثاني آلى على نفسه أن يصوم الدهر أبدا ولا يفطر . والثالث آلى على نفسه أن لا يتزوج النساء ، فلما علم الرسول ﷺ بشأنهم نهرهم وقال : « أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج

النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

وكم كانت تلبية رغبات الجسد سبباً لقبول الدعوة بالدخول في الإسلام ؛ فمن الناس من أسلم بعد أن أغري بالمال ، ومنهم من أسلم عن طريق الرغبة في نكاح امرأة ، وهكذا .

وتقوم هذه الميادين مجتمعة بعدة مسؤوليات من خلال وسائلها المتعددة ، وقد تظهر الازدواجية في عمل واحد تقوم به أكثر من وسيلة ، ولكن هذه الوسائل في الغالب قد تختلف في أسلوب المعالجة وحجمها ، ومن أهم هذه المسؤوليات ما يلي :

أولا : مسؤولية التربية الإيمانية والعلمية .
ثانياً : مسؤولية التربية الخلقية .
ثالثاً : مسؤولية التربية الجسمية .
رابعاً : مسؤولية التربية النفسية .
خامساً : مسؤولية التربية الاجتماعية .
سادساً : مسؤولية التربية الجنسية .
سابعاً : مسؤولية حراسة الرأي العام ، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أجل استمرارية العمل الدعوي .

وإذا قامت هذه الميادين من خلال وسائلها بمسؤولياتها تلك تكون قد أعدت المرأة المسلمة للدعوة ، ولا تفعل ذلك إلا إذا راعت شروطاً أربعة للدعوة ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ حيث قال : (اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل (الأولى) العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ، ومعرفة الإسلام بالأدلة . (الثانية) العمل به . (الثالثة) الدعوة إليه . (الرابعة) الصبر

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ج٩ ، ص١٠٤ ، رقم الحديث ٥٠٦٣ .

على الأذى فيه[1] والدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[2] .

ولذلك فمن لوازم اعداد المرأة للدعوة تعليمها أمور دينها وما نقوم به عبادتها ؛ وبعد ذلك يمكن أن تعد للقيام بوظيفة الدعوة من خلال الميادين المذكورة .

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الأصول الثلاثة وأدلتها ، ص ٣ ، نشر إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، بدون سنة طبع ، تعليق وتصحيح محمد منير الدمشقي .

(٢) سورة العصر .

المبحث الأول : الميادين التربوية

المطلب الأول : الميدان النظري :

إن المقصود بالميدان النظري هنا هو بيان مفهوم التربية وسياستها وأهدافها في الإسلام ، فالقرآن والسنة يشملان على منهج تربوي كامل شامل للحياة الدنيا والآخرة . وفيما يلي نتحدث عن هذه العناصر الثلاثة للتربية في الإسلام بإذن الله .

أولاً : مفهوم التربية[1] :

أ ـ التعريف اللغوي :

تعود كلمة (التربية) إلى أصول لغوية ثلاثة هي : (ربا) و (ربي) و (رب)[2] .

فالأصل الأول : ربا ، يربو : بمعنى نما ، ينمو .

ومثال ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[3] .

---

(١) انظر الأستاذ عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، ص٧ نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، الطبعة الثانية .

(٢) انظر لسان العرب المحيط ، مادة ربب وربا .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٧٦ .

والأصل الثاني : ربي : يربي بوزن خفي يخفى ، ومعناه نشأ وترعرع ، ومثال ذلك قول الشاعر اللحياني لمسكين الدارمي :

ثلاثة أملاك ربو في حجورنا   فهل قائل حقاً كمن هو كاذب[1]

وقول قصي بن كلاب :

أنا ابن العاصمين بني لؤي   بمكـــة منـــزلي وبهـــا ربيت[2]

والأصل الثالث : رب ، يرب ، على وزن مد يمد ، بمعنى أصلحه وساسه وتولى أمره ورعاه .

ومثاله شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

ولأنت أحسن إذ بـرزت لنا   يـوم الخروج بسـاحـة القصر
مـن درة أغـلى الملوك بهـــا   ممـا تـربب حـــائـر البحـــر[3]

قال ابن منظور في معنى تربب حائر البحر أي رباه مجتمع الماء في البحر[4] ثم قال : وربيت الأمر ، أربه وربيا أصلحته ومتنته[5] .

وقد اشتق بعض العلماء أمثال الراقب الأصفهاني والإمام البيضاوي من هذه الأصول اللغوية تعريفاً للتربية حيث نرى الراغب الأصفهاني في المفردات قد قال : (الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)[6] .

---

(١) لسان العرب المحيط ، ج١ ، ص١١١٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ج١ ، ص١٣٥ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . وأنظر أيضاً تهذيب اللغة ، ج١٥ ، ص٢٧٥ ، نشر دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧ م . تحقيق إبراهيم الأبياري .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، ص٩٨ ، دار صادر ، بيروت .

(٤) انظر لسان العرب ، مادة ربب .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الحسين بن محمد بن الفضل ، المفردات في غريب القرآن ، ج١ ص١٨٢ ، باب الراء مع الباء ، نشر مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الأولى .

وقال البيضاوي : (الرب في الأصل بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ، ثم وصف به تعالى للمبالغة)[1] .

وقد استنبط الأستاذ عبد الرحمن الباني من هذه الأصول اللغوية أن التربية تتكون من عناصر :

أولها : المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها .

ثانيها : تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهي كما سنرى كثيرة متنوعة .

ثالثها : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها وكمال كل شيء بحسبه .

رابعها : التدرج في هذه العملية ، وهو ما يشير إليه الراغب الأصفهاني بقوله : (حالاً فحالاً) والبيضاوي بقوله : (شيئاً فشيئاً) .

ثم يستلخص الأستاذ الباني من هذا التحليل النتائج التالية :

١ ـ أن المربي الحق على الإطلاق هو الله تعالى لأنه هو الخالق ، خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها ، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها .

٢ ـ أن التربية لا بد أن تستضيء بنور الشريعة الإلهية ، وتسير وفق أحكامها .

٣ ـ أن التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغاياتها .

٤ ـ أن التربية تقتضي خططاً متدرجة يترتب بعضها على بعض وينبني بعضها على بعض ، فكل منها قائم على ما سبقه ، يعد لما بعده ، والأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشيء من طور إلى طور ،

---

(١) ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج١ ، ص٧ ، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ، الطبعة الثانية .

ومن مرحلة إلى مرحلة في كل شأن من الشؤون .

٥ ـ أن عمل المربي تال وتابع لخلق الله وإيجاده ، يسير وفق سننه الكونية ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه .

٦ ـ أن أعظم المربين من البشر هم رسل الله وأنبياؤه وأعظمهم محمد ﷺ[1] .

ب ـ تعريف التربية الاصطلاحي :

ويمكن تعريف التربية كما عرفها الدكتور مقداد يالجن بقوله :

(التربية الإسلامية : هي علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعداداً كاملاً من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادىء والقيم الإسلامية ، وفي ضوء أساليب ووسائل وطرق التربية التي بينها الإسلام)[2] .

ثانياً : سياسة التربية في الإسلام :

إن من الواجب أن تقوم سياسة التربية والتعليم في البلاد الإسلامية على الكتاب والسنة المصدرين الأساسيين في الإسلام الذي تدين به الأمة ، عقيدة وشريعة ، عبادة وخلقاً ، وحكماً ونظام حياة .

ولابد أن تعمل أجهزة التعليم ومؤسساته ووسائله وأنواعه ومراحله المختلفة ـ رسمياً كان التعليم أو أهلياً ـ لتحقيق الأهداف الإسلامية التي تأخذ بيد الفرد

---

(١) مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، ص١٣ .

(٢) هذا التعريف حصلت عليه شفاها من الأستاذ الدكتور مقداد ، صباح الأحد ١٤٠٨/٨/٩ هـ ، وهذا التعريف غير منشور ، إلى ذلك التاريخ . ثم نشره المؤلف في كتاب : منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها ص٧١ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض سنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

والجماعة إلى الصراط المستقيم للوصول إلى الغاية المطلوبة[1] وهي عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] .

ولابد أن تراعى في هذه السياسة ظروف المرأة الخاصة وطبيعة تكوينها الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي ، وما أهلت له في هذه الحياة من وظائف الحمل والولادة والرضاعة والحضانة والتربية بوجه عام .

ولا يجوز أن يخلط في سياسة التربية والتعليم بين وظائف الرجل ووظائف المرأة لأن هناك من الوظائف ما لا يصلح للمرأة قطعاً ، وعلى ذلك فلابد من مراعاة هذا الاختلاف بين الجنسين عندما نريد رسم السياسة التربوية والتعليمية في بلادنا الإسلامية .

وإن مما ينبغي بيانه هو أن المسؤولين في الدول الإسلامية هم الذين يقع على عاتقهم وضع السياسة التربوية والتعليمية ، وإذا تخلى نظام الدولة عن هذا المنهج فإن الأمة آثمة كلها حتى يقوم في المجتمع من يقوم بهذه المهمة العظيمة على هيئة مؤسسات أهلية ليس لإنقاذ العالم الإسلامي فحسب ، بل لإنقاذ العالم بأسره من الهوة السحيقة التي يتدحرج فيها يوماً بعد يوم نولاً إلى الحضيض في الأخلاق والقيم مما جعلها في وضع لا تحسد عليه بسبب ما تعانيه الإنسانية في عصرنا الحاضر من مشاكل عظيمة نجمت عن سوء التربية المترتبة على فقدان الممارسة الفعلية لأصولها الربانية ، واعتمادها على نظريات تربوية من صنع البشر ، وحسبك بذلك النقصوالهزال والتردي في المنهج والتطبيق ، مما أدى بالتربية إلى سلوك طريق وعرة مظلمة جعلها تحيد عن الطريق السليم المستقيم .

ولو أن المسلمين تدبروا كتاب ربهم سبحانه وسنة رسولهم ﷺ لاستخرجوا منهما كنوزاً من الأصول التربوية المترابطة فيما بينها ، والمتآلفة والمتدرجة مع عمر الإنسان

---

(١) انظر : سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

بدون أن يسري عليها التناقض ، وبالتالي يكتشفون أن النقص فيهم لعجزهم عن استخراج هذه الكنوز من مصادرها الأصلية .

إنهم إن فعلوا ذلك أخرجوا الإنسانية من بؤسها وشقائها وقادوها إلى السعادة في ظل دوحة الإسلام الوارفة الظلال .

ثالثاً : اهداف التربية الإسلامية :

إذا كنا قد عرفنا الغاية من خلقنا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ، فما هي الأهداف التربوية التي توصلنا إلى هذه الغاية السامية ؟

لقد قدم علماء التربية المسلمون جهوداً كبيرة في مجال التربية الإسلامية وأهدافها في مختلف عصور الإسلام .

ولأنه لا يهمنا هنا الاستعراض التاريخي لهذه الجهود العظيمة ، فإنني سأكتفي بنقل وجهة نظر أحد هؤلاء العلماء التربويين في عصرنا الحاضر وهو الدكتور مقداد يالجن[1] فيما يتعلق بالأهداف التربوية العامة والأساسية في الإسلام ، فإنه قد قسمها إلى أربعة أهداف رئيسة يندرج تحت كل هدف منها عدة أغراض تربوية جزئية ، وهذه الأهداف هي :

١ ـ البناء العلمي .

٢ ـ بناء إنسان مسلم متكامل الجوانب الشخصية .

٣ ـ بناء خير أمة أخرجت للناس .

٤ ـ بناء خير حضارة إنسانية إسلامية .

ويبين الدكتور مقداد العلاقة بين هذه الأهداف فيقول : (والعلاقة بين

---

(١) مقداد يالجن ، أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، ص٤١ ، نشر المؤلف نفسه سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م الطبعة الأولى .

مستويات هذه الأهداف واضحة جلية من حيث إن تعليم الإسلام بكامله يساعد ذلك المسلم أولاً ، وبناء ذلك المسلم أساس لبناء تلك الأمة ، وبناء تلك الأمة أساس لبناء تلك الحضارة)[1] .

ثم استعرض كل هدف ببيان أغراضه الجزئية ، ومما يميز هذا التصنيف للأهداف التربوية شمولها لكافة احتياجات الإنسان في هذه الحياة مع ربطها بالآخرة ، إضافة إلى تناولها قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله من أجل حماية الأمة ونشر الإسلام في آفاق الأرض [2] ، وإذا كان الإسلام لم يكلف المرأة بالجهاد في سبيل الله إلا أنه لم يحظر عليها ذلك إضافة إلى ما يطلب منها من تربية أولادها على حب الجهاد والترغيب فيه والإعداد له[3] .

ومن هذه الأهداف يتبين أنها لا تقتصر على إعداد المسلم في ذاته فحسب بل تشمل المسلم الداعية ، والمرأة داخلة في هذا الشمول[4] .

وبإمكان لجان التخطيط التربوي في البلاد الإسلامية ربط هذه الأهداف بما يناسبها من مراحل عمل المرأة المسلمة بدءاً من سن الرضاع مروراً بالحضانة والطفولة والصبا والشباب والكهولة فالشيخوخة .

المطلب الثاني : الميادين التطبيقية ـ المؤسسات التربوية :

يقصد بالمؤسسات التربوية هنا : المؤسسات التي تقوم على التخطيط والإشراف على تنفيذ مناهج التربية والتعليم التي تخدم العنصر الروحي في الإنسان وتزوده بشتى المعارف والعلوم العامة والمتخصصة في أمر دينه ودنياه ، وتوجه سلوكه ،

---

(١) المصدر السابق ، ص٤١ .

(٢) انظر د. مقداد يالجن ، أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، ص١١٥ .

(٣) كما فعلت الخنساء مع أولادها الأربعة . أنظر ترجمتها في الإصابة والاستيعاب .

(٤) لم أرغب في التوسع في ذكر الأهداف الجزئية رغبة في الاختصار وعدم الإملال . ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع للكتاب آنف الذكر ، ففيه ما يكفي ويشفي .

وتراقب مسيرته وفق مراد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ، وهي الامتداد للفطرة/ ، كما قال عز من قائل سبحانه : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

ويأتي في مقدمة المؤسسات التربوية ـ وهي في بحثنا هذا مقصورة على ما يخص المرأة ـ :

أولاً : وزارات التربية والتعليم ، ويتفرع عنها مدارس التعليم العام وفق المراحل التالية :

١ ـ الحضانة .

٢ ـ رياض الأطفال ، ومحو الأمية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم .

٣ ـ المدارس الابتدائية .

٤ ـ المدارس المتوسطة .

٥ ـ المدارس الثانوية العامة ومعاهد اعداد المعلمات .

ثانياً : الجامعات النسائية : ويتفرع منها الكليات العلمية المتخصصة التي توافق طبيعة المرأة وخاصة كليات العلوم الشرعية والدعوة وأصول الدين والطب والخدمة الاجتماعية وما شابه ذلك .

ثالثاً : وزارات الأوقاف : وتتفرع عنها المساجد .

رابعاً : مؤسسات الدعوة : وتتفرع عنها مكاتب الدعوة النسائية .

خامساً : الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم .

وهذه المؤسسات وما يماثلها تقوم مناهجها على نوعين من الخدمات ، ويتمثل

---

(١) سورة الروم ، الآية ٣٠ .

ذلك في تقديم المعارف العامة والخاصة ، إضافة إلى تحويل هذه المعارف إلى سلوك وعمل حركي تطبيقي ، لتحقق بذلك العبادة الصحيحة لله رب العالمين وحده لا شريك له ، وعبادة الله عز وجل لا تكون بالفكر وحده أو الحركة وحدها ، بل إن العبادة بالفكر والحركة أمران متلازمان لا يغني أحدهما عن الآخر ، كما أن الإسلام في نظرته للعلم لا ينظر إليه مجرداً بل يربطه بالتربية ربطاً وثيقاً حيث لا نكاد نجد آية في كتاب الله سبحانه أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ ذكر فيها العلم إلا .يذكر معها السلوك والتربية المطلوبة مما يشير إلى قوة الارتباط والتلازم بينهما ، وأن أحدهما لا يصلح بدون الآخر فلا علم بلا سلوك وتربية ولا تربية بلا علم .

وبهذا نعرف أن العلم له جانبان أحدهما جانب معرفي ، وثانيهما جانب تطبيقي عملي ، فالجانب المعرفي هو ما يتعلق بدراسة النصوص وفقهها وحفظ ما يلزم منها والإيمان بها والتصديق بخبرها .

أما الجانب التطبيقي أو العملي فهو تنفيذ هذه العلوم المعرفية على أرض الواقع كاعتقاد القلب وعمل الجوارح ، ويمكن تمثيل الربط بين الجانب المعرفي والتطبيقي للعلوم على الصلاة مثلا .

فالصلاة لها أحكام تبين شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها في الجانب المعرفي ثم القيام بأداء الصلاة وفقاً لهذه الشروط والأركان والواجبات على شكل حركة بدنية ، مع اعتقاد القلب بوجوبها .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في هذا المعنى ، وهي تؤكد أن الإسلام يسعى في تربية الفرد والجماعة عن طريق إصلاح العقيدة أولاً ، وبالتالي يأمره بتنفيذ مقتضيات هذه العقيدة على أرض الواقع ـ كما ذكرنا ـ على شكل عبادات ومعاملات .

ولذلك فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه محمداً ﷺ ـ وأمته له تبع في ذلك ـ بالجمع

بين العلم والاعتقاد والعمل ، حيث يقول سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1] فدخول حرف الواو على الفعل (واستغفر) دليل على المعية . وقوله سبحانه: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾[2]. فدخول حرف (الفاء) على الفعلين (يؤمنوا وتخبت) دليل على التعقيب المباشر دون تأخير .

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً بعدك ، فقال له رسول الله ﷺ : « قل آمنت بالله فاْستقم[3] ، فدخول حرف الفاء على الفعل (استقم) دليل على التعقيب المباشر دون تأخير ، وهذا يدل على وجوب الارتباط الوثيق بين الاعتقاد والسلوك وأنهما متلازمان .

وإذا استعرضنا تاريخ الإسلام فإننا نجد أثر العقيدة في السلوك واضحاً جلياً ، ونضرب لذلك بمثالين أحدهما في عصر الشباب والآخر في عصر الشيخوخة .

فأما ما يتعلق بعصر الشباب فإننا نجد الفتاة المسلمة المؤمنة بالله تنكر على أمها ما أمرتها به من غش اللبن بالماء كي يزيد الدخل الاقتصادي للأسرة ، فعن عبد الله بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده أسلم قال : (بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس[4] بالمدينة إذ أعيٰ فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل ، فإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه[5] بالماء ، فقالت لها :

---

(١) سورة محمد ، جزء من الآية ١٩ .

(٢) سورة الحج الآية ٥٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، ج١ ، ص٦٥ ، رقم الحديث ٦٢ .

(٤) عسّ : يعس عسا ، أي طاف بالليل لحراسة الناس ، انظر لسان العرب المحيط مادة عسس .

(٥) المذق هو خلط اللبن ومزجه بالماء ، انظر المصدر ، مادة مذق .

يا أمتاه أو ما علمت من عزمة أمير المؤمنين اليوم ، فقالت لها : وما كان من عزمته يا بنية ، قالت : إنه أمر مناديه أن لا يشاب اللبن بالماء ، فقالت لها : يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بمكان لا يراك عمر ولا منادي عمر ، فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلأ ـ وعمر يسمع كل ذلك ـ فقال يا أسلم علم الباب ، واعرف الموضع ، ثم مضى في عسه)[1] .

هكذا يفعل الإيمان إذا وقر في القلب فإنه يربي النفوس ويجبلها على مكارم الأخلاق ، وأما عصر الشيخوخة فإني أعيد إلى الأذهان ما فعلته الخنساء في جاهليتها من جزع على أخيها صخر مما تشهد به مراثيها إياه ، ثم ما فعلته في إسلامها بعد أن وقر الإيمان في قلبها حيث دفعت بأبنائها الأربعة إلى معركة القادسية . ولما سمعت بقتلهم جميعاً قالت ما يدل على قوة إيمانها بربها وصدق يقينها عليه : (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)[2] .

ذلك هو أثر العقيدة في نجاح تربية الفرد وإصلاح الجماعة وبدون عقيدة لا ينفع علم ولا تشفع تربية ولا يردع قانون .

---

(١) الإمام شمس الدين أبو الفرج بن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص٧٨ ، نشر دار الرائد العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ ، ص٦١٦ .

وكانت الخنساء رضي الله عنها قد أوصت أبناءها الأربعة في ليلة المعركة ودفعت بهم إلى ساحتها قائلة : (يا بني إنكم أسلمتم لله طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم . . . . إلى أن قالت : (وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية) .

انظر ترجمتها في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر .

المبحث الثاني : الميادين الاجتماعية

المطلب الأول : الميدان النظري :

إن الدعوة إلى الله لا تقتصر على القول فقط ، بل تتناول العمل كذلك من خلال تقديم خدمات اجتماعية للأفراد والجماعات ، على هيئة أموال نقدية أو مساعدات عينية مثل تقديم الطعام والشراب واللباس والسكن .

والمقصود بالميدان النظري هنا بيان مفهوم الخدمة الاجتماعية وسياستها وأهدافها في الإسلام ، حيث تقوم الخدمة الاجتماعية بتقديم خدماتها للعنصر الثاني في الإنسان وهو الجسد في الغالب .

والقرآن والسنة يشتملان على منهج اجتماعي كامل شامل لكافة احتياجات الإنسان ، وفيما يلي نتحدث عن هذه العناصر الثلاثة للخدمة الاجتماعية في الإسلام بإذن الله .

أولاً : مفهوم الخدمة الاجتماعية :

١ ـ المفهوم العام :

لقد اعتبرت الخدمة الاجتماعية في الماضي مرتبطة بالقضاء على الفقر ، أو على الأقل التخفيف من آثاره في حياة الفرد والجماعة بتقديم المساعدات المالية النقدية أو العينية ، إلا أن الخدمة الاجتماعية قد توسعت مجالاتها بحيث تناولت كل ما يمكن

أن يخدم الإنسان فرداً أو جماعة في مجالات كثيرة تقوم على شكل مؤسسات أو هيئات اجتماعية رسمية أو أهلية تؤدي خدماتها للعنصر الثاني من الإنسان وهو الجسد ، وهذه المؤسسات متنوعة سنأتي[1] على ذكرها عند الحديث عن المؤسسات التطبيقية للخدمات الاجتماعية ، ثم نستعرض هذه المؤسسات كوسائل للدعوة إلى الله مع بيان ما يمكن أن تقوم به هذه الوسائل في هذا الجانب العظيم .

وتتناول الخدمة الاجتماعية مجالات كثيرة ، منها خدمة الفرد والأسرة والمجتمع ، ولقد ظهرت تعريفات علمية للخدمة الاجتماعية مختلفة نختار منها تعريف الدكتور أحمد كمال أحمد حيث يقول :

(الخدمة الاجتماعية مهنة ونظام اجتماعي تحقق الرفاهية للانسان بإيجاد تغييرات اجتماعية موجهة من خلال بناء متخصص يتعاون مع أجهزة المجتمع لمقابلة الاحتياجات الاجتماعية)[2] .

٢ ـ المفهوم الخاص:

ويقصد بالمفهوم الخاص: مفهوم الخدمة الاجتماعية في الإسلام ، فنظراً إلى أن الخدمة الاجتماعية تعتبر من أكثر المهن ارتباطاً بالدين ، ذلك لأن كثيراً من أنشطتها العملية قد قامت تحت مظلة الدين الذي يحث على[3] التكافل الاجتماعي والتعاون قبل بروز ما عرف في العصور المتأخرة ـ بعلم الخدمة الاجتماعية ـ فإنه ليس من الصعب إيجاد تعريف للخدمة الاجتماعية في ضوء الإسلام ، لأن ما نقصده

---

(١) انظر د/حسن علي خفاجي ، الخدمة الاجتماعية ، ص٣١ ، نشر شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، الطبعة الثانية .

(٢) منهاج الخدمة الاجتماعية في خدمة الفرد ، ص٢٣ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، الطبعة الأولى .

(٣) انظر د/محمد أحمد عبد الهادي ، الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، محاضرات غير منشورة لطلاب قسم الخدمة الاجتماعية في كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

بالخدمة الاجتماعية الإسلامية ليس مهنة جديدة أو شيئاً بديلاً عن الخدمة الاجتماعية ، وبذلك تمكن القول في تعريف الخدمة الاجتماعية في الإسلام بأنه : (استخدام طرق الخدمة الاجتماعية ذاتها بأدواتها وأساليبها وتقنيتها في تحقيق أهداف الاسلام)[1] بما لا يتعارض مع أصول الإسلام وفروعه .

ثانياً : سياسة الخدمة الاجتماعية في الإسلام :

إذا كانت سياسة التربية والتعليم لا بد أن تقوم على الإسلام في مصدريه ، فإن الخدمات الاجتماعية والرعاية لا تقل أهمية ، لأن مثل هذه الخدمات الاجتماعية يمكن أن تستغل بكل سهولة . وتجعل مطية للدعوة لكل مبدأ ؛ صالحاً كان أو طالحاً ، ولذلك فلا بد أن تركز السياسة في الخدمات الاجتماعية على الإسلام ، وأن تكون أهدافها لخدمة الإسلام والدعوة إليه وتثبيت مبادئه .

ولا بد أن تعمل أجهزة الخدمات الاجتماعية والرعاية الاجتماعية ومؤسساتها ووسائلها وأساليبها لتحقيق الأهداف الاجتماعية في الإسلام لتلتقي مع سياسة التربية والتعليم في مصب واحد ، كما نبعت من منبع واحد لتحقيق الغاية الفريدة في هذا الوجود وهو عبادة الله سبحانه وتعالى .

وكما ذكرنا في وجوب مراعاة المرأة المسلمة في سياسة التربية والتعليم ، فإننا هنا نؤكد هذه القضية في هذا الجانب مرة أخرى للأسباب التي ذكرناها هناك .

وكما تكون الأمة آثمة كلها عندما تتخلى عن القيام بمسؤولية التربية والتعليم على منهج الإسلام ؛ حتى يقوم في المجتمع من يتولى هذه المهمة ، فكذلك الحال فيما يتعلق بسياسة الخدمات الاجتماعية والرعاية لمن هم في حاجة إليها .

ولو نظرنا إلى الكتاب والسنة لوجدنا فيهما القواعد المنظمة للخدمات الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتعاون على الخير ذلك أن التعاون أحد سمات

---

(١) المصدر السابق ، ص١٤

الإسلام ، حيث أمر الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بالتعاون فيما بينهم في السراء والضراء ، في الشدة والرخاء ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] .

وقد بين المصطفى الكريم ﷺ أهمية التعاون والتراحم فيما بين الجماعة المؤمنة وفضيلة ذلك ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »[2] . وعن أبي بردة عن أبيه أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه »[3]. كما وجه أمته ﷺ إلى العناية باليتيم والأرملة والمسكين، والسعي على مصالحهم ، فقال في حق اليتيم في الحديث الذي رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[4] .

وقال ﷺ في حق الأرملة والمسكين في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله »[5] .

وقد قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي ما يدل على فضل زيارة المريض ، وإطعام الجائع ، وسقاية العطشان ؛ ويندرج تحت ذلك كل عمل طيب

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية ٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ج١٠ ، ص٤٣٨ ، رقم الحديث ٦٠١١ .

(٣) المصدر السابق ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، ج١٠ ، ص٤٤٩ ، رقم الحديث ٦٠٢٦ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيماً ، ج١٠ ،ص٤٣٦ ، رقم الحديث ٦٠٠٥ .

(٥) المصدر السابق ، باب الساعي على المسكين ، ص٤٣٧ ،رقم الحديث ٦٠٠٧ .

ينفع المسلم في دنياه وأخراه ، على مستوى الأفراد والجماعات .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال يا رب كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنه لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب ، وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين . قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي »[1] .

ففي الآية والأحاديث المذكورة آنفاً تتبين لنا رحمة الله عز وجل بعباده ، كما يتجلى لنا سمو هذا الدين على ما سواه .

فالإسلام يدعو الأمة المسلمة لتنظيم جهودها المفروضة والتطوعية لسد حاجات الأفراد والأسر والجماعات المسلمة التي تكون في حاجة ماسة إلى المساعدات ، مادية كانت أو عينية أو معنوية أو صحية أو خدمة جسدية ، مثل خدمات الرعاية الاجتماعية لمن هم في سن الحضانة وكبار السن الذين لا يجدون من يرعاهم ، وشديدي الإعاقة ، أو الرعاية الاجتماعية التربوية للأيتام ونزلاء دور التوجيه الاجتماعي والملاحظة الاجتماعية ، وكذلك نزلاء السجون والمستشفيات .

وكل هذه الأصناف في أشد الحاجة إلى مديد العون والمساعدة ، وتفريج ماهم فيه من كربات .

وعلى العموم فإن الإنسان في هذه الحياة قد تلم به جائحة في ماله أو حاله

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل عيادة المريض ، ح ٤ ، ص١٩٩٠ ، رقم الحديث ٢٥٦٩ .

فيحتاج إلى المساعدة ؛ ولذلك أرشد الرسول ﷺ عموم المسلمين إلى قضاء حاجات المحتاجين ، وتفريج كربات المكروبين ، وقد بشر الرسول ﷺ أمته بما ينالون من الأجر العظيم عند الله عز وجل في مقابل ذلك . فعن سالم عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة[1] .

ولقد أدت هذه القواعد الاجتماعية الحكيمة الشاملة الكاملة إلى قيم مجتمع مسلم متعاون متكافل ، يعطف فيه الكبير على الصغير ، والغني عن الفقير دون من أو أذى ، فعاش حياة هانئة مستقرة ، وأقام حضارة راقية شهد لها الأعداء ، فأين هذه التعاليم والقواعد من عالمنا المعاصر الذي يجرى وراء ما يسمى بحضارة القرن العشرين التي تزخر بكثير من المشكلات الاجتماعية وأعياها حلها بسبب تطبيق نظريات لم تشرق عليها شمس الهداية ، ومذاهب فكرية منحرفة ضالة .

وإن مما يؤسف له أن هذه المشكلات الكبيرة قد سرى كثير منها في عروق الأمة المسلمة ، وانتشرت عدواها كانتشار النار في الهشيم في جسمها بسبب تقمص الشخصية الغربية أو الشرقية ، وفقدت الأمة شخصيتها فأصيبت بالنكبات الاجتماعية والمشكلات الأخلاقية .

ولن يكون مخرج من هذه الأزمات الاجتماعية والنفسية إلا بالعودة إلى تعاليم الإسلام التي شملت كل شؤون الحياة الدنيا والآخرة .

ولقد جاء الاسلام بنظام فريد في التكافل الاجتماعي يتمثل في مصادر الزكاة والصدقة والكفارات بأنواعها ، ونظام الوقف والبر والإحسان والعطف على

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب عن الظلم ، ج٤ ، ص١٩٩٦ رقم الحديث ٢٥٨٠ .

الفقراء والمساكين ، علاوة على ما فرضه الإسلام من نظام النفقات الواجبة للأهل والأولاد والأقارب ، والجيران والمجتمع من خلال المسؤوليات التالية[1] :

١ ـ مسؤولية الأقارب .

٢ ـ مسؤولية الجيران .

٣ ـ مسؤولية الدولة الإسلامية .

٤ ـ مسؤولية المجتمع الإسلامي .

فأما مسؤولية الأقارب فدليلها من القرآن الكريم قوله سبحانه : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[2]، وقوله سبحانه : ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3] . يقول الإمام الزمخشري رحمه الله : (وحقهم أن ينفق عليهم)[4] .

وأما الدليل من السنة فمنه ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا » يقول : « فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك »[5] .

---

(١) انظر د . فضل إلهي ، التدابير الواقية من الربا في الإسلام ، ص٣٠٣ ، نشر إدارة ترجمان الإسلام جحرانواله باكستان سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م الطبعة الأولى .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٢٦ .

(٣) سورة الروم ، الآية ٣٨ .

(٤) تفسير الإمام الزمخشري ، ج٢ ، ص٤٤٦ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون سنة الطبع (باختصار) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة ، ج٢ ، ص٦٩٢ ، ٦٩٣ ، رقم الحديث ٩٩٧ .

وأما مسؤولية الجيران فدليلها من القرآن قوله عز وجل : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[١] .

وأما الدليل من السنة فمنه ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٢] .

ومنه ما رواه أبو شريح العدوي رضي الله عنه قال : (سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم رسول الله ﷺ فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »[٣] .

وأما مسؤولية الدولة الإسلامية فدليله من السنة قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو مريم الأرذي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم[٤] وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره »[٥] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ج١٠ ، ص٤٤١ ، رقم الحديث ٦٠١٤ .

(٣) المرجع السابق ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، ج١٠ ، ص٤٤٥ ، رقم الحديث ٦٠١٩ .

(٤) (خلتهم) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ، الحاجة الشديدة ، والمعنى : منع أرباب الحوائج أن يدخلوا عليه ، ويعرضوا حوائجهم ، نقلاً عن عون المعبود ، ج٨ ، ص١٦٥ .

(٥) سنن أبي داود ، المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية (والحجبة عنه) ج٣ ، ص٣٥٧ ، رقم الحديث ٢٩٤٨ . قال عنه الإمام ابن حجر : (إسناده جيد) . انظر فتح الباري ، ج١٣ ، ص١٣٣ ، وقال عنه الشيخ الألباني : صحيح . صحيح الجامع الصغير ، ج٥ ، ص٣٦٨ ، رقم الحديث ٦٤٧١ .

وليست مسؤولية الدولة الإسلامية مقتصرة على رعاياها من المسلمين فحسب ، بل تتناول رعاياها من غير المسلمين أيضاً ، وهذا مبدأ أقره الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حيث عقد قائد جيوشه خالد بن الوليد رضي الله عنه عهداً مع أهل الحيرة كتب فيه : (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)[1] .

وأما مسؤولية المجتمع الإسلامي فإلى جانب الأدلة من القرآن والسنة التي سبق ذكرها عند الحديث عن مسؤولية الأقارب والجيران فنجد أن الرسول ﷺ قد أمر من كان عنده فضل من الحاجات أن ينفق على من ليس لديه شيء منها ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل)[2] .

ويقول الإمام النووي تعليقا على هذا الحديث : (في هذا الحديث أمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج)[3] .

وهكذا سلك الإسلام في باب التكافل الاجتماعي طريقين : أحدهما الحث عليه والترغيب فيه ، والثاني الأمر به وإيجابه مما يكون له الأثر الكبير في نشر الدعوة وتثبيتها في قلوب الناس .

(١) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج، فصل في الكنائس والبيع والصلبان ، ص١٤٤ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة سنة ١٣٥٢هـ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب اللقطة ، باب استحباب المواساة بفضول المال ، ج٣ ، ص١٣٥٤ ، رقم الحديث ١٧٢٨ .

(٣) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ، ج١٢ ، ص٣٣ .

ثالثاً : أهداف الخدمات الاجتماعية في الإسلام :

لا بد لكل عمل من أهداف يسعى الإنسان لتحقيقها من خلال مزاولته لهذا العمل أو ذاك ، ويأتي في مقدمة أهداف العمل الدعوي من خلال الميادين الاجتماعية ما يلي :

١ ـ تثبيت عقيدة المستفيدات من الخدمات الاجتماعية ، وحمايتهن من حركات التنصير وغيرها من الحركات الهدامة .

٢ ـ دعوتهن إلى الله ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وتبصيرهن في أمور دينهن من خلال الكتب والنشرات والمحاضرات والدروس والندوات التي توفرها المؤسسات الاجتماعية المختلفة لتوزيعها على المستفيدات من خدماتها الاجتماعية .

٣ ـ غرس حب الإسلام وتأصيل الانتماء إليه .

٤ ـ تحقيق التكافل الاجتماعي الذي يدعو إليه ديننا الإسلامي الحنيف .

٥ ـ توفير أسباب الراحة للنساء المسنات اللاتي لا عائل لهن[1] من الفقيرات .

٦ ـ تحقيق الرعاية الصحية والنفسية لكل النساء المحتاجات لمثل هذه الخدمات .

٧ ـ توفير أسباب الرعاية الاجتماعية لليتيمات داخل دور التربية والرعاية الاجتماعية بحيث تكون هذه الدور أقرب إلى ظروف بيت الأسرة الطبيعي ، وذلك عن طريق تقديم أنواع الرعاية ، وتأمين كافة المستلزمات لها مثل تأمين السكن واللباس والطعام والتراب والرعاية الصحية والنفسية ، وتأمين فرص التعليم المختلفة[2] .

---

(١) انظر مجموعة نظم ولوائح وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، العدد [illegible] سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة الثانية .

(٢) انظر مجموعة نظم ولوائح وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، ص ٣١ .

٨ ـ تقويم وتربية وتأهيل الفئات التالية :

أ ـ فئة المارقات من سلطة الأبوين .

ب ـ المشردات اللاتي لا مأوى لهن .

ج ـ المهددات بالانحراف لاضطراب وسطهن الاجتماعي في الأسرة .

د ـ الفئات اللاتي ارتكبن جرائم يعاقب عليها الشرع[١] .

وهذه الفئات الأربع لا يمكن أن تتهيأ فرص إصلاحهن إلا عن طريق سلطة ولي الأمر في الدولة المسلمة ، كما يحتجن إلى تركيز العناية والاهتمام من حيث التوجيه الإسلامي والتربية الصالحة عن طريق وضع برامج خاصة تنفذها الجهة المسؤولة عن هذه الفئة من النساء .

٩ ـ تحقيق الاكتفاء الذاتي داخل البيئة المسلمة فيما يتعلق بالخدمات الاجتماعية أو القائمات بهذا العمل ، مما يغني عن الاستعانة باي خدمة اجتماعية أو عاملات من خارج بيئة المسلمين .

١٠ ـ القيام برعاية الأمومة والطفولة ومكافحة الأمية ، وتأهيل الراغبات للقيام بأعمال الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي والخدمة الاجتماعية ، مما يعود بالخير على مجتمع نساء المسلمين ، ويكون له مردود في مجتمع رجالهم ، وتقديم المساعدات المادية والعينية الشهرية والسنوية والطارئة في المناسبات المختلفة[٢] .

المطلب الثاني : الميدان التطبيقي : المؤسسات الاجتماعية :

يقصد بالمؤسسات الاجتماعية هنا ، المؤسسات التي تقوم على التخطيط والإشراف على تنفيذ وظائف الخدمات الاجتماعية التي تخدم الإنسان من النواحي الجسمية والصحية والنفسية والاجتماعية عن طريق تأمين الغذاء والدواء واللباس

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٥ .

(٢) انظر الكتاب الاحصائي السنوي ، العدد(٩) ، ص٣١ ، سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ من إعداد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية .

والسكن وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية المختلفة .

ومن الخدمات الاجتماعية ما يقدم لكل الناس مجاناً بغض النظر عن المستوى الاقتصادي الذي يعيشه الفرد ، ويتمثل ذلك في تقديم العلاج وصرف الدواء ، ومنها ما يقتصر على الفئات المحتاجة ذات المستوى الاقتصادي المتدني ، ويتمثل ذلك في توفير الغذاء واللباس والسكن وغير ذلك .

ويأتي في مقدمة المؤسسات الاجتماعية - وهي في بحثنا هنا تقتصر على النساء - ما يلي :

أولاً : وزارات الصحة ، وتتفرع عنها المستشفيات والوحدات الصحية الأولية .

ثانياً : وزارات الشؤون الاجتماعية ، ويتفرع عنها ما يلي :

١ - دور التربية الاجتماعية ، وتقوم برعاية اليتيمات .

٢ - دور رعاية المسنات .

٣ - دور رعاية الفتيات .

كما تقوم بالإشراف على الجمعيات الخيرية النسائية .

ثالثاً : وزارات الداخلية ، وتتفرع منها السجون النسائية .

ولا يخفى أن هذه المؤسسات الى جانب ما تقدم به من الخدمة الاجتماعية وهو العمل الرئيسي في هذه المؤسسات ، إلا أنها تقوم بما يتمم العملية الاجتماعية في الجانب التربوي ، إما عن طريق مباشر باعطاء جرعات تربوية ثقافية تعليمية ، أو عن طريق غير مباشر وهو بالتأثير الإيجابي على النفس البشرية نتيجة للخدمات الاجتماعية ، لأن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها ومن أحب إنساناً تأثر به في الغالب .

الفصل الثالث

وسائل الدعوة

تمهيـــد :

المبحث الأول : المنزل

المبحث الثاني : المجتمع

المبحث الثالث : المدرسة

المبحث الرابع : المسجد

المبحث الخامس : مكاتب الدعوة

المبحث السادس : الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم

المبحث السابع : المستشفيات

المبحث الثامن : السجون

المبحث التاسع : مراكز الرعاية الاجتماعية

المبحث العاشر : الكتابة

الفصل الثالث

وسائل الدعوة

تمهيد :

إذا كنا قد تحدثنا في الفصل السابق عن ميادين الدعوة التربوية والاجتماعية من خلال الحديث عن مؤسساتها ، كما تحدثنا عن أهمية تلك المؤسسات وأهدافها وغاياتها ، فإننا في هذا الفصل سنتناول - بإذن الله - بشيء من التفصيل الوسائل التي يمكن للمرأة المسلمة أن تثبت الدعوة من خلالها ، وكما قسمنا الميادين ، إلى ميادين تربوية واجتماعية ، فكذلك يمكن تقسيم الوسائل إلى وسائل تربوية واجتماعية ، ومعول هذا التقسيم على أساس أغلب الأعمال التي يقوم بها كل نوع ، لأنه من الصعب اختصاص كل نوع بعمل معين دون سواه .

كما توجد بعض الوسائل الدعوية التي تجمع بين الجانبين التربوي والاجتماعي دون أن يستطيع الباحث أن يغلب جانباً على آخر .

ومن هذه الوسائل المنزل والمدرسة والمسجد[1] ، مع تفاوت في القدر الذي تقدمه هذه الوسائل من خدمات حسب اختلاف البيئات في المجتمعات الإسلامية . واختلاف الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، ومنها ما يغلب فيه الجانب التربوي على الاجتماعي مثل الكتابة ، كما يوجد من الوسائل

---

(١) وإن كان المسجد في عصرنا الحاضر قد فقد رسالته الاجتماعية حتى بين الرجال فكيف بالنساء .

الدعوية ما يغلب الجانب الاجتماعي فيه على الجانب التربوي ، مثل المستشفيات ومراكز الرعاية الاجتماعية .

وقبل أن ندخل في الحديث عن هذه الوسائل لابد أن نعرف المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى الوسيلة ، فالوسيلة في اللغة : هي القربة التي يتقرب بها إلى الغير ، وسّل إلى الله تعالى توسيلاً وتوسل إليه توسلاً بمعنى عمل عملاً تقرب به إلى الله ، والواسل هو الراغب إلى الله تعالى[1] ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[2] ، وفي الاصطلاح : هي ما يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[3] .

فهي إذاً عبارة عن الأداة التي تستخدم للوصول إلى المطلوب ، كما نطلق بهذا المعنى على السيارة والطائرة وسائل مواصلات .

وبعد أن عرفنا معنى الوسيلة في اللغة والاصطلاح ، فسنذكر أهم وسائل الدعوة ـ من وجهة نظر الباحث ـ وبالله التوفيق .

---

(١) انظر عبد الله البستاني اللبناني ، معجم البستان ، ج٢ ، ص٢٦٩٨ .

(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية ٣٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٩٧ .

المبحث الأول : المنزل

يقوم المنزل بجانب كبير في الدعوة أيا كان اتجاهها ، ولقد حمّل الإسلام البيت مسؤولية عظيمة تجاه أفراد الأسرة يتحملها الأبوان ، كل وفق قدراته واختصاصاته .

يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك آمراً المؤمنين بالعمل على وقاية الأنفس والأهل من النار : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] .

ويبين الرسول ﷺ مسؤولية البيت المتمثلة في مسؤولية الأبوين تجاه الأهل والذرية ، فيقول في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[2] .

(١) سورة التحريم ، الآية ٦ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأحكام ، باب قوله سبحانه : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ، ج١٣ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٧١٣٨ .

وهذه المسؤولية المذكورة في هذا الحديث مسؤولية شاملة لكل ما يمكن أن يقع في حدود قدرات الإنسان ، فمسؤولية الرجل لا تقتصر على الكسب فقط ، كما أن مسؤولية المرأة لا تقتصر على خدمة المنزل فقط ؛ بل إنهما مسؤولان عن جوانب التربية الإيمانية والاجتماعية ، ويتناول ذلك مسؤولية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

فهذان النصان يؤكدان قطعاً مسؤولية الأبوين في عملية التفاعل والتأثير في الأبناء التي يمثل البيت مركزها الرئيس .

كما أن هذين النصين يعطيان المرأة مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل ، فجملة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ في الآية الكريمة تشمل الرجال والنساء ، كما أن حديث المسؤولية قد نص على مسؤولية المرأة حيث ورد فيه : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم » .

ومن ذلك يظهر عظم مسؤولية المرأة عن أبنائها ، وقوة تأثيرها فيهم ، وخاصة البنات ، لطول مكوثهن في البيت وملازمتهن للأم ، ومن أهم وجوه هذه المسؤولية مسؤولية الدعوة إلى الله .

وإذا كانت رسالة البيت بهذه المكانة العظيمة في حق الأبوين ، فهي في حق المرأة أولى حيث تتحمل الجانب الأكبر منها ، ذلك لأنها هي الحامل والمرضع والحاضن والملازم للطفل حتى سن التمييز ملازمة دائمة ، سواء كانت داخل بيتها أو خارجه ، وسواء كان الأب حاضراً أو غائباً ، كما أن ملازمتها لأبنائها تمتد ، وتأثيرها فيهم يستمر حتى بعد وفاة أبيهم . وهذه المسؤولية تكشف بعض أهداف الاسلام في أمر النساء بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة كي تؤدي مسؤولياتها على الوجه الأكمل .

يقول الله سبحانه في ذلك : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[1] .

ولو اتبعت المرأة المسلمة أمر ربها بالقرار في البيت ووقاية نفسها وأهلها وولدها من النار بحسن الرعاية والتوجيه والإعداد والدعوة إلى الله لكفاها ذلك شرفاً وقياماً بالواجب الدعوي .

مشروع الدعوة في المنزل :

للمنزل أهمية كبيرة في الإعداد للدعوة إلى الله ، ويمتاز عن غيره بطابع معين ورسالة خاصة ومنهج متميز يختلف عن منهج المدرسة والمسجد في طريقة عرض المعلومات أو تنفيذها على أرض الواقع .

وتزداد أهمية المنزل ومشاركة المرأة بالذات في الشعوب الإسلامية التي لا تتضمن خطط التربية والتعليم فيها تعاليم الإسلام وينطبق على ذلك شعوب الأقليات المسلمة في العالم ، ولا يمكن القول بسقوط المسؤولية الدعوية عن البيت المسلم لمجرد تخلي الحكومات عن هذه المسؤولية أو القيام بها .

ومع ذلك فلا يمكن القول بتساوي المسؤوليت الدعوية في كل البيئات على السواء ، لأن كل بيئة وأسرة لها ظروفها الخاصة وإمكاناتها المختلفة وتعظم المسؤونية على قدر المعطيات .

وحيث ينصب الحديث على إعداد المرأة المسلمة للدعوة فلابد من توفر بعض الشروط التي تؤهلها لهذا الإعداد ، مثل العلم الشرعي ، والعمل بهذا العلم في مجالي العقيدة والشريعة ، وأن تعقد العزم على الدعوة إلى ما تعتقده على بصيرة ، وتستعد للصبر على ما يواجهها في سبيل ذلك .

وقد سبق أن ذكرنا ما أورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ما ينص على هذا المعنى حيث يقول : (اعلم رحمك الله تعالى أنه يجب على كل

---

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٣٣ .

مسلم ومسلمة تعلم أربع مسائل :

المسألة الأولى : العلم

المسألة الثانية : العمل به

المسألة الثالثة : الدعوة إليه

المسألة الرابعة : الصبر على الأذى فيه[1] .

ولذلك يلزم قبل إعداد المرأة المسلمة للدعوة أن نعلمها من أمور دينها ما تقوم به عبادتها وعملها الصالح ، وبعد ذلك يمكن أن تعد للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بقدر الاستطاعة لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

المسؤوليات الدعوية في المنزل :

وإن المسؤوليات الدعوية التي يمكن أن تشارك فيها المرأة الرجل كثيرة ، ولعلنا نشير إلى شيء منها فيما يلي :

أولا : مسؤولية التربية الإيمانية والعلمية .

ثانياً : مسؤولية التربية الخلقية .

ثالثاً : مسؤولية التربية الجسمية .

رابعاً : مسؤولية التربية النفسية .

خامساً : مسؤولية التربية الاجتماعية .

سادساً : مسؤولية التربية الجنسية[2] .

سابعاً :مسؤولية حراسة الرأي العام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله) .

---

(١) الأصول الثلاثة وأدلتها ، ص٢ .

(٢) انظر عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ ، ص١٤٦ ، نشر دار السلام للنشر والتوزيع ، حلب سنة ١٤٠١هـ ، الطبعة الثالثة .

أولاً : مسؤولية التربية الإيمانية والعلمية :

١ ـ ويبدأ التفاعل الاجتماعي بين الأم وولدها منذ الدقائق الأولى للولادة باستفتاح الأم في أذن وليدها بكلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، وتعويد لسانها دائماً على ذكر الله سبحانه ، وما يتمشى مع عقيدة التوحيد مع الحذر الشديد من أن يسمع منها ما ينافي ذلك .

ويستمر التفاعل مع الطفل عن طريق المحاكاة والتقليد لأمه وأبيه والمحيطين به .

٢ ـ إذا بلغ الابن أو البنت سن السابعة تعلمهما أركان الإيمان والإسلام والإحسان ، وتأمرهما بالصلاة ، وتدربهما على أدائها والأحكام المتعلقة بها ، فإذا بلغا سن العاشرة تضرب أولادها على الصلاة إذا امتنعوا عن أدائها ضرباً غير مبرح ، تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ بذلك ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »[1] .

٣ ـ تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتوحيد والفقه والتفسير والسيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين رجالاً ونساء ، وتعليم اللغة العربية ، مع مراعاة الأحكام الخاصة بالنساء والتركيز على شؤونهن الخاصة .

٤ ـ توفير الكتب المناسبة لسن البنت وظروفها وتحذيرها من الكتب الضارة .

٥ ـ توفير أشرطة المحاضرات والندوات والأناشيد التي ترسخ عقيدة الإيمان في القلب ، وتحث على اِلتزام الإسلام قولاً وعملاً .

٦ ـ تنمية ملكة التفكير والتأمل في المخلوقات الله وبديع صنعه بالتدريج ، من

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص١٨٧ ، قال عنه الألباني : حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير ، ج٥ ، ص٢٠٧ ، رقم الحديث ٥٧٤٤ .

المشاهدات إلى المعقولات ، ومن الجزئيات إلى الكليات ، كي يكون الإيمان بالله سبحانه عن قناعة وحجة وبرهان ، لا عن تقليد ومسايرة كي ينتفع بالإيمان ، وإقناع الغير بالدليل والبرهان ، والقرآن الكريم يتضمن هذا المنهج في غير آية من كتاب الله سبحانه .

ثانياً : مسؤولية التربية الخلقية :

تقوم الأم في البيت على توجيه أبنائها إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة مثل تعويدهم على الصدق ، وحثهم عليه ، وتنفيرهم من الكذب ، وترغيبهم في الأمانة وتحذيرهم من الخيانة كالسرقة وغيرها ، تعودهم على سماع الألفاظ الحسنة ، وتجنبهم وتحذرهم من السباب والشتائم ، كما تعود الذكور على الشهامة والقوة والرجولة ، وتجنبهم الميوعة والدلال[1] المفرط والانحلال ، وتحذرهم من مقارفة السوء ومجالسة أهله ، كما يلزمها التفريق فيما يصلح للرجال والنساء من الأخلاق ، فتوجه كل جنس من بنيها إلى ما يصلح له دنيا وأخرى ، وتجعل من نفسها مثلاً يحتذى في كل ما حسن من الأخلاق .

ثالثاً : مسؤولية التربية الجسمية[2] :

إن من المطلوب أن ينشأ الأبناء على قوة في الجسم وسلامة في البدن ، وإن مما يساعد على ذلك عناية الأم بسلامة مصدر الطعام والأمانة على طهيه ، فلا تطعمهم محرماً ولا مكروهاً ، واتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والملبس والمنام ، وتعليمهم الآداب الاسلامية المتعلقة بهذه الأفعال ، وعدم الإغراق في التنعيم أو التبذير فيما زاد عن الحاجة ، وتدريب كل جنس على ما يناسبه من أنواع الرياضة المباحة .

---

(١) الدلال : الإفراط في تلبية طلبات الطفل ، والتفريط في عدم معاقبته ، ومنه المثل : أدل فأمل . والاسم ، الدالة . انظر لسان العرب المحيط ، مادة : دلل .

(٢) انظر تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ ، ص٢٠٤ ، وما بعدها .

رابعاً : مسؤولية التربية النفسية[1] :

وهذا النوع من التربية مهم لأنه يرتبط بذات الإنسان ، فتربية الولد على الجرأة والصراحة والشجاعة والشعور بعدم النقص عمن حوله وحب الخير للآخرين وضبط النفس عند الغضب والتحلي بكل الفضائل النفسية مما يشعره بكيانه وقدرته على التفاعل مع المجتمع ، أما إذا تربى الولد على الخجل والخوف والشعور بالنقص ، فإن ذلك يولد في نفسه ظاهرة الحسد والغضب وكره المجتمع الذي حوله ، ولذلك يلزم الأم ملاحظة ذلك وإبعاد كل شيء من هذا النوع .

خامساً : مسؤولية التربية الاجتماعية :

وهي تأديب الولد منذ حداثة سنه على التخلق بالأخلاق الاجتماعية الفاضلة التي يعيش بها الولد في مجتمعه ذكرا كان أو أنثى ، وهي من أهم المسؤوليات في إعداد الولد . وهي الجامع لكل الفضائل والمسؤوليات السابقة ، وفيها تظهر الآثار لما سبقها ، وللتربية الاجتماعية ارتباط وثيق بالتربية النفسية ، حيث يوجد نقاط التقاء بينهما ، وخاصة فيما يتعلق بالعوامل النفسية التي لها طابع اجتماعي مثل التقوى ، والأخوة ، والرحمة ، والإيثار . والعفو ، والجرأة ، إلى غير ذلك من العوامل .

ويضاف إلى ذلك مراعاة الحقوق للناس على حسب القرب والرفقة والفضل والسن والجوار ، والتزام الآداب الاجتماعية العامة ، مثل آداب الطعام والشراب واللباس ، وآداب السلام والاستئذان ، وآداب المجلس والحديث ، وآداب التهنئة والتعزية ، وأدب العطاس ، وأدب عيادة المريض[2] .

سادساً : مسؤولية التربية الجنسية[3] :

---

(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام ، ص٢٩٩ .

(٢) انظر تربية الأولاد في الإسلام ، ص ٣٥٧ . وما بعدها .

(٣) انظر المرجع السابق ، ج١ ، ص٤٩٩ . وانظر حسن عبد العال ، أصول تربية الطفل في =

يحتوي كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ على نصوص كثيرة عالجت موضوع التربية الجنسية علاجاً جذرياً بأسلوب علمي متوافق مع متطلبات الفطرة داع إلى العفاف والحشمة بعيداً عن الإثارات الجنسية المنحرفة .

وقد جعل الإسلام تنظيم الميول الجنسية وتهذيبها من الواجبات التي تقع على عاتق الأبوين ومن في حكمهما نحو الناشئة .

كما ينبغي أن تكتمل حقيقة الأمور الجنسية قبل فترة المراهقة التي تكون في الغالب مليئة بالتقلق والتوتر للأولاد ذكوراً وإناثاً .

ولقد قام فقهاء الإسلام بتوضيح هذه القضايا وشرحها شرحاً وافياً شافياً لكل مسألة شملت ذكر المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته الجنسية ، مع ذكر الآداب المشروعة التي يلزم اتباعها . ومن أهم هذه القضايا ما يلي :

١ ـ مرحلة السن التي يلزم الأطفال فيها الاستئذان المقيد في أوقات معينة لقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ . . . ﴾ الآية[1] .

٢ ـ مرحلة سن التفريق في المضاجع بتخصيص فراش لكل طفل عند بلوغه سن العاشرة ، وتخصيص كل من الجنسين بغرفة مستقلة[2] لقول الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع »[3] .

= الإسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لكلية التربية بجامعة طنطا قسم أصول التربية ، ص١٥٨ .

(١) سورة النور ، جزء من الآية ٥٨ .

(٢) لعل اقتراح الغرفة المستقلة يتمشى من الهدي النبوي للحفاظ على الأعراض والفضيلة والعفاف .

(٣) سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ج١ ، ص٣٣٤ ، رقم الحديث ٤٩٥ . قال عنه الألباني حسن صحيح الجامع الصغير ، ج٥ ، ص٢٠٧ ، رقم الحديث ٥٧٤٤ .

٣ ـ مرحلة سن الاستئذان المطلق لمن بلغ الحلم لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

وفي هذه المرحلة تظهر علامات البلوغ التي يختلف فيها الذكر عن الأنثى ، حيث تتميز الأخيرة بظهور علامات خاصة مثل خروج دم الحيض ، والنفاس . وفيها يلزم البنت اتخاذ الحجاب عن الرجال الأجانب .

ولقد اعتنى الإسلام بالإنسان في هذه السن حيث حثه على الزواج عند أول فرصة يستطيع فيها القيام بالأعباء الزوجية حفاظاً على الأعراض والأخلاق ؛ فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[2] .

وحيث إن موضوعنا ينصب على إعداد المرأة المسلمة للدعوة ، فإن تعليم أحكام الدين من أهم القضايا التي يجب أن تلم بها المرأة المسلمة عامة لمعرفة أحكام الإسلام في الطهارة من الحيض والنفاس والكدرة والصفرة وغير ذلك مما يعد لازماً لأداء عبادتها على الوجه المطلوب ، وللقيام بواجب الدعوة لبنات جنسها .

وهذا مما لا ينبغي الحياء فيه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعن الحياء أن يتفقهن في الدين)[3] .

وقد سبق ذكر حديث المرأة التي جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله عن كيفية

---

(١) سورة النور ، الآية ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب من لم يستطع الباءة فليصم ، ج٩ ، ص١١٢ ، رقم الحديث ٥٠٦٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ، ج١ ، ص٢٦١ ، جزء من الحديث رقم ٦١ .

التطهر من الحيض ما يغني عن الإعادة[1] ، وهو شاهد قوي على وجوب تعلم المرأة أحكام طهارتها من الحيض والنفاس وغير ذلك .

سابعاً : التربية الدعوية :

والمقصود بالتربية الدعوية ، تدريب وإعداد الناشئة منذ نعومة الأظفار على مهمة الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحراسة الرأي العام الإسلامي حتى تسير الدعوة في دمائهم وعروقهم كي يشبوا مدركين لأبعاد هذا العمل العظيم ، ونضمن بذلك استمرار الدعوة بقوة وسعة انتشار لاتقاس بما هي عليه اليوم من تعثر وبطء في الطريق .

وكم خسر العالم الإسلامي اليوم بسبب غياب الفكر الدعوي سواء على مستوى الأفراد والأسر والجماعات ، أو على مستوى الحكومات والمؤسسات والهيئات العامة في الدولة الإسلامية .

ويكفي لحل هذه المشكلة العظيمة ـ في اعتقادي ـ أن تشعر كل أسرة بمسؤوليتها الخاصة في تربية الأبناء والبنات ، وتهيئتهم وتدريبهم وإعدادهم للدعوة ، ذلك لأن المجتمع يتكون من مجموع أفراد الأسرة ، وبالتالي فإن المؤسسات والهيئات الاجتماعية تتكون من أفراد الأمة الذين نشأوْا في أحضان الأسرة .

وبهذا الجوانب التربوية تتضافر الجهود لبناء شخصية المرأة المسلمة الداعية ، فينشأ بذلك الجيل المسلم الواعي الداعي إلى الله سبحانه وتعالى .

الخدمة الاجتماعية المنزلية :

تدخل الخدمة الاجتماعية المنزلية في نطاق عمل المرأة الدعوى في مجالات كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

---

(١) انظر ص١٢٥ من هذه الرسالة .

١ ـ **القيام على خدمة الزوج** وكسب رضاه ورعاية مصالح بيتها وشؤونها .

٢ ـ **حضانة الرضيع** : حيث تتطلب هذه الخدمة اهتمام المرأة المسلمة بغذائها الذي سيتغذى منه جنينها ورضيعها فيما بعد من حيث نزاهة المصدر ، وتنظيم أوقات تناول الوجبات ، والتركيز على أنواع من الغذاء لتساعد على إدرار اللبن من ثدييها حتى لا تفضر إلى الاعتماد على الرضاعة الصناعية .

كما تقوم بخدمة نظافة جسم الرضيع وثيابه وفراشه ، والعناية به ، ومنحه العطف والحنان ، والسهر على راحته ، والدعاء له ، وعدم إيذائه بسب أو ضرب مبرح ، والصبر عليه واحتساب عملها ذلك عند الله سبحانه وتعالى ، ولابد أن يكون لهذا العمل نتائج طيبة في نمو الرضيع الجسمي والعقلي والنفسي والإيماني فيترعرع سوياً وينشأ ناضجاً .

٣ ـ **إعداد الغذاء وخياطة اللباس** : إن قيام المرأة المسلمة على إعداد الطعام من شأنه أن يضمن للأسرة السلامة من المحرمات الداخلة في تركيبه ، كما أن قيام المرأة بمراعاة ما تتطلبه خياطة اللباس للرجل والمرأة يضمن توفر اللباس الشرعي في الإسلام ، ومراعاة ذلك من أوجب الواجبات ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك »[3] .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٥١ .

(٢) سورة البقرة . جزء من الآية ١٧٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ، ج٢ ، ص٧٠٣ ، رقم الحديث ١٠١٥ .

فإذا كان هذا شأن المرأة المسلمة الداعية فستتبع نظام الاقتصاد وعدم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس والأثاث تنفيذا لأمر الله عز وجل : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1] ، كما ستتجنب من الأقمشة والأثاث ما يحمل صور ذوات الأرواح أو أسماء الأشخاص .

٤ ـ **خدمات النظافة العامة داخل المنزل** وأثاثه والاهتمام بالزينة العامة للمنزل ، واختيار ما يتناسب مع تعاليم الإسلام ، فتتجنب استخدام أواني الذهب والفضة ، وصور ذوات الأرواح سواء كانت مجسمة أو غيرها من ما يشير إلى عبادة غير الله كالصلبان أو صور العذراء أو النجوم السداسية أو المنجل أو صور بوذا أو ما شابه ذلك ، ويدخل ضمن ذلك اختيار لعب الأطفال . فلا تجلب لأطفالها ما يؤدي إلى ضررهم في عقيدتهم الاسلامية أو أجسامهم أو ملابسهم .

مميزات المنزل :

يمتاز المنزل بخصائص ينفرد بها عن بقية وسائل الدعوة الأخرى مما يعطي فرصة أكبر للتوجيه والإعداد للدعوة . منها :

١ ـ اجتماع أفراد الأسرة داخل البيت معظم ساعات اليوم ؛ والتوافق النفسي والاجتماعي بينهم .

٢ ـ رؤية أفراد الأسرة للقدوة أمامهم في القول والعمل والسلوك ، مما يساعد على الاقتداء في ذلك .

٣ ـ امكانية إعطاء الإرشادات طوال ساعات اليوم على شكل جرعات خفيفة مما يسهل عملية تقبلها وثباتها في الذهن ، وهنا نظهر وضوح طريقة العرض الكيفي وليس الكمي للمعلومات كما هي الحال في المحاضرات العامة والندوات

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

والدروس .

٤ ـ إعطاء الجرعة حسب الحاجة فهو بمثابة وضع الدواء على الجرح مباشرة قبل تأثره بالعوامل السلبية الخارجية ، وتعتبر هذه العملية أكبر مساعد على نجاح العلاج .

٥ ـ التكيف في وضع الدروس المناسبة في القرآن وعلومه والسنة ، وعلومها ، والسير وعلوم اللغة العربية لعموم أفراد الأسرة في أي ساعة من ليل أو نهار ، وعلى قدر الحاجة والاستطاعة سواء كان ذلك يومياً ، أو يوماً بعد يوم ، أو أسبوعياً أو شهرياً ، مراعاة للأحوال النفسية والاجتماعية لتحقق أكبر قدر ممكن من الميول والإقبال ، ولتبعد الملل المؤدي إلى النفور .

٦ ـ إمكانية الاستفادة من البرامج الإذاعية الإسلامية المختلفة أثناء القيام بأعمال منزلية أخرى ، أو أثناء أخذ قسط من الراحة من عناء العمل اليومي .

٧ ـ استغلال فرص الدخول والخروج والطعام والشراب واللباس والنوم واليقظة وقضاء الحاجة للتدريب على الآداب العامة والأدعية الواردة في ذلك ، وتكرار ذلك في كل مناسبة مماثلة .

٨ ـ التوجيه والإرشاد أو العقاب أحياناً داخل البيت وليس أمام الناس يجعل الأثر الكبير لهذه التوجيهات وإصابتها الغرض المقصود .

٩ ـ الملاحظة المستمرة والمراقبة الذاتية للأسرة على أعضائها فيما بينهم يشجع على التذكير عند الحاجة بقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله مما يوفر فرص الحصانة الدائمة والصيانة المستمرة .

١٠ ـ توفر المناخ الإسلامي داخل البيت يساعد كافة أفراد الأسرة على اختلاف أعمارهم وأجناسهم على تجنب السلوك الخطأ أو العمل الشاذ .

١١ ـ إخلاص الأبوين في توجيه الأبناء والبنات يدفع إلى العمل الدائم دون توقف أو استرخاء .

١٢ ـ إمكانية قيام المرأة بالكتابة والتأليف في موضوعات الدعوة ، حيث تعتبر الكتابة أهم وأيسر وسائل الدعوة بالنسبة للمرأة ، حيث لا تتطلب منها الخروج اليومي من المنزل ، كما تملأ وقت فراغها بعمل مثمر جليل القدر عظيم القيمة .

ولا تنحصر مزايا المنزل فيما ذكر فحسب ، فهناك الكثير من المزايا التي يتعذر إحصاؤها ، وحسبنا هنا التمثيل لا غير .

تأثير الإعلام في المنزل :

لا أحد ينكر ما لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز من تأثير على النفس البشرية سلباً أو إيجاباً ، ولا يكاد يخلو بيت من أقترح : إحدى هذه الوسائل الثلاث على الأقل ، وهي تخاطب الصغير والكبير والذكر والأنثى .

وإذا أردنا أن نقيس ما يقدم من البرامج والموضوعات الإعلامية في عصرنا الحاضر على معايير الإسلام ، نجد أن معظمها تخالفه ، والسبب في ذلك راجع إلى عدم إدراك الأمة وتمييزها بين فن التقنية والأفكار وكأنهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، وعلى ذلك لما رغبت الأمة في نقل التقنية الإعلامية نقلتها بغثها وسمينها دون أن تعطي نفسها فرصة الانتقاء لبرامج معينة ، ودون أن تقوم بالتخطيط الإعلامي الذي يتمشى مع تعاليم الإسلام ، ودون أن تقوم بإعداد إعلاميين يسيرون على مثل هذه الخطط ، فنتج عن ذلك نقل الأفكار الغربية أو الشرقية المنافية لتعاليم الإسلام ، وقام على تنفيذها متسمون بالإسلام في بلاد الإسلام ، وقدموها لأمتهم على أنها الحق الذي لا مرية فيه .

ولذلك فإن النصيحة التي يمكن تقديمها بادىء ذي بدء هي عدم الأخذ من هذه الوسائل إلى أن يحل منهج الإعلام الإسلامي محل منهج الإعلام الكافر .

وإذا لم يكن في مقدورنا أن نقدم على هذه الخطوة فلابد من الاختيار الأمثل للبرامج الإعلامية ، ودقة الانتقاء ، للاستفادة مما يعرض فيها من برامج إسلامية وعلمية مجردة من الأفكار الدخيلة ، والتحذير من البرامج المحاربة للعقيدة

وشريعة الإسلام ، وبناء الحصانة الإيمانية القوية في النفوس حتى لا تتأثر بسلبيات وسائل الإعلام .

إن من الأمثلة التي يمكن اختيارها هي برامج القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وجميع البرامج الإسلامية التي تبث كل يوم عبر موجات الأثير ، كما يوجد بعض المجلات الإسلامية الأسبوعية والشهرية يمكن الاستفادة مما يعرض فيها من أخبار ومواضيع تهم المرأة المسلمة في حياتها اليومية مما يتناول قضايا العقيدة والشريعة والحياة الاجتماعيه .

وخلاصة القول فانه لابد من التعامل مع وسائل الإعلام بحذر شديد حتى لا تذوب الشخصيه الإسلامية ، ويضمحل الفكر الإسلامي ، وينقاد المسلم لأفكار غريبة على عقيدته وشريعته .

المبحث الثاني : المجتمع

يأتي المجتمع من حيث الأهمية الدعوية بعد المنزل مباشرة حيث يعتبر بحق أحد وسائط الدعوة إلى الله جل وعلا ، فمن خلال قنواته المختلفة يمكن للمرأة المسلمة الداعية أن تقوم بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بصيرة وعلم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن . بل إن هذا العمل من أوجب الواجبات على المرأة المسلمة على قدر الاستطاعة والإمكانات .

ويمثل المجتمع منازل الجيران الذين تتفاوت درجات حقوقهم بناء على درجة قربهم ، فمنهم من له ثلاثة حقوق مثل الجار المسلم القريب ، ومنهم من له حقان وهو الجار المسلم ، ومنهم من له حق واحد وهو الجار الكافر الذي لا رحم له .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان لأفراد المجتمع على اختلاف مكانتهم الاجتماعية فتناول ذلك كلاً من الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت الإيمان فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء الآية ٣٦ .

وانظر تف[illegible] ، ج[illegible] ، ص[illegible] وما بعدها .

وهذا الأمر يتناول الرجال والنساء كل في محيطه ، كما أن هذا الإحسان المأمور به في هذه الآية يتناول كافة أنواع الإحسان من تعليم وتوجيه ووعظ أو إطعام وكساء ودواء .

ويؤكد الرسول ﷺ حق الجار ومكانته العظيمة فيقول في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[1] .

فإذا كان جبريل عليه السلام ما زال يوصي بالجار رسول الله ﷺ حتى كاد أن يورث المال لجاره ، فإن الوصية بتعليمه وتفقيهه ووعظه من باب أولى . ولقد أشار الإمام ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث إلى ثبوت حق الجار في العلم ما يحتاج إليه فقال نقلاً عن أبي حجرة : (الميراث على قسمين حسي ومعنوي ، فالحسي هو المراد هنا ، والمعنوي هو ميراث العلم)[2] ، ثم أضاف الإمام ابن حجر قوله : (ويمكن أن يلحظ هنا أيضاً فإن حق الجار على الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه والله أعلم)[3] .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أوصى أبا ذر رضي الله عنه يتعاهد الجيران بالطعام ـ وهو ما يتعلق بخدمة الجسد ـ ، فإن اهتمامه ﷺ بالجار وبغيره فيما يتعلق بخدمة الروح من باب أولى . فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »[4] .

وهذه الأحاديث تشمل الرجال والنساء ، وهذا يدل على أن للجارات

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، ج١٠ ، ص ٤٤١ ، رقم الحديث ٦٠١٥ .

(٢) الفتح الباري ، شرح صحيح البخاري ،ج١٠ ، ص١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٤٤١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، ج٤ ، ص٢٠٢٥ ، رقم الحديث ١٤٢ .

والصديقات والزميلات علاوة على القريبات حق كبير على أختهن الداعية ، وأهم هذه الحقوق هو الدعوة إلى الله والتعليم والتفقيه في العلم ؛ فما على المرأة المسلمة إلا أن تكون قدوة صالحة قولاً وعملاً مستغلة جميع الفرص المتاحة في الزيارات اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية في الدعوة الفردية أو عن طريق الهاتف ، كما تستغل فرص الدعوات والحفلات والولائم والأفراح التي يجتمع فيها عدد كبير من النساء لتلقي فيهن درساً أو محاضرة ، أو يتفق مع أهل الحفل للتخطيط لعمل ندوة تعالج فيها بعض القضايا المعاصرة وما تدعو الحاجة إلى بحثه ومناقشته ، وما أكثرها في عصرنا الحاضر ، وما أحوجنا إلى معالجتها والتنبيه عليها .

والأمل في نجاح الدعوة في المجتمع المسلم كبير إذا سلكت الدعوة مسارها لصحيح ، لأن مصادر التشريع التي يستقي منها كلها تحمل عوامل تماسك المجتمع المسلم في آيات وأحاديث كثيرة ، فمن الآيات القرآنية قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[2] .

ومن الأحاديث ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ أنه قال : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »[3] ، ولا ريب أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يتناولها هذا الحديث .

وهذا ما يميز التربية الإسلامية الشاملة التي تربي المسلم على تحقيق الخير والبر والإحسان دون تعصب لقومية أو حزبية ، كما يحقق ذلك معنى التعاون في المجتمع الإسلامي ، ويساعد على ثبات العقيدة ونشرها وتعميمها .

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٠٣ .

(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية ٢ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ح ١٠ ، ص٤٣٨ ، رقم الحديث ٦٠١١ .

المبحث الثالث : المدرسة

تمهيد :

يقصد بالمدرسة هنا جميع مراحل التعليم التي تمر بها المرأة بدءاً من المرحلة الابتدائية الى نهاية المرحلة الجامعية . رسمية كانت الدراسة أم أهلية .

وترتكز المدرسة في المجتمع المسلم على أهداف التربية الإسلامية التي تهيء الفرد المسلم وتعده إعداداً من كافة جوانبه الروحية والعقلية والصحية والاجتماعية التي تتمشى مع توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة ليعيش وفق مراد الله داعيا إليه حتى يكون منتهاه الجنة .

لكن نتائج هذه التربية لا تتحقق إلا بالتنفيذ الصادق لها ، وإبعاد ما علق بها من شوائب العصر الحديث المتمثلة في عدم التمييز بين الصالح والطالح من حضارة القرن العشرين مما ادى إلى انحراف منهج التربية حتى في البلاد الإسلامية في نواح كثيرة منها ما يلي :

١ ـ الاكتفاء بالكشف عن الحقائق البشرية والكونية دون الاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه ومعرفة حقه على العباد بأن يعبدوه لا يشركون به شيئاً ، وكأن هذه المخلوقات قد أوجدت نفسها ، أو أنها وجدت صدفة ، وهذا السلوك يخالف منهج القرآن الكريم في الربط بين الخالق والمخلوق . كما في قوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ

شَيْءٍ ﴾[1] .

٢ ـ ولقد أدى ذلك في المدارس إلى فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى في منهج التدريس مما أثار القلق والحيرة عند الطلاب والطالبات ، فمدرس علوم يقول شيئاً عن الكون ، ويخالفه مدرس علوم الطبيعة أو الجغرافياً أو الكيمياء .

٣ ـ توحيد المناهج والمقررات لكل من الذكور والإناث دون النظر إلى الاختلاف البنيوي بينهما وما هيىء له كل منهما على انفراد .

٤ ـ دخول الشوائب على النية في طلب العلم حيث كاد أن يكون محصوراً في لحصول على الوظيفة وما سوى ذلك من الأمور الدنيوية .

مرتكزات المدرسة :

ومما سبق ذكره يتبين ضرورة ارتكاز المدرسة على أصول أربعة تؤدي كلها مجتمعة إلى وحدة اتجاه الطالبة المسلمة القائمة بأمر الله والداعية إليه ، وتتلخص هذه الأصول فيما يلي :

١ ـ المنهج الدراسي .

٢ ـ المدرسات .

٣ ـ الإداريات .

٤ ـ مبنى المدرسة المؤسس على حسب المواصفات الإسلامية المختلفة .

هذه هي الأصول الرئيسة في المدرسة التي يجب أن تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الركيزة الأساسية والمنهج الواضح ، ولابد أن تحمل جميع هذه الركائز المواصفات الإسلامية التي تجمعها وحدة الفكر والعقيدة والسلوك بما توحيه من الإيمان بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً .

---

(١) سورة النمل ، الآية ٨٨ .

وإذا حدث انحراف في واحدة منها أدى ذلك إلى تذبذب العملية التربوية وتخلخلها ، لأن التلميذة تتأثر بكل ما تراه من حولها سلباً أو إيجاباً في الغالب .

وفيما يلي نتحدث عن هذه العناصر :

العنصر الأول : المنهج الدراسي :

إذا تقرر اعتماد منهج التربية والتعليم على الكتاب والسنة فكيف يمكن تكييف هذ المنهج تبعاً للعمر الزمني والتعليمي للطالبة خلال مدة تتراوح في الغالب بين ١٢ ـ ١٦ سنة تقريباً وهي الفترة التي تبدأ من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثالث من المرحلة الثانوية أو المستوى الرابع من المرحلة الجامعية في الغالب ؟

وللاجابة عن هذا السؤال يمكن القول بتكييف المنهج تبعاً للأهداف المطلوبة في كل مرحلة دراسية حتى نتمكن من تكييف المنهج التعليمي والتربوي لكل مادة دراسية تحتاج لها الأمة المسلمة لإعداد أفرادها من النساء إعداداً يؤهلهن لحراسة الرأي الإسلامي العام بقيامهن بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى ذلك فإن الطالبة في المرحلة الابتدائية على سبيل المثال تحتاج إلى ما يلي :

١ ـ حفظ نصوص من الكتاب والسنة المطهرة .

٢ ـ ربط المادة العلمية بتطبيقاتها واستخدامها على أرض الواقع لتصبح المعلومات المعطاة سلوكاً وعملاً في حياة الطفلة في هذه المرحلة كما هي الحال على سبيل المثال في دراسة أحكام الطهارة والصلاة والصيام ، فبجانب العلم النظري لهذه الأحكام يوجد لها بالمقابل تنفيذ عملي مباشر غير متخلف عنه تقوم به المعلمة تدريباً للطالبات في كيفية الوضوء والصلاة .

فإذا جاء وقت البلوغ تكون الطالبة قد عرفت أحكام الحيض والنفاس وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بها .

كما تبسط مادة التوحيد لتقترب من أفهام الطالبات ولا يكتفى في المرحلة الابتدائية بحفظ النصوص فقط ، بل الواجب إيراد القصص وضرب الأمثلة الدالة على وحدانية الخالق سبحانه وحقه في العبادة وحده لا شريك له . كما يشار إلى الكون للدلالة على عظمة الله عز وجل وتوحيده .

ومن العجيب أن ضرب الأمثلة وسرد القصص الدالة على وحدانية الله لا تأتي إلا في مرحلة متأخرة من سني الطالبة الدراسية سواء كان ذلك في المرحلة المتوسطة أو الثانوية أو الجامعية بينما الواجب أن ندرك أن حاجة الطفل للقصص وضرب الأمثال أشد من حاجته في سن البلوغ والمراهقة أو الرشد .

٣ ـ تركيز المنهاج على الفقرات العلمية المناسبة لهذه المرحلة بحيث تساعد الطفلة على إشغال فكرها وتأملها في الكون وما حوله كتعرفها بمخلوقات الله سبحانه وعظمتها الدالة على عظمته ومن ذلك خلق السموات والأرض وإثارة إحساس التلميذة بقدرة الله على رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر ، كما في قوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[1] .

٤ ـ تركيز المنهج على إتاحة فرص التدريب والمران المتكرر لكل ما تتعلمه الطالبة وتنفذه حيث ثبت أن تكرار الخبرة وطول الممارسة والتمرين يرسخ المفاهيم ويقوي السلوك ويثبته .

٥ ـ اعطاء علوم القرآن والسنة حقها من الاهتمام لأنها مقصودة لذاتها في حياة المسلم ليعمر هذه الأرض وفق مراد الله سبحانه وهي الهدف المقصود في عمل الداعية .

٦ ـ ربط كل مادة علمية تجريبية أو إنسانية بنصوص شاهدة من كتاب الله وسنة

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢ .

رسوله ﷺ للدلالة على هيمنة الله سبحانه وتعالى على الكون كله الذي يسبح بكل ما فيه بحمد الله والثناء عليه : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(١) .

والأمثلة على هذا الربط كثيرة منها على سبيل المثال ما يلي :

التـــاريخ :

توجه الطالبة إلى دراسة تاريخ العالم الإسلامي بما في ذلك تاريخ بلدها مع التركيز على الصلات والروابط التاريخية للأمة الإسلامية في التاريخ والحضارة والاجتماع؛ موزعاً على سنوات الدراسة في مراحلها العامة مع عرض تاريخي لما أنجزه قادة الأمة الإسلامية في الفتوحات وما أسهمت به المرأة المسلمة خلال تاريخها الطويل مع بيان النتائج المترتبة على ذلك .

الجغرافيـــا :

إضافة إلى دراسة جغرافية القطر الذي تعيش فيه المرأة الداعية فلا بد من دراسة جغرافية العالم الإسلامي كله على أساس أنها أمة واحدة في العقيدة والتشريع مما يدعو إلى الاعتزاز بوحدة الأمة وعزة الأنتماء إليها وهو ما يمثل أحد أهداف تدريس مادة الجغرافيا في بلاد المسلمين ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في توصيات مؤتمر علماء الجغرافيا المسلمين الأول حيث ورد فيه : (أن يستهدف تعليم الجغرافيا تقرير الانتماء إلى الأمة الإسلامية وتأكيد وحدتها في نفوس أبناء المسلمين . . .)(٢) .

واعطاء القضايا الإسلامية مثل قضية فلسطين وأفغانستان وكشمير والجمهوريات الإسلامية الخاضعة لروسيا نصيباً وافراً في مقررات الدراسة التاريخية

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية ٤٤ .

(٢) انعقد هذا المؤتمر في الرياض بتاريخ ٢٢ ـ ٢٨ صفر عام ١٣٩٩هـ ، انظر مجلة الدارة ، العدد الثاني ، ص ٩٨ ، سنة ١٤٠٠ هـ .

والجغرافية .

كما جاء في توصيات المجلس الأعلى العالمي للمساجد إدخال موضوع فلسطين والمسجد الأقصى المبارك في مادتي التاريخ والجغرافيا .

ويضاف إلى ذلك دراسة شيء من تاريخ العالم وتفسيره تفسيراً إسلامياً لا بحسب ما تفسره كتب الغربيين من أهله كما يحدث الآن .

مادة الرياضيات :

إن من المناسب الاستفادة من هذه المادة في خدمة أهداف المجتمع الإسلامي ، وصرف فكر الطالبة إلى معين الشريعة الذي لا ينضب ، فعندما تدرس الطالبة العمليات الحسابية كالجمع والطرح يعرض عليها عدد أفراد جيش المسلمين في إحدى غزوات الرسول ﷺ مقارنة مع عدد أفراد جيش المشركين وتطلب منها إيجاد الفرق بينهما .

وإذا درست عمليات القسمة والكسور فإننا نعرض عليها مسائل في الفرائض بما يتناسب مع عمرها الدراسي ، أو نعرض عليها مسائل في الزكاة والصدقة والتبرعات الخيرية لبناء المساجد وغيرها من أعمال البر والإحسان .

وإذا أعطيناها عمليات حسابية على البيع والشراء نلفت نظرها إلى الفرق بين الكسب الحلال والكسب الحرام .

كما يوجد بعض المعارف التي تتجاذبها أكثر من مادة علمية ، فإذا ما تطرقت الطالبة لذكرها وجب ربطها بقضايا الإيمان بالله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته وسلطانه ، ومثال ذلك ما يلي :

١ ـ دراسة ظواهر الكون وسننه وقوانينه نوردها مرتبطة بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا

﴿مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

وعندما تتعرض الطالبة في أي مرحلة تعليمية لدراسة الدواب وفائدتها نذكرها بقول الله سبحانه : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[2] ، ولا يخفى ما في هذا الربط من بيان لفضل مسديها والمنعم بها علينا سبحانه وتعالى .

وعندما تدرس الماء وأهميته وخاصيته تربطه بقول الله سبحانه :﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] .

وعند دراسة ظاهرتي البرق والرعد نذكرها بأن هذه الظاهرة آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5] .

وإذا درست حركة الرياح نذكرها بأن الله عز وجل قد جعلها من وسائل التلقيح كما في قوله سبحانه : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٤ .

(٢) سورةالنحل ، الآية ٨٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، جزء من الآية ٣٠ .

(٤) سورة النحل ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٥) سورة الروم ، الآية ٢٤ .

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[1] .

وإذا درست أكسجين الهواء وما يتعلق بحالات نقصه وزيادته علواً وهبوطاً في طبقات الجو نبين أن القرآن الكريم قد تعرض لهذه المسألة في قوله سبحانه : ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] .

وعلى هذا النمط يكون تناول كافة العلوم والمعارف العامة[3] في جميع المراحل الدراسية العامة والجامعية .

العنصر الثاني : المعلمة :

ونقصد بها المرأة التي تتولى التدريس في المدارس ، وإذا أردنا إعداد المرأة المسلمة للدعوة فلا يقتصر الأمر على سلامة المنهج فحسب بل يتناول اختيار المعلمة التي تحمل نفس سمات المنهج المطلوب ، ولابد أن تتوفر فيها سمات المرأة الداعية مهما كان تخصصها العلمي ، ومن أهم هذه السمات ما يلي :

١ ـ الإسلام .

٢ ـ الإخلاص والعقيدة الصحيحة والسلوك والأخلاق الحميدة والنقاء الفكري والقدرة الحسنة ومعاملة الطالبات معاملة طيبة .

٣ ـ العلم الكافي للقيام بمهمة التدريس ومعرفة طرق وأهداف العمل التعليمي في أي مرحلة دراسية .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ .

(٣) انظر يوسف عزت الصباغ ، دور المدرسة الابتدائية في إعداد الداعية ، ص٩٠ ، وهي رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الحسبة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض سابقاً ـ كلية الدعوة والإعلام حالياً ، سنة ١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ .

٤ ـ الإلمام بوسائل الإيضاح ومتى يمكن استخدامها .

٥ ـ معايشة القضايا الاجتماعية المعاصرة وفهمها لحل المشكلات المتجددة على ضوء معالجة الإسلام لها .

٦ ـ قيامها بالوظيفة الدعوية من خلال التدريس والعلاقة العامة مع الطالبات .

٧ ـ الإعداد المسبق للمعلمة من خلال مرورها بمراحل الدراسة إعداداً يؤهلها للقيام بالعملية التعليمية .

٨ ـ الجمع بين وسائل الترغيب والترهيب حسب الحاجة وإعطاء كل مرحلة ما يناسبها فما ترغب فيه الصغيرة أو ترهب منه غير ما ترغب فيه الكبيرة أو ترهب منه ويجب أن يكون كل ذلك بمقدار معين .

العنصر الثالث : الإدارية :

ويقصد بها المرأة التي تتولى القيام بعمل إداري أو إشرافي أو كتابي أو خدمة عامة داخل المدرسة الخاصة بالنساء .

وأهم الشروط المطلوب توفرها في مثلها هي الشروط المطلوبة في المعلمة عدا ما يتعلق بالتخصص العلمي ومتطلباته .

إضافة إلى مزاولتها للدعوة من خلال العلاقات العامة مع الطالبات داخل المدرسة .

العنصر الرابع : المبنى المدرسي :

ويشترط في المبنى المدرسي أن يصمم وفق المواصفات الهندسية المتوافقة مع تعاليم الإسلام ، وأهمها ما يلي :

١ ـ أن يكون واسعاً ذا تهوية وإضاءة جيدة وأثاث مناسب .

٢ ـ حجب ساحاته وممراته وفصوله عن الأنظار الخاجية ، وذلك عن طريق

رفع سور المدرسة ونوافدها بمستوى يناسب ذلك .

٣ ـ عدم الاختلاط بين الجنسين .

٤ ـ تأمين حراسة من الخارج.

٥ ـ تأمين مواصلات كافية لنقل الطالبات من بيوتهن وإليها .

وأخيراً يلزم التخطيط الذي يهدف إلى عدم تكليف المرأة العاملة بأكثر من نصف ساعات عمل الرجل لتقوم بعملها المنزلي ورعاية مصالح أسرتها .

ومن الجدير ذكره أننا لا نقصر العملية الدعوية على ما يتعلق بالتعليم المباشر فقط ، بل إن من الأنشطة الدعوية ما يمكن تنفيذه خلال الأنشطة المدرسية خارج الدرس بإقامة المحاضرات والندوات والدروس الخاصة داخل المدرسة أو دعوة الداعيات من الخارج لإلقاء خطبة أو درس أو محاضرة أو اقامة ندوة عامة تتناول القضايا الاجتماعية المعاصرة سواء ما كان منها له جذور سابقة أو ما كان مستحدثاً بسبب ما تمر به الأمة المسلمة من نقلة حضارية اختلط فيها الحابل بالنابل ، كما أن بإمكان المدرسة أن تقوم ببرامج دعوية من خلال الأنشطة غير الصفية في الجمعيات الطلابية داخل المدرسة تحت إشراف المعلمات .

مميزات المدرسة :

ومما تقدم يتبين لنا ما تتميز به المدرسة على غيرها من وسائل الدعوة ما يلي :

١ ـ أن المدرسة بمراحلها المختلفة يجب أن تكون متحدة الهدف والغاية وفق ما جاء به الإسلام .

٢ ـ أنها تكاد تقوم بعملية تربوية متكاملة تساعد الطالبة على النمو في جميع جوانب شخصيتها من النواحي الثقافية والعقلية والصحية والاجتماعية والنفسية والخلقية المنضبطة مع تعاليم الإسلام . كما تُعَوِّد الطالبة على تنظيم الوقت والاستفادة من أوقات الفراغ بالقيام بالأنشطة المدرسية المختلفة .

٣ ـ أن المدرسة تقوم بالتكوين العلمي العام المنظم المنضبط ببرامج ومناهج وأوقات محددة مع تصفية المعلومات المطروحة من الشوائب العالقة ، ومحاولة التوافق الزمني مع سن الطالبة ، وما تحتاجه في كل مرحلة تعليمية .

٤ ـ توفر إمكانات النشاط المدرسي الجماعي المتعدد الأغراض في الجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية والرياضية وغير ذلك من الأنشطة الملائمة للمرأة المسلمة .

ويعتبر هذا التكامل العلمي والاجتماعي من أبرز العوامل المهيئة للوحدة النفسية المساعدة على إعداد المرأة المسلمة الداعية ، الواعية لما حولها والمدركة للمتغيرات الاجتماعية والنفسية والسياسية والدينية حتى تقوم بالدعوة على علم وبصيرة وحكمة وموعظة حسنة ، ويعتبر جهلها بهذه الأمور نقصاً في إعدادها قد يؤدي إلى فشلها في منتصف الطريق .

وبإمكان المدرسة في المراحل الابتدائية وما بعدها أن توسع نطاق النشاط الاجتماعي ليشمل حراسة الرأي العام الإسلامي بتدريب الطالبة على القيام بوظيفة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن تتزود بالمعارف المتعلقة بحكم الدعوة ووسائلها وأساليبها ومعرفتها بالصفات المطلوبة في المرأة الداعية من خلال دروس منهجية وتدريب على الدعوة في النشاط الاجتماعي والثقافي تحت إشراف كفاءات دعوية نسائية حتى تصبح الدعوة عند الطالبة خلقاً وعادةً وسلوكاً .

المبحث الرابع : المساجد

تمهيـد :

تعتبر المساجد بيوت الله سبحانه وتعالى تلقى فيها الدروس والمواعظ التي تعالج قضايا الإسلام وشؤون المسلمين ، يأخذ كل مسلم منها زاده العلمي الذي ينور له طريق عبادته وطاعته لله كل على قدر إمكاناته الشخصية واستعداداته الذهنية والفكرية وحاجاته النفسية والسلوكية والاجتماعية(١) .

ولقد كان للمسجد التأثير القوي على مسار حياة المسلم في صدر الإسلام ، وبالإمكان أن يكون له مثل هذا التأثير فيما إذا حاول المسلمون في عصرنا الحاضر إعادة بعض وظائفه إليه ، حيث ما تزال أهم وظائفه قائمة فيه متمثلة في الصلوات الجماعية الخمس ، وهي الشاهد على ارتباط المسلمين بربهم وإيمانهم الصادق به سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٢) .

ومن المعلوم بالضرورة أن من أهم وظائف المسجد الدعوة إلى الله ، والأمر

---

(١) انظر مصطفى كمال التارزي ، رسالة المسجد في الإسلام ، بحث ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص٧١ . نشر رابطة العالم الإسلامي ، مكة طبع دار عكاظ ـ جدة .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٨ .

بالمعروف والنهي عن المنكر استناداً إلى قوله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

فإذا كان المسجد وسيلة دعوة فهل تقتصر الاستفادة منه على الرجال دعاة ومدعوين فقط ، أم أن بالإمكان استفادة النساء منه كذلك ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن حضور المرأة للمسجد يمكنها من سماع الخطب والمواعظ والدروس العلمية والمحاضرات والندوات التي تقعد في المسجد ولا يمكن لأحد من الناس أن ينفي ذلك .

فهل يشرع للمرأة الحضور إلى المسجد ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا البحث عن مشروعية حضور المرأة للمسجد ، وهل هو جائز ، أو غير جائز ، فإذا توصلنا من خلال البحث إلى حكم الإسلام في ذلك استطعنا القول بإمكانية استخدام المسجد وسيلة دعوية للمرأة أم لا .

ومن المعلوم أن الله عز وجل لم يوجب صلاة الجماعة على المرأة ، ولذا فإن المرأة ليست من أهل الوجوب في صلاة الجماعة ولا الجمعة ، لكنها مع ذلك يباح لها الحضور إلى المسجد للصلاة فيه مع جماعة المسلمين بشروط معروفة في كتب الفقه .

وقد ورد في صحيح السنة القولية والفعلية والتقريرية ما يؤيد ذلك حيث نهى الرسول ﷺ الرجال عن منع النساء إذا رغبن في الحضور إلى المساجد ، وقد كانت الصحابيات يحضرن إلى المسجد للصلاة خلف رسول الله ﷺ مع الرجال ، ولكن خلف الرجال بمسافة تحقق أمن الفتنة وكان الرسول ﷺ يراهن على تلك الحال ويقرهن على حضورهن لأداء الصلاة جماعة مع المسلمين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

وفيما يلي نورد بعض النصوص الواردة في السنة عن إذن رسول الله ﷺ للنساء في الحضور إلى المسجد للصلاة مع جماعة المصلين .

فلقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[1] . كما صح عنه ﷺ أنه قال : « إذا استأذنت أحدَكم امرأتُه إلى المسجد فلا يمنعها »[2] ، وقد ربط الرسول ﷺ بين إذنه للمرأة أن تحضر للمسجد وبين بيان فضل بقائها في بيتها على حضورها للمسجد ، فقال ﷺ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »[3] ، ولم يكن إذن الرسول ﷺ للنساء في الحضور إلى المساجد على إطلاقه بل مع أمن الفتنة .

وقد وضع الرسول ﷺ شروطاً محددة يجب على المرأة الالتزام بها في حالة حضورها تتمثل في التوجيه القولي والتنفيذ العملي ، فمن توجيهه القولي قوله ﷺ مخاطباً النساء : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً »[4] .

أما عن جانب التنفيذ العملي فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قد خصص للنساء باباً في مسجده الشريف يعرف باسم باب النساء كان لا يدخل منه إلا النساء[5] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، ج١ ، ص٣٢٧ ، رقم الحديث ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ، ج١ ، ص٣٢٦ ، رقم الحديث ٤٤٢ .

(٣) مستدرك الحاكم ، ج١ ، ص٢٠٩ ، قال عنه الإمام الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، كما صححه الألباني في كتابه صحيح الجامع الصغير ، ج٦ ، ص١٧٤ ، رقم الحديث ٧٣٣٥ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ، ج١ ، ص٣٢٨ ، رقم الحديث ١٤٢ .

(٥) لقد سبق ذكر الحديث الخاص بهذا الموضوع في هذه الرسالة ص٤١٤ .

كما أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (إن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس فينصرفن نساء المؤمنين لا يعرفن من الغلس أو لا يعرف بعضهن بعضا)[1] .

ويباح للمرأة المسلمة حضور صلاة الجمعة لسماع الخطبة ، بل إن الرسول ﷺ أمر النساء بالحضور في صلاة العيدين وسماع الخطبة فيهما ، وشاهد ذلك ما روته أم عطية رضي الله عنها قالت : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى العواتق[2] والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين)[3] .

وعلى ضوء ذلك الإذن النبوي للمرأة المسلمة وإباحته حضورها المسجد ومشاركة المسلمين الصلاة وسماع الخطب والمواعظ ، يمكننا أن نقول بإمكانية

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب سرعة انصراف النساء من الصبح ، ج٢ ، ص٣٥١ ، رقم الحديث ٨٧٢ . قوله (فينصرفن) هو على لغة بني الحارث . ذكره الإمام ابن حجر في شرح الحديث المذكور .

(٢) العواتق جمع عاتق وهي الجارية التي قد بلغت . انظر لسان العرب المحيط مادة عتق .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة مفارقات للرجال ، ج٢ ، ص٦٠٦ ، رقم الحديث ١٢ . ومن هذا الحديث قال بعض العلماء بمشروعية حضور صلاة العيدين وجوباً ، وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن هذه المسألة فقال : بالوجوب .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عطاء عن ابن عباس أنه قال : (أشهد على رسول الله ﷺ لصلى قبل الخطبة قال : ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأمرهن بالصدقة وبلال قائل بثوبه ـ أي مشير به إلى الطالب ـ فجعلت المرأة تلقي الخاتم والخرص والشيء) . المصدر السابق ، ص٦٠٢ ، رقم الحديث ٢ .

الاستدلال على إباحة اتخاذ المرأة المسجد وسيلة من وسائل الدعوة الموجهة منها إلى أخواتها المسلمات عن طريق إلْقاء الدروس والمحاضرات والندوات التي تعقد داخل المسجد في مكان مخصص للنساء بعيداً عن أنظار الرجال ، خاصة في عصرنا الحاضر الذي تطورت فيه هندسة البناء تطوراً يساعد على ذلك .

القائمون بالإعداد :

إذا كان المسجد على هذه الصفة المذكورة أمكن لإمام المسجد أن يقوم فيه بالدعوة إلى الله والتوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإعداد الدعوي للرجال والنساء من خلال الدروس اليومية أو الأسبوعية سواء في خطبة الجمعة أو إقامة درس خاص من قبل هذا الإمام أو غيره من أصحاب العلم والتقوى والورع باستخدام مكبرات الصوت .

كما يمكن للدعاة أن يشاركوا في إلْقاء الدروس والمحاضرات والندوات في المسجد بحيث يمكن مشاركة النساء في الاستماع إلى هذه الدروس والمحاضرات والندوات .

ولا يقتصر الأمر على مشاركة الدعاة من الرجال فحسب ، بل ينبغي أن يطلب من النساء الداعيات المشاركة في إقامة دروس ومحاضرات وندوات في المكان المخصص لهن داخل المسجد على جماعة النساء ، ويكون من ضمن هذه الدروس والمحاضرات والندوات مواضيع تعالج كل ما يخدم المرأة المسلمة وقضاياها كما يفتح المجال للتدريب العملي بغية إعداد المرأة المسلمة للدعوة تمارس فيه كافة الوسائل المشروعة .

وفي اعتقادي أن المجتمع الإسلامي لن يعجز بإذن الله عن توفير مثل أولـئك النسوة اللاتي بلغن درجة كبيرة في العلم والمعرفة سواء كن خريجات الحلقات

الخاصة أو ممن حصلن على درجات علمية في كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة .

كما أني أتصور بإذن الله نجاح هذه المحاضرات والندوات والدروس واللقاءات والمناقشات التي يكون فيها طرفا المعادلة من النساء فقط مشاركات في الإلقاء ومستمعات .

وما أحوج نساء عصرنا إلى التوجيه والإرشاد والتعليم والإعداد كما كان عليه سلفهن الصالح من أمهات المؤمنين والصحابيات أمثال خديجة بنت خويلد وعائشة وحفصة وسودة زوجات المصطفى ﷺ وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة بناته عليه الصلاة والسلام ، وهند بنت عتبة وأم عمارة وفاطمة بنت الخطاب وأم سليم بنت ملحان زوج أبي طلحة[1] رضي الله عنهم أجمعين .

مكان المرأة في المسجد :

حيث إن القاعدة الأساسية للمرأة الحجاب والحشمة والوقار ، فلا تبرج ولا سفور ولا اختلاط مع الرجال الأجانب حفاظاً على شرفها وعفافها وكرامتها ، فلا بد من تهيئة الجو الشرعي المناسب لمشاركة النساء في المساجد ، وذلك بإعداد مكان خاص في المسجد يكون مأمون المداخل والمخارج، مصاناً عن الأعين ، سواء كان خلف المسجد أو فوقه أو تحته ، بصورة تؤدي إلى استفادة النساء مما يلقى فيه من الخطب والدروس والمحاضرات والندوات ، وأداء الصلوات ، وذلك بالاستفادة من مكبرات الصوت .

(وتخصيص مكان على هذه الصفة في المسجد يتطلب من المهندسين المعماريين وضع المخططات الهندسية اللازمة لمثل هذا النوع من المساجد ، وذلك حسب

---

(١) كان من أولئك النسوة الفاضلات ، المشاركة الفعالة في خدمة هذا الدين والدعوة إليه ، بل وافتداؤه بالمهج والأرواح ، وتقديمه على شهوة النفس ورغباتها ، وقد سبق ذكر شيء من ذلك مما يغني عن إعادته . انظر ص١٣٠ وما بعدها من هذه الرسالة .

ما يراه المهندسون المعماريون المسلمون من سعة مساحة أرض المسجد أو ضيقها ، حيث يمكن في هذه الحالة الأخيرة أن يخطط لعمل شرفة خلف المسجد يرتفع سقفها عن المصلين بمقدار يسير)[1] .

وليس مثل هذا الوضع من المساجد بجديد ، فإن مثل هذا النموذج يكثر وجوده في بلاد العراق ومصر والسودان وسوريا وباكستان[2] .

وإن هذا الوضع في المساجد بادرة طيبة تستحق التشجيع ، فالنساء شقائق الرجال : (فينبغي العناية بأمرهن في هندسة المساجد ، وعمل دورات مياه خاصة بهن ليتمكن من الحضور إلى المساجد والاستفادة من المحاضرات)[3] .

مميزات المسجد :

للمسجد مميزات يختص بها دون غيره من وسائل الدعوة ومن أهم هذه الخصائص في رأيي ما يلي :

١ ـ حيث إن المسجد مكان عبادة ، يكره فيه الكلام في أمور الحياة المعاشية ، فإن القادم إليه يأتي بنية التوجه إلى الله مفرغا نفسه من أمور الدنيا المعاشية ، مشتغلاً بذكر الله والثناء عليه ، وقراءة القرآن ، مستعداً ـ في الغالب ـ لسماع ما يلقى إليه من دروس ومواعظ وتوجيهات جاعلاً في حسبانه احتساب الأجر والثواب عند الله .

٢ ـ ويمتاز المسجد بوجود جميع مستويات المجتمع ممثلة فيه ، فلا فرق بين أبيض وأسود ، ولا صغير وكبير ، ولا رئيس ومرؤوس ، وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة من خلال الدعوة الجماعية عبر هذه القنوات البشرية المختلفة الأجناس

---

(١) انظر أحمد عبد العزيز آل مبارك ، أوضاع المساجد في العالم المعاصر ، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد ،ص٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص٥٠ .

والثقافات .

٣ ـ توسط المسجد بين مساكن الحي ، وسهولة الوصول إليه دون تكلف أو عناء ، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة .

٤ ـ توفر الأوقات المناسبة عقب الصلوات لإلقاء المواضيع المطلوب عرضها بدون تكلف .

٥ ـ عدم وجود العقبات الإدارية الموجودة غالباً في غير المسجد ، مثل الاستعداد لتهيئة المكان ، والإعلان عن موضوع المحاضرة والدرس إلا في حالة وجود محاضرة عامة يدعى إليها .

المبحث الخامس : مكاتب الدعوة (النسائية)

حيث أصبح خروج المرأة إلى العمل في محيط النساء من الظواهر الاجتماعية في عصرنا الحاضر للحاجة الماسة للتعليم والتطبيب والخدمة الاجتماعية ، فلابد من تخصيص أماكن منفصلة عن الرجال على أن تلتزم في خروجها بالشروط الشرعية ؛ وحيث إنها مطالبة بالدعوة إلى الله ، فلابد من حاجتها إلى مرجع دعوي نسوي يزودها بكل ما تحتاج إليه في شؤون دينها علماً وعبادة وسلوكاً .

ونرى أن يتمثل هذا المرجع في مكاتب نسائية للدعوة إلى الله متفرعة عن مؤسسات الدعوة الرسمية أو الأهلية تكون مهمتها ما يلي :

١ ـ الإجابة على الفتاوي .

٢ ـ تزويد المراجعات بالكتب المطلوبة بقدر الإمكان .

٣ ـ التخطيط لإقامة المحاضرات والندوات والدروس النسائية ، وتنفيذها في أماكن خاصة بالنساء في المساجد وغيرها .

٤ ـ تشجيع النساء على التأليف ونشر البحوث بهدف نشر الدعوة إلى الله عن طريق الكتابة ، وذلك مما يناسب أوضاع المرأة المسلمة ويلائمها .

٥ ـ التعاون مع المكاتب والهيئات الدعوية النسائية في كل بقاع العالم فيما لا يتعارض مع وظيفة المرأة المسلمة ورسالتها في الحياة ، مع مراعاة ظروف المرأة واستعداداتها وارتباطها بالمنزل أكثر مما عليه الرجل ، وعدم مطالبتها بالساعات المقررة للرجل .

المبحث السادس : الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم

تقوم الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بأعمال جليلة هدفها خدمة كتاب الله عن طريق إنشاء مدارس أهلية خيرية يلتحق بها الراغبون والراغبات في دراسة كتاب الله تلاوة وتجويداً وحفظاً ، وتعد هذه المدارس الخيرية إحدى وسائل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

وحيث إن المرأة المسلمة مطالبة بالدعوة إلى الله ، فإن على الدولة المسلمة والمجتمع المسلم مسؤولية كبيرة في توفير كافة الإمكانات لافتتاح مثل هذه المدارس ليتحقق بذلك أسمى الأهداف المرجوة للمرأة المسلمة ، وأهمها ما يلي :

١ ـ توثيق صلة المرأة المسلمة بكتاب الله لتحسن قراءته وتجويده وحفظه وتعظيمه في نفسها .

٢ ـ التحلي بأخلاق القرآن وآدابه ، وبذلك تصلح حالها ، وبصلاحها ستعرف حقوق زوجها ، وستربي أولادها تربية قرآنية على أمل أن يسري ذلك الصلاح إلى نساء المجتمع بإذن الله .

٣ ـ تخريج العالمات الحافظات لكتاب الله[1] ، فتحيا بذلك من جديد روح الإيمان في قلب المرأة المسلمة في عصور الإسلام الزاهية ، فتقتدي المرأة المسلمة

---

(١) انظر التقرير السنوي للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة لعام ١٤٠٧ ـ ١٤٠٨هـ ، ص٨٣ .

المعاصرة بسلفها الصالح من أمهات المؤمنين أمثال خديجة وعائشة وحفصة وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين ، يقول المولى سبحانه وتعالى :﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1] .

٤ ـ تخريج المعلمات المتقنات للقرآن الكريم تلاوة وتجويداً وحفظاً ليقمن بتدريس كتاب الله على الوجه الصحيح لبنات الجيل أمهات المستقبل ليعم بذلك الخير في أرض الله لعباد الله ، حيث يقول الرسول ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2] .

٥ ـ الدعوة إلى الله وإلى كتابه والعمل بما جاء فيه واتباعه[3] ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4] .

وينبغي على المسؤولين وضع الحوافز المادية لحفظة كتاب الله ليكون دافعاً لبذل الجهد وصرف الوقت في دراسة القرآن الكريم ، ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم تولي هذا الأمر عناية خاصة في كل مكان ، فتخصص جزءاً من الواردات المالية لصرفها للمتفوقين من الطلاب والطالبات وكل من أنجز قدراً معيناً من الحفظ كل بحسبه ، ومثال ذلك ما تقوم به الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[5] .

---

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية ١٢٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ج ٩ ، ص٧٤ ، رقم الحديث ٥٠٢٧ ، والحديث من رواية عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣) انظر التقرير السنوي للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض سنة ١٤٠٦هـ ، ص١١ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٣ .

(٥) انظر تقريري الجماعات الخيرية في كل من الرياض والمدينة المنورة للأعوام ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨هـ على التوالي .

المبحث السابع : المستشفيات

إن حاجة الإنسان لما يحفظ بدنه تأتي بعد حاجته للشريعة التي تحفظ روحه وتغذيها ، وذلك لأن الإنسان إنما هو بدن وروح مرتبطان أوثق ارتباط . ولعل ارتباطهما الوثيق يعطي أهمية كبيرة لاستخدام مجال الطب في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لأن حاجة الإنسان للشريعة التي تعالج روحه أعظم من حاجته للطب الذي يعالج بدنه كما أشار إلى ذلك الإمامان ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى[1] .

ولذلك فإن على أمة الإسلام واجباً عظيماً ومسؤولية كبيرة في خوض كل ميدان ، واستخدام كل وسيلة مشروعة يمكن عن طريقهما نشر الإسلام والدعوة إليه .

ومن أهم هذه الوسائل الطب ، فالمستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية في بلاد الإسلام مسؤولة عن حمل هذه الأمانة ، ولابد أن يشعر المسؤولون فيها والقائمون عليها بعظم المسؤولية الدعوية المناطة بهم من خلال عملهم أثناء العلاج وخدمة المريض وصرف الدواء ، يطعم المريض بالإيمان مع جرعات الدواء ، ورب كلمة في الإيمان واحدة من الطبيب تكفي عن محاضرات وندوات ودروس كثيرة . بل إن هذه الجرعات الإيمانية من أحسن الأدوية حتى للأمراض البدنية ، وذلك لأن الأحوال النفسية تؤثر في الحالات البدنية كما صار الآن معروفاً للأطباء .

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص٢ .

ولقد شعر المبشرون بالنصرانية بأهمية مكانة الطبيب ومجموعته الطبية واستغلوها لنشر دياناتهم ، ولقد أفصح صمويل زويمر ـ الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين ـ عن هذه الأهمية بقوله : (إن جميع العاملين في ميدان التبشير في الجزيرة العربية متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح القلوب المغلقة ، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة ، إن المستشفيات في الجزيرة العربية هي مكان تلتقي فيه الرحمة بالخلق ، ويتعانق فيه الصلاح والسلام)[1] .

وكلما كان الطبيب ناجحاً ومخلصاً في عمله ، كان ذلك أدعى لتعلق المريض به وتنفيذ نصائحه وإراشاداته في كل موضوع . ولا يقتصر ذلك على مجال الطب فقط .

ولعلنا إذا استعرضنا صفحة من تاريخ التنصير في منطقة الخليج العربي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ لوجدنا أن عدداً من الإرساليات الأمريكية قد وصلت إلى المنطقة مع إطلالة القرن العشرين متقنعة بقناع الطب .

ولم يقتصر الأمر على تجنيد الأطباء من الرجال فحسب ، بل إن النساء قد جندن أيضاً لهذا العمل التنصيري ، وأعددن له باسم الطب والتمريض ، ولقد بدأ هذا النشاط النسوي التنصيري منذ عام ١٩٠٢ ـ ١٩٥٧م[2] .

ولعل هذا الرصد التاريخي يعطينا مؤشراً يدل على وجود مثل هذا العمل التبشيري في مستشفيات المسلمين التي لا تزال معتمدة على الأيدي العاملة في هذا المجال من الديانات الأخرى .

والحق أن هذا الوضع يشكل خطورة كبيرة على عقيدتنا ـ نحن المسلمين

---

(١) د/عبد الملك خلف التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص٨٠ ، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، نشر شركة كاظمة للنشر والترجمة ، الكويت ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .

(٢) انظر التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص١٥٤ ، الجدول رقم ٣ : ١٢ ، ٣ : ١٣ ، وانظر الصفحات ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ .

بعامة ـ لأننا لا نزال عالة على غيرنا من أصحاب العقائد والتشريعات الأرضية ، لذلك فلابد من معالجة هذا الوضع المنذر بالخطر .

ولذلك إذا أرادت الأمة الإسلامية أن تجعل مستشفياتها مراكز دعوة إلى الله ، فإن عليها أن تقوم بعمليتين إلى جانب عملها التخصصي :

١ ـ محو آثار العقائد الدخيلة مثل النصرانية وغيرها من الملل الضالة .

٢ ـ غرس الثقة بالإسلام في نفوس المرضى .

ولعل الباحث يدلي بما يراه من مقترحات تساعد الأمة على معالجة الوضع المتردي في المستشفيات على الأرض الإسلامية في النقاط التالية :

١ ـ مضاعفة الجهود لتوفير العدد الكافي من الأطباء والممرضين المسلمين رجالاً ونساء ، ومنع غيرهم إلا عند الضرورة .

٢ ـ تشجيع المسلمين وحثهم رجالاً ونساء على الانخراط في كليات الطب ، وتشجيع النساء المسلمات خاصة للاستغناء بهن عن الرجال في تطبيب النساء في جميع التخصصات الطبية وبالذات طب أمراض النساء والولادة ، وتوجيه جهود التعليم النسوي للتخصصات التي تخدم النساء مثل الطب والصيدلة والتعليم والاقتصاد المنزلي والخدمة الاجتماعية وتربية الأبناء .

٣ ـ وإذا اقتضت الضرورة التعاقد مع طبيبة أو ممرضة فلابد من أن تكون مسلمة مع اشتراط وجود محرم لها .

٤ ـ منع الخلوة والاختلاط بين الرجال والنساء سواء كانوا أطباء أو مرضى ، ويؤمن لكل فريق مبنى مستقل ، ويزود كل فريق بعدد من الإداريين والإداريات كل فيما يخصه ، مع تحديد ساعات عمل الطبيبات بنصف ساعات الأطباء ليقمن بمسؤولية المنزل .

٥ ـ الحذر الشديد والمراقبة الدائمة لكل نشاط معاد يشم منه أثر للتنصير أو

العلمنة أو الشيوعية أو اي عقيدة جاهلية أو انحراف في السلوك .

٦ ـ القيام بالدعوة داخل المستشفيات وسكن الأطباء والطبيبات باستخدام كافة الأساليب المشروعة في ذلك ، مثل المحاضرات والدروس والندوات ، مع تأمين إذاعة داخلية تبث من خلالها البرامج الإسلامية مع التركيز على برامج خاصة للأطباء والطبيبات .

٧ ـ قيام الطبيبات والممرضات بالدعوة من خلال عملهن مع المريضات .

٨ ـ قيام الداعيات بإلقاء محاضرات ودروس وندوات داخل المستشفى للطبيبات والممرضات والمريضات باستخدام كافة أساليب الدعوة المشروعة دون الاقتصار على نوع واحد منها .

٩ ـ إفساح المجال أمام القادرة من المريضات من الناحية الصحية والنفسية والعلمية بمزاولة الدعوة داخل المستشفى مع كل الفئات النسائية .

١٠ ـ الدعوة الفردية لها أثر كبير ، فيجب التركيز عليها فيما بين النساء في كل الفئات سواء كن طبيبات أو ممرضات أو مريضات .

١١ ـ مراعاة الأسلوب المناسب في الدعوة الجماعية أو الفردية .

١٢ ـ القيام بتوزيع نشرات تعليمية عن أحكام الطهارة والصلاة والصيام وغير ذلك مما تمس الحاجة إليه .

وخلاصة القول : أن الدعوة من خلال جهاز المستشفيات من الأهمية بمكان ، فإذا رأينا أن التنصير عن طريق الطب قد آتى بعض ثماره ، فإن الدعوة إلى الإسلام عن هذا الطريق ستعطي أكبر النتائج المرجوة بإذن الله لأمور نذكر منها :

١ ـ أن الإسلام دين الفطرة ، فالنفوس تميل إليه وتقبله خصوصا عندما ترتبط الدعوة إليه بعمل إنساني كالتطبيب .

٢ ـ أن الإسلام لا يقيس النتائج بحجم التكاليف المادية كما يفعل المنصرون ،

فالإسلام يضع هداية الإنسان أسمى غاياته مهما كلف ذلك من جهود ومبالغ مادية كما يتضح ذلك من وصية رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن حيث قال : « لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم »[1] .

ولذلك فالإسلام يسخر كل الطاقات البشرية والاقتصادية من أجل غاية سامية هي نشر الدعوة إلى دين الله سبحانه .

أما ما يمكن أن يتحقق على يد الطبيبة المسلمة من فوائد في مجال الدعوة إلى الله فلا يمكن حصرها بل نذكر منها ما يلي :

١ ـ تحقيق الفرض الكفائي الواجب على المسلمين كافة .

٢ ـ حماية جناب التوحيد لأن الطبيبة المسلمة تقوم بعملها الطبي وتنسب الشفاء إلى الله عز وجل بدلاً من أن ينسبه الطبيب النصراني أو الطبيبة النصرانية إلى السيد المسيح عليه السلام .

والشافي الحق هو الله سبحانه كما قال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[2] .

٣ ـ علاج الأمراض النفسية يعتمد اعتماداً كلياً على الإيمان بالله الواحد الأحد وبما جاء عن الله سبحانه وعن رسوله محمد ﷺ ، فيمكن للطبيبة المسلمة توجيه نظر المريضة إلى هذه الحقائق الإيمانية ، كما يمكن توجيه المريضة إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ ، وهذا العلاج لا يمكن أن يأتي على يد الطبيبة الكافرة ، وربما قدمت الطبيبة الكافرة نصيحتها بارتكاب معاص الله بحجة حل العقدة النفسية والكبت بأنواعه .

٤ ـ علاج القلق الناتج عن ارتكاب منكر لا يمكن أن يقوم به إلا الطبيبة

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام ، ح ٦ ، ص١١١ ، جزء من الحديث ذي الرقم ٢٩٤٢ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٨٠ .

المسلمة ، لأن الكافرة لا يمكن الثقة فيها ، فقد تدعو المريضة إلى ارتكاب منكر آخر .

٥ ـ وجود بعض الأمراض الناتجة عن مخالفة شرعية مثل مرض تليف الكبد الذي قد ينتج عن تعاطي الخمور ، أو مرض الزهري والسيلان والإيدز والهربس الناتج عن الزنا والشذوذ .

٦ ـ عدم الثقة في الطبيبة الكافرة في حفظ أسرار المسلمات وعوراتهن .

٧ ـ عدم الثقة في نصيحة الطبيبة الكافرة ، فقد تأمر باستئصال جزء من المريضة بحجة خطر بقائه مع إمكانية علاجه دون استئصال .

٨ ـ قد تقدم الطبيبة الكافرة نصيحتها للمريضة بترك صلاة أو صيام مع قدرتها الصحية على ذلك .

٩ ـ إقناع المريضة بمرضها وتذكيرها بفضل الله ورحمته ولطفه لا يقوم به سوى الطبيبة المسلمة .

١٠ ـ وجود الطبيبة المسلمة يحل إشكال انتهاك عورات النساء من قبل الرجال أو الطبيبات الكافرات ، وقد قال بعض الفقهاء بتحريم نظر الكافرة إلى عورة المسلمة[١] .

---

(١) استقيت هذه الفوائد في مقابلة مع الطبيب وليد بن صالح الطويرقي طبيب أمراض العيون (المقيم) بمستشفى الأمن العام بالرياض مساء السبت ١٤٠٨/٧/٣هـ .

المبحث الثامن : السجون

إن الدنيا لا تدوم على حال واحدة دائماً ، فقد يتعرض الإنسان في حياته لمصائب ونكبات يدخل بسببها السجن ولو كان مظلوما .

وفي هذه الحالة فإنه لا ينبغي أن تترك السجون ـ وهي موضوعة أصلا بقصد الإصلاح ـ فقط للعقاب النفسي والبدني ، بل إن الواجب على المسؤولين أن يضعوا برامج توعية ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى لنزلاءالسجون لعل الله أن يهدي هؤلاء الناس ، ويحدثنا القرآن الكريم عن تجربة في الدعوة إلى الله تمت في أحد سجون مصر قام بها النبي يوسف عليه السلام حين فضل دخول السجن على ما واجهه من ابتلاء أعظم منه ، ولقد استغل يوسف عليه السلام فرصة وجوده في السجن فدعا إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، ولنقرأ ما يقوله الله سبحانه في هذه القضية : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ

أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

ومن قصة سجن يوسف عليه السلام نستخلص أنه يمكن استغلال السجن للدعوة سواء كان الداعية أحد السجناء أو كان من غيرهم .

وما يقع على الرجال يمكن أن يقع على النساء كذلك ، وفي هذه الحال فإن الدعوة إلى الله داخل سجن النساء من المسؤوليات العظيمة ، فيلزم المسؤولين عنها تعيين نساء يقمن بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومجالات الدعوة لمن هن داخل السجن كثيرة لا تحصر ، منها الدعوة إلى التوحيد وشرائع الاسلام ، والحث على الصبر والتقوى ، والدعوة إلى التوبة والاستغفار ، والترغيب في ذلك مع بيان فضل التوبة وما أعده الله للتائبين ، كما تبين الداعية أن هذا السجن ربما كان خيراً للسجينة ، فلعله يكفر به عن ذنوبها ويمحو سيئاتها ، ويكون سبباً لإعادتها إلى جادة الصواب إن كانت قد ارتكبت شيئاً من المعاصي التي استوجبت دخولها السجن .

وبالامكان إيجاد برامج لحفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإقامة دروس يومية داخل السجن .

---

(١) سورة يوسف ، الآيات من ٣٦ ـ ٤٠ .

المبحث التاسع : مراكز الرعاية الاجتماعية

إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على مجرد الكلام من خلال الدروس والمحاضرات والندوات واللقاءات الفردية والجماعية ، بل تتناول تقديم خدمات اجتماعية ، تركز خدماتها على جسم الإنسان ، علاجاً ونمواً ورعاية ، من خلال تقديم الخدمات الاجتماعية المادية والعلاجية ، وصرف الدواء ، والسهر على راحة المرضىٰ لكل محتاج لهذه الخدمات دون النظر إلى مستواه الاقتصادي أو الاجتماعي كما ذكرنا أثناء الحديث عن الدعوة عن طريق المستشفيات والمراكز الصحية ، وكذلك تقديم المساعدات المالية والعينية والثقافية والتدريب المهني عن طريق الجمعيات الخيرية النسائية لكافة الأسر المحتاجة ، هذا بالإضافة إلى وجود فئة من بنات المسلمين لا يحس بهن إلا من كان له اتصال مباشر بهن أو علاقة ، وتمثل نسبة كبيرة في المجتمعات ، وهذه الفئة هي فئة الفتيات اليتيمات من الأبوين أو أحدهما ، والمشردات من بيوت أهلهن لأي سبب ، أو من بدأت عليهن بوادر الانحراف .

إن لهذا النوع من الخدمات الأثر الكبير في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، بل إن تقديم خدمة يسيرة من هذه الخدمات قد يكون لها من الأثر في نفوس المستفيدات أكثر مما يكون لعدد من الدروس والمحاضرات واللقاءات إذا أحسن توجيه هذه الخدمات .

وفيما يلي نتحدث عن أعمال هذه المراكز وخدماتها المتنوعة بصورة مختصرة لغرض بيان أهمية هذه الخدمات لنشر الدعوة إلى الله وتثبيتها في النفوس :

أولاً : الجمعيات الخيرية النسائية :

حيث إن ديننا يحثنا على النظام ، فإن ذلك يدعونا إلى أن نقيم مؤسساتنا عموماً على أسس وضوابط ونظم وأهداف محددة خدمة للمجتمع المسلم أفراداً وجماعات ، جاعلين نصب العين ومحط الاهتمام العام أن تسخر هذه الجمعيات وتوجه جهودها وكافة نشاطاتها خدمة للدعوة إلى الله ، وهذا يتطلب أن تقوم مثل هذه الجمعيات على الأسس والضوابط والأهداف المستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى ، ومن سنة رسول الله ﷺ بجانب توفر الهيئة العاملة التي تحمل نفس التوجه العام لنظام هذه الجمعيات .

أوجه النشاطات :

تختلف نشاطات الجمعيات الخيرية وتتعدد ، وبإمكانها تناول كافة الخدمات الاجتماعية ، ومن أهم هذه النشاطات ما يلي :

١ ـ الخدمات الثقافية المختلفة ، محاضرات ، ندوات ، ودروس ، تتناول كافة المناشط الثقافية والاجتماعية ومسؤوليات المرأة المسلمة .

٢ ـ الخدمات المادية : وتشمل الإعانات المالية المؤقتة والشهرية والسنوية ، والمعونات المقطوعة للأفراد والأسر والجماعات المحتاجة مهما كان نوع ومستوى تلك الحاجة وفقاً لظروف ونظام وأهداف الجمعية .

٣ ـ الخدمات العينية : وتشمل صرف أنواع الطعام والشراب ، والفرش واللباس ، أو الأثاث المنزلي ، وإدخال بعض التحسينات العمرانية والصحية على مساكن ذوي الحاجة .

٤ ـ الخدمات الفنية والإعداد المهني ، وتشمل ما يلي :

أ ـ تدريب سيدات المجتمع على استخدام الآلات الكاتبة بأنواعها المختلفة .

ب ـ التدريب على فن الخياطة والتطريز .

ج ـ التدريب على فنون إعداد الطعام والاقتصاد المنزلي .

د ـ التدريب على عمل الإسعافات الأولية .

هـ ـ التدريب على آلات التقنية الحديثة في المنزل والتعامل معها بالعناية والحذر .

و ـ التدريب على أعمال الحضانة والرضاعة وتربية الأطفال .

وإن المطالبة بالإعداد المهني للنساء في الصناعات المتعلقة بها لأمر برزت الحاجة إليه في عصرنا الحاضر كي تكون المرأة المسلمة في غنى عن الحاجة إلى خدمة الرجال في المهن الخاصة بالنساء ، لتحمي عرضها وشرفها وعفتها ، وتبقى مصونة بعيدة عن أنظار الرجال ، وخاصة ما يتعلق بصناعة الأزياء المنفذة إما عن طريق شركات الأزياء العالمية التي تتفنن في صناعة ملابس النساء وتتسابق فيما بينها في إخراج ما يغري المرأة ويوجه اهتمامها إلى أمور جانبية تؤدي إلى انزلاق المرأة في معاصي السفور والتبرج والعري ، أو عن طريق خياطي الملابس النسائية من الرجال ، حيث يقوم الرجل بأخذ القياس التفصيلي على جسم المرأة بحجة الوصول إلى القياس المناسب لملابس المرأة وهذا مما لا يخفى خطره .

وتبرز هذه المشكلة في أوساط المجتمعات الغنية ومتوسطة الدخل في بلدان العالم الإسلامي والأقليات المسلمة ـ جماعات وافراداً ـ حيث يقل الالتزام بتعاليم الإسلام لنقص الإيمان ، مما أدى إلى جهلها بأبسط الأعمال المهنية ، وإن الحل يكمن في توعية هذه المجتمعات بتعاليم الإسلام ، وإعداد المرأة مهنياً لتقوم بكفاية نفسها في كل ما يخصها ، وتوعيتها ببيان أهمية قيامها بهذه الأعمال ، تجنباً لاختلاطها بالرجال وتعرضها لهم .

ثانياً : دور التربية الاجتماعية :

تختص هذه الدور برعاية الأيتام من الجنسين الذين لم يجدوا أحداً من الأسر

الطبيعية تقوم عليهم وتربيهم ، والذين تتراوح أعمارهم ما بين سن الولادة والثامنة عشرة ، على أن توزع هذه العينات إلى فئتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث ، ويوزع أفراد كل جنس إلى ثلاث فئات كما يلي :

الفئة الأولى : من سن الولادة إلى نهاية سن السادسة .

الفئة الثانية : من بداية سن السابعة إلى سن الثانية عشرة .

الفئة الثالثة : من سن الثالثة عشرة إلى سن الثامنة عشرة .

على أن يكون لكل فئة سكن مستقل عن الآخر ، وهيئة مستقلة من الموظفين والموظفات ، حسب نوعية كل جنس ، وسيقتصر الحديث على جنس النساء حسب الفئات المذكورة .

أما الفئة الأولى فهي الفئة التي في سن الحضانة ؛ فهي القاعدة الأساسية للتنشئة الاجتماعية لأنها أول بيئة تتفاعل مع الطفلة ، ولابد أن تبدأ في هذه السن عملية التنشئة الاجتماعية السليمة التي تعتمد على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، ولذلك فإن المطلوب لذلك توفير عدد من النساء في قسم البنات ممن يحملن الكفاءة في الدين والرعاية الإيمانية والتربوية والصحية والاجتماعية والنفسية حتى تنشأ البنات نشأة إسلامية سليمة ، مع مراعاة تقريب الجو الاجتماعي والتربوي في هذه الدور من الجو الاجتماعي والتربوي في الأسر الطبيعية ، ومراعاة السن التي يتعامل معها ، وخاصة ما يتعلق بالأمور الغذائية والنفسية من العطف والحنان والرفق الذي يعوض نوعاً ما ما فقدوه من حنان الأبوة والأمومة الصادقة[1] .

وأهم الخدمات التي تقدم لمثل هذه السن ما يلي :

---

(١) انظر الكتاب الإحصائي السنوي ، ص٢١ ، إعداد وكالة الرعاية الاجتماعية بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية .

١ ـ إيواء الطفلة والعناية بها تربوياً وصحياً واجتماعياً ونفسياً .

٢ ـ تقديم الغذاء بحسب المعايير الصحية وتحت إشراف طبي .

٣ ـ المحافظة على نظافة الطفلة في بدنها وملابسها .

٤ ـ كسوة الطفلة بما يتناسب مع سنها .

٥ ـ توفير المحيط الاجتماعي المناسب والذي يسد بقدر المستطاع النقص الحاصل نتيجة لغياب الأسرة الطبيعية للأطفال .

٦ ـ غرس بذور الإيمان والتنشئة الاجتماعية في الإسلام بحسب ما تسمح به سن الطفلة ، وتبعاً لتوصيات خبراء التربية المسلمين .

٧ ـ توفير فرص التعليم التمهيدي للأطفال بحسب ما تسمح به استعدادات الطفلة وعمرها .

٨ ـ تهيئة فرص الترفيه البريء والنشاط الفردي والجماعي للأطفال تحت إشراف الحاضنات المسلمات .

٩ ـ العناية الصحية بالطفلة من وقاية وعلاج .

١٠ ـ ربط الطفلة بالوسط الاجتماعي العائلي في أسرتها الطبيعية عن طريق ترتيب زياراتها للأسرة وزيارة الأسرة لها .

١١ ـ خضوع كل الخدمات السابقة لمعايير الإسلام وتشريعاته السمحة[١] .

الفئة الثانية[٢] :

وهي الفئة التي تبدأ الدراسة في مرحلتها الابتدائية ، وحيث إن هذه الفئة من

---

(١) مجموعة نظم ولوائح وكالة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لشؤون الرعاية الاجتماعية ، ص١٣١ .

(٢) إن مما تجب الإشارة إليه هو أن جو الأسرة الطبيعية هو المجال الملائم لرعاية الطفل أو الطفلة من النواحي النفسية والعقلية ونشأته النشأة السليمة ، لذا فإن الإيواء داخل دور التربية الاجتماعية يعد =

الأسوياء فإنهن يلحقن بمدارس عادية ، وفي هذه المرحلة يبدأ سن التمييز عند الطفلة ، ولذلك تحتاج إلى نوع من الرعاية تختلف عما كان عليه الأمر في المرحلة السابقة ، كما ستنتقل إلى جو اجتماعي جديد وهو جو المدرسة الابتدائية وتلتقي بفتيات من الأسر الطبيعية ، وعلى ذلك فلا بد من وضع دراسات نفسية واجتماعية لمعالجة ما يجدُّ من مشكلات لتقديم الحلول لها فور حدوثها .

ومن أهم الخدمات التي يجب أن تقدم لهذه الفئة إضافة إلى استمرار ما سبق في مرحلة الحضانة :

١ ـ وضع برنامج يومي للمذاكرة وحل الواجبات .

٢ ـ وضع برنامج رياضي ترفيهي اجتماعي مناسب لهذه السن .

٣ ـ تحديد أوقات النوم واليقظة والراحة .

٤ ـ أمر الطفلة بالصلاة إذا بلغت سبع سنين وتعليمها إياها وتدريبها على الوضوء والطهارة .

٥ ـ تعويدها على الاحتشام واللباس الشرعي الساتر عند خروجها إلى المدرسة وعودتها إلى الدار .

٦ ـ تعويدها على حفظ الوقت واستغلاله فيما يفيد .

٧ ـ تعليمها أحكام الحيض والنفاس .

٨ ـ حثها مع زميلاتها على تكوين جمعيات نشاط داخلي .

٩ ـ إعطاء تدريبات خفيفة على التدبير المنزلي والاقتصاد المالي .

١٠ ـ إعطاء تدريبات على الطبخ في سن متقدمة من المرحلة الابتدائية .

= آخر مرحلة من مراحل الرعاية عندما يثبت البحث الاجتماعي عدم توفر هذا الجو الأسري لرعاية الطفل أو الطفلة اليتيمة لدى أحد أقاربهم .

(مقتبس من مجموعة نظم ولوائح وزارة العمل بالمملكة العربية السعودية ص٣٧) .

الفئة الثالثة :

وهي التي تبدأ مع بداية المرحلة المتوسطة إلى نهاية المرحلة الثانوية وهي أخطر مرحلة تمر بها الفتاة وهي مرحلة المراهقة والتغيرات الجسمية مما يلزم معه الاهتمام بتعليم أحكام الدين المتعلقة بالجنس وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

ومن أهم الخدمات الاجتماعية في هذه السن إضافة إلى استمرار ما سبق ذكره في المراحل السابقة ما يلي :

١ ـ إعطاء دروس تعليمية عن أحكام الدين المتعلقة بالجنس وبيان خطورة المزالق التي ترافقه إن لم يعالج وفق تعاليم الإسلام .

٢ ـ إعطاء دروس في الحضانة ورعاية الأمومة والطفولة من حيث رضاعة الرضيع ونظافته العامة وكيفية التعامل معه .

٣ ـ التدريب على أعمال الخياطة والتطريز والأعمال الصحية والتدبير المنزلي وغير ذلك .

٤ ـ اعطاء دروس عن الحياة الزوجية وما يجب للمرأة وما يجب عليها وتعريفها بمسؤولياتها الكاملة في حق رعايتها نحو زوجها وأهل بيته وتوجيه نظرها إلى وجوب تربية أولادها تربية إسلامية حقة .

٥ ـ تعريفها بحق المجتمع المحيط بها من الجيران والأقارب .

٦ ـ إعطاؤها دروساً في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧ ـ توضيح مسؤوليتها تجاه الدعوة إلى الله سواء كان ذلك في محيطها الأسري أو الزميلات أو مجتمع الجيران والأقارب أومجتمع الحي وعموم المسلمات .

٨ ـ يجب ملاحظة تأمين دار التربية الاجتماعية النسائية في كل فئاتها الثلاث المذكورة بحراسة من الخارج وتأمين المداخل وأن يصمم وفقاً للمخططات الهندسية

الشرعية .

ثالثاً: دار رعاية الفتيات[1] :

إن التدبير الوقائي من الوقوع في الجرائم يدخل ضمن درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، وإن دار رعاية الفتيات تقوم بعدة تدابير واقية من الوقوع في الجرائم .

ومن هذه التدابير حجز الفتيات اللاتي بدت عليهن بوادر الانحراف أو المعرضات له حتى يتم تداركهن قبل وقوع ما لا تحمد عقباه من جرائم وموبقات ، وفتح مجال التوبة لهن .

كما يلزم مثل هذه الدار أن تقوم بتقويم السلوك من خلال برامج التوجيه التربوي والنفسي والاجتماعي[2] ومزاولة الأنشطة الفنية وفق تعاليم الشرع الحنيف وإرشاداته .

هذا بالإضافة إلى تأمين فرص التعليم العام داخل هذه الدور حتى إذا خرجت الفتاة إلى المجتمع العام زاولت الحياة الاجتماعية والتعليمية الطبيعية دون أن تتأثر بالإيقاف عن مواصلة التعليم .

ولا بد أن يقوم على شؤون هذه الدار فئة من النساء المسلمات الصالحات الغيورات على مصالح الفتيات ممن يعملن بدافع الإيمان والإخلاص بسرية تامة وأمانة وشعور بالمسؤولية .

ومن أهم الخدمات المطلوبة ، إضافة إلى الخدمات العامة في مثل هذه الدار مايلي :

١ ـ التركيز على قضايا الإيمان والإسلام والإحسان .

---

(١) انظر الكتاب الإحصائي السنوي ، ص٢٤ .

(٢) انظر مجموعة لوائح ونظم وزارة العمل ، ص٨٩ .

٢ ـ الترغيب المستمر بشتى الوسائل والأساليب في التوبة وبيان خطورة الانحراف عن الطريق المستقيم .

٣ ـ الترهيب من عواقب المعاصي في الدنيا والآخرة .

٤ ـ محاولة ربط علاقة وطيدة بين الفتاة ومجتمعها المتمثل في الأسرة عن طريق الزيارات المزدوجة .

وبعد فلعلي استعطت بهذا الاختصار بيان أهمية هذه الخدمات الاجتماعية المختلفة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وتثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس المستفيدات من هذه الخدمات الاجتماعية العامة ، والله ولي التوفيق .

المبحث العاشر : الكتابة

لقد سبق ذكر أهمية الكتابة في الدعوة إلى الله عند الحديث عن التدريب على فن الكتابة مع بيان ما تمتاز به الكتابة عن الحديث ، ما يغني عن الإعادة .

كما ألمحنا إلى أن الاشتغال بالكتابة والتأليف بالنسبة للمرأة مناسب لها حيث لا يتطلب ذلك العمل الخروج اليومي من المنزل ، إلى جوانب كثيرة من المزايا التي سبق ذكرها .

وتعتبر مواضيع الدعوة التي تخص المرأة من الموضوعات الجديرة بالاهتمام لدفع الجهل عنها وعن مجتمعها في كل شأن من شؤون حياتها اليومية المتعلقة بالعقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات وأحكام اللباس والزينة وحقوق الزوج والأولاد وحقوق الجيران والأقارب وحقوق كل المسلمين والمسلمات وغير ذلك مما تحتاجه المرأة المسلمة في حياتها اليومية .

وإذا قامت المرأة المسلمة الداعية بهذا العمل العظيم فإنها بذلك تستخدم إحدى وسائل الدعوة التي كان لها السبق في التأثير على الأجيال الماضية وما زال أثرها باقياً إلى اليوم مستفيدةً من مستحدثات العصر من وسائل الطباعة والنشر والترجمة والحاسب الآلي وغير ذلك مما يستحدث في المستقبل بإذن الله .

كما أن بامكان المرأة استخدام كافة أساليب الكتابة سواء ما كان منها على هيئة رسائل شخصية أو مقالات أو قصص طويلة أو قصيرة ثم تنشرها للناس تباعاً عبر

وسائل الطباعة الحديثة أو في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، والفصلية والحولية .

ولقد ظهرت بوادر طيبة بفضل الله في عصرنا الحاضر ، تعبر عن قدرة المرأة على الكتابة سواء ما كان منه على مستوى رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو بعض الموضوعات المتعلقة بالدعـوة على هيئة منشورات أو كتيبات أو على هيئة كتابات صحفية ، فكان لها الأثر الطيب في النفوس والنفع الكثير .

الفصل الرابع
أساليب الدعوة

تمهيد :

إن من يتأمل كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ باحثاً عن أساليب الدعوة إلى الله يجد نفسه أمام كم هائل من الأساليب المختلفة جاءت وافية لجميع أنواع المدعوين على اختلاف مشاربهم وعقائدهم وثقافاتهم وأجناسهم وأعمارهم ووظائفهم ، مما لا يمكن حصره هنا أو الكتابة عنه بالتفصيل ، وحسب الباحث الإشارة إلى أهم هذه الأساليب .

وعندما تأمل الباحث في هذه الأساليب وجد أنها تنطوي تحت ثلاثة أساليب رئيسة جاءت بالنص في كتاب الله سبحانه حيث أمر الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ بالأسلوبين الأولين منها كما أمره باستخدام الأسلوب الثالث وهو المجادلة أثناء الدعوة إذا كان المدعو من المجادلين كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] .

وقد رأى الباحث أن يجعل هذه الأساليب المذكورة في الآية هي الأساليب الرئيسة مضيفاً إليها أهم الأساليب المساعدة التي تخدم في الغالب الأساليب الرئيسة . وعلى ذلك يمكن تقسيم الموضوع إلى قسمين :

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية ١٢٥ .

ـ **القسم الأول** : أساليب رئيسة ، وهي :

المبحث الأول : الحكمة .

المبحث الثاني : الموعظة الحسنة .

المبحث الثالث : المجادلة بالتي هي أحسن .

ـ **القسم الثاني** : أساليب مساعدة ، وهي :

المبحث الأول : التصوير .

المبحث الثاني : التوكيد .

المبحث الثالث : الاستفهام .

وإن مما تجدر الإشارة إليه ما يلي :

١ ـ أن هذه الأنواع لا تمثل كل أنواع الأساليب الدعوية في القرآن والسنة لأن الاستقصاء ليس من هدف الباحث .

٢ ـ أن هذه الأساليب قد تمتزج فيما بينها بحيث يوجد في المثال الواحد أكثر من أسلوب مثل النداء والاستفهام أو يتداخل أسلوب القصة مع المثل وهذا الأمر يقع بكثرة في القرآن والسنة مما يعطي قوة في الأسلوب ومتانة ، ويعد ميزة حسنة في الأسلوب البلاغي .

وسنتناول هذه الأساليب فيما يلي ، وبالله التوفيق .

وقبل أن أدخل في ذكر هذه الأساليب فلابد أن نتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة ـ أسلوب ـ .

فالأسلوب في اللغة : (الطريق والموجه والمذهب ، يقال : أنتم في أسلوب سوء وجمعه أساليب ، والأسلوب الطريق تأخذ فيه ، والأسلوب بالضم ، الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه)[1] .

---

(١) لسان العرب المحيط ، مادة سلب .

أما في الاصطلاح : (فهو الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقصاده من كلامه ، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك)[1] .

فالأسلوب إذاً هو عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم وما يجب لكل مقام من المقال ، فينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حال مقاماً[2] .

ويتضح من التعريفات السابقة أن لكل حال أسلوباً خاصاً به يختلف باختلاف الأشخاص أو الموضوعات .

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص٣٠٣ . دار الفكر ، بدون سنة الطبع .

(٢) انظر : أبو المجد نوفل ، الدعوة إلى الله تعالى ، ص١٨٩ ، نشر المؤلف سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، الطبعة الأولى . وانظر عبد العزيز شرف ، العربية لغة الإعلام ، ص٣٠ ، دار الرفاعي ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ .

القسم الأول : الأساليب الرئيسة

المبحث الأول : الحكمة

١ ـ مفهومها :

الحكمة (بالكسر) لها معان كثيرة مثل : العدل والحلم والأناة والعقل والعلم[١] .

وهي : (إصابة الحق بالعلم والعقل)[٢] ، وهي كذلك : (وضع الشيء في موضعه) و (ضبط النفس عند الهيجان والغضب)[٣] .

وقد جاء في تفسير ابن عباس للحكمة أنها : (معرفة القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله)[٤] .

وقد ذكر الإمام الطبري في معنى الحكمة أنها : (العلم بأحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ ، والمعرفة بها ومادل عليه ذلك من نظائره)[٥] .

والمعنى المأخوذ من هذه التعاريف أن : (الحكمة مفهوم منبثق عن أصل

---

(١) القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص١٠ ، فصل الحاء ، باب الميم .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة حكم .

(٣) تاج العروس ، مادة حكم ، فصل الحاء ، باب الميم .

(٤) تفسير ابن كثير ، تفسير آية ٢٦٩ من سورة البقرة ، ج١ ، ص٤٧٥ .

(٥) تفسير الطبري ، تفسير الآية ١٢٩ من سورة البقرة ، ج٣ ، ص٨٧ ، تحقيق أحمد ومحمود شاكر .

الشرع وأنها تعني إصابة الحق والالتزام به)[1] .

وهي كذلك : (النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي بينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ، ولا يثق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه)[2] .

٢ ـ صفتها وأهميتها في الدعوة :

وبهذه التعاريف يتبين لنا أن الحكمة ليست : (كلمة لين أو موقف رقة)[3] يغلب عليه الضعف والسكون بل قد تكون الحكمة في موقف قوة وحزم حسب مقتضيات الأمور ، فالحكمة في الدعوة إلى الله تعني بدقة : مراعاة حال المخاطبين رجالاً ونساء ، ومراعاة ظروفهم الفردية سواء كانت هذه الظروف اجتماعية أو نفسية أو ثقافية أو سياسية أو بالنظر إلى فروق السن أو الوقت فمن الناس من لا ينفع معه إلا اللين ومنهم من لا ينفع معه إلا الشدة ، ومنهم من ينفع معه اللين في وقت معين ، ولا ينفع معه إلا الشدة في وقت آخر ، كما أن من الناس من تنفع معه الدعوة الفردية المباشرة ومنهم من لا ينفع معه إلا الدعوة العامة في جمهور الناس ، ومن الناس من يتأثر بدعوة ذوي القربى ومنهم من ينفر ، ومن الناس من يترفع عن قبول الدعوة بالأسلوب المباشر ويرغبها في غيره .

كما أن مراعاة الحالة النفسية من هدوء أو غضب ، وكذلك الحالة الثقافية والدرجة العلمية والاجتماعية من الأمور المهمة ، فالتعامل مع العامة يختلف عن التعامل مع الخاصة من أصحاب الثقافة والعلم والسياسة والحكم ، كما أن

---

(١) رفاعي سرور ، حكمة الدعوة ، ص٥ ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، سنة ١٣٩٨هـ ، الطبعة الأولى .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٩٢ .

(٣) حكمة الدعوة ، ص٣ .

ما يخاطب به الغني يختلف عما يخاطب به الفقير ، وما يخاطب به المؤمن غير ما يخاطب به الكافر أو المنافق أو الزنديق والمعاند والمتعالي .

والحكمة تقتضي مراعاة الأفراد والجماعات في ظروفهم الخاصة تبعاً لاختلاف بيئاتهم ومجتمعاتهم وأوطانهم ولغاتهم وعقائدهم ، فمن الناس من تنفع معه الدعوة بالموعظة الحسنة ومنهم من لا ينفع معه سوى المجادلة بالتي هي أحسن ، ومن الناس من ينتفع بسرد القصص والأمثال أو تكرار القول وتوكيده أو أساليب الاستفهام المختلفة ومن الناس من يسأم ويمل من كثرة المواعظ وتكرارها ومنهم من يرتاح لذلك ومصداق ذلك ما رواه أبو وائل رضي الله تعالى عنه قال : (كان عبد الله[1] يذكر الناس في كل خميس ، فقال له رجل : ياأبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[2] .

قال الأمام ابن حجر رحمه الله : (ويستفاد من الحديث ، استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال ، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين : إما كل يوم مع عدم التكلف ، وإما يوماً بعد يوم ، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط)[3] .

ولقد دل الحديث على مراعاة الإسلام للنفوس ومعالجتها بالحكمة ، ويعد هذا سبقاً للإسلام يفتخر به علماء التربية والنفس المسلمين على غيرهم .

ولهذا فعلى المرأة المسلمة الداعية مراعاة الكيفية والأسلوب اللذين تستخدمهما في الدعوة كالتيسير على الناس وعدم التعسير عليهم والتبشير لهم وعدم تنفيرهم بما

---

(١) يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياماًمعلومة ، ج١ ، ص١٦٣ ، رقم الحديث ٧٠ . ولفظة يتخولنا يراعي الأوقات في تذكيرنا ، انظر لسان العرب المحيط ، مادة خول .

(٣) فتح الباري ، ج١ ، ص١٦٣ .

ليس من الإسلام في شيء كالإفراط أو التفريط وخاصة أثناء دعوة الكافرات ، ولقد ورد عن الرسول ﷺ توجيه ذلك ، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا »[1] .

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث : (والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل ، وكذلك تعلم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج ؛لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده ، والله أعلم)[2] .

كما أن الحكمة تقتضي التدرج في التبليغ ، والبداية بالأهم كما ثبت ذلك في وصية الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه حين بعثه إلى اليمن ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)[3] .

ولقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (أول ما أنزل منه ـ أي القرآن ـ سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة كي لا ينفروا ، ج١ ، ص١٦٣ ، رقم الحديث ٦٩ .

(٢) فتح الباري ، ج١ ، ص١٦٣ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، ج٨ ، ص٦٤ ، رقم الحديث ٤٣٤٧ .

نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ، ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)[2] .

وإذا كنا قد عرضنا موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله في جانب الأقوال والأفعال فهل للحكمة مجال في جانب التروك ؟ بمعنى أن نترك العمل بالدعوة في وقت ما أو في موضوع ما أو مع شخص أو أشخاص أو هيئات إذا رأينا أن ذلك من باب الحكمة ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال نقول بأن الإسلام قد راعى هذا الأمر وأعطاه عناية فائقة ، فقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب العلم باباً جعل عنوانه : (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه)[3] وأورد تحت هذا العنوان حديثاً رواه الأسود بن يزيد النخعي قال : قال لي ابن الزبير : كانت عائشة تسر لك كثيراً ، فما حدثتك في الكعبة ؟ قلت : قالت لي : قال النبي ﷺ : « ياعائشة لو لا أن قومك حديث عهدهم ـ قال ابن الزبير : بكفر ـ لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس منه وباب يخرجون » ، ففعله ابن الزبير)[4] .

قال الإمام ابن حجر رحمه الله : (وفي الحديث معنى ما ترجم له ، لأن قريشاً كانت تعظم الكعبة جداً فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك ، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في

---

(١) سورة القمر ، آية ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، ج٩ ، ص٣٩ ، رقم الحديث ٤٩٩٣ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، ج١ ، ص٣٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢٤ ، رقم الحديث ١٢٦ .

المفسدة ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه)[1] .

ويؤيد ذلك ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)[2] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[3] .

قال ابن حجر رحمه الله : (وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة)[4] .

ومن خلال ما سبق يظهر بوضوح وجلاء أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله وشمولها وأن مدار الدعوة عليها فعلاً وتركاً وهي مقدمة ومهيمنة على جميع الأساليب الدعوية الأخرى حيث إن من اللازم على الداعية اصطحاب الحكمة معها في كل زمان ومكان حيث لاغنى للداعية عنها بالذات وهو ما لا يشترط في حق الأساليب الدعوية الأخرى لأن الداعية قد تستغني في عملها الدعوي عن استخدام الموعظة الحسنة مثلاً أو غيرها مع المدعو لكنها لا تستغني عن استخدام الحكمة .

ونظراً لأهميتها تلك فقد قدمها الله عز وجل في كتابه عندما أمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى سبيل ربه ، وأمته له تبع في كل ذلك ، حيث يقول عز من قائل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5] .

---

(١) فتح الباري ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٣) الإمام مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ص١١ .

(٤) فتح الباري ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٥) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

فإذا كانت الحكمة في الدعوة بهذه الأهمية فعلاً وتركاً ، فهل هي من الأمور الفطرية التي لا دخل للإنسان فيها ، ولاسبيل له إلى تحصيلها أم أنها من الأمور المكتسبة التي يمكن للإنسان أن يكتسبها ويحصل عليها ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن الحكمة منحة إلٰهية يمنحها الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده بالقدر الذي يريده الله عز وجل لعباده من واسع فضله وكرمه ، إما عن طريق الفطرة أو عن طريق الاكتساب حيث ييسر الله سبحانه وتعالى تحصيلها لبعض خلقه ، أما كونها فطرة إلٰهية ومنحة ربانية فهو ما يثبته النص القرآني حيث يقول الله سبحانه : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

وقد ثبت في السنة الشريفة أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه عنه أبو ذر رضي الله عنه قوله : « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه »[2] .

والحكمة في هذا الحديث : (العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق للعمل به والكف عن ضده)[3] .

كما أن بالإمكان اكتساب الحكمة لمن يشاء الله سبحانه له ذلك ويوفقه إليها ويؤيد ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لاحسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ، ورجل

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، ج١ ، ص٤٥٨ ، رقم الحديث ٣٤٩ .

(٣) فتح الباري ، ج١ ، ص٤٦١ .

آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »[1] .

فكلمة (يعلمها) دليل على إمكانية اكتساب الحكمة عن طريق التعلم والتدريب .

ولذلك يجب على المرأة المسلمة الداعية أن تتحلى بالحكمة وتسأل الله سبحانه وتعالى المزيد من كل خير وأن تحرص على تعلم الحكمة وتعليمها وأن تستفيد من التجارب الدعوية التي تقوم بها أو تشاهد آثارها فتأخذ الصالح وتترك ما عداه .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ، ج١ ، ص١٦٥ ، رقم الحديث ٧٣ .

المبحث الثاني : أسلوب الموعظة الحسنة

مفهومها :

الوعظ بسكون العين والعظة بكسرها والعظة بفتحها والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[1] .

وقال الراغب الأصفهاني : الوعظ[2] زجر مقترن بتخويف ، ونقل عن الخليل قوله : الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم ، قال الله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾[4] وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾[5] وقال سبحانه : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ ﴾[7] .

---

(١) انظر لسان العرب المحيط ، مادة وعظ .

(٢) المفرادات في غريب القرآن الكريم ، مادة وعظ .

(٣) سورة النحل ، جزء من الآية ٩٠ .

(٤) سورة سبأ ، جزء من الآية ٤٦ .

(٥) سورة المجادلة ، جزء من الآية ٣ .

(٦) سورة يونس ، جزء من الآية ٥٧ .

(٧) سورة هود ، جزء من الآية ١٢٠ .

وهي : (وعظ القلوب برفق ولين ، من غير تأنيب وزجر ، بلا موجب ولا بفضح أخطاء ، لأن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب الفاجرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ)[1] .

أهميتها :

إن من المسلم به أن الموعظة الحسنة على حسب الاستعمال القرآني تعتمد على العلم والحقائق وهي بهذه الحال ليست كلاماً عاطفياً فحسب كما يشيع عنها الآن بين الناس . كما أن من المسلم به أن العلم قد لا يكفي وحده لالتزام الإنسان بالفضائل والتمسك بها ، كما لا يكفي لانزجاره عن المعاصي وتركها بل يحتاج مع ذلك إلى ما يحفز الإرادة ويبعث الهمة على الأخذ بالسلوك الحسن واتباع الخير والبعد عن السلوك السيء والشرور .

وأسلوب الموعظة الحسنة يتمثل في تذكير الإنسان بما يرقق قلبه للإيمان بما أعد الله له من الثواب والعقاب والجزاء والحساب لعله يندفع بمحض إرادته لعمل الخير وترك الشر .

وفيما يلي نذكر نماذج لأسلوب الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة :

المطلب الأول : الترغيب والترهيب في القرآن .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب في السنة .

المطلب الثالث : الترغيب والترهيب مع الأقارب .

المطلب الأول : الترغيب والترهيب في القرآن

أولاً : الترغيب :

فأما ما يتعلق بأسلوب الترغيب في القرآن الكريم فقد تناول الترغيب فيما أعد الله للمؤمنين في الدنيا من الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين وبسط الأمن ورفع

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٩٢ .

الخوف كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .

كما تناول الترغيب فيما أعد الله للمؤمنين في الآخرة من الخلود في نعيم الجنة الذي لا يحصى ومنه ما ذكره الله سبحانه في هذه الأية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

ثانياً : الترهيب :

وأما الترهيب من عقاب الله فمنه ما يكون في الدنيا من التهديد وإيقاع العذاب والإبادة مثل قوله سبحانه : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[3] .

ومنه ما يكون في الآخرة من الخسران والعذاب في النار مثل قوله سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) سورة فصلت ، الآيات ١-١٣ .

عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[1] .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب في السنة المطهرة :

لقد استخدم رسول الله ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى وكتب السنة شاهدة على ذلك ولم يقتصر الرسول ﷺ على الترغيب والترهيب في أمور خاصة دون غيرها بل تناول ذلك كل شيء سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات وأثرها في الدنيا والآخرة .

وفيما يلي نورد مثالاً واحداً لكل من أسلوبي الترغيب والترهيب في الحديث النبوي :

أولاً : الترغيب :

فأما الترغيب فمنه ما جاء من الترغيب في التعاون بين المسلمين وما فيه من ثواب الله ومكافأته من الإعانة وتفريج الكربات والستر في الدنيا والآخرة ، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[2] .

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ١٩-٢٤ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ج٥ ، ص٩٧ ، رقم الحديث ٢٤٤٢ .

ثانياً : الترهيب :

وأما الترهيب فمنه ما ورد من الترهيب من النفاق واالتحذير منه وتقبيح فاعله وبيان خصال النفاق على سبيل الذم ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمــر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً ، أو كانت فيه خصلة من أربع كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[1] .

المطلب الثالث : الترغيب والترهيب مع الأقارب :

أولاً : الترغيب والترهيب في القرآن الكريم :

وإذا كان المدعو من أقارب المرأة وقريباتها أمكن المرأة الداعية أن تضيف إلى ما سبق ذكره من أساليب الترغيب والترهيب ما يناسب الأقارب من أساليب الترغيب والترهيب تبعاً لنوع قرابة المدعو ودرجة قربه ، كأن تستخدم أسلوب النداء وإثارة العاطفة وألفاظ التكريم وأساليب التحذير والرفق واللين والهجر إن دعت إليه ضرورة . فهذه الأساليب تلقى أثرها الإيجابي في نفس المدعو لأنه يعلم أن قريبه يريد به الخير ولا يريد به الشر .

فأما أسلوب النداء وإثارة العاطفة والتكريم فمثل قولها يا أبت ، ويا أمي ، ويا بني ، ويا عم ، أو يا أبا فلان أو يا أم فلان . ولهذه الأساليب نظائر في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ففي القرآن الكريم نجد أن رسول الله نوحاً عليه السلام يدعو ابنه كي ينجو من الغرق مستثيراً فيه عاطفة البنوة ومحذراً له من الكفر ويناديه بصفة البنوة قائلاً له كما في قوله سبحانه : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾[2] .

---

(١) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٤٥٩ .

(٢) سورة هود ، الآية ٤٢ .

كما نجد أن إبراهيم عليه السلام ينادي أباه ويستثير فيه عاطفة الأبوة بتكرار لفظ - يا أبت - ويحذره من الشيطان كما في قوله سبحانه : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾[1] .

ولما يئس إبراهيم عليه السلام من هداية والده وقومه ، هجرهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك في كتابه حيث يقول : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾[2] .

ثانياً : الترغيب والترهيب في السنة المطهرة :

وأما ما ورد في السنة من أساليب التكريم بالنداء وإثارة عاطفة القربى والتحذير من النار فمنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نادى في عشيرته قائلاً : « يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً »[3] .

وإذا لم تنفع مع المدعو هذه الأساليب وكانت المعصية المرتكبة مما يوجب الهجر فإن على المرأة المسلمة الداعية أن تهجر المدعو براءة للذمة ولعله يكون سبباً لهدايته ، فلقد هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك مدة خمسين يوماً

---

(١) سورة مريم ، الآيات ٤١-٤٥ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٤٨ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قول الله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، ج١ ، ص١٩٢ ، رقم الحديث ٣٤٨ .

حتى تاب الله عليهم[1] .

وبعد ، فهذه بعض أساليب الترغيب والترهيب فيما يتعلق بدعوة الأقارب وهي مما يفتح مجالاً كبيراً للمرأة المسلمة الداعية في دعوة أفراد أسرتها وأقاربها من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والزوج والأبناء والبنات وغيرهم من ذوي القربى .

---

(١) وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية ، انظر صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، ج٨ ، ص١١٣ ، رقم الحديث ٤٤١٨ .

المبحث الثالث : المجادلة بالتي هي أحسن

مفهومها :

الجدل هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً ، ورجل جدل ومجدل ومجدال : شديد الجدل ، يقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته ، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام ، وجادله أي خاصمه ، مجادلة وجدالاً والاسم (الجدل) وهو شدة الخصومة[1] ، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما للآخر عن رأيه ، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة[2] .

وعلى ذلك يمكن أن يقال : (فالجدل هو الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم)[3] ومنه حسن ومنه قبيح .

وإذا كان القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ هما المصدرين الأصليين للدعوة وأنهما يمثلان المعجزة البيانية الخالدة الموجهة للأفكار والمبادىء والمعتقدات القائمة على الحجج والبراهين فلا غرابة أن نرى وفرة هذه الأساليب الجدلية في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ناطقة بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة .

---

(١) انظر لسان العرب المحيط ، مادة جدل .

(٢) انظر مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ، مادة جدل .

(٣) زاهر عواض الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص٢٠ ، نشر المؤلف الرياض ، الطبعة الأولى بدون سنة الطبع .

أهميتها في الدعوة :

تعود أهمية أسلوب الجدل في الكتاب والسنة الى أنهما يقدمان في نقاش الخصوم ومجادلاتهم على اختلاف انتماءاتهم الاعتقادية والعلمية ما يفحمهم ويوقفهم على الحقيقة الناصعة بطريقة جذابة فذة وأسلوب رصين مقنع بمناهج متنوعة بأروع حجة وأحكم برهان وفق مقتضيات الحال وما يوصل إلى المطلوب بأقرب الطرق .

ومن خصائص أسلوب الجدل أنه يشد النفوس إلى متابعة الصور الجدلية في كل مراحلها إلى أن تصل إلى نتيجتها الحتمية .

أما فيما يتعلق بمراعاة أحوال الخصوم فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة في المظهر العام يتعاملان مع الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم الاعتقادية والعلمية ، فكثيراً ما يكون الجدل مع المشركين جدل هداية ودلالة وإرشاد ، وقد يتناول تخطئة بعض مزاعمهم بينما نجد أن الجدل مع أهل الكتاب جدل تخطئة وإلزام لأنهم على علم ، أما الجدل مع المنافقين فتبدو عليه سمات الشدة المصحوبة بالتهديد والوعيد .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد أن أسلوب الجدل فيهما يتجه تارة[1] إلى إرشاد المجادل والأخذ بيده إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض والتأمل في خلق الله وبديع صنعه سبحانه مثل قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[2] .

وهذه الآيات جاءت في معرض الرد على الكفار الذين جادلوا مكذبين بما ذكره الله سبحانه في هذه السورة من النعيم المقيم في الجنة[3] .

---

(١) انظر مناهج الجدل في االقرآن الكريم ، ص٥ .

(٢) سورة الغاشية ، الآيات ١٧ـ٢٠ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج٤ ، ص٣٥٢ . وانظر تفسير المراغي ، المجلد ١٠ ، ج٣٠ ، ص١٣٦ ، =

وتارة يتجه إلى إلزام المعاند وإفحامه كما في قوله سبحانه رداً على المشركين زعمهم بأن الرسول يجب أن يكون ملكاً : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[1] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2] .

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد يسلكان مع الخصم مسلك المجاراة والإمهال والتدرج لاستدراجه إلى التسليم أو الإلزام بطريق المنطق الصحيح وبذلك تهدأ نفس الخصم وتلين عريكته ويستقبل الحجة والبرهان في جو من الهدوء والارتياح ويظهر ذلك في قول الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3] مع أن الرسول ﷺ لم يشك لحظة في أنه هو الذي على الهدى وأن الكفار هم الذين على الضلال وإنما كان هذا التعميم في الحكم لاستمالة الخصوم لسماع الحق وقبوله[4] .

وبما أن الإسلام قد جاء بأمرين أساسيين للعباد هما الدعوة إلى العقيدة أولاً والشريعة ثانياً ، فإن من المناسب إيراد نماذج جدلية من الكتاب والسنة لتوضيح الأسلوب الجدلي في هذين الأمرين للاستشهاد فقط .

وسأتناول الموضوع في مطلبين :

= نشر مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م الطبعة الثانية .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨ ، ٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(٣) سورة سبأ ، جزء من الآية ٢٤ .

(٤) انظر مناهج الجدل ، ص٦ .

ـ الجدل في إثبات العقيدة .

ـ الجدل في التشريع .

المطلب الأول : الجدل في إثبات العقيدة :

تتعدد أغراض الجدل في القرآن الكريم والسنة المطهرة بحيث لا يمكن قصرها على غرض واحد فهناك جدال لتقرير وجود الله سبحانه وتقرير عقيدة التوحيد سواء كان ذلك مع الدهريين أو أهل الكتاب أو المشركين من عبدة الأصنام .

كما يتناول الجدل في القرآن الكريم إثبات الرسالات والبعث والجزاء بعد الموت ، وحسبنا هنا أن نورد بعض الأمثلة الجدلية الدالة على وجود الله ووحدانيته . ومن الشواهد على ذلك ما يلي :

١ ـ فيما يتعلق بمجادلة الملحدين ـ وهم الذين ينكرون وجود الله أصلا ـ فإنهم وإن تظاهروا بإنكار وجود الله فإن هذا الوجود الإلهي يفرض نفسه على أحاسيسهم ومشاعرهم ويقولون به من حيث لا يشعرون وذلك بناء على الفطرة التي فطروا عليها وإن كانوا لا يطلقون اسم الله على ما يحسون به داخل نفوسهم إلا أنهم يقرون بوجود قوة تسير هذا الكون وسواء أضافوا هذه القوة إلى قانون العلية والسببية للكون أو قانون التفاعل المادي لتلك القوى كما يرددون ، فإن هذا إحساس بوجود خالق مدبر لهذا العالم ولكنهم يكابرون فطرهم وأحاسيسهم فيلجؤون إلى القول بأن وجود العالم كان مصادفة واتفاقاً ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبداً .

وقد تولى الله سبحانه وتعالى الرد على هذا الزعم بتجهيل أصحابه واعتمادهم على الظنون التي لا تغني عن الحق شيئاً حيث يقول سبحانه عنهم : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ

﴿ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

فدعوى الدهريين بعدم وجود الخالق وأنهم وجدوا عن طريق التوالد وسيموتون بفقدان الحياة قد رد عليها القرآن الكريم بأمرين :

أحدهما : بنفي العلم عنهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ والنفي هنا يفيد العموم لأنه نكرة في سياق النفي فيعمم .

ثانيهما : إثبات الظن والتخرص في دعواهم كما في قوله تعالى : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[٢] وقد ثبت أن الظن لا يفيد ولا يغني كما في قوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[٣] .

وبذلك ينفي القرآن الكريم أن تكون دعواهم مستندة إلى دليل ، وإذا فقد الدليل في الدعوى أو طعن فيه بشيء من المطاعن المعتبرة سقط الاستدلال به وإذا امتنعت المقدمة بطلت النتيجة .

كما أن الله سبحانه أثبت وجوده بالبراهين القطعية والمجادلة المنطقية بقوله سبحانه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[٤] .

وفي هذا رد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى[٥] .

والجدال مع الدهريين لا يخلو من أحد افتراضات ثلاثة :

---

(١) سورة الجاثية ، الأيات ٢٤-٢٦ .

(٢) سورة الجاثية ، الآية ٣٢ .

(٣) سورة النجم ، جزء من الآية ٢٨ .

(٤) سورة الطور ، الأيتان ٣٥ ، ٣٦ ، وانظر مناهج الجدل ، ص١٣٠ .

(٥) انظر تفسير المراغي ، المجلد التاسع ، ج٢٧ ، ص٣٣ ، ٣٤ .

أحدها : إما أن يكون كل شيء قد وجد من غير موجد من دون علة له أو سبب في الإيجاد .

ثانيها : وإما أن يكون كل شيء قد أوجد نفسه وهذان الافتراضان تمنعهما بداهة العقول .

ثالثها : وإما أن يكون لكل الموجودات موجدٌ ينتهي إليه الخلق والتدبير وهو الله سبحانه .

فثبت عن طريق هذا الحصر قيام البرهان القطعي على وجود الله تعالى وإبطال دعوى المنكرين من الماديين والطبيعيين والدهريين[1] .

٢ ـ أما فيما يتعلق بإثبات وحدانية الله سبحانه فله علاقة بإثبات وجوده ووجه العلاقة بينهما أن أدلة وحدانية الله متضمنة لإثبات وجوده إلزاماً والتزاماً بمعنى أن من أقر بوحدانية الله ، فقد أقر بوجوده سبحانه وتعالى ، وأن أدلة وجود الله متضمنة لوحدانيته إلزاماً فقط ، فقد كان المشركون يؤمنون بوجود الله ولم يدخلهم هذا الإيمان في توحيد الألوهية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] ، فهذا الإقرار منهم يلزمهم بتوحيده في العبادة لأنه إذا ثبت وجود خالق هذا الكون فلابد من ثبوت وحدانيته .

وقد دلل القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه من طريقين :

الطريق الأول :

الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ومن أبرز أدلة ذلك ما يعرف بدليل التمانع وهو ما يعرف (بقياس الخلف) ومثال ذلك من كتاب الله

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص١٣٠ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٩ .

قوله سبحانه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[1] ، وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] وقوله : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3] .

الطريق الثاني :

في التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان حقارتها وضعفها وتفاهتها وعجزها كما في قوله سبحانه فيما جرى بين إبراهيم عليه السلام وقومه من المجادلة بعد أن حطم أصنامهم : ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4] .

٣ ـ أما في السنة المطهرة التي تأثر أسلوبها بالقرآن الكريم لأنهما يصدران من مشكاة واحدة هي مشكاة الوحي الإلهي . فقد ثبت أن الرسول ﷺ صعد إلى الصفا بعد أن نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ونادى إلى توحيد الله ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : « يا صباحاه » فقالوا من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ،

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٩١ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآيات ٦٢-٦٧ .

فقال : « يا بني فلان ، يابني فلان ، يابني عبد مناف ، يابني عبد المطلب » فاجتمعوا إليه ، فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ » قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » ، فقال أبو لهب : تباً لك ، أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، وقد تب[1] .

المطلب الثاني : الجدل في التشريع :

وكما ورد الجدل في العقيدة ، فقد ورد كذلك في قضايا التشريع حيث حفل القرآن الكريم وحفلت السنة المطهرة بأمثلة كثيرة في أمور التشريع مثل تحليل بعض الأمور ثم تحريمها أو العكس ، أو نسخ بعض التشريعات بأخرى خير منها وما نتج عن ذلك من جدال بين الرسول ﷺ والمدعوين .

وفيما يلي نذكر أمثلة على ذلك :

أولاً : الجدل في القرآن :

١ ـ ومن أمثلة الجدال في التشريع قصة خولة بنت ثعلبة الخزرجية رضي الله عنها التي جادلت الرسول ﷺ في زوجها أوس بن الصامت الذي تزوجها في ريعان شبابها وعاشا عمراً طويلاً ثم تقدمت بهما السنون وذات يوم دخل عليها فداعبها في خفة وطيش فنفرت منه فاستحوذت عليه الدهشة وتملكه الغضب وثارت ثائرته وحرمها على نفسها كما حرمت عليه أمه حيث قال لها : (أنتِ عليّ كظهر أمي) ، فذهبت خولة إلى رسول الله ﷺ تستفتيه في هذا الأمر وتطلب منه أن يجعل لها مخرجاً من هذا المأزق الذي وقعت فيه هي وزوجها وبثت رسول الله ﷺ شكواها قائلة له : (إن أوساً قد تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فبعد أن كبرت سني وكثر أولادي جعلني كأمه وإن لي منه صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قول الله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، ج١ ، ص١٩٣ ، رقم الحديث ٣٥٥ .

ضممتهم إليّ جاعوا)[1] وما كان النبي ﷺ أن يقضي بأمره أو ينطق عن الهوى فهو رسول من عند الله يستقبل أوامر الوحي ، فما كان عند رسول الله ﷺ إلا الحكم بما كان متعارفاً عليه في الجاهلية من أن الظهار طلاق مؤبد فكان يقول لها : « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فاشتد حزن المرأة وزادت حسرتها وكانت تراجع رسول الله ﷺ وتقول : يا رسول الله ما ذكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ) وهي تريد بذلك أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويرحم حالها وحال زوجها فما يزيد عن أن يقول : « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فالتجأت بعد ذلك إلى الله الذي وسعت رحمته كل شيء ترجوه أن يزيل كربتها ويرفع غمها وقالت : (أشكو إلى الله فاقتي ووجدي) وطال بها الوقوف وأكثرت التضرع فاستجاب الله لها حيث أوحى الله سبحانه إلى رسوله في شأنها هذه الآيات[2] :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

والمرأة المجادلة قد نزعت في جدالها منزعاً عقلياً إلى ما في عملية الظهار من قسوة وضرر وعدم السعة في الأمر بما يخالف مبدأ اليسر ورفع الحرج في شريعة الإسلام .

٢ ـ ومن الأمثلة كذلك جدال المنافقين للمؤمنين ، حيث ورد ذلك في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ

(١) انظر : جاد المولى وآخرون ، قصص القرآن ، ص٤٦٣ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م الطبعة العاشرة .

(٢) انظر : جاد المولى وآخرون ، قصص القرآن ، ص٤٦٤ .

(٣) سورة المجادلة ، الآيات ١-٤ .

﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] .

ويتبين في الآية الأولى دعوى : (أن المنافقين مفسدون في الأرض) ويرد المنافقون هذه الدعوى بقولهم : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى يكشف كذبهم وافتراءهم ويقرر أن المنافقين ﴿ هم المفسدون ﴾ والله سبحانه أعلم بما يضمرون من الكفر والفساد وما تنطوي عليه نفوسهم من تكذيب رسول الله ﷺ والتحريض عليه وإلْقاء الشبه بين المسلمين .

وقد زعم المنافقون في الآية الثانية أن الإيمان والاستسلام من صفات ضعفاء الناس وفقرائهم الذين أطلقوا عليهم صفة السفه ، ولكن الله رد عليهم هذه الصفة وهذا اللقب حيث قرر سبحانه ذلك بقوله : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ .

أما الآية الثالثة فتبين لنا مدى ارتباط المنافقين في المدينة باليهود الحاقدين على الإسلام وعلى نبيه عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : الجدل في السنة :

أما الجدل المتعلق بالشريعة كما ورد في الحديث النبوي فقد ذكرنا بأنه تأثر قطعاً بأسلوب القرآن الكريم لأنهما يصدران من مشكاة واحدة هي مشكاة الوحي الإلهي ومن ذلك أسلوب الجدل حيث نرى الرسول ﷺ يعمد إلى الجدال والمناقشة خلال تبليغه رسالة ربه إلى الناس أجمعين كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ونماذج الجدل في الأسلوب النبوي في قضايا التشريع كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ قصة ابن اللتبية الذي بعثه الرسول ﷺ لجمع الصدقة فلما مثل أمام

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١١-١٥ .

الرسول ﷺ ومعه أموال الصدقة ، قال للرسول ﷺ : (هذا لكم وهذا أهدي إليّ) فعاتبه الرسول ﷺ عتاباً شديداً .

فعن ابن حميد الساعدي رضي الله عنه قال : (استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية (أو الأتبية) فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال الرسول ﷺ : « فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً » ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتيني فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر[1] » ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال : « اللهم هل بلغت ؟ بصر عيني وسمع أذني »[2]) .

٢ ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا : لسنا كهيئتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا »[3] .

(١) تيعر : هو الصوت الذي تخرجه الشاة عادة إذا أرادت شيئاً .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ج٣ ، ص١٤٦٣ ، رقم الحديث ٢٧ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي أنا أعلمكم بالله ، ج١ ، ص٧٠ ، رقم الحديث ٢٠ .

القسم الثاني : الأساليب المساعدة

المبحث الأول : التصوير

ويقصد بالتصوير رسم المشاهد الحسية في الذهن بالكلمة المقرؤة والمكتوبة ، وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : التصوير بضرب الأمثال .

المطلب الثاني : التصوير القصصي .

المطلب الأول : أسلوب التصوير بضرب الأمثال :

١ ـ المفهوم :

تأتي كلمة مثل بالكسر ثم السكون هكذا : مِثْل ، كما تأتي بالفتح في الحرفين الأولين هكذا : مَثَل (فيقال هذا مِثْلُه ومَثَلُه كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ)[1] .

وقال الشيخ رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم نقلاً عن أستاذه الشيخ محمد عبده في معنى قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[2] (المَثَل بفتحتين ، والمِثْل بالكسر ، والمثيل كالشِّبه والشبَّه والشبيه وزناً ومعنى في الجملة ، وهو من مثل الشيء مثولاً ، إذا انتصب ماثلاً فهو ماثل ، ومثل الشيء بالتحريك ، صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته عن طريق المجاز أو الحقيقة ، بتشبيهه ، وأبلغه

(١) انظر تاج العروس ، مادة مثل ، فصل الميم ، باب اللام .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ١٧ .

تمثيل المعاني المعقولة بالصورة وعكسه ومنه الأمثال المضروبة)[1] .

ثم قال : (وضرب المثل عبارة عن إيقاعه وبيانه وهو في الكلام أن يذكر ـ لإيضاح حال من الأحوال ـ ما يناسبها ويشابهها ، ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً ، واختير له لفظ (الضرب) لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال ، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه ولكن في الكلام قلباً حيث جعل المثل هو المضروب وإنما هو مضروب به)[2] .

٢ ـ مميزات التشبيه وضرب الأمثال وفوائدها :

لا يخفى ما للتشبيه وضرب الأمثال من مميزات جليلة وفوائد عظيمة منها تقريب المراد ، وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وتوضيحه وكشف ما به من غموض بتصوير الأمر المعنوي بأمر حسي يظهر فيه المشبه به صورة حسية للمشبه ، فإنه بذلك قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له ، فهي ﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[3] وهي خاصة العقل ولبه وثمرته .

٣ ـ نموذج من ضرب الأمثال في القرآن الكريم :

يعد التشبيه وضرب الأمثال في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ

---

(١) رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، المعروف بتفسير المنار ، ج١ ، ص١٦٧ ، نشر مطبعة المنار ، القاهرة ، سنة ١٣٤٦هـ ، الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ، ص٢٣٦ . ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج١ ، ص١٥٠ .

(٣) سورة الفتح ، جزء من الآية ٢٩ .

أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله جل وعلا لغرض تقريب المعنى للأذهان ليكون أقرب للإقناع .

ففي مجال عقيدة التوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة جاءت آيات كثيرة تبين ذلك وتؤيده ومن ذلك ما جاء على صيغة ضرب الأمثال مثل قوله عز وجل : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1] . (فهذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ، فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة متنازعة مشتركة في خدمته لهم ولا يمكنه رضاهم أجمعين) .

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد رجل واد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رأفة مالكه.به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليته بمصالحه فهل يستوي هذان العبدان .

وهذا من أبلغ الأمثال في التوحيد فإن الخالص لمالك واحد مستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين)[2] .

وفي بيان تفاهة المعبود ـ من دون الله ـ وعجزه الكامل في كل شيء يضرب الله سبحانه هذا المثل في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾[3] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٢٩ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، أمثال القرآن ، ص٥٣ ، دار مكة للطباعة والنشر سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، الطبعة الأولى ، تحقيق د/ناصر بن سعد الرشيد .

(٣) سورة الحج ، الآية ٧٣ .

فما أبلغ هذا المثل الذي ضربه الله لعجز هذه المعبودات من دون الله ، وأي عجز أبلغ من عجز من يزعمونهم آلهة عن خلق أتفه المخلوقات وأحقرها وهو الذباب ولو اجتمعواْ وتعاونواْ في ذلك ، بل من عجزهم عما هو أيسر من الخلق وهو استنقاذ ما يسلبه منهم ذلك المخلوق الضعيف .

أفبعد هذا دليل على الجهل والضلال وماذا بعد أن جعل القرآن الكريم المشركين ومعبوداتهم سخرية الساخرين وحديث المتندرين .

٤ ـ نموذج من ضرب الأمثال في السنة المطهرة :

وقد ضرب المصطفى ﷺ في سنته الشريفة لعقيدة التوحيد مثلاً حيث ورد في حديث طويل رواه الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله سبحانه أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات ليعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، وإنه كاد أن يبطىء بها ، فقال عيسى : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني أسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمرهم ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتني أن يخسف بي أو أعذب ، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف ، فقال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن ، أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه داري وهذا عملي ، فاعمل وأد إليّ ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك . . . »)[1] .

فهذا المثل الحسي يقيم الحجة الدامغة على كل من اتخذ إلهاً غير الله في أي نوع من أنواع العبادة .

---

(١) سنن الترمذي ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ، ج٨ ، ص٧٦ . قال عنه الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال عنه الألباني : صحيح في كتابه صحيح الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٩٧ ، رقم الحديث ١٧٢٠ .

كما ضرب ﷺ لنفسه الكريمة والناس على اختلافهم الغيث يصيب الأرض مختلفة التربة فتنفع أو لا تنتفع بحسب تفاوت خصوبتها فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[(١)] .

المطلب الثاني : التصوير القصصي :

١ ـ المفهوم :

القصص في اللغة من القص وهو تتبع الأثر ، يقال قصصت أثره ، والقصص الأثر ، قال الليث : القص فعل القاص إذا قص القصص، ويقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ومنه[(٢)] قوله سبحانه على لسان أم موسى عليه السلام :﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[(٣)] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[(٤)] وقوله : ﴿ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾[(٥)] وقوله : ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾[(٦)] وقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[(٧)] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم باب فضل من علم وعلم ، ج١ ، ص١٧٥ ، رقم الحديث ٧٩ .

(٢) لسان العرب المحيط ، مادة قصص، والمفردات في غريب القرآن كلمة قصص.

(٣) سورة القصص ، جزء من الآية ١١ .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية ٦٢ .

(٥) سورة يوسف ، جزء من الآية ١١١ .

(٦) سورة القصص ، جزء من الآية ٢٥ .

(٧) سورة يوسف ، جزء من الآية ٣ .

والقصة بالكسر الخبر وهو القصص، وقص عليّ خبره يقصه قصاً وقصصاً : بمعنى أورده والقصص بالفتح هو الخبر المقصوص.

وهي : رواية الأخبار على سبيل الاعتبار ، كما في قوله سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] .

٢ ـ مميزات القصة و فوائدها :

تمتاز القصة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأنها حق وقول بعلم لا كالقصص الخيالية كما أنها مناسبة لما رويت من أجله . وإلى جانب ذلك فإن الأسلوب القصصي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يمتاز بأنه يستمد تأثيره المميز من روافد عدة من أساليب البلاغة والبيان وطريقة العرض ورسم المشاهد المتتابعة وسوق الأمثال وأساليب الترغيب والترهيب والاستفهام ، وغير ذلك بأسلوب فني يتمثل في سبك هذه الفرائد في صورة عقد بطريقة منتظمة مرتبة الأحداث بحيث لا تحس بأن حلقة قد سبقت مكانها أو تخلفت عنه مما يجعل النفس البشرية تنصرف عن المتابعة للمشاهد المعروضة ـ بل إن ـ قوة العرض وترابط أحداثه وصوره ومشاهده تمسك بمقاليد النفس البشرية ، وتقودها فتنقاد وتوحي إليها فتستجيب ويلقنها فتتقبل في سرور ورضا .

وتبدو قوة التأثير بتصوير الحوادث والمشاهد ورسم الشخصيات وملامحها وإثارتها لغريزة حب الاستطلاع في النفس البشرية حين تستحوذ على مشاعر القاريء والسامع فلا يدعهما يلتقطان أنفاسهما أو يفتر اهتمامهما قبل أن يصل بهما إلى نهاية القصة .

كما أن قوة التأثير تبدو في الإثارة والتشويق بما يتخلل أسلوب القصة من

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

مفاجآت تكون كالهزات القوية المثيرة للانتباه وتذكي الشوق إلى متابعة القصة[1] .

وتبدو قوة التأثير فيما يبثه أسلوب القصة أثناء عرضه للصور والمشاهد السابقة واللاحقة من عظات وتوجيهات ودعوة إلى الله عز وجل ، وهذا هو الغرض الرئيس الذي تساق من أجله القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٣ - نموذج القصة في القرآن الكريم :

إن نماذج سرد القصة في القرآن الكريم كثيرة وأغراضها كذلك ، وسنكتفي بذكر نموذج واحد هنا للدلالة على ما لأسلوب القصة من قوة التأثير في النفوس وقوة جاذبيتها ، وهذا النموذج يتناول بيان الحق في شأن عيسى عليه السلام وولادته من غير أب ويرد على ما نسجه بنو إسرائيل من دعاوي زائفة حوله وحول أمه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، ولقد جاءت هذه القصة مرتبة الأحداث على النحو التالي[2] :

المشهد الأول :

يبدأ بمشهد يمثل مريم في سن البلوغ وقد جلست منفردة خالية إلا من معية ربها سبحانه ، وفي خلوتها تلك إذ بالمَلَك يفاجئها فينتابها الخوف ويدور بينهما حوار ينتهي باستسلامها لأمر ربها سبحانه ويحدث الحمل .

يقول الله تعالى في ذلك :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

(١) انظر عبد الغني محمد سعد بركة ، أسلوب الدعوة القرآنية ، ص٣٠٣ ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى .

(١) انظر أسلوب الدعوة القرآنية ، ص٣٠٤ ، ٣٠٥ .

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[1] .

المشهد الثاني :

يصورها وهي حامل ، وقد خافت اطلاع أهلها فرحلت إلى مكان بعيد لتعاني وحدها آلام الحمل والمخاض وقد آمنت بما اصطفاها الله له لكن كيف يصدقها الناس ثم تجتمع عليها الآلام الجسدية والنفسية عند الوضع فتكاد مقاومتها تنهار وتتمنى لو ماتت قبل أن تتعرض لذلك ، لكن من كانت معه رحمة الرحمن تحيطه فلا خوف عليه ، وكيف تخاف مريم وقد طمأنها ربها بالخطاب ورزقها الطعام والشراب وبين لها ما تفعله عند رؤيتها لأحد من البشر .

يقول الله تعالى :

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[2] .

المشهد الثالث :

يصورها عائدة إلى قومها تحمل ابنها بين يديها فيواجهونها بالمتوقع منهم ، تأنيباً وسخرية وعتاباً ، ولكن المعجزة الربانية تنهي هذه المسرحية بسلام وأمان فَيُنْطِقُ الله سبحانه الوليدَ ليخبر القوم بالحقيقة المذهلة .

---

(١) سورة مريم ، الآيات ١٦-٢١ .

(٢) سورة مريم ، الآيات ٢٢-٢٦ .

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا ﴾[1] .

وهنا تنتهي المشاهد في القصة وقد استوفت غرضها وبقي أن يوضح الهدف من القصة ليقرر المغزى الذي دلت عليه حيث يقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۢ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًۭا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌۭ مُّسْتَقِيمٌۭ ﴾[2] .

وهكذا يتضح أثر أسلوب القصة في الدعوة إلى الله والدفاع عن حياض التوحيد في القرآن الكريم .

٤ ـ نموذج أسلوب القصة في السنة المطهرة :

وللقصة في السنة المطهرة أغراض كثيرة كما هي عليه الحال في القرآن الكريم ، وسنورد نموذجاً واحد للقصة النبوية تحمل عدة أغراض وفي مقدمتها الإخلاص في العمل وبيان فضله وأهميته ، كما تحث على البر بالوالدين والعفاف والإحسان بكافة صوره .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت

---

(١) سورة مريم ، الآيات ٢٧ـ٣٣ .

(٢) سورة مريم ، الآيات ٣٤ـ٣٦ .

صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ؛ فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يديّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج ، قال النبي ﷺ ، وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي ﷺ ، وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أد إليّ أجري فقلت له : كل ما ترى من أجلك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بي فقلت : إني لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً ، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »[1] .

وهكذا يسير أسلوب القصة النبوية على هذا المنوال ليخدم أغراضاً كثيرة تخدم كلها الدعوة إلى الله سبحانه بالتربية الإسلامية الحقة .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ، ج٤ ، ص٤٤٩ ، رقم االحديث ٢٢٧٢ .

المبحث الثاني : التوكيد

لأسلوب التوكيد صيغ متعددة وصور مختلفة وأظهرها التوكيد بالقسم والتوكيد بالتكرير وهو ذكر الكلمة أو الجملة أو الآية أو القصة في القرآن الكريم والسنة المطهرة عدة مرات ، إما متوالية أو أن تكرر مرة أو مرتين أو أكثر في أماكن متفرقة من السورة أو الحديث أو أن تكرر في عدة سور أو أحاديث مختلفة أو بالأمر بشيء والنهي عن ضده .

فوائد التوكيد :

والتوكيد بالقسم أو التكرير أو غيرهما مهم في تثبيت المعاني في القلوب وحملها على التصديق والإيمان والتنفيذ بفعل المأمورات وترك المنهيات والمخاطب لا يخلو من إحدى الحالات التالية :

١ ـ إما أن يكون خالي الذهن من الحكم فيلقن إليه الكلام غفلاً من التأكيد .

٢ ـ وإما أن يكون متردداً في ثبوت الحكم وعدمه فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده .

٣ ـ وإما يكون منكراً للحكم فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفاً[1] .

---

(١) انظر مناع خليل القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص٢٩١ ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، الطبعة الرابعة .

٤ ـ وفي كل هذه الحالات إما أن يراد ترغيبه في فعل ما أو ترهيبه منه .

وسنتناول هذا الموضوع في مطلبين هما :

المطلب الأول : التوكيد بالقسم .

المطلب الثاني : التوكيد بالتكرير .

المطلب الأول : التوكيد بالقسم :

أولاً : مفهوم القسم :

القسم بفتح القاف والسين بمعنى اليمين والحلف بفتح الحاء وكسر اللام وجمعها أقسام . وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه بمعنى حلف له[1] .

والقسم واليمين واحد ويعرف بأنه : (ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنىً معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً وسمي الحلف يمينا لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف)[2] .

والقسم في القرآن والسنة نوعان ظاهر ومضمر :

أ ـ فالظاهر هو ما صرح فيه بفعل القسم . وصرح فيه بالمقسم به ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغالب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء .

ب ـ والمضمر هو ما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا المقسم به وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم .

ثانياً : نماذج من التوكيد بالقسم من القرآن الكريم :

١ ـ مثال القسم الظاهر مثل قوله سبحانه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ

---

(١) انظر لسان العرب المحيط ، مادة قسم .

(٢) مباحث في علوم القرآن ، ص٢٩١ .

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2] .

٢ ـ أما مثال القسم المضمر فمثل قوله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[3] .

والمعنى في هذا القسم أي والله لتبلون .

ثالثاً : نماذج من التوكيد بالقسم في السنة المطهرة :

١ ـ مثال القسم الظاهر مثل قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها »[4] .

وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة أيضاً : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[5] .

---

(١) سورة التغابن ، الآية ٧ .

(٢) سورة الشمس ، الأيات من ١ ـ ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها ، ج٢ ، ص١٠٦٠ ، رقم الحديث ١٢١ .

(٥) المرجع السابق ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، ج١ ، ص١٣٤ ، رقم الحديث ٢٤٠ .

٢ ـ مثال القسم المضمر مثل قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة أيضاً : « لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم »[١] .

ومثل قوله ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » ؟[٢] .

المطلب الثاني : التوكيد بالتكرير :

للتوكيد بالتكرير صيغ متعددة مختلفة في الكتاب والسنة كما سبق ذكره مما يغني عن الإعادة ، وسنورد فيما يلي بعض الصيغ التوكيدية بالتكرير في الكتاب والسنة .

أولاً : نماذج من القرآن الكريم :

١ ـ نموذج من تكرير الآيات :

ومثال ذلك تكرير قوله سبحانه : ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ في الآيات التالية :

كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٣] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، ج١ ، ص٣٢١ ، رقم الحديث ٤٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، ج٤ ، ص٢٠٥٤ ، رقم الحديث ٢٦٦٩ .

(٣) سورة القمر ، الآيات ١٣ ـ ٢٢ .

٢ ـ نموذج من تكرير الجمل

كما في قوله سبحانه : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾[1].

وكما في قوله سبحانه : ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[3] .

٣ ـ نموذج من تكرير الكلمة :

ومثال ذلك ما ورد في تكرير لفظ اسم الجلالة (الله) كما في قوله سبحانه :
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

وبالتأمل في هذه النماذج وأمثالها من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ يتبين الهدف من التكرير والغاية منه وأن هذا التكرير لم يأت عبثاً تعالى الله عما يقوله الكافرون علواً كبيراً .

ثانياً : نموذج من السنة :

فيما يتعلق بالتكرير في السنة النبوية المطهرة فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قال الكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٧٠ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

عن النبي ﷺ أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً[1] .

وفي رواية أخرى له أيضاً أن النبي ﷺ : كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً[2] .

ومعنى ذلك أنه ﷺ يعيد الكلمة في المجلس الواحد بالتكرير والتتابع ، وعن عبد الله بن عمـــر رضي الله عنهما قال : (تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقنا[3] الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : ويل للأعقاب من النار[4] مرتين أو ثلاثاً) .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه له »[5] وفي رواية أخرى زيادة « ألا هل بلغت ألا هل بلغت »[6] .

ثم انظر ما أداه التكرير في ألفاظ الحديث النبوي من قوة بيان وبلاغة في أسلوب كلام النبي ﷺ في المثال التالي : حيث تكررت جملة « وهو مسؤول عن رعيته » في مثال الحديث التالي :

(فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه فقال : « ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، ج١ ، ص١٨٨ ، رقم الحديث ٩٤ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ، ج١ ص١٨٨ ، رقم الحديث ٩٥ .

(٣) أرهقنا بمعنى أدركنا والإدراك والغشيان بمعنى واحد .

(٤) المصدر السابق ، كتاب الوضوء ، باب غسل الرجلين ، ج١ ، ص٢٦٥ ، رقم الحديث ١٦٣ .

(٥) المصدر السابق ، كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ « رب مبلغ أوعى من سامع » ، ج١ ، ص١٥٧ ، رقم الحديث ٦٧ .

(٦) المصدر السابق ، باب ليبلغ الشاهد الغائب ، ج١ ، ص١٩٩ ، رقم الحديث ١٠٥ .

راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »)[1] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأحكام ، باب قوله الله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .. ﴾ ، ج١٣ ، ص١١١ ، رقم الحديث ٧١٣٨ .

المبحث الثالث : الاستفهام[1]

أصل الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، غير أن هذا الأسلوب في القرآن الكريم والسنة النبوية لا ينحو هذا الاتجاه باستخدام أدوات الاستفهام في معانيها الأصلية ، بل يتجه إلى المعاني الفرعية التي تستفاد من هذه الأدوات وتعرف بسياق الكلام وقرائن الأحوال فتبرز لنا معنى آخر وهذا ما يمثل صميم البلاغة في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

فالغرض من الاستفهام لن يظهر إلا بمعرفة حال القائل والمخاطب والظروف المحيطة ، وعند ذلك نستطيع معرفة المغزى البلاغي والهدف البعيد من الاستفهام[2] .

والأغراض البلاغية للاستفهام كثيرة ذكر منها الإمام السيوطي واحداً وثلاثين غرضاً[3] منها الاستفهام التقريري والأمري والتشويقي والتعجبي والتعظيمي ، ومنها كذلك الاستفهام الإنكاري والتوبيخي والتحقيري والتهكمي . إلا أن المتأمل في هذه الأنواع يجد أنها ترجع في مجملها إلى عنصرين فقط ، أحدهما يقرر القضية ويثبتها ويأمر بها ، وثانيهما ينكر القضية وينفيها وينهى عنها ، ولذلك

---

(١) أدوات الاستفهام هي : الهمزة ، وأنى وأي وأيان وأين وكم وكيف ومتى ومن وهل .

(٢) انظر عبد القادر حسين ، فن البلاغة ، ص١٣٦ ، مطبعة الأمانة ، مصر سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(٣) انظر الإمام جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص٧٩ شركة مصطفى البابي الحلبي ، مصر سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ، الطبعة الثالثة .

فيمكن إرجاع هذه الأنواع إلى نوعين من الاستفهام هما :

١ ـ الاستفهام التقريري .

٢ ـ الاستفهام الإنكاري .

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن أداة الاستفهام في كلا النوعين المذكورين ربما اقترنت بكلمة أو جملة تبين الغرض البلاغي منها أو أعقب جملة الاستفهام جواباً له مع أن هذا ليس مطرداً في كل حالة حيث تخلو أحياناً جملة الاستفهام من القرينة وإنما يتضح الغرض البلاغي من السياق .

وحيث ظهر لنا من خلال استقراء أغراض الاستفهام أنها تعود إلى نوعين رئيسين هما :

١ ـ الاستفهام التقريري .

٢ ـ الاستفهام الإنكاري .

فإننا سوف نقصر الحديث عليهما بضرب أمثلة من الكتاب والسنة لكل منهما في مطلبين :

المطلب الأول : الاستفهام التقريري :

(وهو الاستفهام عن المقدمات والبينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق لاعترافه بإنكار الباطل)[1] ، ويتضمن الاستفهام التقريري أحياناً قرينة تدل عليه ، وأحياناً يخلو من القرينة ويفهم الغرض البلاغي من السياق .

وفيما يلي نورد بعض الشواهد على الاستفهام التقريري من الكتاب والسنة :

١ ـ أمثلة من القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص٦٩ .

مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

ففي هذه الآية قرينة تثبت أن هذا الاستفهام تقريري حيث جاء في نهاية الآية قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ لتقرر هذه الحقيقة الثابتة .

وقد يفهم المغزى البلاغي من سياق الآية دون كر قرينة في مثل قوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[2] .

أو كان جواب الاستفهام مما يشاهده الإنسان في نفسه وفيما حوله كما في قوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[4] .

٢ ـ أمثلة من السنة :

وحيث إن الأغراض البلاغية في السنة لا تختلف عن القرآن بل هي مقتبسة منه ومأخوذة عنه فإنا نجد الكثير من الأمثلة على ذلك النوع من الاستفهام التقريري ومن ذلك الأمثلة التالية :

أ ـ عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه ـ أو بزمامه ـ قال : « أي يوم هذا » ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير إسمه ، فقال : « أليس يوم النحر » ؟ قلنا : بلى ، قال : « فأي شهر هذا » ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : « أليس بذي الحجة » ؟ قلنا : بلى ، قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن

---

(١) سورة يس ، الآية ٨١ .

(٢) سورة التين ، الآية ٨ .

(٣) سورة البلد ، الآيات ٨ ، ٩ .

(٤) سورة الطور ، الآية ٣٥ .

الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه »[1] .

ففي هذا الحديث يورد الرسول ﷺ الأسئلة على ما هو مقرر سلفاً في نفوس أصحابه حتى يستثير انتباههم لشيء آخر يريد تقريره وبذلك يظهر المغزى البلاغي من هذا الأسلوب كما هو واضح .

ب ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس[2] من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »[3] .

ج ـ وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »[4] .

ففي هذين الحديثين يقرر الرسول ﷺ بأسلوب الاستفهام كلا من حقيقة الإفلاس وحقيقة الغيبة وورود الاستفهام كان لغرض استشارة انتباه الصحابة لما سيقرره بعد السؤال .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب قوله النبي ﷺ وسلم : « رب مبلغ أوعى من سامع » ج١ ، ص١٥٧ ، رقم الحديث ٦٧ .

(٢) (إن المفلس من أمتي) معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال أو قلّ ماله فليس هو حقيقة المفلس لأن هذا النوع من الإفلاس ينقطع بالموت أو بيسار يحصل له في حياته .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم ، ج٤ ، ص١٩٩٧ ، رقم الحديث ٢٥٨١ .

(٤) (بهته) بمعنى : قلت فيه البهتان وهو الباطل ، والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره ، وأصل البهت ، أن يقال له الباطل في وجهه ، وهما حرامان ، لكن تباح الغيبة لغرض شرعي . صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الغيبة ، ج٤ ، ص٢٠٠١ ، رقم الحديث ٢٥٨٩ .

المطلب الثاني : **الاستفهام الإنكاري :**

وهذا الأسلوب يشبه أسلوب الاستفهام التقريري في طريقة العرض باستخدام أدوات الاستفهام غير أن الإنكار في هذا الاستفهام يبدو في فحوى الكلام أو بوجود قرينة مثل التوبيخ والزجر .

وفيما يلي نورد أمثلة على ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة :

١ ـ أمثلة القرآن الكريم :

أ ـ قال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١] .

ب ـ وكما في قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[٢] .

ج ـ وكما في قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[٣] .

ففي الآية الأولى ينكر الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل ما زعموه في أنبيائهم بأنهم كانوا هودا أو نصارى ، ويرد سبحانه هذا الزعم بإثارة سؤال على صيغة استفهام إنكاري يسألهم فيه أهم أعلم أم الله ؟ .

وفي الآية الثانية ينكر الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه محمد ﷺ ما أمره به قومه من زعماء قريش من عبادة غير الله ويصف هؤلاء القوم بالجهل وفي وصف القوم بالجهل قرينة من قرائن الاستفهام الإنكاري .

وفي الآية الثالثة ينكر سبحانه وتعالى على المشركين تدخلهم في التشريع

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٤٠ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٤ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٥٩ .

بالتحريم والتحليل لماأنزل الله من الرزق ، ويوجه الله سبحانه وتعالى لهؤلاء القوم السؤال بصيغة الاستفهام الإنكاري وهل أذن الله لهم في ذلك ؟ ويصفهم بالافتراء والكذب على الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ نماذج السنة النبوية المطهرة :

أ ـ عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : استعمل النبي ﷺ ابن اللتبية ـ رجلاً من الأزد ـ على الصدقة فجاء بالمال فدفعه إلى النبي ﷺ فقال : هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي ، فقال له ﷺ : «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك ، فتنظر أيهدىٰ إليك شيء أم لا ؟ »[١] .

ففي هذا الحديث ينكر الرسول ﷺ على ابن اللتبية قوله : (وهذا هدية أهديت لي) ويوجه له سؤالاً على صيغة الاستفهام الإنكاري ليؤدي الغرض المطلوب وهو الزجر والتوبيخ والنهي عن هذا التصرف الخاطىء .

ب ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة ، قال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله ، فقلت : والله لأخبرن النبي ﷺ فأتيته فأخبرته ، فقال : « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر »)[٢] .

ففي هذا الحديث ينكر الرسول ﷺ على أحد الصحابة قوله : (والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله) ولا يخفى ما في هذا الإنكار من قوة في

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ج٣ ، ص١٤٦٣ ، رقم الحديث ١٨٣٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ، ج٦ ، ص٢٥١ ، رقم الحديث ٣١٥٠ .

الزجر والتعنيف .

وهكذا يسير أسلوب الاستفهام في صيغتيه الرئيسيتين التقرير والإنكار ليؤدي المغزى البلاغي والهدف المطلوب .



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على إمام الدعاة معلم الناس الخير وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أحمد الله على ما وفقني فيه من الكتابة في موضوع إعداد المرأة المسلمة للدعوة الذي أرجو أن ينفع الله به المسلمين والمسلمات في كل بقاع المعمورة ، وأن يجعله عملاً صالحاً ينفعني به في دار البقاء إنه سميع مجيب .

وإن الأمل في الله قوي بأن يأخذ هذا الجهد طريقه إلى التطبيق في حياة الأمة وأن تتضافر جهود الأمة برجالها ونسائها وعلمائها وطلاب العلم فيها وحكامها ومحكوميها للقيام بهذه المسؤولية العظيمة ، مسؤولية الدعوة إلى الله كل حسب طاقاته وإمكاناته العلمية والمادية ، مستشعرين بعظم مسؤولية المرأة في الدعوة وأهليتها لذلك .

ولقد برزت من خلال البحث عدة نتائج وتوصيات من أهمها ما يلي :

أولاً : النتائج :

١ ـ أن المرأة في الجاهلية قد نالت حظاً من التكريم ، لكن هذا التكريم ليس على إطلاقه ، فقد كانت بعض القبائل العربية تهين المرأة بل تعتبرها من سقط المتاع .

٢ ـ أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم المرأة فساوى بينها وبين أخيها الرجل في أصل الخلقة ، كما ساوى بينهما في أصل التكاليف الشرعية في الإسلام ، وضمن كل ما يكفل للمرأة المسلمة القيام بهذه المسؤوليات .

٣ ـ أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل من الرجل والمرأة وظائف خاصة وفطر كل جنس على ما يلائمه ، فأكرم المرأة بأن جعلها مستودعاً للجنس البشري وأمينة عليه ، وجعلها أهلاً لهذه المسؤولية العظيمة .

وحفاظاً على هذه الفطرة وعلى بقاء الجنس البشري وسلامته من الانحراف عن الصراط المستقيم ، فقد شرع الإسلام أموراً تكفل هذا الجانب . فجعل المكان الأصلي لهذا البيت فإذا خرجت لحاجة فإن عليها أن تلتزم بشروط معينة .

٤ ـ أن الإسلام قد تضمن واجباً عليها في التعلم والتعليم واعتبر ذلك حقا لها .

٥ ـ أن الإسلام قد كلف المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله . وقد قامت عدة نساء مسلمات بهذا العمل العظيم .

٦ ـ لعل ما كتبته في الفصل الثاني من الباب الثاني بعنوان الإعداد التطبيقي يفيد في منهج مادة التطبيقات العملية ، وما كتبته في الفصل الثاني والثالث من الباب الرابع يفيد في منهج مادة ميادين الدعوة في كليات الدعوة وأقسامها العلمية .

ثانياً : التوصيات :

ومن أهمها ما يلي :

١ ـ تقوى الله سبحانه وجعل كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ المصدرين الرئيسين في التشريع والتعليم والإعلام .

٢ ـ مراعاة فطرة المرأة ووظيفتها في هذه الحياة عندرسم خطط التعليم

ومناهجه ، والعمل ، وأنواعه ، وأماكنه ، فيوضع لها ما يلائمها ، فليس كل ما يلائم الرجل ويصلح له يلائمها ويصلح لها .

٣ ـ فصل مباني التعليم النسوي عن التعليم الرجالي ابتداء من مرحلة الروضة حتى المراحل الجامعية والعليا .

٤ ـ إن مما ينبغي اعتماده هو الأخذ بالحكم الشرعي الوارد في الحجاب للمرأة المسلمة ويشمل ذلك الوجه والكفين .

وقد يظن البعض أن الحجاب الذي أنادي به يعوق حركة التعليم النسوي ، وليس كذلك ، ولبث الطمأنينة في نفوس هؤلاء أسوق لهم تجربة المملكة العربية السعودية الرائدة في هذا المجال جزى الله المسؤولين فيها والقائمين عليها كل خير وأمدهم بعونه وتوفيقه وسدد على طريق الخير خطاياهم .

٥ ـ ينبغي على ولي أمر المرأة المسلمة من أب وزوج وغيرهما أن يشعروا بمسؤولية المرأة في الدعوة . وعلى المرأة كذلك أن تعرف حدود مسؤوليتها في ذلك فتوازن بين كافة مسؤولياتها .

٦ ـ ينبغي على طلاب العلم وطالباته الكتابة في موضوع الإعداد للدعوة على مستوى الدراسات العليا لكل من الرجال والنساء وقيام فئة من طالبات العلم في الدراسات العليا بإجراء بحوث ميدانية دعوية في الوسط النسائي تتناول على سبيل المثال واقع الدعوة إلى الله في المنزل والمدرسة والمجتمع ومواقع العمل المختلفة ومن خلال الخدمة الاجتماعية كذلك .

٧ ـ كما يلزم المرأة المسلمة أن تتوسع في ثقافتها الإسلامية مهما كان تخصصها العلمي ووظيفتها .

٨ ـ ومن اللازم أن تحرص المسلمة على إتقان بعض المهارات المهنية التي تفيدها أو تفيد مجتمعها .

وختاماً ، أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صورة استبانتين

استخدمتا في البحث



الاستبانة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي المسلمة وفقك الله لكل ما يحبه الله ويرضاه وجعلك من الداعيات ـ المخلصات ـ إلى الإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . .

حيث أقوم بإعداد رسالة في مرحلة الدكتوراه عنوانها :

المرأة المسلمة المعاصرة
إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة

فلقد ظهرت لي الحاجة في الاستئناس برأي أختي الكريمة في موضوع المعوقات التي تحول أو تحد من نشاط المرأة المسلمة الدعوي ، في الوسط الأسري مع الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والزوج والأبناء والبنات وفي الوسط الاجتماعي مع نساء الجيران والقريبات وزميلات الدراسة والعمل وكافة قطاعات المجتمع النسائي في حدود الإمكانات والقدرات المتاحة وعلى مستوى الاستطاعة الفردية ، ولا ريب أن من العوائق ما يخرج عن قدرة الفرد رجلاً كان أو امرأة مثل العوائق الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية كما يوجد عوائق في الأسرة نفسها ، ولذلك سأطرح السؤال التالي :

- ما هي المعوقات التي تمنع أو تحد من النشاط الدعوي للمرأة المسلمة في ضوء رأيك الخاص ؟ .

مع شكري وتقديري لك سلفاً

ملحوظة :

الرجاء أن تصل الإجابة في أسرع وقت ممكن .

الباحـــث

المحاضر / أحمد بن محمد أبا بطين

كلية الدعوة والإعلام

الاستبانة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخت المسلمة العاملة في أجهزة الإعلام - إذاعة وتلفزيون - صحافة وفقها الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

مما لا شك فيه أن العمل الإعلامي من أهم الأعمال وأشقها في حياة الإنسان وتعظم هذه الأهمية وتكون أكثر مشقة إذ كان القائم بهذه الأعمال امرأة ؛ ذلك لأن المرأة لها وظائف فطرية ليس لها فيها خيار ، وهذه الأعمال الفطرية لا شك أنها تزاحم أعمال المرأة وتثقل كاهلها ، لكن دعاءنا هو أن نسأل الله أن يكون في عون المرأة المسلمة وفي عون الرجل المسلم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أختي المسلمة ..

حيث أعمل الآن في مشروع إعداد رسالة دكتوراه بعنوان (المرأة المسلمة المعاصرة - إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة) فإني آمل الإجابة على هذه الأسئلة .

١ - هل تضطر المرأة في الأجهزة الإعلامية للحديث مع الزملاء من الرجال أثناء إعداد البرامج أو أثناء الدخول والخروج من مباني الإذاعة والتلفزيون ؟

٢ - هل تضطر المرأة المسلمة للخلوة برجل من أجل إعداد برنامج أو تقديمه ؟

٣ ـ هل عمل المرأة في هذه المجالات يضطرها إلى الالتقاء بالرجل خارج مبنى الإذاعة والتلفزيون لإجراء المقابلات مثلاً ؟

٤ ـ هل تشعر المرأة المسلمة العاملة في الإذاعة والتلفزيون والصحافة بالحرج من الحديث مع الرجال .

٥ ـ هل يمكن أن تنفرد المرأة العاملة في الإذاعة والتلفزيون بزميلها الرجل في السيارة أثناء تأدية مهمة إعلامية ؟

٦ ـ هل يمكن أن تتهيأ الظروف لانفراد الرجل بالمرأة داخل الإذاعة والتلفزيون عندما يفرغان من الأعمال المنوطة بهما ؟

٧ ـ هل تأنس المرأة من العمل مع الرجل في وسائل الإعلام ؟

٨ ـ أيهما أكثر عطاء إعلامياً الرجال أم النساء ؟

٩ ـ وهل اشتراك المرأة مع الرجل في إعداد برنامج إعلامي أفضل من عمل كل فئة مع جنسها ؟

١٠ ـ هل توجد مخاوف من عمل المرأة مع الرجل أم لا ؟

١١ ـ هل تصافح المرأة الرجل لأداء التحية ؟

أختي المسلمة ، وحيث أن الغرض من الإجابة على هذه الأسئلة هو استخدامها في المجال العلمي في موضوع الرسالة المذكورة ، فإني أرجو الإجابة عليها بكل صراحة ووضوح مع عدم التأثر بالعواطف والمجاملات ، شاكراً لك حسن الظن وسرعة الاجابة .

الباحث

المحاضر / أحمد بن محمد أبا بطين

كلية الدعوة والإعلام

الفهـــارس



فهرس الآيـــات

فهرس الأحاديث

أولاً : أحاديث قدسية

ثانيا : أحاديث الرسول ﷺ القولية :

الحـــديث	الصفحة
أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة...	٤١٧
أيًّما رجل كانت عنده...	٦٢
الأيم أحق بنفسها من وليها	٧٦ ، ٧٧
أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٤٧٢
أي يوم هذا . أليس يوم النحر...	٥٦٩
بلغوا عني ولو آية.	١٠٩ ، ١١٤
بلى فجذي نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً	٦٨
تربت يداك ، فبم يشبهها ولدها	١٢٢
تركت فيكم أمرين لن تضلوا...	١٩٩
ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم...	٤٥ ، ٤٧٩
تزوجوا الودود الولود.	٢٢٩
تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منك.	١١٨
تصدقن فإن أكثركن...	٤٠٥
تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها...	٢٢٧
ثلاثة لهم أجران رجل من أهل...	١٦٤
الحياء خير كله.	٣٨٨
الحياء شعبة من الإيمان.	٣٨٨
خذي فرصة من مسك فتطهري بها.	١٢٥
خير صفوف الرجال أولها.	٤١٣
خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.	٣٨٣
خيركم من تعلم القرآن وعلمه.	٥٠١
خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره	١٢٨
خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة	١٣٣ ، ٣٣٤

الحـــديث	الصفحة
ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات. . .	٣٥٦
ما من شيء في الميزان أثقل من. . .	١٩٦
ما منكم من امرأة تقدم بين يديها. . .	١٦٥
ما منكن من امرأة تقدم. . .	٦٢
ما من مولود إلا يولد على الفطرة . . .	٨٨ ، ٢٣٠
ما من مولود إلا يلد على الفطرة . . .	١١٣
ما من مولود إلا يولد على الفطرة . . .	١٢٨ ، ١٢٩
ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.	١٩٣
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث . . .	٣٥٥ ، ٥٥٤
مرو أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين . . .	٤٦٦ ، ٤٦٩
المـرأة راعيـة على أهل بيت زوجها وولده.	٣٨٧
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . . .	٤٥٢، ٥٣٥
من ابتلي من هذه البنات بشيء . . .	٨٢
من دعا إلى هدى كان له من الأجر . .	١١٦
من دل على خير فله مثل أجر فاعله.	١١٧
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	١٠٢، ١١١
من سلك طريقاً يطلب فيه علما . . .	٦٢ ،١٥٨
من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل . . .	١١٦
من صلى علي صلاة واحدة . . .	١٨١
من كانت له جارية فعلمها فأحسن . . .	٨٣
من عال جاريتين حتى تدركا دخل الجنة.	٨٢
من عال جاريتين حتى تدركا دخلت . . .	٧٤

الحـــديث	الصفحة
يا عائشة لولا أن قومك حديث عهدهم لنقضت الكعبة . . .	٥٢٨
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٤٧٠
يا معشر النساء تصدقن وأكثرن . . .	١٢٢
يا نساء المسلمين لا تحتقرن جارة . . .	٧٩ ، ٨٠
يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا	٥٢٧
يقضي الله في ذلك.	٢٦
يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق . . .	٣٦٤

فهرس الأحاديث الفعلية

فهرس الأحاديث الضعيفة

الأحاديث الموضوعة

الحديث	الصفحة
حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور » .	١٦٧
حديث ابن عباس رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا تعلموا نسائكم الكتابة ولا تسكنوهن الغرف العلالي » .	١٦٦
« لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة (يعني النساء) وعلموهن المغزل وسورة النور » .	١٦٩

فهرس الآثار

فهرس الشعر على ترتيب الروي

البيت	القائل	البحر	الصفحة
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق	حافظ إبراهيم	الكامل	٨٩
أشبه أخي أو أشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا	منفوسة بنت زيد	الرجز	٣٤
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حمائل	أبو طالب عم النبي	الطويل	٣٦
أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد متقدما	أزهر بن هلال التميمي	الطويل	٣٧
لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أقاس الدجى في حندس الظلم وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم	إسحاق بن خلف	البسيط	٤٠
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ وكنت أبقي عليها من أذى الكلم إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لرحمة بنتي عبرتي بدم	إسحاق بن خلف	البسيط	٤١
تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفاونوا ودقوا بينهم عطر منشم	زهير بن أبي سلمى	الطويل	٢٩، ٣٩
أمن أم أوفى دمنة لم تكلمي بحومانة الدارج فالمتثلم	زهير بن أبي سلمى	الطويل	٣٦

البيـــت	القائل	البحر	الصفحة
قـيســا ومــا جمـعــوا لـنــا			
في مجـمــع بــاق شـنــاعــه			
فــيــه الــســنــور والـقـنــا			
والـكبس مـلـتـمــع قـنــاعــه			

فهـرس المراجـع

حـرف الألف

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، المطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٣هـ .
- الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة ، بدر الدين الزركشي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- أحكام القرآن ، ابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .
- أحكام القرآن ، الإمام أبو بكر أحمد الجصاص ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، مطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية ، ١٣٣٥هـ .
- الاختيارات الفقهية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .
- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة وتصحيح محمد هشام البرهاني ، طبع دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، القاهرة ، دار الكتاب العربي عن الطبعة السابعة بالمطبعة

الأميرية ببولاق ، مصر المحمية سنة ١٣٢٣هـ .
- إرشاد الفحول إلى الحق من علم الأصول ، تحقيق الإمام محمد بن علي الشوكاني ، نشر دار الباز ، مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، علي جريشة ومحمد الزيبق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الاعتصام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، نشر دار الشعب ، القاهرة سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي ، الطبعة الثانية ، الكويت ، دار القلم ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
- الإسلام والمرأة ، سعيد الأفغاني ، نشر المؤلف ، دمشق سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .
- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً ، عبد الغني محمد سعد بركة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق وتخريج محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم السنة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩هـ/١٤٠٠هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- أصول تربية الطفل في الإسلام ، د . حسن عبد العال ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية بجامعة طنطا قسم أصول التربية .
- الأصول الثلاثة وأدلتها ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تعليق وتصحيح محمد

منير الدمشقي ، مصر ، إدارة الطباعة المنيرية .
- أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، الطبعة الثالثة ، بغداد ، دار المنار الإسلامية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، الكتاب الثاني من التتمة التي كتبها الشيخ عطية محمد سالم ، الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٧هـ .
- أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الثانية ، دمشق ، المطبعة الهاشمية ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
- الأقليات المسلمة في العالم ، ظ. وفها المعاصرة ، آلامها وآمالها ، أبحاث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمة 'المشبا ، الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢-١٧ جمادى الأولى سنة ، ٤٠ هـ الموافق ٢٢-٢٧ يناير ١٩٨٦م .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني بيررت ، ـلاح يوسف الخليل ، دار الفكر للجميع ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- إلى كل فتاة تؤمن بالله ، محمد سعيد عـان البوطي ، مكتبة الفارابي .
- أمثال القرآن ، ابن قيم الجوزية . تحقيق ناصر بن سعد الرشيد ، الطبعة الأولى ، دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبد الله بن عمر البيضاوي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
- أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، مقدار يالجن ، الطبعة الأولى ، الرياض ، نشر المؤلف ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، نشر المؤلف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، نجم الدين بن الرفعة الأنصاري، تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف، نشر جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

حرف الباء

- بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد تحت إشراف رابطه العالم الإسلامي سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- بدائع الصنائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، القاهرة، زكريا علي يوسف.
- البداية والنهاية، ابن كثير، نشر مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الطبعة الرابعة.
- بذل المجهود في حل أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، الطبعة الثالثة القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- بذل المجهود في حل أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، الرياض، دار اللواء.
- البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق عبد العظيم الديب، كلية الشريعة جامعة قطر.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، شرح محمد بهجت الأثري، مصر المكتبة الأهلية ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

حرف التاء

- تاج العروس ، الزبيدي .
- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- تاريخ التراث العربي ومجموعة المخطوطات ، فؤاد سزكين ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- تاريخ الطبري ، جعفر بن جرير الطبري ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- تاريخ عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ، بيروت ، دار الرائد العربي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- التاريخ الكبير للإمام البخاري ، جمعية دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٦٠هـ ، الطبعة الأولى .
- التبرج والسفور ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- التبشير في منطقة الخليج العربي ، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، عبد الملك خلف التميمي ، الطبعة الأولى ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر والترجمة ١٩٨٢م .
- التحرير العربي ، أحمد شوقي رضوان وعثمان بن صالح الفريح ، الطبعة الأولى ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- تحفة المودود بأحكام المولود ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- تحقيق وتخريج المروي عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين ، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠٦هـ/١٤٠٧هـ .
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، رفاعة رافع الطهطاوي ، نشر شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، بدون سنة الطبع ، تحقيق د . مهدي علام وزملائه .
- التدابير الواقية من الربا في الإسلام ، فضل إلٰهي ، الطبعة الأولى ، ججرانواله باكستان ، إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ، فضل إلٰهي ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، الطبعة الثالثة ، حلب ، دار السلام للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- التربية العملية الميدانية مفاهيمها وكفاياتها وممارستها ، محمد زياد حمدان بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .
- التربية وطرق التدريس ، عبد الرحمن النحلاوي وزملاؤه ، نشر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية ١٣٨٩هـ .
- التسمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام ، حسن العناني ، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، سنة ١٩٨٠م .
- التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ، عبد اللطيف البرزنجي ، بغداد ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .
- التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، تقرير عام ١٤٠٤هـ .
- تفسير ابن سعدي ، الرياض ، المؤسسة السعيدية .
- تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا ، القاهرة ، دار الشعب .
- تفسير الإمام الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون سنة الطبع .

- تفسير الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- تفسير الطبري ، ابن جرير الطبري ، تحقيق محمود وأحمد شاكر ، القاهرة دار المعارف ، ١٣٧٤هـ .
- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة المنار ١٣٤٦هـ .
- تفسير القرطبي ، محمد بن أحمد ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ .
- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الثالثة .
- تفسير المراغي .
- تفسير النسفي ، عبد الله بن محمد النسفي ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- تصور للبرامج الدينية الموجهة لمن يتحدثون العربية من تلفازات الخليج تقديم جعفر شيخ إدريس لندوة البرامج الدينية في تلفزيونات الخليج عام ١٤٠٧هـ .
- التقرير السنوي للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة والرياض للأعوام ١٤٠٦هـ ، ١٤٠٧هـ ، ١٤٠٨هـ - .
- التمهيد في أصول الفقه ، محفوظ بن أحمد الكولذاني الحنبلي ، دراسة محمد بن علي بن إبراهيم ، نشر جامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥ ، الطبعة الأولى .
- تهذيب التهذيب ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار صادر ، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، بحيدر آباد الدكن في الهند سنة ١٣٢٥هـ .
- تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، صفي الدين الخزرجي ، حلب وبيروت ، مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- تهذيب اللغة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م .

حرف الثاء

- ثقافة الداعية ، يوسف القرضاوي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م الطبعة السابعة .
- (كتاب) ثلاثة الأصول . محمد بن عبد الوهاب ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، بدون سنة الطبع ، تعليق وتصحيح محمد منير الدمشقي .

حرف الحاء

- حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، الطبعة الثالثة ، مصر ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٢٦هـ .
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، عبد الرحمن بن قاسم ، الرياض ، نشر المؤلف ، ١٤٠٣هـ ، الطبعة الثانية .
- حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثامنة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- حجة الله البالغة ، شاه ولي الله الدهلوي ، تحقيق السيد سابق ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة .
- حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة ، فاطمة عمر نصيف ، مكة المكرمة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م - ١٩٨٣ .
- حكمة الدعوة ، رفاعي سرور ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٣٩٨هـ .
- الحماسة ، أبو عبادة البحتري ، ضبطه وعلق على حواشيه كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ١٩٢٩م .
- الخدمة الاجتماعية ، حسن علي خفاجي ، الطبعة الثانية ، جدة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ .

- الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، محمد أحمد عبد الهادي ، محاضرات غير منشورة لطلاب الخدمة الاجتماعية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

حرف الخاء

- الخراج ، القاضي أبو يوسف ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، سنة ١٣٥٢هـ ، الطبعة الثانية .
- الخراج ، القاضي أبو يوسف ، بيروت ، نشر دار المعرفة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- خطبة الحاجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي ، الطبعة الثانية ، حلب وبيروت ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

حرف الدال

- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، أحمد أحمد غلوش ، القاهرة وبيروت ، دار الكتاب المصري واللبناني ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م .
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة الأولى ، الدار السلفية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي ، إعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، علي بن الحسن الباخرزي ، نشر وتحقيق د . محمد التونجي ، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

- دور المدرسة الابتدائية في إعداد الداعية ، يوسف عزت الصباغ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الحسبة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية سنة ١٤٠٠هـ/١٤٠١هـ .
- ديوان أبي العتاهية ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ديوان امرىء القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ديوان حافظ إبراهيم ، بيروت ، محمد الأمين دمج ، ١٩٦٩م .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، حسان بن ثابت الأنصاري ، بيروت ، دار صادر ، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
- ديوان الحماسة ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .
- ديوان الخنساء ، نشر دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى ، تقديم وتعليق كرم البستاني ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ديوان عروة ، عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، القاهرة ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- ديوان عنترة بن شداد ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، شرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي .

حرف الراء

- رسالة الحجاب في الكتاب والسنة ، محمد الصالح العثيمين ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- رسالة المسجد في الإسلام ، مصطفى كمال التارزي ، بحث ضمن بحوث مؤتمر

رسالة المسجد عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، مكة المكرمة ، نشر رابطة العالم الإسلامي .
- روابط القرابة وأثرها في الدعوة في ضوء القرآن ، محمد بن سليمان البراك ، بحث مكمل للماجستير لقسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- روح المعاني في تفسير القرآن ، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- روضة الطالبين ، الإمام النووي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل موفق الدين بن قدامة ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤٢هـ .

حرف الزاي

- زاد المعاد في هدى خير العباد ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

حرف السين

- سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الطبعة الرابعة .
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي

وشركاه ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- سنن أبي داود المطبوعة مع معالم السنن ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، الطبعة الأولى ، حمص ، محمد علي السيد ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- سنن أبي داود المطبوعة مع بذل المجهود ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- سنن أبي داود المطبوعة مع عون المعبود ، شرح محمد شمس الحق العظيم آبادي ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية .
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، الطبعة الأولى ، حمص ، مطابع الفجر الحديثة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ، أو نشر مكتبة دار الدعوة ، حمص سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، الطبعة الأولى بتعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس ، أو مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- سنن النسائي ، الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي ، نشر مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م الطبعة الأولى .
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، مصطفى السباعي ، الطبعة الثالثة ، بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية .
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- سيرة النبي ﷺ ، عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

حـرف الشيـن

- شخصية الرسول ﷺ ودعوته في القرآن الكريم ، محمد علي الهاشمي ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، محمد السفاريني ، دمشق ، المكتب الإسلامي ١٣٨٠هـ .
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، يحيى بن علي التبريزي ، بيروت ، عالم الكتب ، عن نسخة مصورة عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، أبو الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري ، الطبعة الأولى ،مصر ، المطبعة الحميدية ١٣٢٣هـ .
- شرح ديوان عنترة بن شداد ، عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى .
- الشرح الصغير ، أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢م .
- شرح الكوكب المنير ، محمد بن أحمد الفتوحي (ابن النجار) نشر جامعة الملك عبد العزيز ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد .
- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦م .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض الأندلسي ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرون ، دمشق ، دار الوفاء للطباعة والنشر .
- الشوقيات ، أحمد شوقي ، القاهرة ، مطبعة الآداب والمؤيد ، ١٨٩٨م .
- الشوقيات ، أحمد شوقي ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى .

حـرف الصـاد

- الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، حمود بن عبد الله التويجري ، بيروت وحلب ، دار السلام للطباعة والنشر .
- صحيح البخاري ، المطبوع مع فتح الباري ، الرياض ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- صحيح الصغير وزياداته ، محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي .
- صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف النووي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

حـرف الطـاء

- الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار بيروت .
- طرق تدريس التربية الإسلامية ، عابد توفيق الهاشمي ، الطبعة السابعة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة بمساعدة جامعة بغداد ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، الإمام ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ .

حـرف العيـن

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، الإمام الحافظ ابن العربي المالكي ،

نشر دار العلم للجميع ، بيروت ، بدون سنة النشر .
- العدة في أصول الفقه ، القاضي أبو يعلى البغدادي الحنبلي ، تحقيق أحمد المباركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- العربية لغة الإعلام ، عبد العزيز شرف ، الرياض ، دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- عصر محمد علي باشا ، عبد الرحمن الرافعي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٦٦هـ ، منشورات مطبعة لجنة التأليف والترجمة .
- العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، بيروت ، دار الفكر ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .
- عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان ، شمس الحق العظيم آبادي ، الطبعة الأولى ، دمشق ، المكتب الإسلامي ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
- علم الاجتماع المفهوم والموضوع والمنهج ، صلاح مصطفى الفوال ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢م .
- علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله البسام ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديث ، ١٣٩٨هـ .
- علم النفس الاجتماعي ، حامد عبد السلام زهران ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٧م .
- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، محمود بن أحمد العيني ، بيروت ، محمد أمين دمج ١٣٤٨هـ .
- عودة الحجاب ، جمع وترتيب محمد أحمد المقدم ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

حرف الغين

- غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ، محمد السفاريني ، مصر مطبعة النجاح

١٣٢٤هـ .
- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ الطبعة الأولى ، الرياض ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- الغزو الفكري والدعوة الإسلامية ، جعفر شيخ إدريس ، رابطة الشباب المسلم العربي في الولايات المتحدة ١٩٨٧م .

حرف الفاء

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، الرياض ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- الفتح الرباني في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد عبد الرحمن البنا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- الفروع ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، راجعه عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- فن الإلقاء ، سامي عبد الحميد وبدري حسون فريد ، الموصل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ١٩٨٠م .
- فن البلاغة ، عبد القادر حسن ، القاهرة ، مطبعة الأمانة .
- فن الخطابة ، أحمد محمد الحوفي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
- فن الخطابة ، دايل كارينغي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الهلال ،

١٩٨٥م .
- فن الخطابة وإعداد الخطيب ، علي محفوظ ، القاهرة ، دار الاعتصام .
- الفنون الأدبية وأثرها في الحياة ، فن الخطابة ، عبد الكريم محمود زلط ،طنطا مكتبة الشباب ، ١٩٧٧ - ١٩٧٨م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

حرف القاف

- القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروزآبادي .
- قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة .

حرف الكاف

- الكامل في التاريخ ، علي بن محمد بن الأثير ، بيروت ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- الكتاب الإحصائي السنوي ، إعداد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٤ -١٤٠٥هـ ، العدد ٩ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة .
- كشف الأستار عن زوائد البزار ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- كيف تدير المناقشة ، جمعية تعليم الكبار الأمريكية ، ترجمة سيد عبد الحميد مرسي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ونيويورك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة .

حرف اللام

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، المطبعة الأدبية ، ١٣١٧هـ .
- لسان العرب المحيط ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .
- اللزوميات ، أبو العلاء المعري ، بيروت ، مكتبة الهلال ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

حرف الميم

- مباحث في علوم القرآن ، مناع خليل القطان ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م .
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، محمد بن حبان ، تحقيق محمود زايد ، الطبعة الثانية ، حلب ، دار الوعي ، ١٤٠٢هـ .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني ، القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م .
- المجموع شرح المهذب ، يحيى بن شرف النووي ، بيروت ، دار الفكر .
- مجموع فتاوى ابن تيمية ، عبد الرحمن بن قاسم ، بيروت ، مطابع دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .
- مجموعة أبحاث المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد بالرياض سنة ١٤٠٦هـ ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .
- مجموعة نظم ولوائح وكالة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لشؤون الرعاية الاجتماعية .

ـ مجلة أضواء الشريعة ، دورية تصدرها كلية الشريعة بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
ـ مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، السعودية .
ـ مجلة الدارة ، فصلية ، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض .
ـ مجلة رابطة العالم الإسلامي ، شهرية ، تصدرها رابطة العالم الإسلامي ، مكة االمكرمة .
ـ مجلة رسالة المسجد ، شهرية ، تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر عن الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، دورية تصدرها كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
ـ مجلة المجتمع ، إسلامية ، أسبوعية ، تصدر بالكويت .
ـ مجلة المسلم المعاصر ، فصلية ، تصدر في لبنان وتصدر مؤقتاً في الكويت .
ـ مجلة هذه سبيلي ، مجلة سنوية ، متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية سابقاً ، كلية الدعوة والإعلام حالياً ، الرياض .
ـ المحبر ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، حيدر آباد الدكن ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م ، تصحيح ايلزه لختن شتيتر .
ـ مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، عبد الرحمن الباني ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
ـ المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله العفيفي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
ـ المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .
ـ المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، بغداد ، مطبعة معارف بغداد ،

١٩٦١م .
- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري حلب ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن في الهند سنة ١٣٤١هـ .
- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن الجارود ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، أو مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١هـ الطبعة الأولى .
- مسند الإمام أحمد ، بيروت ، المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر ، مصورة عن نسخة مطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣هـ .
- مسيرة المرأة السعودية إلى أين ، سهيلة زين العابدين حماد ، الطبعة الأولى ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
- المصنف في الأحاديث والآثار ، الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ، الطبعة الأولى ، بومباي ، الدار السلفية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- معالم السنن للخطابي ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، الطبعة الأولى ، حمص دار الحديث ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، مطبوع مع سنن أبي داود .
- معجم البستان ، عبد الله البستاني اللبناني .
- معجم الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، تصحيح وتعليق الدكتور كرنكو ، القاهرة ، مكتبة القدس ، ١٣٥٤هـ .
- المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٨هـ .
- المعجم الكبير ، الإمام سليمان الطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، وزارة الأوقاف العراقية ، ١٩٨١م ، الطبعة الأولى .

- المغني ، ابن قدامة ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .
- مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشربيني الخطيب ، الإمام النووي ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- مفاهيم في علم الاجتماع ، إبراهيم خليفة ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٣/١٩٨٤م .
- مفتاح دار السعادة ، ابن قيم الجوزية ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر ، ١٣٢٤هـ .
- المفسر عبد الله بن عباس ، تحقيق المروي عنه من الفاتحة والبقرة وآل عمران ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠٠/١٤٠١هـ .
- مقدمة ابن الصلاح في عدم الحديث ، أبو عمرو عثمان الشافعي المعروف بابن الصلاح ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦هـ .
- المقنع في فقه إمام السنة ابن حنبل ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الطبعة الثالثة ، نشر محب الدين الخطيب على نفقة خليفة بن حمد آل ثاني ، ١٣٩٣هـ .
- من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، أبحاث القاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض سنة ١٣٩٣هـ . الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ .
- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، زاهر عواض الألمعي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، المؤلف .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر .
- المنتقى شرح موطأ مالك ، سليمان بن خلف الباجي ، الطبعة الأولى ، مصر مطبعة السعادة ، ١٣٣٢هـ .

- المنتقى في أخبار المصطفى ، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية ، تصحيح محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .
- منهج الخدمة الاجتماعية في خدمة الفرد ، أحمد كمال أحمد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩م .
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الحافظ الهيثمي ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال .
- المواهب اللدنية ، أحمد بن محمد القسطلاني ، مطبعة محمد شاهين ، مصر ، سنة ١٢٨١هـ .
- موطأ الإمام مالك ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
- كتاب الموضوعات ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- موطأ الإمام مالك ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
- الموطأ مع شرح الزرقاني ، الإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٠هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

حرف النون

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، نشأتها ، تطورها ، وثائقها ، إصدار الندوة

العالمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .
- النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة ، محمد صالح الفرفور ، الطبعة الثانية ، دمشق ، دار الإمام أبي حنيفة ،١٣٩٨هـ .
- النظم الإسلامية ، نشأتها وتطورها ، صبحي الصالح ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الملايين ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدين الرملي ، القاهرة ، المكتبة الإسلامية ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .
- نيل الأوطار ، محمد علي الشوكاني ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٤٧هـ ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٩٧٣م .

حرف الهاء

- هداية المرشدين إلى الوعظ والخطابة ، علي بن محفوظ ، نشر دار الاعتصام القاهرة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الطبعة التاسعة .

حرف الواو

- الوافي في شرح الأربعين النووية ، مصطفى البغا ومحي الدين مستو ، الطبعة الأولى ، دمشق وبيروت ، دار الإمام البخاري ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ، سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، رسالة دكتوراه في الإعلام الإسلامي مقدمة لكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٤هـ/١٤٠٥هـ .
- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ، أنور الجندي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الاعتصام .

مراجـع باللغة الانجليزيـة

DIRECTORY OF UNIVERSITIES AND THEIR LIBRARIES OF THE MUSLIM WORLD BY CH.MUHAMMAD AWAIS, LIBRARIAN CENTRAL LIBRARV, UMM AL-QURA UNIVERSITY, DEANSHIP OF LIBRARY AFFAIRS, UMM AL-QURA UNIVERSITY, MAKKAH AL- MUKARRAMAH, 1407 \ 1987.



محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
١ ـ أمثلة من القرآن الكريم	٥٦٨
٢ ـ أمثلة من السنة	٥٦٩
المطلب الثاني : الاستفهام الإنكاري	٥٧١
١ ـ أمثلة من القرآن	٥٧١
٢ ـ أمثلة من السنة	٥٧٢
الخاتمة	٥٧٥
الاستبانة الأولى	٥٨٠
الاستبانة الثانية	٥٨٢
الفهارس	٥٨٥
أولاً : الآيات القرآنية	٥٨٧
ثانياً : الأحاديث النبوية	٦٠٥
١ ـ الأحاديث القدسية والقولية	٦٠٥
٢ ـ الأحاديث الصحيحة	٦٠٥
٣ ـ الأحاديث الضعيفة والموضوعة	٦١٦
٤ ـ الآثار	٦١٨
٥ ـ الشعر	٦٢٠
المراجع	٦٦٨
محتويات الكتاب	٦٥٣